الأمثل

في تفسير كتاب الله المنزل

العلامة الفقيه المفسر

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل

کاتب:

آیت الله ناصرمکارم شیرازی

نشرت فی الطباعة:

مدرسه الامام علی بن ابی طالب (علیه السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل المجلد ۷

اشاره

سرشناسه : مکارم شیرازی، ناصر، - ۱۳۰۵

عنوان و نام پدیدآور : الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل/ تالیف ناصر مکارم شیرازی؛ [با همکاری جمعی از فضلا]

وضعیت ویراست : [ویرایش]۲

مشخصات نشر : قم: مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)، ۱۴۲۱ق. = ۱۳۷۹.

مشخصات ظاهری : ج ۲۰

شابک : ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۳-X(دوره) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۹-۱(ج.۱) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۳-۲(ج.۲) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۸-۳(ج.۳) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۲-۴(ج.۴) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۷-۵(ج.۵) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۱-۶(ج.۶) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۶-۷(ج.۷) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۰-۸(ج.۸) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۵-۹(ج.۹) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۴-۰(ج.۱۰) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۲-۱(ج.۱۱) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۷-۲(ج.۱۲) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۱-۳(ج.۱۳) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۰-۵(ج.۱۵)

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : کتاب حاضر ترجمه و تلخیص "تفسیر نمونه" است

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است

یادداشت : کتابنامه

موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

شناسه افزوده : مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)

رده بندی کنگره : BP۹۸/م۷ت ۷۰۴۴۷ ۱۳۷۹

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۹-۱۰۳۹۱

ص:۱

اشاره

[تتمه سوره هود]

اشاره

الآيات [سوره هود (۱۱): الآيات ۶۹ الى ۷۳]

اشاره

وَ لَقَدْ جٰاءَتْ رُسُلُنٰا إِبْرٰاهِيمَ بِالْبُشْرىٰ قٰالُوا سَلاٰماً قٰالَ سَلاٰمٌ فَمٰا لَبِثَ أَنْ جٰاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (۶۹) فَلَمّٰا رَأىٰ أَيْدِيَهُمْ لاٰ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَ أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قٰالُوا لاٰ تَخَفْ إِنّٰا أُرْسِلْنٰا إِلىٰ قَوْمِ لُوطٍ (۷۰) وَ اِمْرَأَتُهُ قٰائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنٰاهٰا بِإِسْحٰاقَ وَ مِنْ وَرٰاءِ إِسْحٰاقَ يَعْقُوبَ (۷۱) قٰالَتْ يٰا وَيْلَتىٰ أَ أَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ وَ هٰذٰا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هٰذٰا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (۷۲) قٰالُوا أَ تَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اَللّٰهِ رَحْمَتُ اَللّٰهِ وَ بَرَكٰاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ اَلْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (۷۳)

التّفسير

اشاره

جانب من حياه محطم الأصنام:

و الآن جاء الدور للحديث عن جانب من حياه«ابراهيم عليه السّلام»هذا البطل العظيم الذى حطم الأصنام،و ما جرى له مع قومه.طبعا كل ذلك مذكور بتفصيل اكثر فى سور اخرى من القرآن غير هذه السوره، كسوره البقره،و آل عمران، و النساء،و الانعام،و الأنبياء،و غيرها.

و هنا تذكر الآيات قسما من حياته المرتبطه بقصّه«قوم لوط»و عقاب هؤلاء الجماعه الملوّثين بالآثام و العصيان،فتقول فى البدايه: وَ لَقَدْ جٰاءَتْ رُسُلُنٰا

إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى

.

و هؤلاء الرسل-كما سيتبيّن من خلال الآيات التاليه-هم الملائكه الذين أمروا بتدمير مدن قوم لوط،و لكنّهم قبل ذلك جاؤوا الى ابراهيم ليسلموه بلاغا يتضمّن بشرى ساره.

امّا عن ماهيه هذه البشرى فهناك احتمالان،و لا مانع من الجمع بينهما.

الاحتمال الاوّل:البشرى بتولّد إسماعيل و إسحاق،لانّ ابراهيم عليه السّلام لم يرزق ولدا بعد عمر طويل،فى حين كان يتمنى ان يرزق ولدا او أولادا يحملون لواء النبوّه،فإبلاغهم له بتولد إسماعيل و إسحاق بعد بشاره عظمى.

و الاحتمال الثّانى:انّ ابراهيم كان مستاء ممّا وجده فى قوم لوط من الفساد و العصيان،فحين اخبروه بأنّهم أمروا بهلاكهم سرّ،و كان هذا الخبر بشرى له.

فحين جاءوا ابراهيم قَالُوا سَلاٰماً فأجابهم ايضا و قٰالَ سَلاٰمٌ و رحّب بهم فَمٰا لَبِثَ أَنْ جٰاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ .

«العجل»فى اللغه ولد البقر و«الحنيذ»معناه المشوى،و احتمل بعضهم انّ ليس كل لحم مشوى يطلق عليه انّه حنيذ،بل هو اللحم المشوىّ على الصخور الى جنب النّار دون ان تصيبه النّار،و هكذا ينضج شيئا فشيئا.

و يستفاد من هذه الجمله انّ من آداب الضيافه ان يعجل للضيف بالطعام، خاصّه إذا كان الضيف مسافرا،فإنّه غالبا ما يكون متعبا و جائعا و بحاجه الى طعام،فينبغى ان يقدم له الطعام عاجلا ليخلد الى الراحه.

و ربّما يقول بعض المنتقدين:أ ليس هذا العجل كثيرا على نفر معدود من الأضياف،و لكن مع ملاحظه انّ القرآن لم يذكر عدد هؤلاء الأضياف اوّلا،و هناك اقوال فى عددهم،فبعض يقول:كانوا ثلاثه،و بعض يقول:اربعه،و بعض يقول:

كانوا تسعه،و بعض قال:احد عشر،و يحتمل ان يكونوا اكثر من ذلك.

و ثانيا:فإنّ ابراهيم كان له اتباع و عمال و جيران،و هذا الأمر متعارف ان

يصنع مثل هذا عند الضيافه و يكون فوق حاجه الأضياف ليأكل منه الجميع..

و لكن حدث لإبراهيم حادث عجيب مع أضيافه عند تقديم العجل الحنيذ لهم،فقد رآهم لا يمدّون أيديهم الى الطعام،و هذا العمل كان مريبا له و جديدا عليه،فأحسّ بالاستيحاش و استغرب ذلك منهم فَلَمّا رَأى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَ أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً .

و من السنن و العادات القديمه الّتى لا تزال قائمه بين كثير من الناس الذين لهم التزام بالتقاليد الطيبه للاسلاف.هى انّ الضيف إذا تناول من طعام صاحبه (و بما اصطلح عليه:تناول من ملحه و خبزه)فهو لا يكنّ له قصد سوء،و على هذا فإنّ من له قصد سوء مع احد-واقعا-يحاول الاّ يأكل من طعامه«و خبزه و ملحه»و من هذا المنطلق شك ابراهيم فى نيّاتهم،و أساء الظن بهم،و احتمل انّهم يريدون به سوءا.

امّا الرسل فإنّهم لمّا اطلعوا على ما فى نفس ابراهيم،بادروا لرفع ما وقع فى نفسه و قالُوا لا تَخَفْ إِنّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمِ لُوطٍ .

و فى هذه الحال كانت امرأته«ساره»واقفه هناك فضحكت كما تقول الآيه وَ امْرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِكَتْ .

هذا الضحك من ساره يحتمل ان يكون لأنّها كانت مستاءه من قوم لوط و فجائعهم،و اطلاعها على قرب نزول العذاب عليهم كان سببا لسرورها و ضحكها.

و هناك احتمال آخر و هو انّ الضحك كان نتيجه لتعجبها او حتى لاستيحاشها ايضا،لانّ الضحك لا يختص بالحوادث السارّه بل يضحك الإنسان -أحيانا-من الاستياء و شده الاستيحاش،و من أمثال العرب فى هذا الصدد«شر الشدائد ما يضحك».

او انّ الضحك كان لانّ الأضياف لم يتناولوا الطعام و لم تصل أيديهم اليه

ص :۷

بالرغم من اعداده و تهيأته لهم.

و يحتمل ايضا انّ ضحكها لسرورها بالبشاره بالولد.و ان كان ظاهر الآيه ينفى هذا التّفسير،لانّ البشرى بإسحاق كانت بعد ضحكها،الّا ان يقال:انّهم بشروا ابراهيم اوّلا بالولد،و احتملت ساره ان سيكون الولد منها فتعجبت،و انّه هل يمكن لامراه عجوز و فى هذه السن ان يكون لها ولد من زوجها؟لذلك سألتهم بتعجب فأجابوها بالقول:نعم،و هذا الولد سيكون منك.و التأمل فى سوره الذاريات بهذا الشأن يؤكّد ذلك.

و ينبغى الالتفات هنا الى انّ بعض المفسّرين يصرون على انّ«ضحكت» مشتقه من«ضحك»بمعنى العاده النسائيه و هى«الحيض»و قالوا:انّ ساره بعد ان بلغت سنّ اليأس أتتها العاده فى هذه اللحظه و حاضت،و العاده الشهريه تدل على إمكان انجاب الولد،و لذلك فحين بشرت بإسحاق أمكنها ان تصدّق ذلك تماما ...و هؤلاء المفسّرون استندوا فى قولهم الى لغه العرب،حيث قالوا فى هذا الصدد:ضحكت الأرنب،اى حاضت.

و لكن هذا الاحتمال مستبعد من جهات مختلفه:

اوّلا:لانّه لم يسمع انّ هذه«الماده»استعملت فى الإنسان بمعنى الحيض فى اللغه العربيه،و لهذا فإنّ الراغب حين يذكر هذا المعنى فى مفرداته يقول بصراحه:

انّ هذا ليس تفسير جمله فضحكت كما تصوّره بعض المفسّرين،بل معناها هو الضحك المألوف،و لكنّها حاضت و هى فى حال الضحك ايضا،و لذلك وقع الخلط بينهما.

ثانيا:إذا كانت هذه الجمله بمعنى حصول العاده النسائيه فلا ينبغى لساره ان تتعجب من البشرى بالولد«إسحاق»لانّه-و الحال هذه-لا غرابه فى الانجاب، فى حين نستفيد من الجمل الاخرى انّها لم تتعجب من الانجاب فحسب،بل صرخت و قالت: يا وَيْلَتى أَ أَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ وَ هذا بَعْلِي شَيْخاً .

و على كل حال فإنّ هذا الاحتمال فى الآيه يبدو بعيدا جدّا.

ثمّ تضيف الآيه انّ إسحاق سيعقبه ولد من صلبه اسمه يعقوب: فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَ مِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ .

الواقع انّ الملائكه بشّروها بالولد و بالحفيد،فالاوّل إسحاق و الثّانى يعقوب، و كلاهما من أنبياء اللّه.

و مع التفات«ساره»امراه ابراهيم الى كبر سنّها و سن زوجها فإنّها كانت آيسه من الولد بشدّه،فاستنكرت بصوت عال متعجبه من هذا الأمر و قالَتْ يا وَيْلَتى أَ أَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ وَ هذا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ .

و كان الحق معها،لانّه طبقا للآيه(۲۹)من سوره الذاريات،فإنّها كانت فى شبابها عاقرا،و حين بشرت بالولد كان عمرها-كما يقول المفسّرون و تذكره التوراه فى سفر التكوين-تسعين عاما او اكثر،امّا زوجها ابراهيم عليه السّلام فكان عمره مائه عام او اكثر.

و هنا ينقدح سؤال و هو:لم استدلت ساره على عدم الانجاب بكبر سنّها و كبر سنّ زوجها،فى حين اننا نعلم انّ النساء عاده يصبحن آيسات بعد الخمسين لانقطاع«الحيض»او«العاده»و احتمال الانجاب فى هذه المرحله بالنسبه لهنّ ضعيف،امّا الرجال فقد أثبتت التجارب الطبيعيه انّهم قادرون على الانجاب لسنين أطول...؟ و الجواب على هذا السؤال واضح:فإنّ الرجال و ان كانوا قادرين على الانجاب،و لكن يضعف احتماله كلما طعنوا فى السنّ و لذا فطبقا للآيه(۵۴)من سوره الحجر نجد ابراهيم نفسه متعجبا من هذه البشرى لكبر سنّه،أضف الى ذلك فإنّ ساره من الناحيه النفسيه لعلها لم تكن فى الانفراد بهذه المشكله(العقم) و أرادت اقحام زوجها معها.

و على كل حال فإنّ رسل اللّه أزالوا التعجب عنها فورا و ذكّروها بنعم اللّه «الخارقه للعاده»عليها و على أسرتها و نجاتهم من الحوادث الجمه،فالتفتوا إليها

و قالُوا أَ تَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَ بَرَكاتُهُ عَلَيْكَمْ أَهْلَ الْبَيْتِ (۱) ... .

ذلک الربّ الذی نجّی ابراهیم من مخالب نمرود الظالم،و لم یصبه سوء و هم فی قلب النار،هو ذلک الرّب الذی نصر ابراهیم محطم الأصنام-و هو وحید- علی جمیع الطواغیت،و ألهمه القدره و الاستقامه البصیره.

و هذه الرحمه الالهیه لم تکن خاصّه بذلک الیوم فحسب،بل هی مستمره فی اهل هذا البیت،و ای برکه أعظم من وجود رسول اللّه محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الائمّه الطاهرین علیهم السّلام فی هذه الاسره و فی هذا البیت بالذات.

و استدل بعض المفسّرین بهذه الآیه علی انّ الزوجه تعدّ من «أَهْلَ الْبَیْتِ» ایضا،و لا یختص هذا العنوان بالولد و الأب و الام.و هذا الاستدلال صحیح طبعا، و حتی مع غضّ النظر عن الآیه هذه،فإنّ کلمه«اهل»من حیث المحتوی تصحّ بهذا المعنی،و لکن لا مانع ابدا ان یخرج جماعه من اهل بیت النّبوه من الناحیه المعنویه بسبب انحرافهم من اهل البیت«و سیأتی فرید من الإیضاح و الشرح فی هذا الصدد ان شاء اللّه ذیل الآیه ۳۳ من سوره الأحزاب».

و قال ملائکه اللّه لمزید التأکید علی بشارتهم و کلامهم فی شأن اللّه إِنَّهُ حَمِیدٌ مَجِیدٌ .

الواقع انّ ذکر هاتین الصفتین للّه تعالی علی الجمله السابقه،لانّ کلمه «حمید»تعنی من له اعمال ممدوحه و تستوجب الثناء و الحمد،و قد جاء صفه للّه لیشیر الی نعمه الکثیره علی عباده لیحمد علیها،و امّا کلمه«مجید»فتطلق علی من یهب النعم حتی قبل استحقاقها.

تری هل من العجیب علی ربّ له هذه الصفات ان یعطی مثل هذه النعمه العظیمه...ای الأبناء الصالحین لنبیّه الکریم؟!

۱- ۱) -انّ جمله «رَحْمَتُ اللّهِ وَ بَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ» یمکن ان تکون خبریه،و هی حال،کما یمکن ان تکون بمعنی الدعاء ایضا،و لکن الاحتمال الاوّل اقرب.

الآيات [سوره هود (١١): الآيات ٧۴ الى ٧۶]

اشاره

فَلَمّٰا ذَهَبَ عَنْ إِبْرٰاهِيمَ اَلرَّوْعُ وَ جٰاءَتْهُ اَلْبُشْرىٰ يُجٰادِلُنٰا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧۴) إِنَّ إِبْرٰاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوّٰاهٌ مُنِيبٌ (٧۵) يٰا إِبْرٰاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذٰا إِنَّهُ قَدْ جٰاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَ إِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذٰابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (٧۶)

التّفسير

رأينـا فی الآيات السابقه انّ ابراهيم عرف فورا انّ أضـيافه الجـدد لم يكونوا افرادا خطرين او يخشـی منهم،بل كانوا رسل الله علی حد تعبيرهم،ليؤدوا وظيفتهم التی أمروا بها فی قوم لوط.

و لمّا ذهب الهلع و الخوف عن ابراهيم من أولئك الأضـياف،و من ناحيه اخری فقد بشـروه بالوليد السعيد،شرع فورا بالتفكير فی قوم لوط الـذين أرسـل إليهم هؤلاـء الرسـل«الملائكه»فأخـذ يجادلهم و يتحـدث معهم فی أمرهم فَلَمّٰا ذَهَبَ عَنْ إِبْرٰاهِيمَ الرَّوْعُ وَ جٰاءَتْهُ الْبُشْرىٰ يُجٰادِلُنٰا فِي قَوْمِ لُوطٍ (١) .

ص: ١١

١- ١) -كلمه«روع»علی وزن«نوع»معناها«الخوف و الوحشه»و كلمه«روع»علی وزن«نوح»معناها«الروح»او قسم منها الذی هو محل الخوف و مركزه،لمزيد الإيضاح تراجع المعاجم اللغويه.

و هنـا يمكن ان ينقـدح هـذا السؤال،و هو:لم تبـاحث ابراهيم عليه السّـلام مع رسـل اللّه و جـادلهم فى قوم آثمين ظالمين-كقوم لوط-و قد أمروا بتدميرهم،فى حين انّ هذا العمل لا يتناسب مع نبىّ-خاصّه إذا كان ابراهيم عليه السّـلام فى عظمته و شأنه؟ لهذا فإنّ القرآن يعقّب مباشره فى الآيه عن شفقه ابراهيم و توكله على اللّه فيقول إِنَّ إِبْرٰاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوّٰاهٌ مُنِيبٌ (1) .

فى الواقع هذه الكلمات الثلاث المجمله جواب على السؤال المشار اليه آنفا.و توضـيح ذلك:انّ هذه الصفات المذكوره لإبراهيم تشير الى انّ مجـادلته كـانت ممـدوحه،و ذلك لانّ ابراهيم لم يتّضـح له انّ امر العـذاب صادر من قبل اللّه بصوره قطعيه،بل كان يحتمـل انّه لاـ يزال لهم حظ فى النجـاه،و يحتمـل انّهم سـيرتدون عن غيهم و يتّعظون،و من هنـا فمـا زال هناك مجال للشـفاعه لهم...فكان راغبا فى تأخير العذاب و العقاب عنهم،لانّه كان حليما،و مشفقا و اوّاها و منيبا الى اللّه.

فما ذكره البعض من انّ مجادله ابراهيم إذا كانت مع اللّه فلا معنى لها،و إذا كانت مع رسله فهم ايضا لا يستطيعون ان يفعلوا شيئا من أنفسهم،فعلى كل حال فالمجادله هذه غير صحيحه-مجانب للصواب.

و الجواب:انّه لاـ كلاـم فى الحكم القطعى،امّـا لو كـان الحكم غير قطعى فمع تغيير الظروف و تبـدل الأوضـاع يمكن تغييره،لاـنّ طريق الرجوع لا زال مفتوحا، و بتعبير آخر:فإنّ الأوامر فى هذه الحاله مشروطه لا مطلقه.

و امّـا من احتمـل انّ المجادله كانت مع الرسل فى شأن نجاه المؤمنين، و استشـهدوا على هـذا القول بالآيتين(31)و(32)من سوره العنكبوت

ص:12

1- 1) -«الحليم»مشـتق من«الحلم»و هو:الاناه و الصبر فى سبيل الوصول الى هـدف مقدس،و الأواه فى الأصل:كثير التحسـر و الآه سواء من الخوف من المسؤليه التى يحملها او من المصائب،و المنيب من الانابه اى الرجوع.

وَ لَمّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا إِنّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَهِ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ، قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ .

فهذا الاحتمال غير صحيح ايضا،و لا ينسجم مع الآيه التى تأتى بعدها و هى محل و تقول الآيه التاليه:انّ الرسل قالوا لإبراهيم-مباشره-ان اعرض عن اقتراحك لانّ امر ربّك قد تحقق و العذاب نازل لا محاله.

يا إِبْراهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذا إِنَّهُ قَدْ جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَ إِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ

.

و التعبير«ربّك»لا يدل على انّ هذا العذاب خلو من الطابع الانتقامى فحسب،بل يدل ايضا على انّه علامه لتربيه العباد و إصلاح المجتمع الانسانى.

و ما نقرؤه فى بعض الرّوايات انّ ابراهيم عليه السّلام قال لرسل اللّه:إذا كان بين هؤلاء القوم مائه مؤمن فهل يعذب المؤمنون؟قالوا:لا.فقال:إذا كان بينهم خمسون مؤمنا؟فقالوا:لا ايضا.قال:فإذا كان بينهم ثلاثون مؤمنا؟قالوا:لا.قال:

فإذا كان بينهم عشره؟قالوا:لا.قال:فإذا كان بينهم خمسه؟قالوا:لا.قال:فإذا كان بينهم مؤمن واحد؟قالوا:لا.قال:فإنّ فيها لوطا.قالوا: نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ (۱) ...إلخ.

فمثل هذه الرّوايه لا تدل بوجه مطلق على انّ المجادله اقتصرت على هذا الكلام،بل كان ذلك منه بالنسبه الى المؤمنين،و هو شىء آخر غير مجادلته عن الكفار.و من هنا يتّضح انّ الآيات التى وردت فى سوره العنكبوت لا تنافى هذا التّفسير ايضا«فتدبّر».

ص:۱۳

۱- ۱) -راجع تفسير البرهان،ص ۲۲۶،ج ۲.

الآيات [سوره هود (۱۱): الآيات ۷۷ الى ۸۰]

اشاره

وَ لَمّٰا جٰاءَتْ رُسُلُنٰا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَ ضٰاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَ قٰالَ هٰذٰا يَوْمٌ عَصِيبٌ (۷۷) وَ جٰاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَ مِنْ قَبْلُ كٰانُوا يَعْمَلُونَ اَلسَّيِّئٰاتِ قٰالَ يٰا قَوْمِ هٰؤُلاٰءِ بَنٰاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اَللّٰهَ وَ لاٰ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَ لَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (۷۸) قٰالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مٰا لَنٰا فِي بَنٰاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مٰا نُرِيدُ (۷۹) قٰالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (۸۰)

التّفسير

اشاره

قوم لوط و حياه الخزى:

مرّت فى آيات من سوره الأعراف اشاره الى شىء من مصير قوم لوط، و فسّرنا ذلك فى محلّه،و هنا يتناول القرآن الكريم-و بمناسبه ما ذكره من قصص الأنبياء و اقوامهم و بما ورد فى الآيات المتقدمه عن قصّه لوط و قومه-قسما آخر من حياه هؤلاء القوم المنحرفين الضالين ليتابع بيان الهدف الاصلى الا و هو سعاده المجتمع الانسانى و نجاته بأسره.

ص: ۱۴

يبيّن القرآن الكريم فى هذا الصدد اوّلا...انّه لما جاءت رسلنا لوطا طار هلعا و ضاق بهم ذرعا و أحاط به الهمّ من كل جانب وَ لَمّٰا جٰاءَتْ رُسُلُنٰا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَ ضٰاقَ بِهِمْ ذَرْعاً .

و قد ورد فى الرّوايات الاسلاميه انّ لوطا كان فى مزرعته حيث فوجئ بعدد من الشباب الوسيمين الصباح الوجوه قادمون نحوه و راغبون فى النّزول عنده و لرغبته باستضافتهم من جهه،و لعلمه بالواقع المرير الذى سيشهده فى مدينته الملوّثه بالانحراف الجنسى من جهه أخرى،كل ذلك أوجب له الهم...

و مرّت هذه المسائل على شكل أفكار و صور مرهقه فى فكره،و تحدث مع نفسه وَ قٰالَ هٰذٰا يَوْمٌ عَصِيبٌ .

لاحتمال الفضيحه و التورط فى مشاكل عويصه كلمه(سيئ)مشتقّه من ساء،و معناها عدم الارتياح و سوء الحال،و«الذرع»تعنى«القلب»على قول، و قال آخرون:معناها«الخلق»فعلى هذا يكون معنى ضٰاقَ بِهِمْ ذَرْعاً انّ قلبه أصيب بتأثر شديد لهؤلاء الأضياف غير المدعوين فى مثل هذه الظروف الصعبه.

و لكن بحسب ما ينقله«الفخر الرازى»فى تفسيره عن«الازهرى»انّ الذرع فى هذه الموارد يعنى«الطاقه»و فى الأصل معناه الفاصله بين اذرع البعير أثناء سيره.

و طبيعى حين يحمل البعير اكثر من طاقته فإنّه يضطر الى تقريب خطواته و تقليل الفاصله بين خطواته،و بهذه المناسبه و بالتدريج استعمل هذا المعنى فى عدم الارتياح و الاستثقال من الحوادث.

و يستفاد من بعض كتب اللغه ككتاب(القاموس)انّ هذا التعبير انّما يستعمل فى شده الحادثه بحيث يجد الإنسان جميع الطرق بوجهه موصده.

و كلمه«عصيب»مشتقّه من«العصب»على زنه«الكلب»و معناه ربط الشىء بالآخر و شده شدّا محكما،و حيث انّ الحوادث الصعبه تشدّ الإنسان

و كأنّها تسلبه راحته فيظل مبلبل الأفكار سمّيت«عصيبه»و تطلق العرب على الايّام شديده الحر انّها عصيبه ايضا.

و على كل حال،فإنّ لوطا لم يجد بدا من ان يأتى بضيوفه الى البيت و يقوم بواجب الضيافه و لكنّه حدّثهم فى الطريق-عده مرّات-انّ اهل هذه المدينه منحرفون و اشرار ليكونوا على حذر منهم.

و نقرا فى احدى الرّوايات انّ اللّه سبحانه امر ملائكته ان لا يعذبوا قوم لوط حتى يعترف لوط عليهم ثلاث مرّات،و معنى ذلك انّه حتى فى تنفيذ حكم اللّه بالنسبه لقوم ظالمين لا بدّ من تحقق موازين عادله فى المحاكمه،و قد سمع رسل اللّه شهاده لوط فى قومه ثلاث مرّات أثناء الطريق (۱) .

و ورد فى بعض الرّوايات انّ لوطا اخّر ضيوفه كثيرا حتى حلول الليل، فلعله يستطيع ان يحفظ ماء وجهه من شرور قومه،و يقوم بواجب الضيافه دون ان يساء الى أضيافه.و لكن ما عسى ان يفعل الإنسان إذا كان عدوه داخل بيته، و كانت امراه لوط امراه كافره و تساعد قومه الظالمين،و قد اطلعت على ورود هؤلاء الأضياف الى بيتها،فصعدت الى أعلى السطح و صفقت بيديها اوّلا،ثمّ بإشعال النّار و تصاعد الدخان أعلمت جماعه من هؤلاء القوم بأنّ طعمه دسمه قد وقعت فى«الشباک» (۲) .

يقول القرآن الكريم فى هذا الصدد وَ جٰاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ (۳) و كانت حياه هؤلاء القوم مسودّه و ملطخه بالعار وَ مِنْ قَبْلُ كٰانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئٰاتِ فكان من حق لوط ان يضيق ذرعا يصرخ ممّا يرى من شدّه استيائه و قٰالَ يٰا قَوْمِ هٰؤُلاٰءِ بَنٰاتِی هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فأنا مستعد ان أزوجهن ايّاكم

ص :۱۶

۱- ۱) -مجمع البيان،فى شرح الآيه آنفه الذكر.

۲- ۲) -الميزان،ج ۱۰،ص ۳۶۲.

۳- ۳) -«يهرعون»مشتقه من الاهراع و معناها السياقه الشديده،فكأنما تسوق غريزه هؤلاء إياهم بشده الى أضيافه.

فَاتَّقُوا اللّهَ وَ لاٰ تُخْزُونِ فِی ضَیْفِی أَ لَیْسَ مِنْکُمْ رَجُلٌ رَشِیدٌ

یصدکم عن هذه الأعمال المخزیه و ینصحکم بالإقلاع عنها.

و لکن هؤلاء القوم المفسدین أجابوا لوطا بکل وقاحه و عدم حیاء و قٰالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مٰا لَنٰا فِی بَنٰاتِکَ مِنْ حَقٍّ وَ إِنَّکَ لَتَعْلَمُ مٰا نُرِیدُ .

و هنا وجد لوط هذا النّبی العظیم نفسه محاصرا فی هذه الحادثه المریره فنادی و قٰالَ لَوْ أَنَّ لِی بِکُمْ قُوَّهً او سند من العشیره و الاتباع و المعاهدین الأقویاء حتی أتغلّب علیکم أَوْ آوِی إِلیٰ رُکْنٍ شَدِیدٍ .

ملاحظات

۱-العباره التی قالها لوط عند هجوم القوم علی داره و أضیافه- هٰؤُلاٰءِ بَنٰاتِی هُنَّ أَطْهَرُ لَکُمْ فتزوجوهنّ انّ شئتم فهنّ حلال لکم و لا ترتکبوا الإثم و الذنب و قد-أثارت هذه العباره بین المفسّرین عدّه اسئله:

اوّلا:هل المراد من هٰؤُلاٰءِ بَنٰاتِی بنات لوط علی وجه الحقیقه و النسب؟! فی حین انّ عددهن-و طبقا لما ینقل التاریخ-ثلاث او اثنتان فحسب،فکیف یعرض تزویجهن علی هذه الجماعه الکثیره؟! ام انّ المراد من قوله هٰؤُلاٰءِ بَنٰاتِی بنات«القبیله»و المدینه،و عاده ینسب کبیر القوم و رئیسهم بنات القبیله الیه و یطلق علیهنّ«بناتی».

الاحتمال الثّانی یبدو ضعیفا لانّه خلاف الظاهر.

و الصحیح هو الاحتمال الاوّل،لانّ الذین هجموا علی داره و أضیافه کانوا ثلّه من اهل القریه لا جمیعهم فاقترح علیهم لوط ذلک الاقتراح،أضف الی ذلک انّ لوطا کان یرید ان یبدی منتهی إیثاره و تضحیته لحفظ ماء وجهه و لیقول لهم:

انّی مستعد لتزویجکم من بناتی لتقلعوا عن آثامکم و تترکوا اضیافی فلعل هذا

الإیثار المنقطع النظیر یردعهم و یوقظ ضمائرهم الذی غطته السیئات.

ثانیا:هل یجوز تزویج البنات المؤمنات أمثال بنات لوط من الکفار حتی یقترح علیهم لوط ذلک؟! و قد أجیب علی هذا السؤال من طریقین.

الاوّل:انّ مثل هذا الزواج فی مذهب لوط-کما کان فی بدایه الإسلام-لم یکن محرما،و لذلک فإنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم زوّج ابنته زینب من أبی العاص قبل ان یسلم،و لکن هذا الحکم نسخ بعدئذ (۱) .

الثّانی:انّ المراد من قول لوط علیه السّلام کان زواجا مشروطا بالایمان،ای هؤلاء بناتی فتعالوا و آمنوا لازوجهن ایّاکم.

و یتّضح انّ الاشکال علی النّبی لوط-من انّه کیف یزوج بناته المطهرات من جماعه أوباش-غیر صحیح،لانّ عرضه علیهم ذلک الزواج کان مشروطا بالایمان و لیثبت منتهی علاقته بهدایتهم.

۲-ینبغی الالتفات الی انّ کلمه«اطهر»لا تعنی بمفهومها انّ عملهم المخزی و السیء کان«طاهرا»و لکن الزواج من البنات«اطهر»،بل هو تعبیر شائع فی لسان العرب-و لغات اخری-فی المفاضله و المقایسه بین أمرین،مثلا یقال لمن یسوق بسرعه رعناء«الوصول المتأخّر خیر من عدم الوصول ابدا»او «الاعراض من الطعام المشکوک أفضل من إلقاء الإنسان بیده الی التهلکه»و نقرا فی بعض الرّوایات مثلا انّ الامام الصادق علیه السّلام حین یشعر بالخطر الشدید و«التقیّه»من خلفاء بنی العباس

یقول «و اللّه لئن أفطر یوما من شهر رمضان احبّ الیّ من أن تضرب عنقی» (۲) .

مع انّه لا القتل محبوب و لا هو امر حسن بنفسه،و لا عدم الوصول ابدا،و لا

۱- ۱) انظر الفخر الرازی فی تفسیره الکبیر،و تفسیر مجمع البیان فی هذا الصدد.

۲- ۲) وسائل الشیعه،الجزء ۷،ص ۹۵،کتاب الصوم باب ۵۷.

أمثالهما.

۳-تعبير لوط أَ لَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ فى آخر كلامه مع قومه المنحرفين يكشف عن هـذه الحقيقه،و هى انّ وجود رجل-و لو رجل واحـد رشـيد-بين قوم مـا و قبيله مـا يكفى لردعهم من اعمـالهم المخزيه،اى لو كـان فيكم رجل عاقل ذو لبّ و رشـد لمّا قصـدتم بيتى ابتغاء الاعتـداء على ضـيفى! هـذا التعبير يوضح بجلاء اثر«الرّجل الرّشـيد»فى قياده المجتمعات الانسانيه،و هو الواقع الذى وجدنا نماذج كثيره منه على امتداد التاريخ.

۴-من العجيب انّ هؤلاء القوم المنحرفين الضـالين قالوا للوط: مٰا لَنٰا فِى بَنٰاتِكَ مِنْ حَقٍّ و هـذا التعبير كاشف عن غايه الانحراف فى هـذه الجمـاعه،اى انّ مجتمعـا منحرفـا ملوثـا بلغ حـدّا من العمى بحيث يرى الباطـل حقّـا و الحقّ باطلا! فـالزواج من البنـات المؤمنات الطاهرات لا يعدّ حقا عندهم،و على العكس من ذلك يعدّ الانحراف الجنسى عندهم حقّا.

انّ الاعتياد و التطبع على الإثم و الـذنب يكون فى مراحله النهائيه و الخطره عند ما يتصور انّ اسوا الأعمال و أخزاها هى«حق عند صاحبها»و انّ أنقى الاستمتاع الجنسى و اطهره امر غير مشروع.

۵-و

نقرا فى حديث للإمام الصّادق عليه السّلام فى تفسير الآيات المتقدمه انّ المقصود بالقوّه هو القائم من آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و انّ«الركن الشديد»هم أصحابه الذين عددهم(۳۱۳)شخصا (۱) .

و قـد تبـدو هـذه الرّوايه عجيبه و غريبه إذ كيف يمكن الاعتقاد انّ لوطا كان يتمنّى ظهور مثل هذا الشـخص مع أصـحابه المشار إليهم آنفا.

و لكن التعرف على الرّوايـات الوارده فى تفسـير آيات القرآن حتى الآن يعطينا مثل هـذا الـدرس،و هو انّ قانونا كليا يتجلى غالبا فى مصداقه البارز،ففى

۱- ۱) تفسير البرهان،ج ۲،ص ۲۲۸.

الواقع انّ لوطا كـان يتمنّى ان يجد قوما و رجالا لـديهم تلك القـدره و القوّه الروحيّه و الجسـميه الكافيه لإقامه حكومه العـدل الالهيه...كما هى موجوده فى اصحاب المهـدى«عجّل اللّه فرجه الشّريف»الذين يشـكلون حكومه عـالميه حـال ظهور الامـام المهدى«عجّل اللّه فرجه الشّريف»و قيامه،لينهض بهم و يواجه الانحراف و الفساد فيزيله عن بكره أبيه و يبير هؤلاء القوم الذين لا حياء لهم.

ص:٢٠

الآیات [سوره هود (۱۱): الآیات ۸۱ الی ۸۳]

اشاره

قالُوا یا لُوطُ إِنّا رُسُلُ رَبِّکَ لَنْ یَصِلُوا إِلَیْکَ فَأَسْرِ بِأَهْلِکَ بِقِطْعٍ مِنَ اَللَّیْلِ وَ لا یَلْتَفِتْ مِنْکُمْ أَحَدٌ إِلاَّ اِمْرَأَتَکَ إِنَّهُ مُصِیبُها ما أَصابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ اَلصُّبْحُ أَ لَیْسَ اَلصُّبْحُ بِقَرِیبٍ (۸۱) فَلَمّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِیَها سافِلَها وَ أَمْطَرْنا عَلَیْها حِجارَةً مِنْ سِجِّیلٍ مَنْضُودٍ (۸۲) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّکَ وَ ما هِیَ مِنَ اَلظّالِمِینَ بِبَعِیدٍ (۸۳)

التّفسیر

اشاره

عاقبه الجماعه الظّالمه:

و أخیرا حین شاهد الملائکه رسل الله الأضیاف ما علیه لوط من العذاب النفس کشفوا«ستارا»عن اسرار عملهم و قالُوا یا لُوطُ إِنّا رُسُلُ رَبِّکَ لَنْ یَصِلُوا إِلَیْکَ .

الطریف هنا انّ ملائکه اللّه لم یقولوا:لن یصلنا سوء و ضرر،بل قالوا:لن یصلوا إلیک یا لوط فیؤذوک و یسیئوا إلیک! و هذا التعبیر امّا لانّهم کانوا یحسبون انّهم غیر منفصلین عن لوط لانّهم

أضيافه على كل حال،و هتك حرمتهم هتك لحرمه لوط.او لأنّهم أرادوا ان يفهموا لوطا بأنّهم رسل اللّه،و انّ عدم وصول قومه إليهم بالاساءه امر مسلّم به،بل حتى لوط نفسه الذى هو رجل من جنس أولئك لن يصلوا اليه بسوء،و ذلك بلطف اللّه و فضله.

نقرا فى الآيه(۳۷)من سوره القمر وَ لَقَدْ رٰاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنٰا أَعْيُنَهُمْ و هذه الآيه تدل على ان هؤلاء الجماعه الذين أرادوا السوء بأضياف لوط،فقدوا بصرهم بإذن اللّه،فلم يستطيعوا الهجوم عليهم.و نقرا فى بعض الرّوايات-ايضا-انّ احد الملائكه غشّى وجوههم بحفنه من التراب فعموا جميعا.

و على كل حال،فاطلاع لوط عليه السّلام على حال أضيافه و مأموريتهم نزل كالماء البارد على قلبه المحترق و احسّ بلحظه واحده ان ثقلا كبيرا من الغمّ و الحيره قد ازيل عن قلبه،و أشرقت عيناه بالسرور و البهجه،و علم انّ مرحله الغم و الحيره أشرفت على الانتهاء،و دنا زمن السرور و النجاه من مخالب هؤلاء القوم المنحرفين المتوحشين.

ثمّ امر الأضياف لوطا-مباشره-ان يرحل هو و اهله من هذه البلده و قالوا:

فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ

(۱)

.

و لكن كونوا على حذر وَ لاٰ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ الى الوراء إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهٰا مٰا أَصٰابَهُمْ لتخلّفها عن امر اللّه و عصيانهم مع العصاه الظلمه.

و فى قوله تعالى: لاٰ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ عند المفسّرين احتمالات عديده.

الاوّل:لا ينظر احد الى ورائه مديرا وجهه الى الخلف.

الثّانى:لا تفكروا بما تركتم خلفكم من الأموال و وسائل المعاش،انّما عليكم

۱- ۱) «أسر»مشتق من«الاسراء»و هو المسير ليلا،و ذكر الليل فى الآيه من باب توكيد الموضوع،و القطع معناه ظلمه الليل،اشاره الى ان يتحرك و الناس نيام او مشغولون عنه بالشراب و حلك الليل ليخرج وهم فى غفله عنه.

ان تنجوا أنفسكم من الهلاک.

الثّالث:لا يتخلف منكم احد عن هذه القافله الصغيره.

الرّابع:انّ الأرض ستضطرب حال خروجكم و ستبدأ مقدمات العذاب فاهربوا بسرعه و لا تلتفتوا الى الوراء...

و لكن لا مانع من الجمع بين هذه الاحتمالات كلها فى الآيه (۱) .

و خلاصه الأمر فإنّ آخر ما قاله رسل اللّه-اى الملائكه-للوط عليه السّلام:انّ العذاب سينزل قومه صباحا.و مع اوّل شعاع للشمس سيحين غروب حياه هؤلاء: إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ .

و نقرا فى بعض الرّوايات انّ الملائكه حين وعدوا لوطا بنزول العذاب صباحا،سأل لوط الملائكه لشده ما لقيه من قومه ممّا ساءه،و جرح قلبه و ملأه همّا و غمّا ان يعجلوا عليهم بالعذاب فى الحال فإنّ الأفضل الاسراع،و لكن الملائكه طمأنوه و سرّوا عنه بقولهم: أَ لَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ .

و أخيرا دنت لحظه العذاب و تصرّمت ساعات انتظار لوط النّبى عليه السّلام،و كما يقول القرآن الكريم فَلَمّٰا جٰاءَ أَمْرُنٰا جَعَلْنٰا عٰالِيَهٰا سٰافِلَهٰا وَ أَمْطَرْنٰا عَلَيْهٰا حِجٰارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ .

و كلمه«سجّيل»فارسيه الأصل،و هى مركبه من«سنگ»و معناها الحجاره و«گل»و معناها الطين،فعلى هذا هى شىء صلبا كالحجاره و لا رخوا كالزهره،

ص:۲۳

۱- ۱) فى قوله إِلاَّ امْرَأَتَكَ هذا الاستثناء من اى جمله هو؟للمفسّرين احتمالان:«الاوّل»انّه يعدّ استثناء من لاٰ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ و مفهومها انّ لوطا و اهله بما فيهم امرأته تحركوا للخروج من المدينه و لم يلتفت منهم احد كما أمرهم الرسل، الا امراه لوط فإنّها بحكم علاقتها بقوم لوط و تأثرها على مصيرهم،وقفت لحظه و نظرت الى الوراء،و طبقا لبعض الرّوايات أصابها حجر من الأحجار التى كانت تهوى على المدينه فقتلت به.«الثانى»انّه استثناء من جمله فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ فيكون معناها انّ جميع اهله ذهبوا معه و لكن امرأته بقيت فى المدينه و لم يأخذها لوط معه،و لكن الاحتمال الاوّل انسب.

و انّما هى برزخ«وسط»بينهما.

و«المنضود»من ماده«نضد»و معناه كون الشـىء مصفوفا و موضوعا بشكل متتابع و متراكم،اى انّ هذا المطر كان متتابعا سريعا الى درجه حتى كأنّ هذه الأحجار تتراكب بعضها فوق بعض فتكون«منضوده».

و لكن هذه الأحجار ليست أحجارا عاديه،بل هى أحجار فيها علامات عند اللّه مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ .

و لا تتصوروا انّ هذه الأحجار مخصوصه بقوم لوط،بل وَ مٰا هِيَ مِنَ الظّٰالِمِينَ بِبَعِيدٍ .

هؤلاء القـوم المنحرفـون ظلموا أنفسـهم و ظلموا مجتمعهم،لعبوا بمصـير أمتهم كمـا هزئوا بالايمـان و الأخلاـق الانسـانيّه،و كلّما نصـحهم نبيّهم بإخلاص و حرقه قلب لم يسـمعوا له و سـخروا منه،و بلغت صلافتهم و عدم حيائهم حدّا انّهم أرادوا الاعتداء على ضيوف زعيمهم و يهتكوا حرمتهم.

هؤلاء الـذين كـانوا قـد قلبوا كـل شـىء يجب ان تنقلب مـدينتهم عليهم،و لاـ يكفى ان يغـدو عليها سافلها،بل ليمطروا بوابل من الأحجـار تـدمّر كـل شـىء من «معـالم الحيـاه»هنـاك و لاـ يبقى منهم سوى صـحراء موحشه و قبور مظلمه تحت ركـام الأحجـار الصغيره.

و هـل انّ الـذين ينبغى معـاقبتهم هم قوم لوط فحسب؟قطعـا لا.فكـل جمـاعه منحرفه و امّه ظالمه ينتظرها مثل هـذا المصـير،فتاره تكون تحت وابل الأحجار، و أخرى تحت ضربات القنابل المحرقه،و حينا تحت ضغط الاختلافات الاجتماعيه القاتله،و أخيرا فإنّ لكلّ شكلا من العذاب و صوره معينه.

ملاحظات

اشاره

۱-لم كان العذاب صباحا

؟ ملاحظه الآيات المتقدمه تثير فى ذهن القارئ هذا السؤال،و هو اىّ اثر للصبح فى هذا الأمر،و لم لم ينزل العذاب فى قلب الليل البهيم؟! ترى هل كان ذلك لانّ الجماعه الـذين هجموا على دار لوط فعموا و عادوا الى قومهم و حدثوهم بما جرى لهم،فحينئذ فكر أولئـک بما حـدث!و انّ اللّه امهلهم الى الصـباح لعلهم ينتبهون و يتوبون؟ او انّ اللّه لم يرد الاغاره عليهم فى الليل،و لـذلک فقد امر الملائكه ان ينتظروا حتى يحين الصـباح؟! لم يرد فى كتب التّفسير شىء من هذا،و لكنّ ما ذكرناه آنفا احتمالات تستحق المطالعه.

۲-لم قلب اللّه عاليها سافلها

؟ قلنـا:انّ العـذاب ينبغى ان يتنـاسب مع الإـثم،و حيث انّ هؤلاء القوم قلبوا كل شـىء عن طريق الانحراف الجنسـى فإنّ اللّه جعل مـدنهم عاليهـا سافلهـا ايضـا، و حيث كـانوا دائمـا يتقـاذفون بالكلمـات البـذيئه فيمـا بينهم،فإنّ اللّه امطرهم بحجاره لتتهاوى على رؤوسهم ايضا.

۳-لماذا الوابل من الأحجار

؟! و هـل كـان امطـارهم بالأحجـار الصــغيره قبـل انقلاـب المــدن،او كـان مقترنـا و متزامنـا معهـا،او بعـدها؟! هنـاک اقـوال بين المفسّـرين،و الآيات القرآنيه لم تصـرّح بشىء فى هذا الشأن ايضا،لانّ الجمله عطفت بالواو،و هى لمطلق العطف و لا يستفاد منها الترتيب.

ص: ۲۵

و لکن بعض المفسّرین-کصاحب المنار-یعتقد انّ مطر الأحجار امّا ان یکون قبل ان یقلب عالیها سافلها،او مقترن مع القلب،و ذلک لینال بعض الافراد الذین التجأوا الی زاویه او معزل و لم یدفنوا تحت الانقاض جزاءهم العادل و لا تبقی لهم فرصه للهروب.

و الرّوایه التی تقول:انّ امراه لوط حین سمعت الصوت و التفتت لتری ما حدث أصابها حجر فی الحال فقتلها،هذه الرّوایه تدل علی انّ الأمرین«القلب و وابل المطر»حدثا مقترنین.

و لکن لو تجاوزنا عن ذلک فما یمنع ان یکون وابل الأحجار-لتشدید العذاب-بعد قلب المدن عالیها سافلها،لتتواری أرضهم و تنمحی آثارها تماما.

۴-لماذا العلامه المتمیّزه

؟! قلنا:انّ جمله مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّکَ تفهمنا هذه المسأله الدقیقه،و هی انّ هذه الأحجار کانت ذوات علائم خاصّه و ممیّزه عند اللّه سبحانه...و لکن کیف کانت علاماتها؟هناک اقوال بین المفسّرین...فقال بعضهم:کان فی هذه الأحجار علامات تدل علی انّها لیست کسائر الأحجار«العادیه»بل هی خاصّه لنزول العذاب الالهی لئلا تختلط مع سقوط الأحجار الاخری،و لذا قال آخرون:انّ هذه الأحجار لم یکن لها شبه مع أحجار الأرض بل تدل مشاهده وضعها علی انّها أحجار سماویّه نزلت الی الکره الارضیه من خارجها.

و قال آخرون:هی علامات فی علم اللّه،انّ کل حجر منها یصیب شخصا بعلامته او یستهدف نقطه معینه،و هی اشاره الی دقه الحساب فی عقاب اللّه و جزائه بحیث یعلم ایّ شخص یصیبه ای حجر!و لیس المسأله اعتباطیّه.

ص :۲۶

۵-تحریم الانحراف الجنسی

اشاره

یعدّ المیل الجنسی الی المماثل«سواء وقع ذلک بین الرجال او بین النساء» من الذنوب الکبیره فی الإسلام،و قد جعل الإسلام لکل من الحالتین حدا شرعیا.

فالحدّ الشرعی فی«اللواط»هو القتل فاعلا-کان الرجل ام مفعولا.و هناک طرق مبیّنه لهذا القتل فی الفقه الاسلامی،و یجب ان یعوّل علی طرق معتبره و قطعیه لاثبات هذا الذنب وردت فی الفقه الاسلامی و روایات المعصومین فی هذا المجال.فلا یکفی لاقامه الحد الشرعی-و هو القتل هنا-حتی اقرار المذنب علی نفسه ثلاث مرات،بل یجب ان یقرّ علی نفسه اربع مرات علی الأقل.

و امّا الحدّ علی المراه فی عملیه المساحقه فیکون بعد الإقرار بالذنب علی نفسها اربع مرات،او شهاده اربعه شهود«و بالشرائط المذکوره فی الفقه»مائه جلده،و قال بعض الفقهاء،إذا کانت المراه التی تقوم بهذا العمل الشنیع ذات بعل فحدّها القتل.

و اقامه هذه الحدود لها شرائط دقیقه ذکرت فی کتب الفقه الاسلامی.

و الرّوایات التی تذم المیل الجنسی الی المماثل و المنقوله عن قاده الإسلام کثیره و مذهله و المطالع لهذه الرّوایات یحسّ انّ قبح هذا الذنب لیس له مثیل بین الذنوب.

نقرا مثلا من هذه الرّوایات

روایه عن الرّسول الأعظم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم انّه قال: «لمّا عمل قوم لوط ما عملوا بکت الأرض الی ربّها حتی بلغت دموعها السّماء،و بکت السّماء حتی بلغت دموعها العرش،فأوحی اللّه الی السّماء ان احصبیهم و اوحی الی الأرض ان اخسفی بهم» (۱) .

و نقرا

فی حدیث للإمام الصادق انّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «من جامع غلاما جاء

۱- ۱) تفسیر البرهان،ج ۲،ص ۲۳۱.

یوم القیامه جنبا لا ینقّیه ماء الـدنیا،و غضب اللّه علیه و لعنه و اعـدّ له جهنم و ساءت مصیـرا.ثمّ قال:ان الـذکر یرکب الـذکر فیهتز العرش لذلک» (۱) .

و نقرا

فی حـدیث للإمـام الصادق علیه السّـلام «...و العامل علی هـذا من الرجال إذا بلغ أربعین سـنه لم یترکه،و هم بقیه سـدوم.امّا انی لست اعنی بهم انّهم بقیتهم انّهم ولـدهم،و لکنّهم من طینتهم،قال:قلت:سـدوم التی قلبت،قال:هی اربع مـدائن «سـدوم و صـریم و الدما و غمیرا»...او[ولدنا و عموّرا]

إلخ.... (۲) .

و نقرا

فی روایـه اخری عن الامـام امیر المـؤمنین علیه السّـلام انّه قـال:«سـمعت رسـول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقـول: لعن اللّه المتشبهین من الرجال بالنساء و المتشبهات من النساء بالرجال» (۳) .

فلسفه تحریم المیول الجنسیه لامثالها

بـالرغم من انّ العالم الغربی ملیء بالانحرافات الجنسـیه،و انّ هـذه الأعمال السـیئه قـد باتت متعارفه بحیث سـمع انّ بعض الـدول کبریطانیا و طبقا لقانون صدر بکل وقاحه من المجلس النیابی«البرلمان»فیها یجوز هذا الموضوع«اللواط او السـحاق» و لکن شیوع هذه المنکرات لا یخفف من قبحها و من مفاسدها الاخلاقیه و الاجتماعیه و النفسیه.

بعض اتباع المذاهب المادّیه الذین تلوّثوا بمثل هذه المنکرات یقولون:نحن لا نجد محذورا طبیّا فی هذا الأمر.

و لکنّهم لم یلتفتوا لی انّ کل انحراف جنسی له اثره السلبی فی روحیه الإنسان و بنائه النفسی یفقده توازنه.

۱- ۱) وسائل الشیعه،ج ۱۴،ص ۲۴۹.

۲- ۲) وسائل الشیعه،ج ۱۴،ص ۲۵۳.

۳- ۳) وسائل الشیعه،ج ۱۴،ص ۲۵۵.

توضيح ذلك،انّ الإنسان الطبيعى و السليم يميل الى المخالف من جنسه،اى انّ الرجل يميل الى المراه،و المراه تميل الى الرجل،و هذا الميل من اشدّ الغرائز المتجذره فيه،و الضامن لبقاء نسله،فأىّ عمل يؤدّى الى تحوير هذا الميل الطبيعى عن مساره فسيوجد نوعا من المرض و الانحراف النفسى فى الإنسان.

فالرجل الذى يميل الى نظيره من جنسه،ليس رجلا كاملا،و قد عدّ هذا الانحراف فى كتب الأمور الجنسيه«هموسكو اليسيم»اى الميل الجنسى للمماثل من أهم الانحرافات.

و الاستمرار على هذا العمل و ادامته يميت فى الفرد الميل الجنسى الى المخالف.و الشخص الذى يسلّم نفسه لممارسه هذا العمل معه يشعر شيئا فشيئا «باحساسات المراه»و يورث هذا العمل الطرفين«الفاعل و المفعول»ضعفا مفرطا فى الجنس حتى انّه لا يستطيع بعد مدّه على المعاشره الطبيعيه مع جنسه المخالف.

و مع ملاحظه انّ الإحساسات الجنسيّه[بالنسبه للرجل و المراه]

لها تأثيرها فى أعضاء بدن كل منهما،كما انّ لها تأثيرها على روحيه كلّ منهما و أخلاقه.

تتّضح انّ فقدان الإحساسات الطبيعيه الى اى درجه سيؤثر على روح الإنسان و جسمه حتى انه من الممكن ان يبتلى الافراد هؤلاء بالضعف الجنسى الذى يؤدّى الى عدم القدره على الانجاب و التوليد.

و هؤلاء الأشخاص-غالبا-ليسوا أصحاء من الناحيه النفسيّه،و يحسون فى داخلهم انّهم غرباء عن أنفسهم و غرباء عن مجتمعهم...و يفقدون بالتدريج القدره على الاراده التى هى أساس لكم نجاح و شرط من شروطه،و يتكرس فى روحهم نوع من الاضطراب و القلق.

و إذا لم يصمموا على إصلاح أنفسهم فورا،و لم يستعينوا عند الضروره و الحاجه بالطبيب النفسى او الطبيب الجسمى فسيغدو هذا العمل عندهم عاده

ص :٢٩

یصعب ترکها،فمن و علی کلّ حال،فإنّ ای وقت لترک هذا العمل القبیح لا یعدّ خارجا عن أوانه،بل لا بدّ من التصمیم الجاد.

و لا ریب انّ الحیره و الاضطراب النفسی قد یجرّ هؤلاء الی استعمال المواد المخدره و المشروبات الکحولیه،کما یجرّهم الی انحرافات أخلاقیه اخری، و هذا بنفسه شقاء عظیم.

الطریف انّنا نقرا فی الرّوایات الاسلامیه عباره موجزه و ذات معنی کبیر تشیر الی هذه المفاسد،و من هذه الرّوایات ما

نقل عن الامام الصادق علیه السّلام انّ رجلا سأله:لم حرّم اللّه اللواط؟فقال سلام اللّه علیه:«من اجل انّه لو کان إتیان الغلام حلالا لاستغنی الرجال عن النساء و کان فیه قطع النسل و تعطیل الفروج و کان فی اجازه ذلک فساد کبیر» (۱) .

و ما یجدر ذکره انّ احد العقوبات الشرعیه لهذا العمل انّ الإسلام حرم الزواج من اخت المفعول و امّه و بنته علی الفاعل،ای إذا تحقق اللواط قبل الزواج فعندئذ یحرم الزواج منهنّ حرمه مؤبده.

و آخر ما ینبغی التذکیر به هنا من المسائل الدقیقه،ان جرّ الافراد الی مثل هذا الانحراف الجنسی له اسباب و علل مختلفه،حتی من ضمنها أحیانا طریقه التعامل و المعاشره من قبل الوالدین مع ابنائهما،او الغفله عنهم و عدم مراقبه من معهم من بنی جنسهم،و طریقه معاشرتهم و منامهم معا فی بیت واحد،کل ذلک له اثره الفاعل فی هذا التلوّث و الانحراف.

نحن نقرا فی احوال قوم لوط انّ سبب انحرافهم و تلوثهم بهذا الذنب انّهم کانوا قوما بخلاء،و لمّا کانت مدنهم علی قارعه الطریق التی تمرّ بها قوافل الشام و لم یکونوا لیرغبوا فی استضافه العابرین من المسافرین،کانوا یوحون إلیهم بدایه الأمر انّهم یریدون ان یعتدوا علیهم جنسیا لیفرّ منهم الضیوف و المسافرون،

۱- ۱) وسائل الشیعه،ج ۱۴،ص ۲۵۲.

و لكنّ هـذا العمل أصبح بالتدريج مألوفا عندهم و نما عندهم الانحراف الجنسی و بلغ عملهم حدّا انّهم تلوّثوا بالآثام من قرنهم الی قدمهم (۱) .

و ربّما جرّ المزاح غير المناسب بين الـذكور او بين الإناث الی هـذا الانحراف، فعلی كل حال،ينبغی ملاحظه هـذه المسائل بـدقه انقاذ المنحرفين و الملوّثين بهذا الذنب بسرعه،و يطلب من اللّه التوفيق فی هذا السبيل.

أخلاق قوم لوط:

و نقرا فی الرّوايات و التواريخ الاسـلاميه اعمالا سيئه كانت عند قوم لوط سوی الانحراف الجنسی المشار اليه،و من هذه الأعمال ما ورد فی«سفينه البحار»حيث نقرا ما يلی:

...قبل كانت مجالسـهم،تشـتمل علی انواع المناكير مثل الشـتم و السـخف و الصـفع و القمار و ضرب المخراق و خذف الأحجار علی من مرّ بهم،و ضرب المعازف و المزامير و كشف العورات (۲) .

و واضـح انّ الانـحراف فی مثـل هـذه البيئه و اعمـال السوء تأخـذ ابعادا جديـده كل يوم،و بغض النظر عن قبـح الأعمال السـيئه- أساسا-تبلغ الحال درجه لا يری عندها ای عمل فی نظر تلك البيئه سيّئا او منكرا.

و يوجد فی عصر تقدم العلوم من هم أشقی من قوم لوط حيث يسلكون نفس ذلك السبيل و قد تصل اعمال هؤلاء المخزيه الی درجه ننسی عندها اعمال قوم لوط...

۱- ۱) البحار،ج ۱۲،ص ۱۴۷.

۲- ۲) سفينه البحار،ص ۵۱۷.

الآيات [سوره هود (۱۱): الآیات ۸۴ الی ۸۶]

اشاره

وَ إِلیٰ مَدْیَنَ أَخٰاهُمْ شُعَیْباً قٰالَ یٰا قَوْمِ اُعْبُدُوا اَللّٰهَ مٰا لَکُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَیْرُهُ وَ لاٰ تَنْقُصُوا اَلْمِکْیٰالَ وَ اَلْمِیزٰانَ إِنِّی أَرٰاکُمْ بِخَیْرٍ وَ إِنِّی أَخٰافُ عَلَیْکُمْ عَذٰابَ یَوْمٍ مُحِیطٍ (۸۴) وَ یٰا قَوْمِ أَوْفُوا اَلْمِکْیٰالَ وَ اَلْمِیزٰانَ بِالْقِسْطِ وَ لاٰ تَبْخَسُوا اَلنّٰاسَ أَشْیٰاءَهُمْ وَ لاٰ تَعْثَوْا فِی اَلْأَرْضِ مُفْسِدِینَ (۸۵) بَقِیَّتُ اَللّٰهِ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ وَ مٰا أَنَا عَلَیْکُمْ بِحَفِیظٍ (۸۶)

التّفسیر

اشاره

مدین بلده شعیب...

مع انتهاء قصّه قوم لوط تصل النوبه الی قوم شعیب و اهل مدین،أولئک الذین حادوا عن طریق التوحید و هاموا علی وجوههم فی شرکهم و عباده الأصنام،و لم یعبدوا الأصنام فحسب،بل الدّرهم و الدینار و الثروه و المال،و من اجل ذلک فإنّهم لوثوا تجارتهم الرابحه و کسبهم الوفیر بالغش و البخس و الفساد.

فی بدایه القصّه تقول الآیات وَ إِلیٰ مَدْیَنَ أَخٰاهُمْ شُعَیْباً و کلمه«أخاهم» کما أشرنا إلیها سابقا تستعمل فی مثل هذا التعبیر لبیان منتهی المحبّه من قبل

ص:۳۲

الأنبیـاء لقومهم،لا۔ لا۔نّهم افراد قبیلته و قومه فحسب،بل اضافه الی ذلک فإنّه یریـد الخیر لهم.و یتحرق قلبه علیهم،فمثله مثل الأخ الودود.

و«مدین»علی وزن«مریم»اسم لمدینه شعیب و قبیلته،و تقع المدینه شـرق خلیج العقبه،و أهلها من أبناء إسماعیل،و کانوا یتاجرون مع اهل مصر و لبنان و فلسطین.

و یطلق الیوم علی مدینه«مدین»اسم«معّان»و لکن بعض الجغرافیین أطلقوا اسم مدین علی الساکنین بین خلیج العقبه و جبل سیناء.

و ورد فی التوراه ایضا اسم«مدیان»و لکن تسمیه لبعض القبائل،و طبیعی انّ اطلاق الاسم علی المدینه و أهلها امر رائج (۱) .

هذا النّبی و هذا الأخ الودود المشـفق علی قومه-کأی نبیّ فی أسلوبه و طریقته فی بدایه الدعوه-دعاهم اوّلا الی ما هو الأساس و العماد و المعتقد و هو «التوحید»و قال: یٰا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مٰا لَکُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَیْرُهُ .

لانّ الدعوه الی التوحید دعوه الی هزیمه جمیع«الطواغیت»و السنن الجاهلیه و لا یتیسر ایّ إصلاح اجتماعی او اخلاقی بدونه.

ثمّ أشار الی احد المفاسد الاقتصادیه التی هی من افرازات عباده الأصـنام و الشـرک،و کانت رائجه عند اهل مدین یومئذ جدّا،و قال: وَ لاٰ تَنْقُصُوا الْمِکْیٰالَ ای حال البیع و الشراء.

و«المکیـال»و«المیزان»من أدوات الوزن یعرف بهمـا وزن المبیع و مقـداره، و نقصـانه یعنی عـدم إیفاء حقوق الناس و البخس فی البیع.

و رواج هـذین الأـمرین بینهم یـدل علی عـدم النظم و الحسـاب و المیزان فی اعمـالهم و نموذجـا للظلم و الجور و الإجحاف فی ذلک المجتمع الثری.

و یشیر هذا النّبی العظیم بعد هذا الأمر الی علّتین:

۱- ۱) أعلام القرآن،ص ۵۷۳.

العلّه الاولی:هی قوله إِنِّی أَرٰاکُمْ بِخَیْرٍ .

یقول اوّلا:انّ قبول نصحی یکون سببا لتفتح أبواب الخیر علیکم و تقدیم التجاره و هبوط سطح القیمه و استقرار المجتمع.

و یحتمل ایضا فی تفسیر هذه الجمله إِنِّی أَرٰاکُمْ بِخَیْرٍ انّ شعیبا یقول لهم:

انّی أراکم منعمین و فی خیر کثیر،فعلی هذا لا مدعاه لعباده الأصنام و اضاعه حقوق الناس و الکفر بدلا من الشکر علی نعم اللّه سبحانه.

و ثانیا: وَ إِنِّی أَخٰافُ عَلَیْکُمْ عَذٰابَ یَوْمٍ مُحِیطٍ بسبب إصرارکم علی الشرک و التطفیف فی الوزن و کفران النعمه...إلخ.

و کلمه«محیط»جاءت صفه لیوم،ای یوم شامل ذو احاطه،و شمول الیوم یعنی شمول العذاب و العقاب فی ذلک الیوم،و هذا التعبیر فیه اشاره الی عذاب الآخره کما یشیر الی عقاب الدنیا الشامل.

فعلی هذا لا أنتم بحاجه الی مثل هذه الأعمال،و لا ربّکم غافل عنکم، فینبغی إصلاح أنفسکم عاجلا.

و الآیه الاخری تؤکّد علی نظامهم الاقتصادی،فإذا کان شعیب قد نهی قومه عن قلّه البیع و البخس فی المکیال،فهنا یدعوهم الی إیفاء الحقوق و العدل و القسط حیث یقول: وَ یٰا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِکْیٰالَ وَ الْمِیزٰانَ بِالْقِسْطِ .

و یجب ان یحکم هذا الأصل«و هو اقامه القسط و العدل،و إعطاء کل ذی حقّ حقه»علی مجتمعکم بأسره.

ثمّ یخطو خطوه أوسع و یقول: وَ لاٰ تَبْخَسُوا النّٰاسَ أَشْیٰاءَهُمْ و«البخس» و معناه فی اللغه التقلیل،و جاء هنا بمعنی الظلم ایضا.و یطلق علی الاراضی المزروعه دون سقی«انّها بخس»لانّ ماءها قلیل،حیث تعتمد علی ماء المطر فحسب،او انّ هذه الاراضی قلیله الانتاج بالنسبه الی الاراضی الزراعیه الاخری.

و إذا توسعنا فی معنی هذه الکلمه و مفهوم الجمله وجدناها دعوه الی رعایه جمیع الحقوق الفردیه و الاجتماعیه و لجمیع الملل و النحل،و یظهر«بخس الحق» فی کل محیط و عصر و زمان بشکل معین حتی بالمساعده دون عوض أحیانا، و التعاون و إعطاء قرض معین(کما هی طریقه المستعمرین فی عصرنا).

و نجد فی نهایه الآیه انّ شعیبا یخطو خطوه اخری أوسع و یقول لقومه: وَ لاٰ تَعْثَوْا فِی الْأَرْضِ مُفْسِدِینَ .

فالفساد یقع عن طریق البیع و یقع عن طریق غصب حقوق الناس و الاعتداء علی حقوق الآخرین،و الفساد ایضا یقع فی الإخلال بالموازین و المقاییس الاجتماعیّه،و یقع ایضا ببخس الناس أشیاءهم و أموالهم،و أخیرا یقع الفساد علی الحیثیات بالاعتداء علی حرمتها و علی النوامیس و أرواح الناس.

و جمله«لا تعثوا»معناها«لا تفسدوا»بدلاله ذکر مفسدین بعدها لمزید التوکید علی هذا الموضوع.

انّ الآیتین المتقدمتین تعکسان هذه الواقعیه بجلاء،و هی انّه بعد الاعتقاد بالتوحید و النظر الفکری الصحیح،ینظر الی الاقتصاد السلیم بأهمیه خاصّه،کما تدلّان علی انّ الإخلال بالنظام الاقتصادی سیکون أساسا للفساد الوسیع فی المجتمع.

ثمّ یخبرهم انّ زیاده الثروه-التی تصل الی أیدیکم عن طریق الظلم و استثمار الآخرین-لیست هی السبب فی غناکم،بل ما یغنیکم هو بَقِیَّتُ اللّٰهِ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ .

التعبیر ب «بَقِیَّتُ اللّٰهِ» امّا لانّ الربح الحلال القلیل المترشح عن امر اللّه فهو «بَقِیَّتُ اللّٰهِ» و امّا لانّ الحصول علی الرزق الحلال باعث علی دوام نعم اللّه و بقاء البرکات ...و امّا لانّه یشیر الی الجزاء و الثواب المعنوی الذی یبقی الی الأبد.فإنّ الدنیا فانیه و ما فیها لا محاله فان،و تشیر الآیه(۴۶)من سوره الکهف: وَ الْبٰاقِیٰاتُ الصّٰالِحٰاتُ خَیْرٌ عِنْدَ رَبِّکَ ثَوٰاباً وَ خَیْرٌ أَمَلاً الی هذا المضمون ایضا.و التعبیر

ص: ۳۵

بقوله: إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ اشاره الی انّ هذه الواقعیه لا یعرفها الاّ المؤمنون باللّه و حکمته و فلسفه أوامره.

و نقرا فی روایات متعدده فی تفسیر بَقِيَّتُ اللّهِ انّ المراد بها وجود المهدی عجّل اللّه فرجه الشریف،او بعض الائمّه الآخرین،و من هذه الرّوایات ما

نقل عن الامام الباقر علیه السّلام فی کتاب إکمال الدین:

«اوّل ما ینطق به القائم علیه السّلام حین یخرج هذه الآیه بَقِيَّتُ اللّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ثمّ یقول:انا بقیه اللّه و حجّته و خلیفته علیکم،فلا یسلّم علیه مسلم الاّ قال:السّلام علیک یا بقیه اللّه فی ارضه» (۱) .

و قد قلنا مرارا انّ آیات القرآن بالرغم من نزولها فی موارد خاصّه،الاّ انّها تحمل مفاهیم جامعه و کلیه،بحیث یمکن ان تکون اثر مصداقا فی العصور و القرون التالیه و تنطبق علی مجال أوسع ایضا.

صحیح انّ المخاطبین فی الآیه المتقدمه هم قوم شعیب،و المراد من بَقِيَّتُ اللّهِ هو الربح و راس المال الحلال او الثواب الالهی،الاّ انّ کل موجود نافع باق من قبل اللّه للبشریه،و یکون أساس سعادتها و خیرها یعدّ «بَقِيَّتُ اللّهِ» ایضا.

فجمیع أنبیاء اللّه و رسله المکرمین هم «بَقِيَّتُ اللّهِ» و جمیع القاده الحقّ الذین یبقون بعد الجهاد المریر فی وجه الأعداء فوجودهم فی الامّه یعدّ «بَقِيَّتُ اللّهِ» و کذلک الجنود المقاتلون إذا عادوا الی ذویهم من میدان القتال بعد انتصاهم علی الأعداء فهم «بَقِيَّتُ اللّهِ» و من هنا فإنّ«المهدی الموعود»علیه السّلام آخر امام و أعظم قائد ثوری بعد النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم من اجلی مصادیق «بَقِيَّتُ اللّهِ» و هو أجدر من سواه بهذا اللقب،خاصّه انّه الوحید الذی بقی بعد الأنبیاء و الائمّه علیهم السّلام.

و فی نهایه الآیه-محل البحث-نقرا علی لسان شعیب وَ مٰا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ إذ وظیفته هی البلاغ و لیس مسئولا علی«إجبار»احد ابدا.

۱- ۱) نقلا عن تفسیر الصافی،فی شرح المتقدمه.

الآيات [سوره هود (۱۱): الآيات ۸۷ الی ۹۰]

اشاره

قالُوا يا شُعَيْبُ أَ صَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِی أَمْوالِنا ما نَشؤُا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (۸۷) قالَ يا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلی بَيِّنَهٍ مِنْ رَبِّی وَ رَزَقَنِی مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَ ما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إِلی ما أَنْهاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَ ما تَوْفِيقِی إِلاّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ (۸۸) وَ يا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقِی أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أَصابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صالِحٍ وَ ما قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (۸۹) وَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّی رَحِيمٌ وَدُودٌ (۹۰)

التّفسير

اشاره

المنطق الواهی:

و الآن فلنر ما كان ردّ القوم اللجوجين إزاء نداء هذا المصلح السّماوی «شعيب».

ص: ۳۷

فبما انّهم كانوا يتصورون انّ عباده الأصنام من آثار سلفهم الصالح،و دلاله على اصاله ثقافتهم،و كانوا لا يرفعون اليد عن الغش فى المعامله و تحقيق الربح الوفير عن هذا الطريق قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَ صَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا و نترك حريتنا فى التصرف بأموالنا فلا نستطيع الاستفاده منها أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَؤُا ان هذا بعيد منك إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ؟! و هنا ينقدح هذا السؤال و هم لم سألوه عن الصلاه و أظهروا اهتمامهم بها؟! قال بعض المفسّرين:كان ذلك لانّ شعيبا كان يكثر من صلاته و يقول للناس:

انّ الصلاه تنهى صاحبها عن الفحشاء و المنكرات.

و لكن هؤلاء الأغبياء الذين لم يعرفوا السرّ و العلاقه بين الصلاه و ترك المنكرات،كانوا يسخرون من شعيب و كانوا يقولون له:أ هذه الاذكار و الأوراد و الحركات التى تقوم بها تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا و نهمل سنّه السلف و ثقافتنا التقليديه او ان نسلب اختيارنا من التصرف بأموالنا كيف شئنا؟! و احتمل البعض انّ«الصلاه»اشاره الى العقيده و الدين،لانّها عباره عن المظهر البارز للدين.

و على كل حال لو كان أولئك يفكرون جيدا لادركوا هذا الأمر الواقعى و هو انّ الصلاه توقظ فى الإنسان الاحساس بالمسؤوليه و التقوى و مخافه اللّه و معرفه الحقوق،و تذكره باللّه و بمحكمه عدل اللّه،و تنفض عن قلبه غبار حبّ الذات و عباده الذات!و تصرفه عن هذه الدنيا المحدوده و الملوّثه الى عالم ما وراء الطبيعه،الى عالم الصالحات و تزكيه النفس،و لذلك فهى تخلّصه من الشرك و عباده الأصنام و التقليد الأعمى للسلف الجاهل و بخس الناس أشياءهم،و عن انواع الغش و الخداع...إلخ.

كما ينقدح هنا سؤال آخر،و هو:انّ قولهم لشعيب إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ

هل كان كلاما واقعيا من منطلق الايمان به،ام هو على سبيل الاستهزاء و السخريه؟! احتمل المفسّرون الوجهين و لكن مع ملاحظه أسلوب سؤالهم أَ صَلاٰتُكَ تَأْمُرُكَ الذى يستبطن الاستهزاء،يظهر انّ هذه الجمله على نحو الاستهزاء،و هى اشاره الى انّ الإنسان الحليم الرشيد هو من لم يتعجل القول او الراى فى امر دون ان يسبر غوره و يعرف كنهه،و الإنسان العاقل الرشيد هو من لم يسحق سنن قومه تحت رجليه و يسلب حريتهم فى التصرف بأموالهم،فيظهر انّك لم تسبر غور الأمور و ليس لديك عقل حصيف و فكر عميق،لانّ الفكر العميق و العقل يوجبان على الإنسان الاّ يرفع يده عن طريقه السلف،و لا يسلب من الآخرين الاختيار و حريه العمل.

و لكن شعيبا ردّ على من اتّهمه بالسفه و قلّه العقل بكلام متين و قٰالَ يٰا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلىٰ بَيِّنَهٍ مِنْ رَبِّى وَ رَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً (١) .

انّه يريد ان يفهم قومه انّ فى عمله هذا هدفا معنويا و انسانيا و تربويا،و انّه يعرف حقائق لا يعرفها قومه،و الإنسان دائما عدوّ ما جهل.

و من الطريف انّه فى هذه الآيات يكرر عباره يٰا قَوْمِ و ذلك ليعبّئ عواطفهم لقبول الحق و ليشعرهم بأنّهم منه و انّه منهم،سواء أ كان المقصود بالقوم القبيله او الطائفه او الجماعه او الاسره،ام كان المقصود الجماعه التى كان يعيش وسطهم و يعدّ جزءا منهم.

ثمّ يضيف هذا النّبى العظيم قائلا: وَ مٰا أُرِيدُ أَنْ أُخٰالِفَكُمْ إِلىٰ مٰا أَنْهٰاكُمْ عَنْهُ فلا تتصوروا اننى أقول لكم لا تبخسوا الناس أشياءهم و لا تنقصوا المكيال، و انا ابخس الناس او انقص المكيال،او أقول لكم لا تعبدوا الأوثان و انا افعل

١- ١) ينبغى الالتفات الى انّ جزاء الجمله الشرطيه محذوف هنا و تقديره هكذا،أ فأعدل مع ذلك عمّا انا عليه من عبادته و تبليغ دينه.

ذلک کلّه،کلا فإنّنی لا افعل شیئا من ذلک ابدا.

و یستفاد من هذه الجمله انّهم کانوا یتهمون شعیبا بأنّه کان یرید الربح لنفسه، و لهذا فهو ینفی هذا الموضوع صراحه و یقول تعقیبا علی ما سبق إِنْ أُرِیدُ إِلاَّ الْإِصْلاٰحَ مَا اسْتَطَعْتُ .

و هذا هو هدف الأنبیاء جمیعا،حیث کانوا یسعون الی إصلاح العقیده، و إصلاح الأخلاق،و إصلاح العمل،و إصلاح العلائق و الروابط الاجتماعیه و انظمتها وَ مٰا تَوْفِیقِی إِلاّٰ بِاللّٰهِ للوصول الی هذا الهدف.

و علی هذا فإننی،و لأجل أداء رسالتی و الوصول الی هذا الهدف الکبیر عَلَیْهِ تَوَکَّلْتُ وَ إِلَیْهِ أُنِیبُ .

و أسعی للاستعانه به علی حل المشاکل،و أتوکل علیه فی تحمّل الشدائد فی هذا الطریق،و أعود الیه ایضا.

ثمّ ینبههم الی مسأله أخلاقیه،و هی انّه کثیرا ما یحدث للإنسان انّه لا یعرف مصالحه و ینسی مصیره،و ذلک بسبب بغضه و عدائه بالنسبه لشخص آخر او التعصب الأعمی و اللجاجه فی شیء ما،فیقول لهم وَ یٰا قَوْمِ لاٰ یَجْرِمَنَّکُمْ شِقٰاقِی فتبتلوا بما ابتلی به غیرکم و أَنْ یُصِیبَکُمْ مِثْلُ مٰا أَصٰابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صٰالِحٍ و ما حدث لقوم لوط من البلاء العظیم حیث امطرهم اللّه بحجاره من سجیل منضود و قلب مدنهم فجعل عالیها سافلها وَ مٰا قَوْمُ لُوطٍ مِنْکُمْ بِبَعِیدٍ فلا زمانهم بعید عنکم کثیرا،و لا مکان حیاتهم،کما انّ اعمالکم و ذنوبکم لا تقل عن اعمالهم و ذنوبهم ایضا.

و«مدین»التی کانت موطن شعیب لم تکن بعیده عن موطن قوم لوط،لانّ الموطنین کلاهما کانا من مناطق«الشامات»و إذا کان بینهما فاصل زمنی،فلم یکن الفاصل بالمقدار الذی یستدعی نسیان تأریخه،و امّا من الناحیه العملیه فالفرق کبیر بین الانحراف الجنسی الذی کان علیه قوم لوط و الانحراف

ص:۴۰

الاقتصادی الـذی کان علیه قوم شـعیب،لکن کلیهما یتشابهان فی تولیـد الفساد فی المجتمع و الإخلال بالنظام الاجتماعی و اماته الفضائـل الخلقیـه و اشـاعه الانـحراف،و من هنـا نجـد فی الرّوایـات أحیانـا مقـارنه الـدرهم الربـوی المرتبـط- بـالطبع-بالمسـائل الاقتصادیه بالزنا الذی هو تلوّث جنسی (١) .

ثمّ یأمر شعیب قومه الضالین بشیئین هما فی الواقع ما کان یؤکّد علیه جمیع الأنبیاء المتقدمین.

الاوّل:قوله: وَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّکُمْ ای لتطهروا من الذنوب و تجتنبوا الشرک و عباده الأوثان و الخیانه فی المعاملات.

و الثّانی:قوله: ثُمَّ تُوبُوا إِلَیْهِ ای ارجعوا الیه.

و الواقع انّ الاستغفار توقف فی مسیر الذنب و غسل النفس،و التوبه عوده الی اللّه الکمال المطلق.

و اعلموا انّه مهما یکن الذنب عظیما و الوزر ثقیلا فإنّ طریق العوده الیه تعالی مفتوح و ذلک لانّ رَبِّی رَحِیمٌ وَدُودٌ .

و کلمه«الودود»صیغه مبـالغه مشـتقّه من الود و معناه المحبّه،و ذکر هـذه الکلمه بعـد کلمه«رحیم»اشاره الی انّ اللّه یلتفت بحکم رحمته الی المذنبین التائبین،بل هو اضافه الی ذلک یحبّهم کثیرا لانّ رحمته و محبته هما الدافع لقبول الاستغفار و توبه العباد.

ص :۴۱

١- ١) ینبغی ذکر هذه المسأله ایضا و هی انّ جمله لاٰ یَجْرِمَنَّکُمْ ذات احتمالین: الاوّل:بمعنی لا یحملنکم،ففی هذه الصوره تکون علی النحو التالی لا یجرمن فعل و(شـقاقی)فاعله،و«کم»الضـمیر المتصل بالفعل مفعول به اوّل و أَنْ یُصِیبَکُمْ مصدر مؤول مفعول ثـان فیکون معنی الآـیه:یـا قوم لاـ یحملنکم شـقاقی (مخـالفتکم ایـای)ان یصـیبکم مصـیر کمصـیر قوم نوح و أمثالهم من الأقوام المـذکورین. الاحتمـال الثّـانی:انّ لاـ یَجْرِمَنَّکُمْ ای لاـ یجرنکم الی الـذنب و الاـجرام،ففی هـذه الصوره تکون الجمله علی النحو التالی،و«لا یجرمن»فعل و«شقاقی»فاعله و«کم»مفعوله و«انی یصیبکم»نتیجته،و یکون معنی الآیه کما ذکرناه فی المتن.

الآيات [سوره هود (۱۱): الآيات ۹۱ الی ۹۳]

اشاره

قٰالُوا يٰا شُعَيْبُ مٰا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمّٰا تَقُولُ وَ إِنّٰا لَنَرٰاكَ فِينٰا ضَعِيفاً وَ لَوْ لاٰ رَهْطُكَ لَرَجَمْنٰاكَ وَ مٰا أَنْتَ عَلَيْنٰا بِعَزِيزٍ (۹۱) قٰالَ يٰا قَوْمِ أَ رَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اَللّٰهِ وَ اِتَّخَذْتُمُوهُ وَرٰاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمٰا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (۹۲) وَ يٰا قَوْمِ اِعْمَلُوا عَلىٰ مَكٰانَتِكُمْ إِنِّي عٰامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذٰابٌ يُخْزِيهِ وَ مَنْ هُوَ كٰاذِبٌ وَ اِرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (۹۳)

التّفسير

اشاره

التّهديدات المتبادله بين شعيب و قومه:

انّ شعيبا هذا النّبى العظيم الذى لقّب بخطيب الأنبياء (۱) لخطبه المعروفه و الواضحه،و التى كانت أفضل دليل أمين للحياه المادّيه و المعنويه لهذه الجماعه، و اصل محاججته لقومه بالصبر و الاناه و القلب المحترق،و لكن تعالوا لنرى كيف ردّ عليه هؤلاء القوم الضالون؟! لقد أجابوه بأربع جمل كلّها تحكى عن جهلهم و لجاجتهم:

۱- ۱) سفينه البحار،ماده:شعيب.

فأوّلها:انّهم قالوا: يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ ...فكلامك أساسا ليس فيه اوّل و لا آخر،و ليس فيه محتوى و لا منطق قيم لنفكر فيه و نتدبره و ليس لديك شيء نجعله ملاكا لعملنا،فلا ترهق نفسك اكثر!و امض الى قوم غيرنا...

و الثّانيه:قولهم وَ إِنّا لَنَراكَ فِينا ضَعِيفاً فإذا كنت تتصور انّك تستطيع اثبات كلماتك غير المنطقيه بالقدره و القوّه فأنت غارق فى الوهم.

و الثّالثه:هى انّه لا- تظنّ انّنا نتردد فى القضاء عليك بأبشع صوره خوفا منك و من بأسك،و لكن احترامنا لعشيرتك هو الذى يمنعنا من ذلك وَ لَوْ لا رَهْطُكَ لَرَجَمْناكَ ! و الطريف انّهم عبّروا عن قبيله شعيب:ب«الرّهط»و هذه الكلمه تطلق فى لغه العرب على الجماعه التى مجموع أنصارها ثلاثه الى سبعه،او عشره،او على قول.و هو الحدّ الأكثر-تطلق على أربعين نفرا.

و هم يشيرون بذلك الى انّ قبيلتك تتمتع بالقوه الكافيه مقابل قوتنا، و لكن تمنعنا امور اخرى،و هذا يشبه قول القائل:لو لا هؤلاء الاربعه من قومك و أسرتك لأعطيناك جزاءك بيدك.فى حين انّ قومه و أسرته ليسوا بأربعه،بل المراد بيان هذه المسأله،و هى انّهم لا اهميه لقدرتهم فى نظر القائل.

و قولهم الأخير: وَ ما أَنْتَ عَلَيْنا بِعَزِيزٍ فمهما كانت منزلتك فى عشيرتك، و مهما كنت كبيرا فى قبيلتك الاّ انّه لا منزله لك عندنا لسلوكك المخالف و المرفوض.

و لكنّ شعيبا دون ان يتأثر بكلماتهم الرخيصه و اتهاماتهم الواهيه أجابهم بمنطقه العذب و بيانه الشائق متعجبا و قال: يا قَوْمِ أَ رَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللّهِ أ فتذرونى من اجل رهطى و قبيلتى التى لا- تتجاوز عدّه انفار و لا ينالنى منكم سوء،فلم لا تصغون لكلامى فى اللّه؟و هل يمكن ان نقارن عدّه افراد بعظمه اللّه

سبحانه...و أنتم لم تهابوه و توقّروه وَ اتَّخَذْتُمُوهُ وَرٰاءَكُمْ ظِهْرِيًّا (۱) .

و فی الختام یقول لهم:لا تظنوا انّ اللّه غافل عنکم او انّه لا یری اعمالکم و لا یسمع کلامکم،بل إِنَّ رَبِّی بِمٰا تَعْمَلُونَ مُحِیطٌ .

انّ المتحدّث البلیغ هو من یستطیع ان یعرّف موقفه من بین جمیع المواقف الی الطرف المقابل و یشخصه من خلال أحادیثه.

فحیث انّ المشرکین من قوم شعیب هددوه فی آخر کلامهم بالرجم،و ابرزوا قوتهم امامه،کان موقف شعیب من تهدیداتهم علی النحو التالی: وَ یٰا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلیٰ مَکٰانَتِکُمْ (۲) إِنِّی عٰامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ یَأْتِیهِ عَذٰابٌ یُخْزِیهِ (وَ مَنْ هُوَ کٰاذِبٌ)وَ ارْتَقِبُوا إِنِّی مَعَکُمْ رَقِیبٌ (۳) .ای انتظروا لتنتصروا علیّ بقواکم و جماعتکم و أموالکم،و انا منتظر ایضا ان یصیبکم اللّه بعذابه و یهلککم جمیعا.

۱- ۱) هناک فی اللغه العربیه أسلوب یستعمل عند عدم الاعتناء بشیء ما و ذلک علی نحو الکنایه فیقال مثلا«جعلته تحت قدمی»او یقال مثلا«جعلته دبر اذنی»او«جعلته وراء ظهری»او«جعلته ظهریا»و«الظهر»علی زنه«قهر»،و الیاء بعده یاء النسبه و انّما کسرت الظاء فذلک لما یطرأ علی الاسم المنسوب من تغیرات.

۲- ۲) المکانه:مصدر او اسم مصدر و معناه القدره علی الشیء.

۳- ۳) الرقیب:معناه الحافظ و المراقب و هو مشتق فی الأصل من الرقبه و انّما سمّی بذلک لانّه یکون حافظا علی رقبه شخص ما«کنایه عن انّه مراقب علی روحه»او یحرک الرقبه لیؤدی دور الرقابه و الحفظ.

الآيتان [سوره هود (۱۱): الآيات ۹۴ الی ۹۵]

اشاره

وَ لَمّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا شُعَيْباً وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَهٍ مِنّا وَ أَخَذَتِ اَلَّذِينَ ظَلَمُوا اَلصَّيْحَهُ فَأَصْبَحُوا فِی دِيارِهِمْ جاثِمِينَ (۹۴) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَما بَعِدَتْ ثَمُودُ (۹۵)

التّفسیر

اشاره

عاقبه المفسدین فی مدین:

قرانا فی قصص الأقوام السابقین مرارا،انّ الأنبیاء کانوا فی المرحله الاولی یدعونهم الی اللّه و لم یألوا جهدا فی النصیحه و الإبلاغ و بیان الحجّه،و فی المرحله التی بعدها حیث لم ینفع النصح للجماعه ینذرها نبیّها و یخوّفها من عذاب اللّه،لیعود الی طریق الحق من فیه الاستعداد و لتتم الحجّه علیهم،و فی المرحله الثّالثه،و بعد ان لم یغن ای شیء ممّا سبق-تبدا مرحله التصفیه و تطهیر الأرض،و ینزل العقاب فیزیل الأشواک من الطریق.

و فی شأن قوم شعیب-ای اهل مدین-وصل الأمر الی المرحله النهائیه ایضا،إذ یقول القرآن الکریم فیهم: وَ لَمّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا شُعَيْباً وَ الَّذِينَ آمَنُوا

مَعَهُ بِرَحْمَهٍ مِنّا وَ أَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَهُ

.

«الصيحه»كما قلنا سابقا معناها فى اللغه كل صوت عظيم،و القرآن الكريم يحكى عن هلاك أقوام متعددين بالصيحه السّماويه،هذه الصيحه يحتمل ان تكون صاعقه من السّماء او ما شابهها،و كما بينا فى قصّه ثمود«قوم هود»قد تبلغ الأمواج الصوتيه حدّا بحيث تكون سببا لهلاك جماعه من الناس.

ثمّ يعقّب القرآن فيقول: فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ اى:أجسادا هامده بلا روح،لتبقى أجسادهم هناك عبره لمن اعتبر...

و هكذا طوى سجلّ و طومار حياتهم كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها .و انطفأ بريق كل شىء،فلا ثروه و لا قصور و لا ظلم و لا زينه كل ذلك تلاشى و انعدم.

و كما كانت نهايه عاد و ثمود-و قد حكى عنهما القرآن-فهو يقول عن نهايه مدين ايضا أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَما بَعِدَتْ ثَمُودُ .

و واضح انّ المقصود من كلمه«مدين»اهل مدين الذين كانوا بعيدين عن رحمه اللّه و كانوا من الهالكين.

دروس تربويه فى قصّه شعيب:

اشاره

انّ أفكار الأنبياء و الوقائع التى جرت للأقوام السابقه تستلهم منها الأجيال التى بعدها،لانّ تجارب حياه أولئك الأقوام هى التى تمخضت عن عشرات السنين او مئات السنين...ثمّ نقلت إلينا فى عدّه صفحات من«التاريخ»و كل فرد منّا يستطيع ان يستلهم العبر فى حياته.

قصّه هذا النّبى العظيم«شعيب»فيها دروس كثيره،و من هذه الدروس ما يلى:

۱-اهمیه المسائل الاقتصادیه

قرانا فی هذه القصّه انّ شعیبا دعا قومه بعد التوحید الی الحق و العداله فی الأمور المالیه و التجاریه،و هذا نفسه یدل علی انّ المسائل الاقتصادیه فی المجتمع لا یمکن تجاوزها و تهمیشها.کما یدل علی انّ الأنبیاء لم یؤمروا بالمسائل الاخلاقیه فحسب،بل کانت دعوتهم تشکل«الإصلاح»...إصلاح الوضع الاجتماعی غیر الجید،و إصلاح الوضع الاقتصادی کذلک،حیث کانت هذه الأمور من أهم الأمور-عند الأنبیاء-بعد التوحید.

۲-لا ینبغی التّضحیه بالاصاله من اجل التعصب

کما قرانا فی هذه القصّه فإنّ احد العوامل التی دعت الی سقوط هؤلاء فی احضان الشقاء انّهم نسوا الحقائق لحقدهم و عدائهم الشخصی،فی حین انّ الإنسان العاقل و الواقعی ینبغی ان یتقبل الحق من کل احد حتی و لو کان من عدوّه.

۳-الصلاه تدعو الی التوحید و التطهیر

لقد سأل شعیبا قومه أَ صَلاٰتُکَ تَأْمُرُکَ أَنْ نَتْرُکَ مٰا یَعْبُدُ آبٰاؤُنٰا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِی أَمْوٰالِنٰا مٰا نَشٰؤُا و ان نترک الغش و عدم إیفاء المیزان حقّه.فلعلهم کانوا یتصورون متسائلین:انّ هذه الاذکار و الادعیه ما عسی ان تؤثر فی هذه الأمور؟ علی حین انّنا نعرف ان أقوی علاقه و رابطه هی العلاقه الموجوده بین الصلاه و هذه الأمور،فإذا کانت الصلاه بمعناها الواقعی ای مع حضور الإنسان بجمیع وجوده امام اللّه فإنّ هذا الحضور معراج التکامل و سلّم الصعود فی تربیه روحه و نفسه،و المطهّر لصدإ ذنوبه و رین قلبه و هذا الحضور یقوّی ارادته و یجعل عزمه راسخا و ینزع عنه غروره و کبریاءه.

۴-النظره الذاتیه(الاناتیه)رمز للجمود

! لقد کان قوم شعیب-کما عرفنا فی الآیات السابقه-افرادا انانیین و«ذاتیین»إذ کانوا یتصورون أنفسهم ذوی فهم،و انّ شعیبا یجهل الأمور!!و کانوا یسخرون منه و یعدّون کلامه بلا محتوی و یرونه ضعیفا،و هذه النظره الضیقه و الانانیه صیّرت سماء حیاتهم مظلمه و رمت بهم الی هاویه الهلاک.

لیس الإنسان وحده-بل حتی الحیوان-إذا کان«اناتیا»ذا نظره ضیقه فإنّه سیتوقف فی الطریق!! یقال انّ فارسا وصل الی نهر و أراد عبوره و لکنّه لاحظ بتعجب انّ الفرس غیر مستعدّه ان تعبر النهر الصغیر و القلیل العمق،و کلما الحّ علی الفرس لکی تعبر لم یفلح،فمرّ به رجل حکیم،فقال له:حرّک ماء النهر لیذهب فإنّ المشکله ستنحلّ.ففعل ذلک فعبرت الفرس النهر بکل هدوء!!فسأل الحکیم عن السرّ فی ذلک،فقال:حین کان الماء صافیا کانت صوره الفرس فی الماء فلم یرق للفرس ان تطأ نفسها،و حین اختلط الماء بالطین ذهبت الصوره و نسیت الفرس صورتها فعبرت بکل بساطه!

۵-تلازم الایمان و العمل

لا یزال الکثیرون یتصورون انه یمکن للمسلم ان یکون بالعقیده وحدها مسلما حتی و ان یقم بأیّ عمل،و ما یزال الکثیرون یریدون من الدین الاّ یکون مانعا لرغباتهم و میولهم،و یریدون ان یکونوا أحرارا بوجه مطلق.

قصّه شعیب تدلنا علی انّ قومه کانوا یریدون مثل هذا المنهج،لذلک کانوا یقولون له:نحن غیر مستعدین ان نترک ما کان علیه السلف من عباده الأصنام، و لا نفقد حریتنا فی التصرف بأموالنا ما نشاء.

لقد نسی أولئک انّ ثمره شجره الایمان-أساسا-هی العمل،و کان نهج

الأنبياء ان يصلحوا الانحرافات العمليّه للإنسان و يسددوا خطواته،و الّا فإنّ شجره بلا ثمر و ورق و فائده عمليه لا تستحق الّا ان تحرق! نحن اليوم-و للأسف-نرى بعض المسلمين قد غلب عليهم هذا الطراز من الفكر،و هو انّ الإسلام عباره عن عقائد جافّه لا تتعدّى حدود المسجد،فما داموا فى المسجد فهى معهم،و إذا خرجوا ودّعوها فيه!!فلا تجد أثرا لاسلامهم فى السوق او الادارات او المحيط.

انّ السير فى كثير من الدول الاسلاميه-حتى الدول التى كانت مركزا لانتشار الإسلام-يكشف لنا هذا الواقع المرير،و هو انّ الإسلام منحصر فى حفنه من«الاعتقادات و عدد من العبادات عديمه الروح»لا تجد فيها أثرا عن المعرفه و العداله الاجتماعيه و النمو الثقافى و الأخلاق الاسلاميّه....

و لكن-لحسن الحظ-نرى فى ضمن هذه الصحوه الاسلاميه و لا سيما بين الشباب تحرّك نحو الإسلام الصحيح و الممازجه بين الايمان و العمل،فلا تكاد تسمع فى هذا الوسط مثل هذا الكلام«ما علاقه الإسلام بأعمالنا؟!»او انّ «الإسلام مرتبط بالقلب لا بالحياه و المعاش»و ما الى ذلك.

الاطروحه التى نسمعها من بعض المنحرفين بقولهم:نحن نستوحى عقيدتنا من الإسلام و اقتصادنا من ماركس،هى شبيهه بطريقه تفكير قوم شعيب الضالين و هى محكومه مثلها ايضا،و لكن هذا الانفصال او التفرقه بين العمل و الايمان كان موجودا منذ القدم و لا يزال،و ينبغى ان نكافح مثل هذا التفكير!

۶-الملكيه غير المحدوده أساس الفساد

لقد كان قوم شعيب واقعين فى مثل هذا الخطأ حيث كانوا يتصورون انّه من الخطأ القول بتحديد التصرف بالأموال من قبل مالكيها،و لذلك تعجبوا من شعيب و قالوا له:امثلك و أنت الحليم الرشيد يمنعنا من التصرف بأموالنا و يسلب حريتنا

منها،انّ هـذا الكلام سواء كان على نحو الحقيقه و الواقع،ام كان على نحو الاسـتهزاء،يدلّ على انّهم كانوا يرون تحديد التصـرّف بالمال دليلا على عدم العقل و الداريه.

فى حين انّهم كـانوا على خطأ كـبير فى تصورهم هـذا...إذ لو كـان النـاس أحرارا فى التصـرّف بـأموالهم لعمّ المجتمع الفسـاد و الشـقاء،فيجب ان تكون الأمور المـاليه تحت ضوابـط صـحيحه و محسوبه كمـا عرضـها الأنبيـاء على الناس، و الاّ فسـتجرّ الحريه المطلقه المجتمع نحو الانحراف و الفساد.

۷-هدف الأنبياء هو الإصلاح

لم يكن هذا الشـعار: إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلاٰحَ شعار شعيب فحسب،بل هو شعار جميع الأنبياء و كل القاده المخلصين،و انّ اعمالهم و أقوالهم شواهـد على هـذا الهـدف.فهم لم يـأتوا لاشـعار الناس،و لا لغفران الـذنوب،و لا لبيع الجنّه،و لا لحمايه الأقوياء و تخـدير الضـعفاء مـن النـاس،بـل كـان هـدفهم الإصـلاح بـالمعنى المطلـق و الوسـيع للكلمه...الإصـلاح فى الفكر،الإصـلاح فى الأخلاق،الإصلاح فى النظم الثقافيه و الاقتصاديه و السياسيّه للمجتمع،و الإصلاح فى جميع ابعاد المجتمع.

و كان اعتمادهم و دعامتهم على تحقق هذا الهدف هو اللّه فحسب و لهذا لم يخافوا من التهديدات و المؤامرات كما قال شـعيب وَ مٰا تَوْفِيقِى إِلاّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ .

الآيات [سوره هود (۱۱): الآيات ۹۶ الی ۹۹]

اشاره

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسی بِآیاتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِینٍ (۹۶) إِلی فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَ ما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِیدٍ (۹۷) یَقْدُمُ قَوْمَهُ یَوْمَ الْقِیامَهِ فَأَوْرَدَهُمُ النّارَ وَ بِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (۹۸) وَ أُتْبِعُوا فِی هذِهِ لَعْنَهً وَ یَوْمَ الْقِیامَهِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (۹۹)

التّفسیر

اشاره

البطل المبارز لفرعون:

بعد انتهاء قصّه شعیب و اهل مدین،یشیر القرآن الکریم الی زاویه من قصّه موسی و مواجهته لفرعون و هذه القصّه هی القصّه السابعه من قصص الأنبیاء فی هذه السوره.

تحدث القرآن الکریم عن قصّه موسی علیه السّلام و فرعون و بنی إسرائیل اکثر من مائه مرّه.

و خصوصیه قصّه موسی علیه السّلام بالنسبه لقصص الأنبیاء-کشعیب و صالح و هود و لوط علیهم السّلام التی قرأناها فی ما سبق-هی انّ أولئک الأنبیاء علیهم السّلام واجهوا الأقوام الضالین،لکن موسی علیه السّلام واجه اضافه الی ذلک حکومه«دیکتاتور»طاغ مستبدّ

هو فرعون الجبار.

و أساسا فإنّ الإصلاح ينبغى ان يبدأ من الأصل و المنبع،و طالما هناك حكومات فاسده فلن يبصر اى مجتمع وجه السعاده،و على القاده الإلهيين فى مثل هذه المجتمعات ان يدمروا مراكز الفساد قبل كل شىء.

و لكن ينبغى الالتفات الى انّنا نقرا فى هذا القسم من قصّه موسى زاويه صغيره فحسب و لكنّها فى الوقت ذاته تحمل رساله كبيره للناس جميعا.

يقول القرآن الكريم اوّلا: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنٰا مُوسىٰ بِآيٰاتِنٰا وَ سُلْطٰانٍ مُبِينٍ .

«السلطان»بمعنى التسلّط،يستعمل تاره فى السلطه الظاهريه،و أحيانا فى السلطه المنطقيه،السلطه التى تحاصر المخالف فى طريق مسدود بحيث لا يجد طريقا للفرار.

و يبدو فى الآيه المتقدمه انّ«السلطان»استعمل فى المعنى الثّانى،و المراد ب «الآيات»هى معاجز موسى الجليله،و للمفسرين احتمالات اخرى فى هاتين الكلمتين.

و على كل حال فإنّ موسى أرسل بتلك المعجزات القاصمه و ذلك المنطق القوى إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلاَئِهِ .

و كما قلنا مرارا فإنّ كلمه«الملأ»تطلق على الذين يملأ مظهرهم العيون بالرّغم من خلوّ المحتوى الداخلى،و فى منطق القرآن تطلق هذه الكلمه غالبا على الوجوه و الاشراف و الأعيان الذين يحيطون بالمستكبرين و بالقوى الظالمه ..الاّ انّ جماعه فرعون الذين وجدوا منافعهم مهدده بالخطر بسبب دعوه موسى، فإنّهم لم يكونوا مستعدين للاستجابه..لمنطقه الحق و معجزاته فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ .و لكن فرعون ليس من شأنه هدايه الناس الى الحياه السعيده او ضمان نجاتهم و تكاملهم: وَ مٰا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ .

انّ هذا نجاح فرعون هذا لم يحصل بسهوله،فقد استفاد من كل انواع السحر

و الخداع و التآمر و القوى لتقدم اهدافه و تحريك الناس ضد موسى عليه السّلام،و لم يترك فى هذا السبيل اىّ نقطه نفسيه بعيده عن النظر،فتاره كان يقول:انّ موسى يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ . (۱)

و اخرى كان يقول: إِنِّی أَخٰافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِی الْأَرْضِ الْفَسٰادَ . (۲) فيحرك مشاعرهم و احاسيسهم المذهبيّه.

و أحيانا كان يتهم موسى،و اخرى كان يهدّده،و أحيانا يبرز قوّته و شوكته بوجه الناس فى مصر،او يدعى الدهاء فى قيادته بما يضمن الخير و الصلاح لهم.

و يوم الحشر حين يأتى الناس عرصات القيامه فإنّ زعماؤهم و قادتهم فى الدنيا هم الذين سيقودوهم هناك حين يرى فرعون هناك: يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ و بدلا من ان ينقذهم و يخلصهم من حراره المحشر و عطشه يوصلهم الى جهنم فَأَوْرَدَهُمُ النّٰارَ وَ بِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ فبدلا من ان يسكن عطش اتباعه هناك يحرق وجودهم و بدلا من الارواء يزيدهم ظمأ الى ظمأ.

مع ملاحظه انّ«الورود»فى الأصل معناه التحرّك نحو الماء و الاقتراب منه، و لكن الكلمه أطلقت لتشمل الدخول على كل شىء و توسّع مفهومها.

و«الورد»هو الماء يرده الإنسان،و قد يأتى بمعنى الورود ايضا.

و«المورود»هو الماء الذى يورد عليه،ف«هم»اسم مفعول،فعلى هذا يكون معنى الجمله بئس الورد و المورود (۳) على النحو التالى:النّار بئس ماؤها ماء حين يورد عليه.

و يلزم ذكر هذه المسأله الدقيقه،و هى انّ العالم بعد الموت-كما قلنا سابقا-

---

۱- ۱) الأعراف، ۱۱۰.

۲- ۲) غافر، ۲۶.

۳- ۳) هذا الجمله من حيث التركيب النحوى يكون اعرابها كالتالى:«بئس»من افعال الذم،و فاعله«الورد»و«المورود» صفه،و المخصوص بالذم«النار»التى حذفت من الجمله،و احتمل البعض انّ المخصوص بالذم هو كلمه«المورود»فعلى هذا لم يحذف من الجمله شىء،الاّ انّ الاوّل أقوى كما يبدو.

عالم«تتجسم فيه اعمالنا و أفعالنا»الدنيويه بمقياس واسع،فالشقاء و السعاده فى ذلک العالم نتيجه اعمالنا فى هذه الدنيا،فالأشخاص الـذين كـانوا فى هـذه الـدنيا قـاده الصـلاح يقودون النـاس الى الجنّه و السـعاده فى ذلـک العالم،و الـذين كانوا قاده للظالمين و الضـالين و اهـل النّـار يسوقونهم الى جهنم يتقـدمونهم هنـاک! ثمّ يقول القرآن: وَ أُتْبِعُوا فِی هٰذِهِ لَعْنَهً وَ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ .فأسـماؤهم الذليله تثبت على صـفحات التاريخ ابدا على انّهم قوم ضالون و جبابره،فقد خسروا الدنيا و الآخره و ساءت النّار لهم عطاء و جزاء و بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (۱) .

و«الرفـد»فى الأصـل معنـاه الاعـانه على القيام بعمل معين،و إذا أرادوا ان يسـندوا شـيئا الى شـىء آخر عبروا عن ذلک بالرفـد،ثمّ أطلقت هذه الكلمه على العطاء لأنّه اعانه من قبل المعطى الى المعطى له!

۱- ۱) اعراب هذه الجمله كإعراب أختها السابقه.

الآيات [سوره هود (۱۱): الآيات ۱۰۰ الی ۱۰۴]

اشاره

ذلِکَ مِنْ أَنْباءِ اَلْقُری نَقُصُّهُ عَلَیْکَ مِنْها قائِمٌ وَ حَصِیدٌ (۱۰۰) وَ ما ظَلَمْناهُمْ وَ لکِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَما أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ اَلَّتِی یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اَللّهِ مِنْ شَیْءٍ لَمّا جاءَ أَمْرُ رَبِّکَ وَ ما زادُوهُمْ غَیْرَ تَتْبِیبٍ (۱۰۱) وَ کَذلِکَ أَخْذُ رَبِّکَ إِذا أَخَذَ اَلْقُری وَ هِیَ ظالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِیمٌ شَدِیدٌ (۱۰۲) إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً لِمَنْ خافَ عَذابَ اَلْآخِرَةِ ذلِکَ یَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ اَلنّاسُ وَ ذلِکَ یَوْمٌ مَشْهُودٌ (۱۰۳) وَ ما نُؤَخِّرُهُ إِلاّ لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ (۱۰۴)

التّفسير

فی آیات هذه السوره تبیان لقصص سبعه أقوام من الأقوام السابقین و لمحات من تأریخ أنبیائهم،و کل واحد منهم یکشف للإنسان قسما جدیرا بالنظر من حیاته الملیئه بالحوادث و یحمل بین جنبیه دروسا من العبره للإنسان.

و هنا اشاره الی جمیع تلک القصص،فیتحدث القرآن عن صوره مستجمعه لما مرّ من الحوادث و الأنباء حیث یقول: ذلِکَ مِنْ أَنْباءِ الْقُری نَقُصُّهُ عَلَیْکَ مِنْها قائِمٌ وَ حَصِیدٌ .

ص: ۵۵

و کلمه«قائم»تشیر الی المدن و العمارات التی لا تزال باقیه من الأقوام السابقین،کأرض مصر التی کانت مکان الفراعنه و لا تزال آثار أولئک الظالمین باقیه بعد الغرق،فالحدائق و البساتین و کثیر من العمارات المذهله قائمه بعدهم.

و کلمه«حصید»معناها اللغوی قطع النباتات بالمنجل،و فی هذه الکلمه اشاره الی بعض الاراضی البائره،کأرض قوم نوح و ارض قوم لوط،حیث انّ واحده منهما دمرها الغرق و الثانیه أمطرت بالحجاره.

وَ مٰا ظَلَمْنٰاهُمْ وَ لٰکِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ

حیث رکنوا و لجأوا الی الأصنام و الآلهه«المزعومه» فَمٰا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِی یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ شَیْءٍ لَمّٰا جٰاءَ أَمْرُ رَبِّکَ بل زادوهم ضررا و خسرانا وَ مٰا زٰادُوهُمْ غَیْرَ تَتْبِیبٍ (۱) .

وَ کَذٰلِکَ أَخْذُ رَبِّکَ إِذٰا أَخَذَ الْقُریٰ وَ هِیَ ظٰالِمَهٌ

فلا یدعها علی حالها و إِنَّ أَخْذَهُ أَلِیمٌ شَدِیدٌ .

هذا قانون الهی عام و منهج دائم،فما من قوم او امّه من الناس یتجاوزون حدود اللّه و یمدون أیدیهم للظلم و لا یکترثون لنصائح أنبیائهم و مواعظهم،الاّ أخذهم اللّه أخذا شدیدا و اعتصرتهم قبضه العذاب.

هذه الحقیقه تؤکّد انّ المنهاج السابق منهاج عمومی و سنّه دائمه،و تستفاد من آیات القرآن بصوره جیده،و هی فی الواقع إنذار لأهل العالم جمیعا:ان لا تظنوا انّکم مستثنون من هذا القانون،او انّ هذا الحکم مخصوص بالاقوام السابقین.

و الطبع فإنّ الظلم بمعناه الواسع یشمل جمیع الذنوب،و وصفت القریه او المدینه بأنّها«ظالمه»مع انّ الوصف ینبغی ان یکون لساکنیها،فکأنما هناک مسأله دقیقه و هی انّ اهل هذه المدینه انغمسوا فی الظلم الی درجه حتی کأنّ المدینه لها أصبحت مغموسه فی الظلم ایضا.

ص: ۵۶

۱- ۱) «التتبیب»مشتق من ماده«تبّ»و معناه الاستمرار فی الضرر،و قد یأتی بمعنی الهلاک ایضا.

و حیث انّ هذا قانون کلّی و عام فإنّ القرآن یقول مباشره إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَهً لِمَنْ خٰافَ عَذٰابَ الْآخِرَهِ .

لانّ الدنیا لا تعدّ شیئا إزاء الآخره،و جمیع ما فی الدنیا حقیر حتی ثوابها و عقابها،و العالم الآخر أوسع-من جمیع النواحی-من هذه الدنیا.فالمؤمنین بیوم القیامه یعتبرون لدی مشاهده واحد من هذه المثل و النماذج فی الدنیا، و یواصلون طریقهم.

و فی ختام الآیه اشاره الی وصفین من أوصاف یوم القیامه حیث یقول القرآن ذٰلِکَ یَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النّٰاسُ وَ ذٰلِکَ یَوْمٌ مَشْهُودٌ .

هی اشاره الی انّ القوانین و السنن الالهیه کما هی عامّه فی هذا العالم،فإنّ اجتماع الناس فی تلک المحکمه الالهیه ایضا عام،و سیکون فی زمان واحد و یوم مشهود للجمیع یحضره الناس کلّهم و یرونه.

من الطریف هنا انّ الآیه تقول ذٰلِکَ یَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النّٰاسُ و لم تقل «مجموع فیه الناس»و هذا التعبیر اشاره الی انّ یوم القیامه لیس ظرفا لاجتماع الناس فحسب،بل هو هدف یمضی الیه الناس فی مسیرهم التکاملی.

و نقرا فی الآیه(۹)من سوره التغابن یَوْمَ یَجْمَعُکُمْ لِیَوْمِ الْجَمْعِ ذٰلِکَ یَوْمُ التَّغٰابُنِ .

و بما انّ البعض قد یتوهم انّ الحدیث عن ذلک الیوم لم یحن اجله فهو نسیئه و غیر معلوم وقت حلوله،لهذا فإنّ القرآن یقول مباشره: وَ مٰا نُؤَخِّرُهُ إِلاّٰ لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ .

و ذلک ایضا لمصلحه واضحه جلیّه لیری الناس میادین الاختبار و التعلم، و لیتجلی آخر منهج للأنبیاء و تظهر آخر حلقه للتکامل الذی یمکن لهذا العالم ان یستوعبها ثمّ تکون النهایه.

و التعبیر بکلمه«معدود»اشاره الی قرب یوم القیامه،لانّ کل شیء یقع تحت

العدّ و الحساب فهو محدود و قريب.

و الخلاصه انّ تأخير ذلك اليوم لا ينبغى ان يغترّ به الظالمون،لانّ يوم القيامه و ان تأخر فهو آت لا محاله،و انّ التعبير بتأخره ايضا غير صحيح.

ص :۵۸

الآیات [سوره هود (۱۱): الآیات ۱۰۵ الی ۱۰۸]

اشاره

يَوْمَ يَأْتِ لاٰ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاّٰ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ (۱۰۵) فَأَمَّا اَلَّذِينَ شَقُوا فَفِی اَلنّٰارِ لَهُمْ فِيهٰا زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ (۱۰۶) خٰالِدِينَ فِيهٰا مٰا دٰامَتِ اَلسَّمٰاوٰاتُ وَ اَلْأَرْضُ إِلاّٰ مٰا شٰاءَ رَبُّکَ إِنَّ رَبَّکَ فَعّٰالٌ لِمٰا يُرِيدُ (۱۰۷) وَ أَمَّا اَلَّذِينَ سُعِدُوا فَفِی اَلْجَنَّةِ خٰالِدِينَ فِيهٰا مٰا دٰامَتِ اَلسَّمٰاوٰاتُ وَ اَلْأَرْضُ إِلاّٰ مٰا شٰاءَ رَبُّکَ عَطٰاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (۱۰۸)

التّفسیر

اشاره

السّعاده الشّقاوه:

أشیر فی الآیات المتقدّمه الی مسأله القیامه و اجتماع الناس کلّهم فی تلک المحکمه العظیمه...و هذه الآیات-محل البحث-بیّنت زاویه من عواقب الناس و مصیرهم فی ذلک الیوم،إذ تقول الآیات اوّلا: يَوْمَ يَأْتِ لاٰ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاّٰ بِإِذْنِهِ .

قد یتصور أحیانا انّ هذه الآیه الداله علی تکلّم الناس فی ذلک الیوم بإذن اللّه،تنافی الآیات التی تنفی التکلم هناک مطلقا،کالآیه(۶۵)من سوره یس

ص :۵۹

اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلىٰ أَفْواهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ ، و كالآيه(۳۵)من سوره المرسلات حيث نقرا: هٰذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ .

و لهذا السبب قال بعض المفسّرين الكبار:انّ التكلم هناك«يوم القيامه»لا مفهوم له أساسا.لانّ التكلم وسيله لكشف باطن الأشخاص و داخلهم،و لو كان لدينا احساس نستطيع ان نطّلع به على أفكار كل شخص لم يكن حاجه الى التكلم ابدا.

فعلى هذا لمّا كانت الأسرار و جميع الأشياء تنكشف«يوم القيامه»على حاله«الظهور و البروز»فلا معنى للتكلم أصلا.

و ببيان آخر:انّ الدار الآخره دار مكافأه و جزاء لا دار عمل،و على هذا فلا معنى هناك لاختيار الإنسان و تكلمه حسب رغبته و ارادته،بل هو الإنسان و عمله و ما يتعلق به،فلو أراد التكلم فلا يكون كلامه عن اختيار و اراده و حاكيا عمّا فى ضميره كما فى الدنيا،بل كل ما يتكلم به هناك فهو نوع من الانعكاس عن اعماله التى تظهر جليّه ذلك اليوم.اى انّ الكلام هناك ليس كالكلام فى الدنيا بحيث يستطيع الإنسان على حسب ميله ان يتكلم صادقا او كاذبا.

و على كل حال فإنّ ذلك اليوم هو يوم كشف حقائق الأشياء و عوده الغيب الى الشهود،و لا شبه له بهذه الدنيا.

و لكن هذا الاستنتاج من الآيه المتقدّمه لا ينسجم مع ظاهر الآيات الأخرى فى القرآن،لأنّ القرآن يتحدث عن كثير من كلام المؤمنين و المجرمين و القاده و الجبابره و أتباعهم،و الشيطان و المنخدعين به،و أهل النّار و أهل الجنّه،بحيث يدل على انّ هناك كلاما كالكلام فى هذه الدنيا أيضا.

حتى انّ بعض الآيات يستفاد منها انّ قسما من المجرمين يكذبون فى ردهم على بعض الاسئله،كما هو مذكور فى سوره الانعام الآيات(۲۲)الى(۲۴) حيث تقول الآيات

وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ* ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاّ أَنْ قالُوا وَ اللّهِ رَبِّنا ما كُنّا مُشْرِكِينَ * انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ .

فعلى هذا،من المستحسن ان يجاب على السؤال المتعلق بتناقض ظواهر الآيات حول التكلم بما ذكره كثير من المفسّرين،و هو انّ الناس يقطعون فى ذلك اليوم مراحل مختلفه...و كل مرحله لها خصوصياتها،ففى قسم من المراحل لا يسألون ابدا حتى انّ أفواههم يختم عليها فلا يتكلمون،و انّما تنطق أعضاء أجسادهم التى حفظت آثار اعمالها بلغه من دون لسان،و فى المراحل الاخرى يرفع الختم او القفل عن أفواههم و يتكلمون بإذن اللّه فيعترفون بأخطائهم و ذنوبهم و يلوم المخطئون بعضهم بعضا،بل يحاولون ان يلقوا تبعات أوزارهم على غيرهم.

و يشار فى نهايه الآيه الى تقسيم الناس جميعا الى طائفتين:طائفه محفوظه،و اخرى بائسه تعيسه فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ .

و«السعيد»مشتق من ماده«السعاده»و معناها توفر اسباب النعمه.

و«الشقى»مشتق من ماده«الشقاء»و معناه توفر اسباب البلاء و المحنه.

فالسعداء-إذا-هم الصالحون الذين يتمتعون بأنواع النعم فى الجنّه و الاشقياءهم المسيئون الذين هم يتقلبون فى انواع العذاب و العقاب فى جهنم.

و ليس هذا الشقاء-على كل حال-و تلك السعاده سوى نتيجه الأعمال و الأقوال و النيّات التى سلفت من الإنسان فى الدنيا.

و العجيب ان بعض المفسّرين يتخذون هذه الآيه ذريعه لعقيدتهم الباطله فى مجال الجبر،فى حين انّ الآيه ليس فيها اقلّ دليل على هذا المعنى،بل هى تتحدث عن السعداء و الأشقياء فى يوم القيامه و انهم و صلوا جميعا بأعمالهم الى هذه المرحله،و لعلهم توهموا هذه النتيجه من هذه الآيه بالخلط بينها و بين بعض الأحاديث التى تتكلم عن شقاء الإنسان او سعادته و هو فى بطن امّه قبل الولاده،

و لكن هذه المسأله ليس هنا مجالها إذ لها قصّه اخرى و حديث طويل.

ثمّ تشرح الآيات حالات السعداء و الأشقياء فى عبارات موجزه و اخّاذه حيث تقول فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِى النّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ و تضيف حاكيه عن حالهم ايضا: خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلاّ ما شاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعّالٌ لِما يُرِيدُ وَ أَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِى الْجَنَّهِ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلاّ ما شاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ .

ملاحظات

اشاره

۱-هل انّ السعاده و الشقاوه ذاتيان

؟ أراد البعض ان يثبت من الآيات المتقدمه-كما قلنا آنفا-كون السعاده و الشقاء ذاتيين،فى حين انّ الآيات المتقدمه لا تدل على هذا الأمر فحسب،بل تثبت بوضوح كون السعاده و الشقاء اكتسابيين،إذ تقول فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا او تقول وَ أَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فلو كان كل من الشقاء و السعاده ذاتيين لكان ينبغى ان يقال«امّا الأشقياء و امّا السعداء»و ما أشبه ذلك التعبير،و من هنا يتّضح بطلان ما جاء فى تفسير الفخر الرازى ممّا مؤداه:«انّ هذه الآيات تحكم من الآن انّ جماعه فى القيامه سعداء و جماعه أشقياء،و من حكم اللّه عليه مثل هذا الحكم و يعلم انه فى القيامه امّا شقى أو سعيد،فمحال عليه ان يغير ذلك و الاّ للزم-فى الآيه-ان يكون ما اخبر اللّه به كذبا و يكون علمه جهلا!!و هذا محال»....فكل ذلك لا أساس له.

و هذا هو الاشكال المعروف على«علم اللّه»فى مسأله الجبر و الاختيار و الذى أجيب عليه قديما بأنه:إذا لم نرد تحميل افكارنا و آراؤنا المسبقه على آيات القرآن الكريم،فإنّ مفاهيمها تبدو واضحه،انّ هذه الآيات تقول: يَوْمَ

يكون فيه جمع من الناس سعداء من خلال اعمالهم،و جمع آخر أشقياء بسبب اعمالهم،و اللّه سبحانه يعلم من الذى اختار طريق السعاده باختياره، و بإرادته،و من الذى خطا خطوات فى مسير الشقاء بإرادته.و هذا المعنى يعطى نتيجه معاكسه تماما لما ذكره الرازى حيث انّ الناس إذا كانوا مجبورين على هذا الطريق فإنّ علم اللّه سيكون جهلا(و العياذ باللّه)،لانّ الجميع اختاروا طريقهم و انتخبوه بإرادتهم و رغبتهم.

الشاهد فى الكلام انّ الآيات المتقدمه تتحدث عن قصص الأقوام السابقين، حيث عوقبت عقابا جماعه عظيمه منهم-بسبب ظلمهم و انحرافهم عن جاده الحق و العدل،و بسبب التلوث بالمفاسد الاخلاقيه الشديده،و الوقوف بوجه الأنبياء و القاده الإلهيين-أليما فى هذه الدنيا...و القرآن يقص علينا هذه القصص من اجل إرشادنا و تربيتنا و بيان طريق الحق من الباطل،و فصل مسير السعاده عن مسير الشقاء.

و إذا كنّا-أساسا-كما يتصوّر الفخر الرازى و من على شاكلته-محكومين بالسعاده و الشقاء الذاتيين،و نؤخذ دون ارادتنا بالسيئات او الصالحات،فإنّ «التعليم و التربيه»سيكونان لغوا و بلا فائده...و مجىء الأنبياء و نزول الكتب السّماويّه و النصيحه و الموعظه و التوبيخ و الملامه و المؤاخذه و السؤال و المحاكمه و الثواب...كل ذلك يعدّ غير ذى فائده،او يعدّ ظلما.

الأشخاص الذين يرون الناس مجبورين على عمل الخير او الشرّ،سواء كان هذا الجبر جبرا الهيا،او جبرا طبيعيا،او جبرا اقتصاديا،او جبرا اجتماعيا متطرفون فى عقيدتهم هذه فى كلامهم فحسب،او فى كتاباتهم،و لكنّهم حتى أنفسهم لا يعتقدون-عند العمل-بهذا الاعتقاد،و لهذا فلو وقع تجاوز على حقوقهم فانّهم يرون المتجاوز مستحقا للتوبيخ و الملامه و المحاكمه و المجازاه...

و ليسوا مستعدين ابدا للإغضاء عنه بحجه انه مجبور على هذا العمل و انّ من

الظلم عقابه و مجازاته،او يقولوا انه لم يستطع ان لا يرتكب هذا العمل لانّ اللّه أراد ذلك،او انّ المحيط أجبره،او الطبيعه...و هذا بنفسه دليل آخر على انّ اصل الاختيار فطرى.

و على كل حال لا نجد للجبر مسلكا فى اعمالنا اليوميه يرتبط بهذه العقيده، بل اعمال الناس جميعا تصدر عنهم بصوره حرّه و مختاره و هم مسئولون عنها.

و جميع الأقوام فى الدنيا يقبلون حريه الاراده،بدليل تشكيل المحاكم و الادارات القضائيه لمحاكمه المتخلفين.

و جميع المؤسسات التربويه فى العالم تقبل بهذا الأصل ضمنا،و هو انّ الإنسان يعمل بإرادته و رغبته،و يمكن بإرشاده و تعليمه و تربيته ان يتجنب الاخطاء و الاشتباهات و الأفكار المنحرفه.

۲-واقع الإنسان بين السعاده و الشقاوه

الطريف انّ لفظ«شقوا»فى الآيات المتقدمه ورد بصيغه المبنى للمعلوم، و لفظ«سعدوا» (۱) ورد بصيغه المبنى للمجهول، و لعل فى هذا الاختلاف فى التعبير اشاره لطيفه الى هذه المسأله الدقيقه،و هى انّ الإنسان يطوى طريق الشقاء بخطاه،و لكن لا بدّ لطىّ طريق السعاده فى الأمداد و العون الالهى،و الاّ فإنّه لا يوفّق فى مسيره،و لا شكّ انّ هذا الأمداد و العون يشمل أولئك الذين يخطون خطواتهم الاولى بإرادتهم و اختيارهم فحسب و كانت فيهم اللياقه و الجداره لهذا الأمداد.(فلاحظوا بدقه).

ص:۶۴

۱- ۱) «سعدوا»من ماده(سعد)و حسب رأى اصحاب اللغه فإنّ هذا الفعل لازم و لا يتعدّى الى مفعول،فعلى هذا ليست له صيغه للمجهول،فاضطروا ان يقولوا:انّه مخفّف من(اسعدوا)و بابه(الأفعال)و لكن كما ينقل الآلوسى فى كتاب روح المعانى فى شرح الآيه عن بعض اهل اللغه،انّ الفعل الثلاثى من«سعد»يتعدّى الى المفعول ايضا-قالوا:سعده اللّه و هو مسعود،فعلى هذا لا حاجه الى ان نقول بأنّ(سعدوا)مخفف من«اسعدوا»«فتدبّر».

۳-مسأله الخلود فی القرآن

اشاره

معنی«الخلود»لغه البقاء الطویل،کما جاء بمعنی الأبد ایضا،فکلمه «الخلود»لا تعنی الأبد وحده لأنّه تشمل کل بقاء طویل.

و لکن ذکرت فی کثیر من آیات القرآن مع قیود یفهم منها معنی الأبد،فمثلا فی الآیه(۱۰۰)من سوره التوبه،و الآیه(۱۱)من سوره الطلاق،و الآیه(۹)من سوره التغابن،حین تـذکر هـذه الآیات اهل الجنّه تأتی بالتعبیر عنهم خالِدِینَ فِیها أَبَداً و مفهومها ابدیّه الجنّه لهؤلاء،ما نقرا فی آیات القرآن الاخری وصف اهل النّار کالآیه(۱۶۹)من سوره النساء،و الآیه(۲۳)من سوره الجن هـذا التعبیر ایضا خالِدِینَ فِیها أَبَداً و هو دلیل علی عذابهم الابدی.

و تعبیرات اخری مثل الآیه(۳)من سوره الکهف ماکِثِینَ فِیهِ أَبَداً و الآیه (۱۰۸)من سوره الکهف ایضا لا یَبْغُونَ عَنْها حِوَلاً و أمثالها تدل بصوره قطعیّه علی انّ طائفه من اهل الجنّه و طائفه من اهل النّار سیبقون فی العذاب او النعمه.

و لـم یسـتطع البعض ان یحـل الإشـکالات فی الخلـود و الجزاء الابـدی،فاضـطر الی الرجـوع الی معنـاه اللغـوی و فسّره بالبقـاء الطویل،علی حین انّ تعابیر کالتعابیر الوارده فی الآیات المتقدمه لا تفسّر بمثل هذا التّفسیر.

سؤال مهم:

هنا ترتسم فی ذهن کل سامع علامه استفهام کبیره،إذ کیف نتصوّر عـدم التعادل عنـد اللّه بین الـذنب و العقاب؟!و کیف یمکن القبول بأن یقضـی الإنسان کل عمره الـذی لا یتجاوز ثمانین سـنه-او مائه سـنه علی الأکثر بالعمل الصالح او بالإثم،ثمّ یثاب علی ذلک او یعاقب ملایین الملایین من السنین.

و هـذا الأمر لیس مهما بالنسبه للثواب لانّ الأجر و الثواب کلما ازداد کان دلیلا علی کرم المثیب و المعطی،فلا مجال للمناقشه فی هذا الأمر.

و لکن السؤال یرد فی العمل السیء و الذنب و الظلم و الکفر،و هو:«هل

ینسجم العذاب الدائم مقابل ذنب محدود مع اصل العدل عند اللّه»؟فالذی لم تتجاوز مرحله ظلمه و طغیانه و عناده فی أقصی ما یمکن احتماله مائه سنه،کیف یعذب فی النّار عذابا دائما؟أ فلا تقتضی العداله ان یکون هناک نوع من التعادل؟ فمثلا یعاقب مائه سنه بمقدار اعماله السیئه.

الاجوبه غیر المقنعه

انّ تعقید المسأله کان السبب فی توجیه معانی آیات الخلود عند البعض و تفسیرها بما لا یستفاد منه العقاب الدائم الذی هو علی خلاف اصل العداله فی عقیدتهم...

۱-ذهب البعض:إنّ المقصود ب«الخلود»هو المعنی المجازی او الکنائی عنه،ای مده و طویله نسبیّا،کما یقال مثلا لأولئک الذین یحکم علیهم بالسجن طول عمره«محکوم علیه بالسجن المؤبد»مع انّه من المسلم به لا ابدیّه فی السجن حیث ینتهی السجن،مع انتهاء و یقال فی العربیه ایضا«یخلّد فی السجن» و هو مأخوذ من الخلود فی هذه الموارد.

۲-و قال آخرون:انّ أمثال هؤلاء الطغاه و المعاندین الذین اکتنفت وجودهم الآثام،فتحوّل وجودهم الی ماهیه الکفر او الإثم،هؤلاء و ان بقوا فی نار جهنم دائمین،الاّ انّ جهنّم لا تبقی علی حالها،فسیأتی یوم تنطفی نارها.کأیه نار اخری،و یعم اهل النّار نوع من الهدوء و الراحه.

۳-و احتمل آخرون انّه مع مرور الزمان و بعد معاناه العذاب الطویل ینسجم اهل النّار مع محیطهم،ای انهم یتطبّعون و یتعوّدون علی هذا المحیط شیئا فشیئا حتی تبلغ بهم الحاله الاّ یحسوا بالعذاب و الشقاء.

و بالطبع فإنّ الداعی الی هذه التوجیهات هو عجزهم و عدم استطاعتهم ان یحلّوا مشکله خلود العذاب و دوامه،و الاّ فإن ظهور آیات الخلود فی دیمومه العذاب و بقائه غیر قابله للإنکار.

ص :۶۶

الحلّ النهائی للإشکال

و من اجل حلّ هذا الاشکال ینبغی ان نعود الی البحوث السالفه و نعالج الاشتباهات الناشئه من قیاس مجازاه یوم القیامه بالمجازاه الاخری،لیعلم انّ مسأله الخلود لا تنافی عداله اللّه ابدا.

و لتوضیح هذا البحث ینبغی الالتفات الی ثلاثه اصول:

۱-انّ العذاب الدائم-و کما أشرنا الیه من قبل-هو لأولئک الذین اوصدوا أبواب النجاه بوجوههم،و اضحوا غرقی الفساد و الانحراف عامدین،و غشی الظلّ المشؤوم للاثم قلوبهم و أرواحهم فاصطبغوا بلون الکفر،و کما نقرا عنهم فی سوره البقره الآیه(۸۱) بَلیٰ مَنْ کَسَبَ سَیِّئَهً وَ أَحاطَتْ بِهِ خَطِیئَتُهُ فَأُولٰئِکَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِیها خالِدُونَ .

۲-یخطئ من یتصور انّ مدّه العقاب و زمانه ینبغی ان تکون علی قدر مدّه الإثم و زمانه،لانّ العلاقه بین الإثم و العقاب لیست علاقه زمانیه بل کیفیه،ای ان زمان العقاب یتناسب مع کیفیه الإثم لا مع زمانه.

فمثلا قد یقدم شخص فی لحظه علی قتل نفس محترمه،و طبقا لما فی بعض القوانین یحکم علیه بالحبس الدائم،فهنا نلاحظ انّ زمن الإثم لحظه واحده،فی حین انّ العقاب قد یبلغ ثمانین سنه.

اذن المهم فی الإثم هو«کیفیته»لا«کمیه زمانه».

۳-قلنا انّ العقاب و المحاسبات فی یوم القیامه لها اثر طبیعی للعمل و خصوصیه الذنب،و بعباره أوضح:ان ما یجده المذنبون من الم و أذی یوم القیامه هو نتیجه اعمالهم التی أحاطت بهم فی الدنیا.

نقرا فی القرآن کما فی سوره یس الآیه(۵۴): فَالْیَوْمَ لاٰ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَیْئاً وَ لاٰ تُجْزَوْنَ إِلاّٰ مٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ و نقرا فی الآیه(۳۳)من سوره الجاثیه: وَ بَدٰا لَهُمْ سَیِّئٰاتُ مٰا عَمِلُوا وَ حٰاقَ بِهِمْ مٰا کٰانُوا بِهِ یَسْتَهْزِؤُنَ و فی سوره القصص الآیه

(۸۴): فَلاٰ يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئٰاتِ إِلاّ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ .

و الآن و بعد ان اتّضحت مقدمات هذه الأصول،فإنّ الحل النهائى لهذا الاشكال لم يعد بعيدا،و يكفى للوصول اليه ان نجيب على الاسئله التاليه.

و لنفرض انّ شخصا يبتلى بالقرحه المعديه نظرا لادمانه على المشروبات الكحوليه لمدّه سبعه ايّام تباعا،فيكون مجبورا على تحمل الألم و الأذى الى آخر عمره،ترى هل هذه المعادله بين هذا العمل السيء و نتيجته مخالفه للعداله؟! و لو كان عمر هذا الإنسان(مكان الثمانين سنه)الف سنه او مليون سنه،و لأجل نزوته النفسيه بشرب الخمر أسبوعا يتألم طول عمره،ترى هل هذا التألم لمليون سنه-مثلا-مخالف لاصل العداله...فى حين انّه ابلغ حال شرب الخمر بوجود هذا الخطر و اعلم بنتيجته؟ و لنفرض ايضا انّ سائق،سياره لا يلتزم بأوامر المرور و مقرراته،و الالتزام بها ينفع الجميع قطعا و يقلل من الحوادث المؤسفه،لكنه يتجاهلها و لا يصغى لتحذير اصدقائه...و فى لحظه قصيره تقع له حادثه-و كل الحوادث تقع فى لحظه-و يفقد بذلك عينه او يده او رجله فى هذه اللحظه.و نتيجه لما وقع يعانى الألم سنين طويله لفقده البصر او اليد او الرجل،فهل تتنافى هذه الظاهره فيه مع اصل عداله اللّه؟! و نأتى هنا بمثال آخر-و الامثله تقرب الحقائق العقليّه الى الذهن و تهيّؤ لنيل النتيجه النهائيه-فلنفرض اننا نثرنا على الأرض عده غرامات من بذور الشوك،و بعد عدّه أشهر او عده سنوات نواجه صحراء مليئه بالشوك الذى يدمى أقدامنا و على العكس ننثر بذور الزهور-مع اطلاعنا-و لا تمرّ فتره حتى نواجه خميله مليئه بالازهار العطره،فهى تعطرنا و تنعش قلوبنا، فهل فى هذه الأمور التى هى آثار لأعمالنا منافاه لاصل العداله فى حين انّه لا مساواه بين كميه هذا العمل و نتيجته؟

و من مجموع ما بيناه نستنتج ما يلى:

حين يكون الجزاء و الثواب نتيجه و أثرا لعمل المرء نفسه،فإنّ مسأله المساواه من حيث الكميه و الكيفيه لا تؤخذ بنظر الاعتبار.فما اكثر ما يكون العمل صغيرا فى الظاهر،و لكنه يحوّل حياه الإنسان الى جحيم و عذاب و الم طيله العمر،و كذلك ما اكثر ما يكون العمل صغيرا فى الظاهر،و لكنّه يكون سببا للخيرات و البركات طيله عمر الإنسان! ينبغى ان لا يتوهم انّ المقصود من صغر العمل(من حيث مقدار الزمان)لانّ الأعمال و الذنوب الداعيه الى خلود الإنسان فى العذاب ليست صغيره من حيث الاهميه و الكيفيّه.

فعلى هذا حين يحيط الذنب و الكفر و الطغيان و العناد بوجود الإنسان و يحرق جميع أجنحته و ريشه و روحه فى نار ظلمه و نفاقه،فأى مكان للعجب ان يحرم فى الدار الآخره من التحليق فى سماء الجنّه و ان يكون مبتلى هناك بالعذاب و البلاء.

ترى امّا حذّروه و أبلغوه و انذروه من هذا الخطر الكبير؟! اجل فأنبياء اللّه من جهه،و ما يأمره العقل من جهه اخرى...جميعا حذروه بما يلزم،فهل كان ما اقدم عليه من دون اختياره فلقى هذا المصير،ام كان عن علم و عمد و اختيار؟الحقيقه هو انّه كان عالما عامدا.

و كانت نفسه و نتيجه اعماله المباشره قد ساقته الى هذا المصير؟!بل انّ كل ما حدث له فهو من آثار اعماله! فلهذا لم يبق مجال للشكوى،و لا إيراد او اشكال مع احد،و لا منافاه مع قانون عداله اللّه سبحانه.

۴-مفهوم الخلود فی هذه الآیات

هل الخلود فی الآیات-محل البحث-بمعنی البقاء الدائم؟!او هو بالمعنی اللغوی المراد منه المدّه الطویله؟ قال بعض المفسّرین:بما انّ الخلود مقید هنا بقوله مٰا دٰامَتِ السَّمٰاوٰاتُ وَ الْأَرْضُ فإنّ الخلود لیس معناه البقاء الابدی الدائم،لانّ السّماوات و الأرض لا أبدیه لهما...و طبقا لصریح القرآن فإن یوما سیأتی تنطوی فیه السّماوات و تبدل الأرض الی ارض اخری. (۱) .

و لکن،مع ملاحظه انّ مثل هذه التعابیر فی اللغه العربیه یراد بها البقاء الدائم، فالآیات-محل البحث-ایضا تبیّن الدوام.

فمثلا تقول العرب:هذا الأمر قائم ما لاح کوکب،او ما کرّ الجدیدان(اللیل و النهار)او ما أضاء فجر،او ما اختلف اللیل و النهار،و أمثالها...و هی کنایه عن البقاء الدائم،و نقرا عن الامام علی علیه السّلام فی نهج البلاغه و ذلک حین أشکل علیه بعض المنتقدین الجهله علی تقسیمه من بیت المال بالسویّه و عدم التمییز بین مقامات الناس لتوطید دفه الحکم.

فانزعج الامام علیه السّلام و

قال: «أ تأمرنی ان اطلب النصر بالجور فی من ولیت علیه؟و اللّه لا اطور به ما سمر سمیر و ما امّ نجم فی السّماء نجما». (۲)

و نقرا فی قصیده دعبل الخزاعی المعروفه التی أنشدها فی حضره الامام علی بن موسی الرضا علیه السّلام هذا البیت:

سأبکیهم ما ذرّ فی الأفق شارق

و نادی منادی الخیر فی الصلوات (۳)

و بالطبع فإنّ هذا الاستعمال لیس مخصوصا بلغه العرب و آدابها،ففی اللغات

۱- ۱) کما فی سوره ابراهیم،الآیه(۴۸)،و الأنبیاء،الآیه(۱۰۴).

۲- ۲) نهج البلاغه،الخطبه ۱۲۶.

۳- ۳) نور الأبصار للشبلنجی،ص ۱۴۰ و کتاب الغدیر،و کتب أخری.

الاخری یوجد مثل هذا الاستعمال ایضا...علی کل حال فإنّ دلاله الآیه علی الدوام قطعیه و غیر قابله للنقاش.

۵-ما معنی الاستثناء فی الآیه

؟ الجمله الاستثنائیه إِلاّ ما شاءَ رَبُّکَ التی وردت فی الآیات المتقدمه فی اهل الجنّه و فی اهل النّار ایضا،اضحت میدانا واسعا للمفسرین و مثارا للبحث، و قد نقل المفسّر الکبیر الطبرسی فی تفسیر هذا الاستثناء عشره أوجه عن المفسّرین القدامی،و نعتقد انّ کثیرا من هذه الأوجه ضعیف و لا ینسجم مع الآیات السابقه او اللاحقه،و لذلک نغض النظر عنها،و نورد ما نراه صحیحا هنا، هو وجهان فحسب:

۱-الهدف فی بیان هذا الاستثناء ان لا یتصور انّ الخلود فی النار او فی الجنّه جار علی غیر مشیئه اللّه و ارادته بما یعطی معنی الإلزام و تحدید قدره اللّه تعالی و ارادته،بل فی الوقت الذی یکون اهل الجنّه و اهل النار خالدین فیهما، فإنّ قدره اللّه و ارادته حاکمه علی الجمیع،و انّ العذاب و الثواب یتحققان بمقتضی حکمته لکلّ من هذین الطرفین.

و الشاهد علی هذا الکلام ما ورد فی الجمله الثّانیه بعد الاستثناء و هی قوله تعالی: عَطاءً غَیْرَ مَجْذُوذٍ ای غیر منقطع،و هو دلیل علی انّ الجمله الاستثنائیه لبیان قدرته فحسب.

۲-و حیث تذکر الآیات هذین الطرفین فَمِنْهُمْ شَقِیٌّ وَ سَعِیدٌ فلیس الأشقیاء هم الکفار المستحقین للخلود فی النّار فقط بل قد یوجد بینهم مؤمنون من اهل الکبائر فیکون هؤلاء داخلین فی هذا الاستثناء.

و لکن قد ینقدح هذا السؤال ایضا و هو:ما المراد من الاستثناء فی الجمله الثّانیه(التی تتحدث عن الذین سعدوا)؟

ص: ۷۱

و فى الجواب على هذا السؤال أجيب-ايضا-بأنّ المؤمنين المذنبين يدخلون النّار اوّلا ليتطهروا من الذنوب،ثمّ يلتحقون بصفوف اهل الجنّه.

فإنّ الاستثناء فى الجمله الاولى هو بالنسبه لآخر الأمر...و فى الجمله الثّانيه لاوّل مرّه(فلاحظوا بدقّه).

و يحتمل فى الجواب على السؤال الآنف الذكر انّ الاستثناء فى الجمله الاولى اشاره الى المؤمنين المذنبين الذين يعتقون من النّار بعد مده،و الاستثناء فى الجمله الثّانيه اشاره الى قدره اللّه سبحانه،و الشاهد على هذا الكلام ورود قوله تعالى إِنَّ رَبَّکَ فَعّالٌ لِما يُرِيدُ فى الجمله الاولى بعد الاستثناء،ليدل على تحقق المشيئه الالهيه، و فى الجمله الثّانيه ورد قوله تعالى: عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ليدل على الابديّه(فتدبّر).

و قد احتمل البعض ان يكون العقاب و الثواب متعلقان بحياه البرزخ«النعيم فى البرزخ او الشقاء فى البرزخ»التى تكون محدوده المدّه و لا بدّ ان تنتهى، و لكنّه احتمال بعيد جدّا،لانّ الآيات المتقدمه تتحدث عن يوم القيامه بصراحه، و علاقه هذه الآيات بتلك الآيات علاقه لا تقبل الانفكاک.

كما انّ احتمال كون الخلود هنا بمعنى المدّه الطويله-كما هو فى بعض آيات القرآن الاخرى،و ليس هو البقاء الدائم الابدى-لا ينسجم مع قوله تعالى:

عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ

و لا مع الاستثناء نفسه الذى يدل على الابديه فى الجمل السابقه.

۶-تقول الآيات المتقدمه فى شأن اهل النّار: لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ و قد احتمل اهل اللغه و المفسّرون فى معنى هاتين الكلمتين«الزفير و الشهيق» احتمالات متعدده:

۱-فقال البعض:المراد ب«الزفير»هو الصراخ المصطحب بإخراج النفس الى الخارج،و امّا«الشهيق»فهو الأنين المقترن بسحب الهواء الى داخل الرئه.

۲-و قال آخرون:انّ الزفیر هو بدایه صوت الحمار و الشهیق نهایته،و لعل هذا التّفسیر لا تختلف عن التّفسیر الاوّل کثیرا.

و علی کل حال فإنّ هذین الصوتین یحکیان عن صراخ و عویل اهل النّار الذین یضجون-من الحزن و الغمّ و الحسره-ضجیجا یملا جمیع وجودهم و یدلّ علی منتهی اذاهم و شدّه عذابهم.

و ینبغی الالتفات الی انّ«الزفیر و الشهیق»کلاهما مصدر،و«الزفیر»فی الأصل حمل العبء الثقیل علی الکتف،و لانّ هذا العمل یؤدی الی التأوه و الضجیج فقد سمیّ زفیرا،و امّا«الشهیق»فمعناه فی الأصل الاطاله و الارتفاع، و من هنا فقد سمی الجبل المرتفع بالجیل الشاهق ایضا،ثمّ أطلقوا هذا اللفظ «الشهیق»علی الأنین.

اسباب السعاده و الشقاء

السعاده ضالّه کل الناس،و کلّ واحد یبحث عنها فی شیء ما و یطلبها فی مکان ما،و هی توفّر اسباب تکامل الفرد فی المجتمع،و النقطه المقابله لها هی الشقاء الذی یتنفر منه کل احد،و هو عباره عن عدم مساعده الظروف للنجاح و التقدم و التکامل.

فعلی هذا،کل من توفرت له اسباب التحرک و التقدم نحو الاهداف السامیه روحیا و جسمیا و عائلیا و بیئیا و ثقافیا،فهو اقرب للسعاده،و بتعبیر آخر هو اکثر سعاده! و لکن ینبغی الالتفات الی انّ أساس السعاده او الشقاء هو اراده الإنسان نفسه،فهو یستطیع ان یوفر الوسائل لترشید نفسه و حتی مجتمعه،و هو الذی یستطیع ان یواجه عوامل الشقاء و یهزمها او یستسلم لها.

و لیس الشقاء او السعاده فی منطق الوحی و مدرسه الأنبیاء فی داخل ذات

ص:۷۳

الإنسـان شـيئا و حتى النواقص فى المحيـط و العـائله و الوراثه كـل ذلـك قابل للتغيير بتصـميم الإنسان و ارادته الاّ ان ننكر اصـل الاـراده فى الإنسان و حريته،و نعـدّه محكوما بالظروف الجبريه،و كل من سـعادته او شـقائه ذاتى او هو نتيجه جبريه لمحيطه،و ما الى ذلك.

و هذا الراى مرفوض فى نظر الأنبياء و فى نظر المذهب العقلى ايضا.

الطريف انّنـا نجـد فى الرّوايـات المنقوله عن النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و اهـل البيت عليهم السّـلام إشـارات الى مسـائل مختلفه على انّها اسباب السـعاده،او اسـباب الشـقاء...بحيث يتعرف الإنسان خلال مطالعتها على طريقه التفكير الاسلامى فى هذه المسـأله المهمّـه،و سـيقف على الواقعيـات العينيـه و اسـباب السـعاده الحقيقيـه،بـدلا مـن ان يقـف عليهـا فى المسائـل الخرافيـه و التصوّرات و السنن الخاطئه الموجوده فى كثير من المجتمعات.

و نلفت نظر القارئ الكريم على سبيل المثال الى بعض الأحاديث الشريفه فى هذا الصدد:

١-ينقل

الامـام الصّادق عليه السّـلام عن جـدّه امير المؤمنين عليه السّـلام انّه قال «حقيقه السـعاده ان يختم للرجل عمله بالسـعاده و حقيقه الشقاوه ان يختم للرجل بالشقاوه» (١) .

فهذه الرّوايه تقول بصـراحه:انّ المرحله النهائيه لعمر الإنسان و اعماله هى المرحله التى تكشف عن سـعادته و شقاوته،و على هذا فهى تنفى السـعاده او الشـقاء الـذاتيين،و تجعل الإنسان رهين عمله،كما تجعل طريق العوده مفتوحا فى جميع المراحل حتى نهايه عمره.

٢-و نقرا

فى حديث آخر عن الامام على عليه السّلام «السعيد من وعظ بغيره

ص: ٧۴

١- ١) تفسير نور الثقلين،ج ٢،ص ٣٩٨.

و الشقی من انخدع لهواه و غروره» (۱) .

و کلام الامام علی علیه السّلام هذا تأکید آخر علی عدم ذاتیه السعاده و الشقاء و بیان بعض أسبابهما.

۳-و

یقول نبی الإسلام صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ایضا: «اربع من اسباب السعاده و اربع من الشقاوه،فالأربع التی من السعاده المراه الصالحه،و المسکن الواسع،و الجار الصالح،و المرکب البهیّ.و الأربع التی من الشقاوه:الجار السوء،و المراه السوء، و المسکن الضیق،و المرکب السوء» (۲) .

مع ملاحظه انّ هذه الأمور الاربعه لها تأثیر بالغ فی الحیاه المادیه و المعنویه لکل احد،و یمکن ان تکون من عوامل النجاح او الفشل و تتّضح بهذا سعه مفهوم السعاده و الشقاوه فی منطق الإسلام.

فالمرأه الصالحه ترغّب الإنسان فی انواع«الحسنات»،و البیت الواسع یهب روح الإنسان و فکره الهدوء و الراحه و یهیئه للنشاط و الفعالیه،و الجار الصالح الذی یقدم له عونا مؤثرا فی راحته و استقراره و حتی فی تقدم اهداف الانسانیه، المرکب الجید عامل مؤثر فی الوصول الی الأعمال و الوظائف الاجتماعیه،فی حین انّ المرکب السوء یکون عاملا فی التأخیر و لا یوصل صاحبه الی هدفه.

۴-کما

روی عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم هذا الحدیث ایضا: «من علامات الشقاء:جمود العینین،و قسوه القلب،و شدّه الحرص فی طلب الرزق،و الإصرار علی الذنب» (۳) .

هذه الأمور الاربعه التی وردت فی الحدیث المتقدم،هی امور اختیاریه و هی نتیجه اعمال الإنسان و أخلاقه الاکتسابیه نفسه،و علی هذا فإنّ ابعاد اسباب الشقاء هذه تکمن فی اختیار الإنسان نفسه.

۱- ۱) نهج البلاغه،الخطبه ۸۶.

۲- ۲) مکارم الأخلاق،ص ۶۵.

۳- ۳) تفسیر نور الثقلین،ج ۲،ص ۳۹۸.

و إذا لاحظنا اسباب السعاده و الشقاوه فی الأحاديث المتقدمه و حقيقتهما و اثرهما البالغ فی حياه البشر،و قارنّاهما مع الأسباب و المسائل الخرافيه التی يعتقد بها جمع كثير-حتی فی عصرنا عصر الذّره و الفضاء-لوصلنا الی هذا الواقع الذی يؤكّد انّ التعاليم الاسلاميه منطقيّه و مدروسه الی أقصی حد.

و لا يزال الی اليوم من يعتقد انّ نعل الفرس سبب للسعاده،و انّ اليوم الثّالث عشر سبب لسوء الحظّ...و القفز علی النّار فی بعض ليالی السنه من اسباب السعاده،و صوت بعض الطيور سبب للشقاء و سوء الحظ،و سكب الماء عند خروج المسافر من اسباب السعاده،و العبور من تحت السلم سبب للشقاء!! و حتی تعليق بعض الأشياء فی رقبه الفرد او علی وسائل النقل من اسباب السعاده و العطاس علامه علی الفشل إذا كان حين العمل و كثير من أمثال هذه الخرافات نجدها فی الشرق و الغرب بين الأقوام و الأمم المتعدده.

و كم من أناس تعطلوا عن نشاطهم فی الحياه نتيجه ابتلائهم بمثل هذه الخرافات و أصبحوا رهن المصائب الكثيره.

لقد شطب الإسلام بقلم احمر علی جميع هذه التصوّرات الخرافيه،و حدّد- مبيّنا بوضوح-سعاده الإنسان و شقاوته فی الفعاليّات الايجابيه و السلبيه و نقاط الضعف و القوّه فی الأخلاق و المناهج العمليه و طريقه التفكير و العقيده لكل فرد، من خلال الامثله التی قدمناها فی الأحاديث الاربعه عن اهل البيت عليهم السّلام.

الآیات [سوره هود (١١): الآیات ١٠٩ الی ١١٢]

اشاره

فَلا تَکُ فِی مِرْیَهٍ مِمّا یَعْبُدُ هؤُلاءِ ما یَعْبُدُونَ إِلّا کَما یَعْبُدُ آباؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِنّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِیبَهُمْ غَیْرَ مَنْقُوصٍ (١٠٩) وَ لَقَدْ آتَیْنا مُوسَی الْکِتابَ فَاخْتُلِفَ فِیهِ وَ لَوْ لا کَلِمَهٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّکَ لَقُضِیَ بَیْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَفِی شَکٍّ مِنْهُ مُرِیبٍ (١١٠) وَ إِنَّ کُلاًّ لَمّا لَیُوَفِّیَنَّهُمْ رَبُّکَ أَعْمالَهُمْ إِنَّهُ بِما یَعْمَلُونَ خَبِیرٌ (١١١) فَاسْتَقِمْ کَما أُمِرْتَ وَ مَنْ تابَ مَعَکَ وَ لا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ (١١٢)

التّفسیر

اشاره

الاستقامه و الثّبات:

هذه الآیات-فی الحقیقه-بمثابه تسلیه لخاطر النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،کما انّها نازله لبیان وظیفته و مسئولیته،و فی الواقع انّ من أهم النتائج التی یتوصل إلیها من القصص السابقه للأمم الماضیه هی ان لا یکترث النّبی و من معه من اتباعه المؤمنون حقّا من کثره الأعداء،و لا یخافوا منهم،و لا یشکّوا او یتردّدوا فی هزیمه عبده الأصنام و الظالمین الذی یقفون بوجوههم،و ان یواصلوا طریقهم و یعتمدوا علی اللّه واثقین به.

ص: ٧٧

لذلک یقول القرآن الکریم فی هذا الصدد:

فَلاٰ تَکُ فِی مِرْیَهٍ مِمّٰا یَعْبُدُ هٰؤُلاٰءِ مٰا یَعْبُدُونَ إِلاّٰ کَمٰا یَعْبُدُ آبٰاؤُهُمْ

(۱)

.

و یقول بعدها مباشره: وَ إِنّٰا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِیبَهُمْ غَیْرَ مَنْقُوصٍ علی انّ جمله موفوهم نصیبهم تعنی أداء الحق کاملا،لکن ذکر کلمه غیر منقوص للتأکید اکثر علی هذه المسأله.

و فی الحقیقه انّ هذه الآیه تجسّم هذه الحقیقه،و هی انّ ما قرأناه من قصص الأمم السابقه لم یکن اسطوره،کما انّها لا تختص بالماضین،فهی سنّه ابدیه و خالده و هی لجمیع الناس ماضیا و حاضرا و مستقبلا.

غایه ما فیه الأمر انّ هذا العقاب فی کثیر من الأمم السابقه نزل علی شکل بلایا مهوله و عظیمه،لکنّه وجد شکلا آخر فی شأن أعداء نبی الإسلام،و هو انّ اللّه اعطی القدره و القوه العظیمه لنبیّه و أصحابه المؤمنین بحیث استطاع ان یهزم أعداءه الظالمین اللجوجین الذین أصروا علی انحرافهم و غرورهم.

و یسلّی القرآن قلب النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مرّه اخری،فیحدّثه عن موسی و قومه قائلا:

وَ لَقَدْ آتَیْنٰا مُوسَی الْکِتٰابَ فَاخْتُلِفَ فِیهِ

...و یقول إذا ما رأیت انّ اللّه لا یعجل العذاب علی قومک،فلانّ مصلحه الهدایه و التعلیم و التربیه لقومک توجب ذلک و الاّ فانّ القرار الالهی المسبق یقتضی التعجیل بعملیه التحکیم و القضاء و بالتالی إنزال العقاب وَ لَوْ لاٰ کَلِمَهٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّکَ لَقُضِیَ بَیْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَفِی شَکٍّ مِنْهُ مُرِیبٍ و بالرغم من ذلک فهم فی شک من هذا الأمر (۲) .

---

۱ – ۱) «المریه»علی وزن«جزیه»کما تأتی علی وزن«قریه»و معناها التردد فی التصمیم علی امر ما...و قد قال البعض: انّها تعنی الشکّ المقترن بالتهمه،و الجذر الاصلی لهذه الکلمه معناه عصر ثدی الناقه بعد احتلابها.علی امل ان یکون شیء من اللبن لا یزال باقیا فی الثدی،و لانّ هذا العمل منشؤه التردد و الشک فلذلک أطلقت الکلمه علی کل ما فیه شکّ و تردد.

۲ – ۲) هناک کلام بین المفسّرین فی عوده الضمیرین«هم»و«منه»علی ایه کلمتین فی الآیه؟!فقال بعضهم:انّ هذا الضمیر هم«و انهم»یعود علی قوم موسی و«منه»یعود علی کتاب(التوراه)فمعنی الآیه:ان هؤلاء القوم لا یزالون یشکّون فی

کلمه«مریب»مشتقّه من«الریب»و معناه الشکّ المقترن بسوء الظن و النظره السیئه و القرائن المخالفه،و علی هذا فیکون مفهوم هذه الکلمه انّ عبده الأصنام ما کانوا یترددون فی مسأله حقیقه القرآن او نزول العذاب علی المفسدین فحسب،بل کانوا یدّعون بأنّ لدیهم قرائن تخالف ذلک ایضا.

امّا«الراغب»فیقول فی«مفرداته»:انّ معنی الریب هو الشک الذی یرفع عنه الحجاب بعدئذ و یعود الی الیقین،فعلی هذا یکون مفهوم الآیه انّ الحجاب سیکشف عاجلا-عن حقانیه دعوتک و کذلک عن عقاب المفسدین و تظهر حقیقه الأمر! و یضیف القرآن لمزید التأکید وَ إِنَّ کُلاًّ لَمّا لَیُوَفِّیَنَّهُمْ رَبُّکَ أَعْمالَهُمْ و هذا الأمر لیس فیه صعوبه علی اللّه و لا حرج إذ إِنَّهُ بِما یَعْمَلُونَ خَبِیرٌ .

الطریف انّ القرآن یقول: لَیُوَفِّیَنَّهُمْ ... أَعْمالَهُمْ لیشیر مرّه اخری الی مسأله تجسّم الأعمال و انّ الجزاء و الثواب هما فی الحقیقه اعمال الإنسان نفسه التی تتخذ شکلا آخر و تصل الیه ثانیه.

و بعد ذکر قصص الأنبیاء و الأمم السابقه و رمز نجاحهم و نصرهم،و بعد تسلیه قلب النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و تقویه ارادته،یبیّن القرآن-عن هذا الطریق-اهمّ دستور امر به النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هو فَاسْتَقِمْ کَما أُمِرْتَ .

«استقم»فی طریق الإرشاد و التبلیغ...استقم فی طریق المواجهه و المواصله...استقم فی أداء الوظائف الالهیه و نشر التعلیمات القرآنیه.

و لکن هذه الاستقامه لیست لینال فلان او فلان مستقبلا زاهرا،و لیست للریاء و ما شابه ذلک،و لیست لاکتساب عنوان البطوله،و لا اکتساب«المقام»او «الثروه»او«الموفقیه»او«القدره»،بل هی لمجرّد طاعه اللّه و اتباع امره

۲)

کتاب موسی،و لکن قال آخرون:ان الضمیر فی(انهم)یعود علی مشرکی مکه و«منه»یعود علی القرآن،و بملاحظه ان الآیات جاءت لتسلیه قلب النبی فیکون التفسیر الثانی اقرب للنظر.

كَما أَمِرْتَ

.

كما انّ هـذه الاسـتقامه ليست عليك وحـدك،فعليك ان تسـتقيم أنت وَ مَنْ تابَ مَعَكَ اسـتقامه خاليه من كل زياده و نقصان و افراط أو تفريط وَ لا تَطْغَوْا إذ إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ و لا تخفى عليه حركه و لا قول و لا اى خطّه اخرى...إلخ.

المسؤوليه الكبيره!!

نقرا فى حـديث معروف عن ابن عباس انّه قال:ما نزل على رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم آيه كانت اشدّ عليه و لا اشـقّ من هذه الآيه.و لذلك قال لأصحابه حين قالوا له:

اسرع إليك الشيب يا رسول اللّه

قال:صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «شيبتنى هود و الواقعه» (۱) .

و نقرا

فى روايه اخرى انّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال حين نزلت هذه الآيه: «شمّروا شمّروا...فما رئى ضاحكا...» (۲) .

و الدليل واضح،لانّ اربعه أوامر مهمّه موجوده فى هذه الآيه يلقى كل واحد منها عبئا ثقيلا على الكتف.

و أهمهـا الأـمر بالاستقامه...الاسـتقامه(المشـتقه من مـاده القيـام)من جهه انّ الإنسـان يكون تسـلطه و سـعيه فى عمله حـال القيـام اكثر...الاسـتقامه التى معناهـا طلب القيام،اى أوجـد حاله فى نفسك بحيث لا تجـد طريقا للضـعف فيك،فما اصـعبه من امر و ما اشـدّه؟! غالبا ما يكون النجاح فى العمل امرا هيّنا نسبيا...لكن المحافظه على النجاح فيها كثير من الصـعوبه...و فى اى مجتمع؟!فى مجتمع متأخر متخلف...

فى مجتمع بعيد عن العلم و التعقل..فى مجتمع لجوج و بين اعداء كثيرين

۱- ۱) تفسير مجمع البيان،ج ۵،ص ۱۹۹.

۲- ۲) الدر المنثور فى تفسير الآيه هذه.

معاندین...و فی سبیل بناء مجتمع سالم و حضاره انسانیه زاهره فالاستقامه فی هذا الطریق لیس امرا هیّنا.

و الأمر الآخر:ان تحمل هـذه الاسـتقامه هـدفا الهیا فحسب،و ان تکون الوساوس الشـیطانیه بعیـده عنها تماما،ای ان تکتسب هـذه الاستقامه اکبر القدرات السیاسیه و الاجتماعیّه من اجل اللّه.

و الأمر الثّالث:مسأله قیاده أولئک الذین رجعوا الی طریق الحق و تعویدهم علی الاستقامه ایضا.

و الأمر الرّابع:المواجهه و المبارزه فی مسیر الحق و العداله و القیاده الصـحیحه و صدّ کل انواع التجاوز و الطغیان،فکثیرا ما یبدی بعض الناس منتهی الاسـتقامه فی سبیل الوصول للهـدف،لکن لا یسـتطیعون ان یراعوا مسأله العـداله، و غالبا ما یبتلون بالطغیان و التجاوز عن الحدّ.

اجـل...مجموع هـذه الأـمور و توالیهـا علی النّبی حمّلته مسئولیه کبری، حتی انه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم ما رئی ضاحکا...و شیّبته هذه الآیه من الهمّ.

و علی کل حال فإنّ هذا الأمر لم یکن للماضی فحسب،بل هو للماضی و الحاضر و المستقبل،و هو للأمس و الیوم و الغد القریب و الغد البعید ایضا.

و الیوم مسـئولیتنا المهمّه-نحن المسـلمین ایضا،و بالخصوص قاده الإسـلام -تتلخّص فی هذه الکلمات الاربعه.و هی:الاسـتقامه،و الإخلاـص،و قیاده المؤمنین،و عـدم الطغیان و التجاوز.و دون ربط هـذه الأمور بعضـها الی بعض فإنّ النصـر علی الأعـداء الـذین احاطونـا من کـل جـانب من الـداخل و الخـارج، و اسـتفادوا من جمیع الاسالیب الثقافیه و السیاسـیه و الاقتصادیه و الاجتماعیه و العسکریّه...هذا النصر لا یکون سوی أوهام فی مخیله المسلمین.

ص :۸۱

الآیه [سوره هود (۱۱): آیه ۱۱۳]

اشاره

وَ لاٰ تَرْكَنُوا إِلَى اَلَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ اَلنّٰارُ وَ مٰا لَكُمْ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ مِنْ أَوْلِيٰاءَ ثُمَّ لاٰ تُنْصَرُونَ (۱۱۳)

التّفسیر

اشاره

الرّكون الى الظالمین:

انّ هـذه الآیه تـبیّن واحـدا من أقوی و أهم الاسـس و البرامـج الاجتمـاعیه و السیاسـیه و العسـكریه و العقائـدیه، فتخـاطب عـامه المسـلمین لیؤدوا وظیفتهم القطعیه فتقول: وَ لاٰ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا و السـبب واضـح فَتَمَسَّكُمُ النّٰارُ وَ مٰا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ أَوْلِيٰاءَ و معلوم عندئذ حالكم ثُمَّ لاٰ تُنْصَرُونَ .

ملاحظات

اشاره

۱-ما هو مفهوم الرّكون

؟ مفهوم«الركون»مشـتق من ماده«ركن»و معناه العمود الضخم من الحجر او الجدار الذی یربط البناء او الأشیاء الاخری بعضها الی بعض،ثمّ اطلق هذا اللفظ علی الاعتماد او الاستناد الی الشیء.

ص: ۸۲

و بـالرغم من انّ المفسّـرين اعطوا معانى كثيره لهـذه الكلمه فى تفسـيرهم للآيه،و لكنّها فى الغالب تعود الى مفهوم جامع و كلى فمثلاـ فسّـرها البعض بالميـل، و فسّـرها البعض ب«التعـاون»،و فسّـرها البعض ب«اظهـار الرضا»،و فسّـرها آخرون ب«المودّه»،كما فسرها جماعه بالطاعه و طلب الخير،و كل هذه المعانى ترجع الى الاعتماد و الاتكاء كما هو واضح.

٢–فى اىّ الأمور لا ينبغى الرّكون الى الظالمين

؟ بـديهى انّه فى الـدرجه الاـولى لاـ يصـح الاشتراك معهم فى الظلم او طلب الاعانه منهم،و بالـدرجه الثّانيه الاعتماد عليهم فيما يكون فيه ضـعف المجتمع الاسـلامى و سـلب اسـتقلاله و اعتماده على نفسه و تبديله الى مجتمع تابع و ضعيف لا يستحق الحياه، لانّ هذا الركون ليس فيه نتيجه سوى الهزيمه و التبعيه للمجتمع الاسلامى.

و امّا ما نلاحظه أحيانا من مسائل التبادل التجارى و الروابط العلميه بين المسـلمين و المجتمعات غير الاسـلاميه على أساس حفظ منافع المسلمين و استقلال المجتمعات الاسلاميه و ثباتها،فهذا ليس داخلا فى مفهوم الركون الى الظالمين و لم يكن شيئا ممنوعا من وجهه نظر الإسلام،و فى عصر النّبى نفسه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الاعصار التى تلته كانت هذه الأمور موجوده و طبيعيه ايضا.

٣–فلسفه تحريم الركون الى الظالمين

الرّكون الى الظـالمين يورث مفاسـد كثيره لاـ تخفى على احـد بصورتهـا الاجمـاليه و لكن كلّمـا تفحصـنا فى هـذه المسأله اكثر اكتشفنا مسائل دقيقه جديده.

فـالركون الى الظـالمين يبعث على تقويتهم،و تقويتهم مـدعاه الى اتسـاع رقعه الظلم و الفسـاد فى المجتمعـات،و نقرا فى الأـوامر الاسلاميه انّ الإنسان ما لم يجبر

«و فی بعض الأحیان حتی مع الإجبار»لا یحق له ان یراجع القاضی الظالم من اجل اکتساب حقّه،لان مراجعه مثل هذا القاضی الحاکم الجائر من اجل احقاق الحق مفهومها ان یعترف ضمنا برسمیته و تقواه،و لعل ضرر هذا العمل اکبر من الخساره التی تقع نتیجه فقدان الحق.

و الرکون الی الظلمه یؤثر تدریجا علی الثقافه الفکریه للمجتمع،فیضمحل مفهوم«قبح الظلم»و یؤدی بالناس الی الرغبه فی الظلم.

و أساسا لا نتیجه من الرکون الی الغیر بصوره التعلق و الارتباط الشدید الاّ سوء الحظ و الشقاء،فکیف إذا کان هذا الرکون الی الظالمین؟ انّ المجتمع الحضاری المقتدر هو المجتمع الذی یقف علی قدمیه،کما یعبر القرآن الکریم فی مثل بدیع فی الآیه(۲۹)من سوره الفتح إذ یقول: فَاسْتَویٰ عَلیٰ سُوقِهِ و المجتمع الحرّ المستقلّ هو المجتمع الذی یکتفی ذاتیا،و ارتباطه او تعاونه مع الآخرین هو ارتباط علی أساس المنافع المتبادله لا علی أساس رکون الضعیف الی القوی،لانّ هذا الرکون-سواء کان من جهه فکریه او ثقافیه او اقتصادیه او عسکریه او سیاسیه-لا یخلّف سوی الأسر و الاستثمار،و لا یثمر سوی المساهمه فی ظلمهم و المشارکه فی خططهم.

و بالطبع فإنّ الآیه المتقدمه لیست خاصّه بالمجتمعات فحسب،بل تشمل العلاقه و الارتباط بین فردین ایضا،فلا یجوز لإنسان مؤمن ان یرکن الی ای ظالم،فإنّه اضافه الی فقدان استقلاله لرکونه الی دائره ظلمه،فسیؤدی الی تقویته و اتساع الفساد و العدوان کذلک.

۴-من المقصود ب «الَّذِینَ ظَلَمُوا»

؟ ذکر المفسّرون فی هذا المجال احتمالات مختله،فقال بعضهم:المقصود ب اَلَّذِینَ ظَلَمُوا هم المشرکون،و لکن-کما قال آخرون-لا دلیل علی انحصار

ص:۸۴

هذا اللفظ بالمشركين رغم ان مصداق الظالمين فى عصر نزول الآيه هو المشركين.

كما انّ تفسير هذه الكلمه فى الرّوايات بالمشركين لا يدلّ على الانحصار، لانّنا قلنا مرارا و تكرارا انّ مثل هذه الرّوايات انّما تبيّن المصداق الواضح و الجلى، فعلى هذا الأساس يدخل فى دائره هذه الآيه جميع الذين امتدّت أيديهم الى الظلم و الفساد،او استعبدوا خلق اللّه و عباده،او استغلوا قواهم لمنافعهم، و باختصار كل الذين دخلوا فى المفهوم العام لهذا التعبير اَلَّذِينَ ظَلَمُوا .

و لكن من الواضح ان من اخطأوا فى حياتهم خطأ بسيطا و صاروا من مصاديق الظالم أحيانا غير داخلين فى مفهوم الآيه قطعا لانّه فى هذه الصور لا يخرج عن شموليه هذه الآيه الاّ النادر،فلا يصح الرّكون و الاعتماد على اى شخص،اللّهم الاّ ان نقول:انّ المراد بالركون هو الاعتماد على الظالم من جهه ظلمه و جوره،و فى هذه الحال حتى الذين تلوّثت أيديهم بالظلم مرّه واحده لا يجوز الركون إليهم.

۵-اشكال

بعض المفسّرين من اهل السنه اشكالا يصعب الجواب عليه من مبناهم و هو ما ورد فى رواياتهم من وجوب الطاعه و التسليم لسلطان الوقت الذى هو من أولو الأمر ايّا كان،لما نقلوا

حديثا عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى وجوب طاعه السلطان «و ان أخذ مالك و ضرب ظهرك...»! و روايات اخرى تؤكّد طاعه السلطان بمعناها الواسع.

و من جهه اخرى تقول الآيه: وَ لاٰ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فهل يصحّ الجمع بين هذين الأمرين؟! أراد البعض ان يرفع هذا التضاد باستثناء واحد،و هو ان طاعه السلطان

ص:۸۵

تکون واجبه ما لم ینحرف الی طریق العصیان و یخطو فی طریق الکفر.

و لکن لحن تلک الرّوایات لا ینسجم مع هذا الاستثناء.

و علی کل حال فنحن نعتقد-و کما ورد فی مذهب اهل البیت علیهم السّلام-بوجوب طاعه ولی الأمر العادل و العالم الذی یصح ان یکون خلیفه عامّا للنّبی و اماما من بعده فحسب.

و إذا کان سلاطین بنی امیّه و بنی العباس قد وضعوا الأحادیث فی هذا المجال لمصلحتهم،فلا تنسجم بأی وجه مع اصول مذهبنا و التعلیمات القرآنیه، و ینبغی ان نعالج هذه الرّوایات،فإن کانت تقبل التخصیص خصّصناها،و الاّ طرحناها جانبا،لانّ کل روایه تخالف کتاب اللّه فهی مردوده و باطله،و القرآن یصرح انّ امام المسلمین لا یجوز ان یکون ظالما،و الآیه المتقدمه تقول بصراحه ایضا: وَ لاٰ تَرْکَنُوا إِلَی اَلَّذِینَ ظَلَمُوا ...او نقول:انّ أمثال هذه الرّوایات مخصوصه بالحالات الضروریه و الاضطراریه.

ص :۸۶

الآيتان [سوره هود (۱۱): الآيات ۱۱۴ الی ۱۱۵]

اشاره

وَ أَقِمِ اَلصَّلاٰهَ طَرَفَیِ اَلنَّهٰارِ وَ زُلَفاً مِنَ اَللَّیْلِ إِنَّ اَلْحَسَنٰاتِ یُذْهِبْنَ اَلسَّیِّئٰاتِ ذٰلِکَ ذِکْریٰ لِلذّٰاکِرِینَ (۱۱۴) وَ اِصْبِرْ فَإِنَّ اَللّٰهَ لاٰ یُضِیعُ أَجْرَ اَلْمُحْسِنِینَ (۱۱۵)

التّفسیر

اشاره

الصلاه و الصبر:

هذه الآیات تشیر الی أمرین من اهمّ الأوامر الاسلامیه،و هما فی الواقع روح الایمان و قاعده الإسلام،فیأتی الأمر اوّلا بالصلاه وَ أَقِمِ الصَّلاٰهَ طَرَفَیِ النَّهٰارِ وَ زُلَفاً مِنَ اللَّیْلِ .

و ظاهر التعبیر من طَرَفَیِ النَّهٰارِ هو بیان صلاه الصبح و صلاه المغرب اللتین یقعان طرفی النهار،و«الزلف»جمع«زلفه»التی تعنی القرب،و یشار بها الی اوّل اللیل القریب من النهار فتنطبق علی صلاه العشاء.

و هذا التّفسیر وارد فی روایات اهل البیت علیهم السّلام ایضا،ای انّ الآیه تشیر الی الصلوات الثلاث«الصبح و المغرب و العشاء».

و یرد هنا سؤال و هو:لم ذکرت هذه الصلوات الثلاث من بین الصلوات الخمس؟!

ص :۸۷

غموض الاجابه دعا بعض المفسّرين لان يتوسع فی معنی طَرَفَیِ النَّهٰارِ لیشمل صلاه الصبح و الظهر و العصر و المغرب ایضا.و بالتعبیر ب وَ زُلَفاً مِنَ اللَّیْلِ الذی یشیر الی صلاه العشاء تکون جمیع الصلوات الخمس قد دخلت فی الآیه! و الإنصاف ان تعبیر طَرَفَیِ النَّهٰارِ لا یتحمل مثل هذا التّفسیر،مع ملاحظه انّ المسلمین فی الصدر الاوّل من الإسلام کانوا مقیدین بأداء صلاه الظهر فی اوّل الوقت و أداء صلاه العصر فی حدود نصف الوقت،ای بین وقت الظهر و وقت المغرب.

الشیء الوحید الذی یمکن ان یقال هنا:انّ آیات القرآن قد تذکر جمیع الصلوات الخمس أحیانا کما فی سوره الاسراء: أَقِمِ الصَّلاٰهَ لِدُلُوکِ الشَّمْسِ إِلیٰ غَسَقِ اللَّیْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ (۱) .

و قد تذکر ثلاث صلوات-کالآیه محل البحث-و قد تذکر صلاه واحده کما فی سوره البقره حٰافِظُوا عَلَی الصَّلَوٰاتِ وَ الصَّلاٰهِ الْوُسْطیٰ وَ قُومُوا لِلّٰهِ قٰانِتِینَ (۲) .

فعلی هذا لا یستلزم ذکر جمیع الصلوات الخمس فی کل مورد،و قد توجب المناسبات الاشاره الی صلاه الظهر «الصَّلاٰهِ الْوُسْطیٰ» لاهمیتها او تشیر الی صلاه الصبح او المغرب و العشاء و ذلک لاحتمال ان تقع فی دائره النسیان للتعب او النوم.

و لاهمیه الصلوات الیومیّه-خاصّه-و جمیع العبادات و الطاعات و الحسنات-عموما-فإنّ القرآن یشیر بهذا التعبیر إِنَّ الْحَسَنٰاتِ یُذْهِبْنَ السَّیِّئٰاتِ ذٰلِکَ ذِکْریٰ لِلذّٰاکِرِینَ .

و الآیه آنفه الذکر کسائر آیات القرآن تبیّن تأثیر الأعمال الصالحه فی محو

۱- ۱) الآیه،۷۸.

۲- ۲) الآیه،۲۳۸.

اثر الأعمال السيئه،حيث نقرا فی سوره النساء الآيه(۳۱): إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ و نقرا فی سوره العنكبوت الآيه(۷): وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ .

و بهذا تثبت مقوله ابطال السيئات بالطاعات و الأعمال الحسنه.

و من الناحيه النفسيه-ايضا-لا ريب فی ان الذنب و العمل السیء يوجد نوعا من الظلمه فی روح الإنسان و نفسه،بحيث لو استمرّ على السيئات تتراكم عليه الآثار فتمسخ الإنسان بصوره موحشه.

و لكن العمل الصالح الصادر من الهدف الالهی يهب روح الإنسان لطافه بإمكانها ان تغسل آثار الذنوب و ان تبدّل ظلمات نفسه الى أنوار.

و بما انّ الجمله الآنفه إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذكرت بعد الأمر بإقامه الصلاه مباشره،فإنّ واحده من مصاديقها هی الصلاه اليوميه،و إذا ما لاحظنا فی الرّوايات اشاره الى الصلاه اليوميه فی التّفسير فحسب فليس ذلک دليلا على الانحصار،بل-كما قلنا مرارا-انّما هو بيان مصداق واضح قطعی.

الاهميّه القصوى للصلاه:

تلاحظ فی الرّوايات المتعدده المنقوله عن النّبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و الائمه الطاهرين عليهم السّلام تعبيرات تكشف عن الاهميه الكبرى للصلاه فی نظر الإسلام.

يقول ابو عثمان:كنت جالسا مع سلمان الفارسی تحت شجره فأخذ غصنا يابسا و هزّه حتى تساقطت أوراقه جميعا،ثمّ التفت الیّ و قال:ما سألتنی لم فعلت ذلک؟! فقلت:و ما تريد؟! قال:هذا ما كان من رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم حين كنت جالسا معه تحت شجره ثمّ

سألنی النّبی هذا السؤال و قال:«ما سألتنی لم فعلت ذلک؟».

فقلت له:و لم یا رسول اللّه؟ فقال:«انّ المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثمّ صلّی الصلوات الخمس تحاتّت خطایاه کما تحاتّ هذا الورق»ثمّ قرا الآیه «وَ أَقِمِ الصَّلاٰةَ... إلخ». (۱)

و نقرا

فی حدیث آخر عن احد اصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و اسمه ابو امامه انّه قال: «کنت جالسا یوما فی المسجد مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فجاءه رجل و قال:یا رسول اللّه،أذنبت ذنبا یستوجب الحدّ فأقم علیّ الحدّ،فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:«أ صلیت معنا؟»قال:

نعم یا رسول اللّه،فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:«فإنّ اللّه غفر ذنبک»...او«أسقط عنک الحد» (۲) .

کما

نقل عن علی علیه السّلام انه قال: «کنّا مع رسول اللّه ننتظر الصلاه فقام رجل و قال:یا رسول اللّه،أذنبت.فأعرض النّبی بوجهه عنه،فلما انتهت الصلاه قام ذلک الرجل و أعاد کلامه ثانیه،فقال النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:الم تصلّ معنا و أحسنت لها الوضوء؟ فقال بلی،فقال:هذه کفاره ذنبک» (۳) .

و

نقل عن علی علیه السّلام ایضا انّه قال:«قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: انّما منزله الصلوات الخمس لامتی کنهر جار علی باب أحدکم،فما یظن أحدکم لو کان فی جسده درن ثمّ اغتسل فی ذلک النهر خمس مرات،أ کان یبقی فی جسده درن؟فکذلک و اللّه الصلوات الخمس لامتی» (۴) .

و علی کل حال،لا مجال للشکّ فی انّه متی ما ادّیت الصلاه بشرائطها فإنّها تنقل الإنسان الی عالم من المعنویّه و الروحانیّه بحیث توثق علائقه الایمانیه باللّه،و تغسل عن قلبه و روحه الأدران و آثار الذنوب.

الصلاه تجیر الإنسان من الذنب،تجلو صدا القلوب.

الصلاه تجذّر الملکات السامیه للإنسان فی اعماق الروح البشریه،و الصلاه

ص:۹۰

۱- ۱) مجمع البیان فی تفسیر الآیه.

۲- ۲) المصدر السّابق.

۳- ۳) المصدر السّابق.

۴- ۴) المصدر السّابق.

تقوی الاراده و تطهر القلب و الروح،و بهذا الترتیب فإنّ الصلاه الواعیه الفاعله هی مذهب تربوی عظیم.

أرجی آیه فی القرآن:

ینقل فی تفسیر الآیه-محل البحث-حدیث طریف

عن الامام علی علیه السّلام بهذا المضمون، و هو انّه التفت مرّه الی الناس و قال:«ای آیه فی کتاب اللّه أرجی عندکم»؟! فقال بعضهم: إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَکَ بِهِ وَ یَغْفِرُ مٰا دُونَ ذٰلِکَ لِمَنْ یَشٰاءُ .

فقال علیه السّلام:حسنه لیست ایّاها.

فقال آخرون:هی آیه قُلْ یٰا عِبٰادِیَ الَّذِینَ أَسْرَفُوا عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ لاٰ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَهِ اللّٰهِ .

فقال علیه السّلام:حسنه لیست ایّاها.

فقالوا:هی آیه وَ مَنْ یَعْمَلْ سُوءاً أَوْ یَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ یَسْتَغْفِرِ اللّٰهَ یَجِدِ اللّٰهَ غَفُوراً رَحِیماً .

قال علیه السّلام:حسنه لیست ایّاها.

فقال آخرون:هی آیه: وَ الَّذِینَ إِذٰا فَعَلُوا فٰاحِشَهً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَکَرُوا اللّٰهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَ مَنْ یَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّٰهُ فقال الامام ایضا:«حسنه لیست ایّاها».

ثمّ أحجم الناس،فقال:ما لکم یا معشر المسلمین،فقالوا:و اللّه ما عندنا شیء قال علیه السّلام:«سمعت حبیبی رسول اللّه یقول:أرجی آیه فی کتاب اللّه وَ أَقِمِ الصَّلاٰهَ طَرَفَیِ النَّهٰارِ وَ زُلَفاً مِنَ اللَّیْلِ إِنَّ الْحَسَنٰاتِ یُذْهِبْنَ السَّیِّئٰاتِ ذٰلِکَ ذِکْریٰ لِلذّٰاکِرِینَ . (1)

1- 1) المصدر السابق.

و بالطبع كما ذكرنا فی شرح الآیه(۴۸)من سوره النساء:انه ورد حدیث آخر یشیر الی ان أرجی آیه فی القرآن هی آیه إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَکَ بِهِ وَ یَغْفِرُ مٰا دُونَ ذٰلِکَ لِمَنْ یَشٰاءُ .

و لکن مع ملاحظه انّ کل آیه من هذه الآیات تنظر الی زاویه من هذا البحث و تبیّن بعدا من الابعاد،فلا تضادّ بینها.

و فی الواقع انّ الآیه محل البحث تتحدّث عن أولئک الذین یؤدّون الصلاه بصوره صحیحه،صلاه مع حضور القلب و الروح،بحیث تغسل آثار الذنوب عن قلوبهم و أرواحهم.امّا الآیه الاخری تتحدّث عن أولئک الذین حرموا من هذه الصلاه،فبإمکانهم من باب التوبه،فإذن هذه الآیه لهؤلاء الجماعه أرجی آیه، و تلک الآیه لأولئک الجماعه أرجی آیه.

و ایّ رجاء أعظم من ان یعلم الإنسان انّه متی زلت قدمه و غلب علیه هواه (دون ان یصرّ علی الذنب)و حین یحل وقت الصلاه فیتوضأ و یقف امام معبوده للصلاه،فیحسّ بالخجل عند التوجه الی اللّه لما قدمه من اعمال سیئه و یرفع یدیه بالدعاء و طلب العفو فیغفر و تزول عن قلبه الظلمه و سوادها.

و تعقیبا علی تأثیر الصلاه فی بناء شخصیه الإنسان و بیان تأثیر الحسنات علی محو السیئات،یأتی الأمر بالصبر فی الآیه الاخری بعدها وَ اصْبِرْ فَإِنَّ اللّٰهَ لاٰ یُضِیعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِینَ .

و بالرغم من انّ بعض المفسّرین حاول تحدید معنی الصبر فی هذه الآیه فی الصلاه،او إیذاء الأعداء للنبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، الاّ انّ من الواضح ان لا دلیل علی ذلک-بل ان الآیه تحمل مفهوما واسعا کلیا و جامعا و یشمل کل انواع الصبر امام المشاکل و المخالفات و الأذی و الطغیان و المصائب المختلفه،فالصمود امام جمیع هذه الحوادث یندرج تحت مفهوم الصبر.

«الصبر»اصل کلّی و أساس اسلامی،یأتی أحیانا فی القرآن مقرونا

بالصلاه،و لعل ذلک آت من انّ الصلاه تبعث فی الإنسان الحرکه،و الأمر بالصبر یوجب المقاومه،و هذان الأمران،ای«الحرکه و المقاومه»حین یکونان جنبا الی جنب یثمران کل اشکال النجاح و الموفقیه.

و أساسا یتحقق عمل صالح دون صبر و مقاومه...لانّه لا بدّ من إیصال الأعمال الصالحه الی النهایه،و لذلک فإنّ الآیه المتقدمه تعقب علی الأمر بالصبر بثواب اللّه و اجره إذ تقول: إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یُضِیعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِینَ و معنی ذلک ان العمل الصالح لا یتیسر دون صبر و مقاومه...لا بأس بذکر هذه المسأله الدقیقه،و هی انّ الناس ینقسمون الی عدّه جماعات إزاء الحوادث العسیره الصعبه:

۱-فجماعه تفقد شخصیّتها فورا،و کما یعبر القرآن إِذٰا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً .

۲-و جماعه آخرون یصمدون امام الأزمات بکل تحمّل و تجلّد.

۳-و جماعه آخرون بالاضافه الی صمودهم و تحملهم للأزمه،فإنّهم یؤدّون الشکر للّه.

۴-و جماعه آخرون یتجهون الی الأزمات و المصاعب بشوق و عشق، و یفکرون فی کیفیه التغلب علیها.و لا یعرفون التعب و النصب فی متابعه الأمور، و لا یهداون حتی تزول المشاکل.

و قد وعد اللّه مثل هؤلاء الصابرین بالنصر المؤزر إِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ عِشْرُونَ صٰابِرُونَ یَغْلِبُوا مِائَتَیْنِ (۱) .

و أنعم علیهم و أثابهم فی الدار الاخری بالجنّه وَ جَزٰاهُمْ بِمٰا صَبَرُوا جَنَّهً وَ حَرِیراً (۲) .

ص :۹۳

۱- ۱) الأنفال،۶۵.

۲- ۲) سوره الإنسان،۱۲.

الآیتان [سوره هود (۱۱): الآیات ۱۱۶ الی ۱۱۷]

اشاره

فَلَوْ لاٰ کٰانَ مِنَ اَلْقُرُونِ مِنْ قَبْلِکُمْ أُولُوا بَقِیَّهٍ یَنْهَوْنَ عَنِ اَلْفَسٰادِ فِی اَلْأَرْضِ إِلاّٰ قَلِیلاً مِمَّنْ أَنْجَیْنٰا مِنْهُمْ وَ اِتَّبَعَ اَلَّذِینَ ظَلَمُوا مٰا أُتْرِفُوا فِیهِ وَ کٰانُوا مُجْرِمِینَ (۱۱۶) وَ مٰا کٰانَ رَبُّکَ لِیُهْلِکَ اَلْقُریٰ بِظُلْمٍ وَ أَهْلُهٰا مُصْلِحُونَ (۱۱۷)

التّفسیر

اشاره

عامل الانحراف و الفساد فی المجتمعات:

من اجل إکمال البحوث السابقه ذکر فی هاتین الآیتین اصل اساسی اجتماعی یضمن نجاه المجتمعات من الفساد،و هو انّه ما دام هناک فی کل مجتمع طائفه من العلماء المسؤولین و الملتزمین الذین یحاربون کل اشکال الفساد و الانحراف،و یأخذون علی عاتقهم قیاده المجتمع فکریا و ثقافیا و دینیا،فإنّ هذا المجتمع سیکون مصونا من الزیغ و الانحراف.

لکن متی ما سکت عن الحق اهله و حماته،و بقی المجتمع دون مدافع امام عوامل الفساد،فإنّ انتشار الفساد و من ورائه الهلاک امر حتمی.

الآیه الاولی اشارت الی القرون و الأمم المتقدمه الذین ابتلوا بأشد انواع

البلاء قائله: فَلَوْ لاٰ كٰانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسٰادِ ثمّ تستثنى جماعه فتقول: إِلاّٰ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنٰا .

هـذه الجماعه القليله و ان كانت تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر،و لكنّها كحال لوط عليه السّلام و أسرته الصغيره،و نوح و المعدودين ممن آمن به،و صالح و جماعه من اتباعه،فإنّهم كانوا قلّه لم توفق للإصلاح العام و الكلى فى المجتمع.

و على كل حال فإنّ الظالمين الـذين كانوا يشكلون القسم الأكبر من المجتمع اتبعوا لـذاتهم و تنعمهم،و كما تقول الآيه: وَ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مٰا أُتْرِفُوا فِيهِ وَ كٰانُوا مُجْرِمِينَ .

و للتأكيـد على هـذه الحقيقه،تأتى الآيه الثّانيه لتقول:انّ هـذا الـذى ترون من إهلاك اللّه للأمم،إنّما كان لعدم وجود المصلحين فيهم وَ مٰا كٰانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرىٰ بِظُلْمٍ وَ أَهْلُهٰا مُصْلِحُونَ .

و أحيانا يسود الظلم و الفساد فى المجتمع،لكن المهم انّ الناس يشعرون بالظلم و الفساد و هم فى طريق الإصلاح،و بهذا الشعور و الاحساس و التحرك بخطوات فى طريق الإصلاح يمهلهم اللّه،و يقرّ لهم قانون الخلق حق الحياه.

و لكن هـذا الاحساس متى مـا انعـدم و أصبح المجتمع صامتا،و أخـذ الفساد و الظلم فى الانتشار بكل مكان فإنّ قانون الخلق و الوجود لاـ يعطيهم الحق فى الحيـاه،و هـذه الحقيقه تتضـح بمثـال يسـير...فى البـدن قوّه و منـاعه كريّات الـدم البيضاء التى تواجه المكروبات و الجراثيم عند دخولها البدن عن طريق الهواء او الغذاء او الماء او الجروح الجلديه إلخ...

و هـذه الكريّات البيضـاء بمثـابه الجنود المقـاتله إذ تقف بوجه المكروبات و الجراثيم فتبيـدها،او على الأقل تحـدّ من انتشارها و نموّها.

و بـديهى ان هـذه القوه الـدفاعيه التى تتشـكل من ملايين الجنود،لو أضـربت يوما عن العمل و بقى البـدن دون مـدافع،فسيكون ميدانا لهجوم الجراثيم الضارّه

ص :۹۵

بحيث تسرع انواع الأمراض الى البدن.

و جميع المجتمعات البشريه لها مثل هذه الحاله،فلو ارتفعت هذه القوّه المدافعه عنها و هى ما عبّر عنه القرآن ب أُولُوا بَقِيَّهٍ فإن جراثيم الأمراض الاجتماعيه المتوفره فى كل زاويه من المجتمع سرعان ما تنمو و تتكاثر و يسقط المجتمع صريع الأمراض المختلفه.

ان اثر أُولُوا بَقِيَّهٍ فى بقاء المجتمع حساس للغايه،حتى يمكن القول:انّ المجتمع من دون«اولى بقيه»يسلب حق الحياه،و من هنا فقد وردت الاشاره إليهم فى الآيه المتقدمه.

من هم أُولُوا بَقِيَّهٍ

؟ كلمه«اولوا»تعنى الاصحاب،و كلمه«بقيّه»معناها واضح اى ما يبقى، و يستعمل هذا التعبير فى لغه العرب بمعنى«أولو الفضل»لانّ الإنسان يدخر الأشياء النفيسه و الجيّده لتبقى عنده،فالمصطلح أُولُوا بَقِيَّهٍ يحمل فى نفسه مفهوم الخير و الفضل.

و نظرا لانّ الضعفاء-عاده-يرجّحون الفرار على القرار فى ميدان المواجهه الاجتماعيه،او يصيبهم الفناء،و لا يبقى فى ميدان المواجهه إلاّ من يتمتع بقوّه فكريه او جسديه،و بذلك يبقى الأقوياء فقط،و من هذا المنطلق ايضا تقول العرب فى أمثالها:فى الزوايا خبايا...و فى الرجال بقايا.

كما جاءت كلمه«بقيّه»فى القرآن الكريم فى ثلاثه موارد و هى تحمل هذا المفهوم،حيث نقرا فى قصّه طالوت و جالوت إِنَّ آيَهَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التّابُوتُ فِيهِ سَكِينَهٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ بَقِيَّهٌ مِمّا تَرَکَ آلُ مُوسی (۱) .

و قرانا ايضا قصّه شعيب(فى هذه السوره)مخاطبا قومه:

۱- ۱) سوره البقره،الآيه ۲۴۸.

بَقِيَّتُ اللّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

(۱)

.

و حيث نجـد فى قسم من التعبيرات اطلاـق بَقِيَّتُ اللّهِ على«المهـدى الموعود»عليه السّـلام فهو اشاره الى هـذا الموضوع ايضا،لانّه وجود ذو فيض و ذخيره الهيه كبرى،و هو معدّ ليطوى بساط الظلم و الفساد و ليرفع لواء العدل فى العالم كله.

و من هنا نعرف الحق الكبير لهؤلاء الرجال الاجلّاء الافذاذ و المكافحين للفساد،و المصطلح عليهم ب أُولُوا بَقِيَّهٍ على المجتمعات البشريه لانّهم رمز لبقاء الأمم و حياتها و نجاتها من الهلاك.

المسأله الاخرى التى تستجلب النظر فى الآيه المتقدمه انّها تقول: وَ مٰا كٰانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرىٰ بِظُلْمٍ وَ أَهْلُهٰا مُصْلِحُونَ .

و بملاحظه التفاوت بين كلمتى«مصلح»و«صالح»تتجلى هذه المسأله الدقيقه،و هى انّ الصـلاح وحده لا يضمن البقاء،بل إذا كان المجتمع فاسدا و لكن افراده يسيرون باتجاه إصلاح الأمور فالمجتمع يكون له حق البقاء و الحياه ايضا.

فلو انعدم الصالح و المصلح فى المجتمع فإنّ من سنه الخلق ان يحرم ذلك المجتمع حق الحياه و يهلك عاجلا.

و بتعبير آخر:متى كـان المجتمع ظالمـا و لكنه مقبـل على إصـلاح نفسه،فهـذا المجتمع يبقى،و لكن إذا كان المجتمع ظالما و لم يقبل على نفسه فيصلحها او يطهرها فإنّ مصيره الى الفناء و الهلاك.

المسأله الدقيقه الاخرى:انّ واحدا من أسـس الظلم و الاجرام-كما تشير اليه الآيات المتقدمه-هو اتباع الهوى و عباده اللّذه و حبّ الدنيا،و قد عبّر القرآن عن كل ذلك ب«الترف».

فهذا التنعم و التلذذ غير المقيد و غير المشروط أساس الانحرافات فى

۱- ۱) هود،۸۶.

المجتمعـات المرفهه،لاـنّ سـكرها من شـهواتها يصـدها عن إعطـاء القيم الانسانيه الاصـيله حقّها و دركـ الواقعيات الاجتماعيه،و يغرقها فى العصيان و الآثام.

ص :٩٨

الآیتان [سوره هود (۱۱): الآیات ۱۱۸ الی ۱۱۹]

اشاره

وَ لَوْ شٰاءَ رَبُّکَ لَجَعَلَ اَلنّٰاسَ أُمَّهً وٰاحِدَهً وَ لاٰ یَزٰالُونَ مُخْتَلِفِینَ (۱۱۸) إِلاّٰ مَنْ رَحِمَ رَبُّکَ وَ لِذٰلِکَ خَلَقَهُمْ وَ تَمَّتْ کَلِمَهُ رَبِّکَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ اَلْجِنَّهِ وَ اَلنّٰاسِ أَجْمَعِینَ (۱۱۹)

التّفسیر

فی الآیه الاولی محل البحث اشاره الی واحده من سنن الخلق و الوجود و التی تمثّل اللبنات التحتیه لسائر المسائل المرتبطه بالإنسان...و هی مسأله الاختلاف و التفاوت فی بناء الإنسان روحا و فکرا و جسما و ذوقا و عشقا، و مسأله حریه الاراده و الاختیار.

تقول الآیه وَ لَوْ شٰاءَ رَبُّکَ لَجَعَلَ النّٰاسَ أُمَّهً وٰاحِدَهً وَ لاٰ یَزٰالُونَ مُخْتَلِفِینَ .

لئلا یتصور احد من الناس انّ تأکید اللّه و إصراره علی طاعه امره دلیل علی عدم قدرته علی ان یجعلهم فی سیر واحد و منهج واحد.

نعم،لم یکن-ای مانع-ان یخلق جمیع الناس بحکم إلزامه و إجباره علی شاکله واحده،و یجعلهم مؤمنین بالحق و مجبورین علی قبول الایمان به...

لکن مثل هذا الایمان لا تکون فیه فائده و لا فی مثل هذا الاتحاد...

فالإیمان القسری الذی ینبع من هدف غیر ارادی لا یکون علامه علی شخصیه

ص:۹۹

الفرد و لا وسیله للتکامل،و لا یوجب الثواب کما هو الحال فی خلق النحل خلقا یدفعها بحکم الغریزه الی ان تجمع الرحیق من الازهار...و خلق بعوضه الملاریا خلقا یجعلها تستقر فی المستنقعات،و لا یمکن لایّ منهما ان تتخلی عن طریقتها.

الاّ انّ قیمه الإنسان و امتیازه و أهم ما یتفاوت فیه عن سائر الموجودات هی هذه الموهبه،و هی حریه الاراده و الاختیار،و کذلک امتلاک الأذواق و الاطباع و الأفکار المتفاوته التی یصنع کل واحد منها قسما من المجتمع و یؤمّن بعدا من ابعاده.

و من طرف آخر فإنّ الاختلاف فی انتخاب العقیده و المذهب امر طبیعی مترتب علی حریه الاراده و یکون سببا لانّ تقبل جماعه طریق الحق و تتبع جماعه أخری الباطل،الاّ ان یتربی الناس تربیه سلیمه فی احضان الرحمه الالهیه و یتعلموا المعارف الحقه بالاستفاده من مواهب اللّه تعالی لهم...ففی هذه الحال،و مع جمیع ما لدیهم من اختلافات،و مع الاحتفاظ بالحریّه و الاختیار، فإنّهم سیخطون خطوات فی طریق الحق و ان کانوا یتفاوتون فی هذا المسیر.

و لهذا یقول القرآن الکریم فی الآیه الاخری: إِلاّ مَنْ رَحِمَ رَبُّکَ و لکن هذه الرحمه الالهیه لیست خاصّه بجماعه معینه،فالجمیع یستطیعون«شریطه رغبتهم»ان یستفیدوا منها (وَ لِذٰلِکَ خَلَقَهُمْ) .

الأشخاص الذین یریدون ان یستظلوا برحمه اللّه فإنّ الطریق مفتوح لهم...

الرحمه التی افاضها اللّه لجمیع عباده عن طریق تشخیص العقل و هدایه الأنبیاء.

و متی ما استفادوا من هذه الرحمه و الموهبه،فإنّ أبواب الجنّه و السعاده الدائمه تفتح بوجوههم،و الاّ:فلا: وَ تَمَّتْ کَلِمَهُ رَبِّکَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّهِ وَ النّاسِ أَجْمَعِینَ .

ملاحظات

۱-حریه الاراده هی أساس خلق الإنسان و دعوه جمیع الأنبیاء،و أساسا لا یستطیع الإنسان بدونها ان یخطو و لو خطوه واحده فی مسیر التکامل«التکامل الانسانی و المعنوی»و لهذا فقد اکّدت آیات متعدده علی انّه لو شاء اللّه ان یهدی الناس بإجباره لهم جمیعا لفعل،لکنّه لم یشأ.

فیما یتعلق باللّه هو الدعوه الی المسیر الحق و تعریف الطریق و وضع العلامات،و التنبیه،علی ما ینبغی الحذر منه و تعیین القائد للمسیره البشریه و المنهج فحسب.

یقول القرآن الکریم: إِنَّ عَلَیْنا لَلْهُدیٰ (۱) کما یقول ایضا إِنَّما أَنْتَ مُذَکِّرٌ لَسْتَ عَلَیْهِمْ بِمُصَیْطِرٍ (۲) و یقول فی سوره الشمس: فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها (۳) و نقرا ایضا فی سوره الدهر الآیه(۴): إِنّا هَدَیْناهُ السَّبِیلَ إِمّا شاکِراً وَ إِمّا کَفُوراً فعلی هذا فإنّ الآیات محل البحث من أوضح الآیات التی تؤکّد علی حریه الاراده و نفی مذهب الجبر،و تدل علی انّ التصمیم النهائی هو بید الإنسان.

۲-فی الهدف من الخلق و الوجود،فی آیات القرآن بیانات مختلفه،و فی الحقیقه یشیر کل واحد منها الی بعد من ابعاد هذا الهدف،من هذه الآیات وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِیَعْبُدُونِ (۴) ای لیتکاملوا فی مذهب العباده و لیبلغوا أعلی مقام للانسانیه فی هذا المذهب.

و نقرا فی مکان آخر اَلَّذِی خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَیاهَ لِیَبْلُوَکُمْ أَیُّکُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً

۱- ۱) اللیل،۱۲.

۲- ۲) الغاشیه،۲۱.

۳- ۳) الشمس،۸.

۴- ۴) الذاریات،۵۶.

(۱)

.

امّا فی الآیه محل البحث فیقول: وَ لِذٰلِکَ خَلَقَهُمْ ...و کما تلاحظون فإنّ جمیع هـذه الخطوط تنتهی الی نقطه واحده،و هی تربیه الناس و هدایتهم و تقدمهم و تکاملهم،و کل ذلک یعدّ الهدف النهائی للخلق.

و فائـده هـذا الهدف تعود للإنسان نفسه لا الی اللّه،لانّ اللّه وجود مطلق لا نهایه له من جمیع الجهات،و مثل هذا الوجود لا نقص فیه لیرفعه و یزیله بالخلق.

۳-و فی نهـایه الآـیه الاخیره تأکیـد علی الأمر الالهی بملء جنهم من الجن و الانس أجمعین،و بـدیهی انّ هـذا الأمر المحتوم فیه شرط واحـد و هو الخروج من دائره رحمه اللّه،و التقهقر عن هدایه الرسل و الادلّاء من قبله،و بهذا الترتیب فإنّ هذه الآیه لا یعتبر دلیلا علی مذهب الإجبار بل هی تأکید جدید علی مذهب الاختیار.

۱- ۱) الملک،۲.

الآیات [سوره هود (۱۱): الآیات ۱۲۰ الی ۱۲۳]

اشاره

وَ کُلاًّ نَقُصُّ عَلَیْکَ مِنْ أَنْبٰاءِ اَلرُّسُلِ مٰا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤٰادَکَ وَ جٰاءَکَ فِی هٰذِهِ اَلْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِکْریٰ لِلْمُؤْمِنِینَ (۱۲۰) وَ قُلْ لِلَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ اِعْمَلُوا عَلیٰ مَکٰانَتِکُمْ إِنّٰا عٰامِلُونَ (۱۲۱) وَ اِنْتَظِرُوا إِنّٰا مُنْتَظِرُونَ (۱۲۲) وَ لِلّٰهِ غَیْبُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ إِلَیْهِ یُرْجَعُ اَلْأَمْرُ کُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَ تَوَکَّلْ عَلَیْهِ وَ مٰا رَبُّکَ بِغٰافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ (۱۲۳)

التّفسیر

اشاره

اربع معطیات لقصص الماضین:

بانتهاء هذه الآیات تنتهی سوره هود،و فی هذه الآیات استنتاج کلی لمجموع بحوث هذه السوره،و بما انّ القسم الاهمّ من هذه السوره یتناول القصص التی تحمل العبر من سیره الأنبیاء و الأمم السابقه،فإنّ هذه القصص تعطی نتائج قیّمه ملخّصه فی اربعه مواضیع.

تقول هذه الآیات اوّلا: وَ کُلاًّ نَقُصُّ عَلَیْکَ مِنْ أَنْبٰاءِ الرُّسُلِ مٰا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤٰادَکَ .و کلمه«کلّا»اشاره الی تنوع هذه القصص،و کل نوع منها یشیر الی

ص:۱۰۳

اتّخاذ جبهه«قبال الأنبياء»و نوع من الانحرافات و نوع من العقاب،و هذا التنوّع يلقى اشعه نيره على ابعاد حياه الناس.

«تثبيت قلب النّبى»صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تقويه ارادته-التى يشار إليها فى هذه الآيه-امر طبيعى،لانّ معارضه الأعداء اللجوجين الشديده و القاسيه-رضينا ام أبينا-تؤثر على قلب النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لانّه انسان و بشر ايضا.و لكن من اجل ان لا ينفذ اليأس الى قلب النّبى المطهّر و تضعف ارادته الفولاذيه من هذه المعارضه و المخالفات و المثبطات،فإنّ اللّه يقص عليه قصص الأنبياء و ما واجهوه،و مقاومتهم قبال أممهم المعاندين،و انتصارهم الواحد تلو الآخر ليقوى قلب النّبى و المؤمنين الذى يلتّفون حوله يوما بعد يوم. (١) .

ثمّ تشير الآيه الى النتيجه الكبرى الثّانيه فتقول الآيات:و جاءك فى هذه الحق.

امّا ثالث الآثار و رابعها اللذان يستلفتان النظر هما مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ .

الطريف هنا انّ صاحب المنار يقول فى تفسير الآيه معقبا:انّ الإيجاز و الاختصار فى هذه الآيه المعجزه فى غايه ما يتصور،حتى كأنّ جميع المعاجز السالفه قد جمعت فى الآيه نفسها و بيّنت فوائدها جميعا بعدّه جمل قصيره.

و على ايه حال،فإنّ هذه الآيه تؤكّد مرّه اخرى انّه لا ينبغى ان نعدّ قصص القرآن ملهاه او يستفاد منها لاشغال السامعين،بل هى مجموعه من احسن الدروس الحياتيه فى جميع المجالات،و طريق رحب لجميع الناس فى الحاضر و المستقبل.

١- ١) ممّا ذكر فى المتن يتّضح انّ مرجع الضمير فى«هذه»يعود على «أَنْبٰاءِ الرُّسُلِ» و عوده الضمير على هذه الكلمه لقربها و تناسبها مع البحوث الوارده فى هذه الآيه واضح جدّا،لكنّ الاحتمالات الاخرى بأنّ المشار اليه هو«الدنيا»او «خصوص الآيات السابقه»فبعيد،كما يبدو،و ما قاله كثير من المفسّرين من انّ المشار اليه هو«السوره»فقابل للمطابقه مع ما ذكرنا،لانّ القسم الاهمّ من السوره يتناول قصص الأنبياء السابقين.

ثمّ تخاطب الآيات النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو يواجه أعداءه الذين يؤذونه و يظهرون اللجاجه و العناد ان واصل الطريق وَ قُلْ لِلَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلىٰ مَكاٰنَتِكُمْ إِنّاٰ عاٰمِلُونَ وَ انْتَظِرُوا إِنّاٰ مُنْتَظِرُونَ .

فستعلمون من الذى سينتصر،انتظروا هزيمتنا كما تزعمون انتظارا غير مجد،و نحن ننتظر العذاب من اللّه عليكم،و هو ما ستذوقونه من قبلنا او من قبل اللّه مباشره.

و هذه التهديدات التى تذكر بصيغه الأمر تلاحظ فى أماكن اخرى من القرآن كقوله تعالى: اِعْمَلُوا ماٰ شِئْتُمْ إِنَّهُ بِماٰ تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (1) .

و نقرا فى شأن الشيطان ايضا وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ (2) .

و بديهى انّه لا يراد بأيّه صيغه من صيغ الأمر هنا طلب الفعل،بل جميعها جاءت للتهديد و التنديد.

و آخر الآيات من هذه السوره تتحدث عن التوحيد«التوحيد المعرفى و التوحيد الافعالى،و توحيد العباده»كما تحدثت الآيات الاولى من هذه السوره عن التوحيد ايضا.

هذه الآيه-فى الحقيقه-تشير الى ثلاث شعب من التوحيد،توحيد علم اللّه اوّلا،فغيب السّماوات و الأرض خاص باللّه و هو المطّلع عليها جميعا وَ لِلّٰهِ غَيْبُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ .

امّا سواه فعلمه محدود،و فى الوقت ذاته فإنّ هذا العلم ناشئ من التعليم الإلهى،فعلى هذا فإنّ العلم غير المحدود،و العلم الذاتى بالنسبه ما فى السموات و الأرض مخصوص بذات اللّه المقدسه.

ص :105

1- 1) فصّلت،40.

2- 2) الاسراء،64.

و من جهه ثانیه فإنّ ازمّه جمیع الأفعال مرهونه بقدرته وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ...و هذه مرحله توحید الأفعال.

ثمّ تستنتج الآیه انّه إذا علمت انّ الاحاطه و العلم غیر المحدود و القدره التی لا تنتهی...جمیعها مخصوص بذات اللّه المقدّسه فَاعْبُدْهُ وَ تَوَكَّلْ عَلَيْهِ و هذه مرحله توحید العباده.

فینبغی اجتناب العصیان و العناد و الطغیان وَ مَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ .

ملاحظات

اشاره

۱-علم الغیب خاص باللّه...

کما تحدثنا بالتفصیل فی تفسیر الآیه(۱۸۸)من سوره الأعراف،و فی تفسیر الآیه(۵۰)من سوره الانعام،انّه لا مجال للتردد فی انّ الاطلاع علی الأسرار الخفیه او الأسرار الماضیه و الآتیه کله خاص باللّه...و الآیات المختلفه من القرآن تؤکّد هذه الحقیقه و تؤیدها ایضا...انّه لیس کمثله شیء و هو متفرد بهذه الصفه.

و إذا وجدنا فی قسم من آیات القرآن بیان انّ الأنبیاء قد یعلمون بعض الأمور الغیبیه،او قرانا فی بعض الآیات او الرّوایات الکثیره انّ النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الامام علیّا و الائمه المعصومین علیهم السّلام قد یخبرون عمّا یجری فی المستقبل من حوادث و یبیّنون اسرارا خفیّه منها،فینبغی ان نعرف ان کل ذلک بتعلیم اللّه سبحانه.

فهو سبحانه حیث یجد المصلحه یطلع عباده و أولیاءه علی قسم من اسرار الغیب،و لکن هذا العلم لا هو علم ذاتی و لا غیر محدود،بل هو من تعلیم اللّه و هو محدود بمقدار ما یریده اللّه.

و بهـذا البيـان تتّضـح الاجـابه على المنتقـدين لعقيـده الشـيعه فى مجـال على الغيب حيث يرون انّ الأنبياء و الائمه عليهم السّـلام يعلمون الغيب.

و ليس الاطلاـع على علم الغيب من قبـل اللّه خاصـا بالأنبياء او الائمّه فقـد يطلع اللّه غير النّبى و الائمّه على غيبه ايضا...فنحن نقرا فى قصّه ام موسى فى القرآن انّ اللّه قال لها: وَ لا تَخافِى وَ لا تَحْزَنِى إِنّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (۱) .

و قد يطلع اللّه لضـروره الحياه-أحيانا-الطيور و الحيوانات على الأسرار الخفيّه و حتى على المستقبل البعيد نسبيّا ممّا يصعب علينا تصوّره و بهـذا الترتيب قـد تكون بعض المسائـل التى نحسـبها غيبا،هـذه المسائل نفسـها بالنسـبه للطيور او الحيوانات لا تعـد من الغيب.

۲-العباده للّه وحده

فى الآـيه المتقـدمه دليـل لطيف على انّ العبـاده للّه وحـده،و هو انّه لو كانت العباده من اجل العظمه و صـفات الجمال،و الجلال فهـذه الصـفات قبـل كل شـىء موجوده فى اللّه،و امّا الآخرون فلا شـىء بالنسـبه اليه.و اكبر دليل على عظمه اللّه علمه الواسع غير المحدود و قدرته اللامتناهيه،و قد اشارت الآيه الآنفه الى انّهما مختصّان باللّه.

و إذا كانت العباده لأجل الالتجاء-فى حلّ المشاكل-الى المعبود...فإنّ مثل هـذا العمل جـدير بمن هو عليم بجميع حاجات العباد و اسـرارهم الخفيّـه.و مـا يغيـب عليهـم،و هـو قـادر على اجابه دعـوتهم،و بـالنتيجه فـإنّ توحيـد الصـفات يكـون سـببا لتـوحيد العباده(لاحظوا بدقّه).

۳-قال بعض المفسّرين:انّ سير الإنسان فى طريق عبوديه اللّه،لخّص كلّه

۱- ۱) القصص،۷.

فی جملتین فی هـذه الآیه فَاعْبُدْهُ وَ تَوَکَّلْ عَلَیْهِ لانّ العباده سواء کانت عباده جسـمانیه کالعباده العامّه،او عباده روحانیه کالتفکّر فی خلق اللّه و نظام اسرار الوجود،هی بدایه هذا السیر.

و التوکّل الذی یعنی الالتجاء المطلق الی اللّه و إیداع جمیع الأشیاء بیده، بحیث یعدّ نوعا من«الفناء فی اللّه»هو آخر نقطه من هذا السیر.

و فی جمیع هذا المسیر من بدایته حتی نهایته یوجههم الی حقیقه توحید الصفات،و یعین السائرین فی هذا المسیر و یدعوهم الی البحث المقرون بالعشق لساحته.

اللّهم ألهمنا معرفتک بصفات جلالک و جمالک.

و ألهمنا ان نتحرک إلیک بعرفان.

اللّهم وفقنا لان نعبدک مخلصین و نتوکل علیک عاشقین.

اللّهم أنت رجاؤنا و ملاذنا فی حل مشاکلنا،ففی هذه الفتره من الزمن أحاطت بالمسـلمین المشاکل من کل جانب،و سعی اعداء اللّه لإطفاء نور هذه الصحوه المبارکه،فأنت ولیّنا.

اللهم:لم نکن لنصل لهـذه المرحله لو لا تأییـداتک الظاهره و الخفیّه التی اعانتنا للوصول إلیها. نسألک ان لا تحرمنا من مواهبک العظیمه فی ما بقی من الطریق و لا تقطع-ألطافک الخاصّه-عنّا.

و وفقنا برحمتک ان نواصل هذا التّفسیر الذی یفتح نافذه جدیده علی کتابک السّماویّ العظیم.

ص:۱۰۸

سوره یوسف

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها مائه و احدی عشره آیه

ص :۱۰۹

بدایه سوره یوسف

اشاره

قبل الدخول فی تفسیر آیات هذه السوره ینبغی ذکر عدّه امور:

۱-لا اشکال بین المفسّرین فی انّ هذه السوره نزلت فی مکّه،سوی ما نقل عن ابن عباس انّ اربع آیات مدنیه(الآیات الثلاث فی اوّل السوره و الآیه السّابعه منها).

و لکن التدقیق فی ارتباط هذه الآیات بعضها مع البعض الآخر فی هذه السوره یجعلنا غیر قادرین علی التفکیک بینها،فاحتمال نزول هذه الآیات الأربع فی المدینه-علی هذا الأساس-بعید جدّا.

۲-جمیع آیات هذه السوره سوی الآیات القلیله التی تقع فی نهایه السوره تبیّن قصّه نبیّ اللّه یوسف علیه السّلام.القصّه الطّریفه و الجمیله و التی تحمل بین طیّاتها العبر.و لذلک سمّیت هذه السوره باسم«یوسف»و بهذه المناسبه-ایضا-ورد ذکر یوسف-من مجموع(۲۷)مرّه فی القرآن-(۲۵)مرّه فی هذه السوره و مرّه واحده فی سوره غافر الآیه(۳۴)-و مرّه أخری فی سوره الانعام الآیه(۸۴).

و محتوی هذه السوره-علی خلاف سور القرآن الاخری-مرتبط بعضه ببعض،و یبیّن جوانب مختلفه من قصّه واحده وردت فی اکثر من عشره فصول، مع بیان اخاذ موجز،عمیق،و طریف و مثیر.

و بالرغم من انّ القصّاصین غیر الهادفین،او من لهم أغراض رخیصه سعوا الی ان یحوّلوا هذه القصّه المهذّبه الی قصّه عشق یحرک اهل الهوی و الشهوه!!

ص:۱۱۱

و ان یمسخوا الوجه الواقعی لیوسف علیه السّلام بحیث بلغت الحال ان یصوروا«فیلما سینمائیا»و ینشروه بصوره مبتذله...الاّ انّ القرآن-و کلّ ما فیه أسوه و عبره- عکس فی ثنایا هذه القصّه اسمی دروس العفه و ضبط النفس و التقوی و الایمان، حتی لو انّ إنسانا قراها عده مرات فإنّه یتأثر-بدون اختیار-بأسلوبها الجذّاب فی کل مرّه.

و لذا فقد عبّر القرآن عنها ب أَحْسَنَ الْقَصَصِ و جعل فیها العبر للمعتبرین أُولِی الْأَلْبٰابِ .

۳-التدقیق فی آیات هذه السوره یکشف هذه الحقیقه للإنسان،و هی انّ القرآن معجز فی جمیع ابعاده،لان الابطال الذین یقدمهم فی قصصه ابطال حقیقیّون لا خیالیّون،و کل واحد فی نفسه منهم منعدم النظیر:

فإبراهیم علیه السّلام:البطل الذی حطّم الأصنام بروحه العالیه التی لا تقبل المساومه مع الطغاه.

و نوح علیه السّلام:بطل الصبر و الاستقامه و الشفقه و القلب المحترق فی ذلک العمر الطویل المبارک.

و موسی علیه السّلام:البطل المربّی لقومه اللجوجین،و الذی وقف بوجه فرعون المتکبر الطاغی.

و یوسف علیه السّلام:بطل الورع و التقوی و الطهاره...امام امراه محتاله جمیله عاشقه.

بعد هذا کلّه تتجلّی القدره البیانیه للوحی القرآنی بصوره تحیّر الإنسان،لانّ هذه القصّه-کما نعرف-تنتهی فی بعض مواردها الی مسائل العشق و دون ان یمسخها القرآن او یتجاوزها یتعرض الی الاحداث فی مسرحها بدقه بحیث لا یحس السامع شیء غیر مطلوب فیها.و یذکر القضایا بأجمعها فی المتن،و لکن تحفّها اشعه قویه من التقوی و الطهاره.

ص:۱۱۲

۴–قصّه یوسف قبل الإسلام و بعده

لا شکّ انّ قصّه یوسف کانت مشهوره و معروفه بین الناس قبل الإسلام، لأنّها مذکوره فی(۱۴)فصلا من[سفر التکوین]

فی التوراه بین[الفصل ۳۷- ۵۰]

ذکرا مفصلا.

و بطبیعه الحال فإنّ المطالعه الدقیقه فی هذه الفصول الاربعه عشر تکشف مدی الاختلاف بین ما جاء فی التوراه و ما جاء فی القرآن.

و بالمقارنه بین نصّ التوراه و نصّ القرآن نجد انّ نصّ القصّه فی القرآن فی غایه الصدق و تخلو من ای خرافه.

و ما یقوله القرآن للنّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: وَ إِنْ کُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِینَ یشیر الی قصّه یوسف التی عبّر عنها بأحسن القصص،حیث لم یکن النّبی مطّلعا علی حقیقتها الخالصه.

و یظهر من التوراه انّ یعقوب علیه السّلام لما رای قمیص یوسف ملطخا بالدم قال:

هذا قمیص ولدی و قد اکله الحیوان المفترس،فیوسف ممزق الأحشاء ثمّ خرّق یعقوب ثوبه و شدّ الحزام علی ظهره و جلس ایّاما للبکاء و النواح علی یوسف، و قد عزّاه جمیع ابنائه ذکورا و إناثا الاّ انه امتنع ان یقبل تعزیتهم و قال:سأدفن فی القبر حزنا علی ولدی.

بید انّ القرآن یبیّن:انّ یعقوب لم یصدّق ما قاله أولاده،و لم یفزع و لم یجزع لمصیبه ولده یوسف،بل ادّی ما علیه من سنّه الأنبیاء من الصبر و التوکل علی اللّه، و قال لأبنائه: بَلْ سَوَّلَتْ لَکُمْ أَنْفُسُکُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِیلٌ وَ اللّهُ الْمُسْتَعانُ عَلی ما تَصِفُونَ و ان کان قلبه یحترق علی فراق ولده و عیناه تدمعان من اجله حتی ابیضتا و عمیتا،و لکن–و کما یعبر القرآن–لم یقم بأی عمل من قبیل تخریق الثوب و النواح و شدّ الحزام علی ظهره–و الذی کان علامه للمصیبه و«العزاء»– و انّما قال:«صبر جمیل»و کتم حزنه«فهو کظیم».

ص:۱۱۳

و علی کل حال فإنّ هذه القصّه-بعد الإسلام-تناقلتها أقلام مؤرخی الشرق و الغرب...و أحیانا مع أغصان و أوراق اضافیه.

۵-لم ذکرت قصّه یوسف فی مکان واحد علی خلاف قصص سائر الأنبیاء

؟! انّ من خصائص قصّه یوسف البارزه انّ هذه القصّه ذکرت فی مکان واحد من القرآن،علی خلاف قصص الأنبیاء التی ذکرت علی شکل فصول مستقله فی سور متعدده من القرآن.

و الحکمه فی ذلک تعود الی ان تفکیک فصول هذه القصّه مع ملاحظه وضعها الخاص یفقدها ترابطها و انسجامها،فلهذا ینبغی ان تذکر کامله فی مکان واحد للحصول علی النتیجه المتوخاه و علی سبیل المثال فان الرؤیا و ما ذکره أبوه من تعبیر فی اوّل هذه السوره یفقد معناه دون ذکر نهایتها.

لذلک نقرا فی أواخر هذه السوره،حین جاء یعقوب و اخوه یوسف الی مصر و خرّوا له سجّدا قال یوسف ملتفتا الی أبیه: یٰا أَبَتِ هٰذٰا تَأْوِیلُ رُءْیٰایَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهٰا رَبِّی حَقًّا (۱) .

هذا النموذج یوضح الارتباط الوثیق بین بدایه السوره و نهایتها،فی حین انّ قصص الأنبیاء الآخرین لیست علی هذه الشاکله،و یمکن درک کل واحده من خلال فصولها.

و الخصیصه الاخری خصائص هذه السوره هی انّ قصص الأنبیاء التی وردت فی السور الاخری من القرآن تبیّن عاده مواجهه الأنبیاء لقومهم المعاندین و الطغاه،ثمّ تنتهی الحاله الی ایمان جماعه بالأنبیاء و مخالفه جماعه اخری لهم و استحقاقهم عذاب اللّه و عقابه.

۱- ۱) الآیه ۱۰۰.

امّیا فی قصّه یوسف فلاـ کلاـم عن هـذا الموضوع،بل اکثر ما فیها بیان حیاه یوسف نفسه و نجاته من المزالق الخطیره التی تنتهی أخیرا الی استلامه سدّه الحکم،و هی فی حدّ ذاتها«أنموذج»خاص.

۶-فضیله سوره یوسف

وردت فی الرّوایات الاسلامیه فضائل مختلفه فی تلاوه هذه السوره،و نقرا من ضمنها حدیثا

عن الامـام الصـادق علیه السّـلام حیث یقول: «من قرا سوره یوسف فی کـل یوم او فی کـل لیله،بعثه اللّه یوم القیامه و جماله مثل جمال یوسف،و لا یصیبه فزع یوم القیامه،و کان من خیار عباد اللّه الصالحین» (۱) .

انّ الرّوایـات التی وردت فی فضائـل سور القرآن-کما قلنا مرارا-لیس معناها القراءه السـطحیّه دون تفکر و عمل،بل تلاوه تکون مقدمه للتفکر...التفکر الذی یجر الی العمل،و مع ملاحظه محتوی هذه السوره یتّضح ان من یستلهم خطه حیاته من هذه القصّه،و یعفّ نفسه امـام طوفـان شدیـد من الشّـهوات و المـال و الجـاه و المقام،الی درجه یری بها خفره السـجن المظلمه مقرونه بطهاره الثوب أفضل من الحیاه فی قصور الملوک الملوّثه،فإنّ مثل هذا الشـخص فی جمال روحه کجمال یوسف،و ما من خفیّ الاّ ظهر یوم القیامه...و سیجد له جمالا مذهلا و یکون فی صف عباد اللّه الصالحین.

و ممّـا یلزم ذکره انّه ورد فی عـدد من الأحـادیث النهی عن تعلیم هـذه السوره «للنسـاء»،و لعـلّ السرّ فی ذلـک هو ما فی الآیات المرتبطه بامراه عزیز مصـر...فبالرغم من سـرد القصّه فی بیان عفیف،الاّ انّها سـبب لتحریک بعض النساء ایضا...و قـد جاء التأکید علی تعلیم سوره«النّور»المشتمله علی آیات الحجاب للنساء بدلا من سوره یوسف.

۱- ۱) مجمع البیان فی تفسیر الآیه.

و لكن سند هذه الرّوايات بشكل عام لا يعتمد عليه،اضافه الى ذلك فقد ورد فى بعض الرّوايات الاخرى خلاف ذلك حيث ترغّب فى تعليم هذه السوره للعائله.و بعد هذا كلّه فإنّه التدقيق فى آيات هذه السوره يكشف انّ هذه السوره، ليس فيها ايّه نقطه سلبيه بالنسبه للنساء،و ليس هذا فحسب،بل ان ما جرى لامراه عزيز مصر،درس فيه عبره لجميع النسوه اللائى يبتلين بالوساوس الشيطانيّه.

الآيات [سوره يوسف (۱۲): الآيات ۱ الى ۳]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ الر تِلْكَ آيٰاتُ اَلْكِتٰابِ اَلْمُبِينِ (۱) إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (۲) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ اَلْقَصَصِ بِمٰا أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ هٰذَا اَلْقُرْآنَ وَ إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ اَلْغٰافِلِينَ (۳)

التّفسير

اشاره

احسن القصص بين يديک:

تبدا هذه السوره بالحروف المقطعه«الف.لام.راء»و هى دلاله على عظمه القرآن،و انّ تركيب هذه الآيات ذات المحتوى العميق متكوّن من ابسط الاجزاء، و هى حروف الهجاء«الف-باء..إلخ» و قد تحدثنا عن الحروف المقطعه فى القرآن-حتى الآن-فى ثلاثه مواضع«بدايه سوره البقره،و آل عمران، و الأعراف»بقدر كاف...فلا ضروره للتكرار،و اثبتنا دلالتها على عظمه القرآن.

و ربّما كان لهذا السبب ان تأتى الاشاره-بعد هذه الحروف المقطعه مباشره- الى بيان عظمه القرآن فى هذه السوره،فتقول: تِلْكَ آيٰاتُ الْكِتٰابِ الْمُبِينِ .

و ممّا يستلفت النظر انّه استفيد من اسم الاشاره«تلك»فى هذه الآيه للبعيد، نظير ما جاء فى بدايه سوره البقره و بعض السور القرآنيه الاخرى.و قد قلنا:انّ

مثل هذه التعبيرات جميعا يشار بها الى عظمه هذه الآيات،ای انّها بدرجه من الرفعه و العلوّ كأنّها فی نقطه بعيده لا يمكن الوصول إليها ببساطه،بل بالسعی و الجدّ المتواصل...فهی فی أوج السّماوات و فی اعالی الفضاء اللامتناهی،لا انّها مطالب و مفاهيم رخيصه يحصل عليها الإنسان فی كل خطوه.

ثمّ يأتی البيان عن الهدف من نزول الآيات فيقول: إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .

فالهدف اذن ليس القراءه او التلاوه او التيمّن او التبرک بتلاوه هذه الآيات فحسب،بل الهدف الاساسی هو الإدراک...الإدراک القوی الذی يدعو الإنسان الی العمل بجميع وجوده.

و امّا سرّ كون القرآن عربيا فهو بالاضافه الی انّ اللغه العربيه واسعه كما يشهد بذلک اهل المعرفه باللغات المختلفه من العالم،بحيث تستطيع ان تكون ترجمانا للسان الوحی،و ان تبيّن المفاهيم الدقيقه لكلام اللّه سبحانه،فمن المسلم به-بعد هذا-انّ نور الإسلام بزغ فی جزيره العرب التی كانت منطلقا للجاهليه و الظلمه و التوحّش و البربريه،و من اجل ان يجمع اهل تلک المنطقه حول نفسه فينبغی ان يكون القرآن واضحا مشرقا،ليعلّم اهل الجزيره الذين لا حظ لهم من الثقافه و العلم و المعرفه،و يخلق بذلک مركزا محوريا لانتشار هذا الدين الی سائر نقاط العالم.

و بطبيعه الحال فإنّ القرآن بهذه اللغه«العربيّه»لا يتيسّر فهمه لجميع الناس فی العالم(و هذا شأن ايه لغه اخری)لانّنا لا نملک لغه عالميه ليفهمها جميع الناس،و لكن ذلک لا يمنع من ان يستفيد من فی العالم من تراجم القرآن،او ان يطلعوا تدريجا علی هذه اللغه ليتلمسوا الآيات نفسها و يدركوا مفاهيم الوحی فی طيّات هذه الألفاظ.

و علی كل حال فالتعبير بكون القرآن عربيا-الذی تكرر فی عشره موارد

من القرآن-جواب لأولئک الـذين يتهمون النّبی صـلّی اللّه عليه و آله و سـلّم بـأنّه تعلم القرآن من اعجمی،و انّ محتوی القرآن مستورد و ليس وحيا الهيا.

و هـذه التعبيرات المتتـابعه تحتم ضـمنا وظيفه مفروضه علی جميع المسـلمين، و هی ان يسـعوا جميعا الی معرفه اللغه العربيه و ان تکون اللغه الثانيه الی جانب لغتهم،لانّها لغه الوحی و مفتاح فهم حقائق الإسلام.

ثمّ يقول سبحانه: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْکَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمٰا أَوْحَيْنٰا إِلَيْکَ هٰذَا الْقُرْآنَ وَ إِنْ کُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغٰافِلِينَ .

يعتقـد بعض المفسّـرين انّ أَحْسَنَ الْقَصَـصِ اشاره الی مجموع القرآن،و انّ جمله بِمٰا أَوْحَيْنٰا إِلَيْکَ هٰذَا الْقُرْآنَ قرينه علی ذلک.و القصّه هنا ليست بمعنی سرد الحکايه،بل المراد معناها«الجذری»فی اللغه و هو البحث عن آثار الشیء.

و بما انّ ای موضوع-حين يشرح و يفصّل-يبيّن بکلمات متتابعه،فلذلک يطلق عليه قصّه ايضا.

و علی کل حال فإنّ اللّه سبحانه عبّر ب أَحْسَنَ الْقَصَـصِ عن مجموع هـذا القرآن الـذی جاء فی أجمل البيان و الشـرح،و افصـح الألفاظ و أبلغها،مقرونه بأسمی المعانی و ادقّها،بحيث يبدو ظاهره عذبا جميلا،و من حيث الباطن فمحتواها عظيم.

و نشاهـد فی روايات متعـدده انّ هذا التعبير اسـتعمل فی مجموع القرآن،رغم انّ هذه الرّوايات لم ترد فی تفسـير هذه الآيه-محل بحثنا-.

فمثلا نقرا

حديثا نقله علی بن ابراهيم عن النّبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم يقول: «انّ احسن القصص هذا القرآن» (۱) .

کما نقل فی روضه الکافی عن خطبه لأمير المؤمنين قوله:ان احسن

۱- ۱) نور الثقلين،ج ۲،ص ۴۹.

القصص و ابلغ الموعظه و انفع الذكر كتاب اللّه» (۱) .

و لكنّ ارتباط الآيات المقبله التى تبيّن قصّه يوسف عليه السّلام مع هـذه الآيه-محل البحث-بشكل يشدّ ذهن الإنسان الى هـذا المعنى،و هو انّ اللّه عبر عن قصّه يوسف بأحسن القصص و ربّما لا ينقدح فى أذهان الكثيرين ممن يطالعون بدايه آيات هذه السوره غير هذا المعنى.

و قلنا مرارا انّه لا مانع من ان تكون مثل هذه الآيات للمعنيين جميعا...

فالقرآن هو احسن القصص بصوره عامّه،و قصّه يوسف هى احسن القصص بصوره خاصّه.

و لم لا تكون هذه القصّه احسن القصص،مع انّها ترسم فى فصولها المثيره اسمى دروس الحياه؟! فنحن نشاهد حاكميه اراده اللّه على كل شىء هذه القصّه،و ننظر بأعيننا المصير الأسود الذى انتهى اليه الحسّاد و ما رقموه على الماء من خطط.

كما تتجسم من خلال سطورها الذله فى الابتذال و عدم العفه،و العظمه فى التقوى و منظر الصبىّ و هو وحيد فى قعر الجبّ،و فى مشهد آخر نراه يقضى الليالى و الايّام دون ذنب فى حفره السجن المظلم،ثمّ انبثاق نور الأمل من خلف حجب اليأس و الظّلمات،ثمّ نشاهد بعد ذلك حكومته العظيمه الواسعه نتيجه دراسته و أمانته.كل هذه المشاهد تتجلّى للقارىء لهذه القصّه بشكل رتيب.

لحظات و بسبب رؤيا يتحول مصير امّه...انقاذ امّه و مجتمع بشرى من الهلكه على يد قائد الهى متيقظ...و عشرات الدروس الاخرى-الكبيره-التى تلوح فى هذه القصّه،فلم لا تكون هذه القصّه احسن القصص؟! غايه ما فى الأمر أنّه لا تكفى أن تكون قصّه يوسف وحدها هى احسن القصص،بل المهم ان تكون فينا الجداره لانّ نفهم هذا الدرس العظيم و ان نعرف

۱- ۱) نور الثقلين،ج ۲،ص ۴۹.

مكانه من نفوسنا.

فكثير من الناس لا يزال ينظر الى قصّه يوسف عليه السّلام على انها حادثه عشق طريف،و مثله كمثل الدابّه التى يلوح لها البستان النضر الملىء بالازهار،الاّ انّها تراه حفنه من«العلف»تسدّ جوعها:

و ما يزال الكثير من الناس يضفى على القصّه افرازات خياليه كاذبه ليحرّف القصّه عن واقعها...و هذا من عدم اللياقه و فقدان الجداره و عدم قابليه المحل، و الاّ فإنّ اصل القصّه جمع كل انواع القيم الانسانيه العليا فى نفسه.

و سنرى فى المستقبل-بإذن اللّه-انّه لا يمكن تجاوز فصول هذه القصّه الجامعه و الجميله و كما يقول الشاعر فى هذه القصّه:

يسكر من عطر الزهور الفتى

حتى يرى مفتقدا ثوبه!

اثر القصّه فى حياه الناس

مع ملاحظه انّ القسم المهمّ من القرآن قد جاء على صوره تأريخ للأمم السابقه و قصص الماضين،فقد يتساءل البعض:لم يحمل هذا الكتاب التربوى كل هذا«التأريخ»و القصص؟! و تتضح العله الحقيقيه للموضوع بملاحظه عدّه نقاط:

١-انّ التاريخ مختبر لنشاطات البشريه المختلفه،و ما رسمه الإنسان فى ذهنه من الأفكار و التصورات يجده بصوره عينيه على صفحات التأريخ.

و بملاحظه انّ اكثر المعلومات البشريه توافقا مع الواقع و الحقيقه هى التى تحمل جانبا حسيّا،فإنّ دور التاريخ فى اظهار الواقعيّات الحياتيه يمكن دركه جيدا.

فالإنسان يرى بأم عينيه الهزيمه المرديه-لامّه ما-نتيجه اختلافها و تفرقها، كما يرى النجاح المشرق فى قوم آخرين فى ظل اتّحادهم و توافقهم.فالتاريخ

يتحدّث بلغه-من دون لسان-عن النتائج القطعيه و غير القابله للإنكار للتطبيقات العمليه للمذاهب و الخطط و البرامج عند كل قوم.

و قصص الماضين مجموعه من اكثر التجارب قيمه.و نعرف انّ خلاصه الحياه و محصولها ليس شيئا سوى التجربه.

و التاريخ مرآه تنعكس عليها جميع ما للمجتمعات الانسانيه من محاسن و مساوئ و رقى و انحطاط و العوامل لكلّ منها.

و على هذا فإنّ مطالعه تاريخ الماضين تجعل عمر الإنسان طويلا-بقدر أعمارهم حقّا،لأنّها تضع مجموعه تجاربهم خلال أعمارهم تحت تصرفه و اختياره.

و لهذا

يقول الامام على عليه السّلام فى حديثه التاريخى خلال وصاياه لولده الحسن المجتبى فى هذا الصدد: «اى بنى انى و ان لم أكن عمّرت عمر من كان قبلى،فقد نظرت فى اعمالهم،و فكّرت فى اخبارهم،و سرت فى آثارهم،حتى عدت كأحدهم،بل كأنّى بما انتهى الى من أمورهم قد عمرت من اوّلهم الى آخرهم» (1) .

و التاريخ الذى نتحدث عنه طبعا هو التاريخ الخالى من الخرافات و الأكاذيب و التملّقات و التحريفات و المسوخات.

و لكن-و للأسف-مثل هذا النوع من التاريخ قليل جدا.

و لا ينبغى ان نبعد عن النظر ما للقرآن من اثر فى بيان«نماذج»من التاريخ الأصيل و اراءتها.

التاريخ الذى ينبغى ان يكون كالمرآه الصافيه لا المقعّره.

التاريخ الذى لا يتحدث عن الوقائع فحسب،بل يصل الى الجذور و يسترشف النتائج.

فمع هذه الحال لم لا يستند القرآن-الذى هو كتاب تربوى عال فى فصوله-

---

1- 1) نهج البلاغه،من كتاب له عليه السّلام لولده الحسن المجتبى عليه السّلام.

على التاريخ و يأتى بالشواهد و الأمثال من قصص الماضين؟! ٢-ثمّ بعد هذا فإنّ للتاريخ و القصّه جاذبيه خاصّه،و الإنسان واقع تحت هذا التأثير الخارق للعاده فى جميع أدوار حياته من سنّ الطفوله حتى الشيخوخه.

و لذلك فإنّ التاريخ و القصّه يشكلان القسم الأكبر من آداب العالم و آثار الكتّاب.و احسن الآثار التى خلّفها الشعراء و الكتاب الكبار سواء كانوا من بلاد العرب او من فارس او من بلاد اخرى هى قصصهم.

فأنت تلاحظ«الكلستان»-لسعدى و«الشاهنامه»لفردوسى و«الخمسه» للنظامى و كذلك آثار«فيجتور هيجو»الفرنسى و«شكسبير»الانجليزى و«غوته»الالمانى جميعها كتبت على هيئه قصص جذابه».

و القصّه سواء كتبت نثرا او شعرا،او عرضت على شاشه المسرح او بواسطه الفيلم السينمائى،فإنّها تترك أثرا فى المشاهد و المستمع دونها اثر الاستدلالات العقليه فى مثل هذا التأثير.

و العلّه فى ذلك قد تكون انّ الإنسان حسى بالطبع قبل ان يكون عقليا و يتخبط فى المسائل الماديه قبل ان يتعمق فى المسائل الفكريه.

و كلما ابتعد الإنسان عن ميدان الحسّ فى نفسها جانبا عقليا،كانت هذه المسائل أثقل على الذهن و ابطأ هضما.

و من هنا نلاحظ انّه لأجل بيان الاستدلال العقلى يستمد المفكرين فى المسائل الاجتماعيه و الحياتيه المختلفه و توغل فى البعد العقلى من الامثله الحسيّه،و أحيانا يكون للمثال المناسب و المؤثر فى الاستدلال قيمه مضاعفه، و لذلك فإنّ العلماء الناجحين هم أولئك الذين لهم هيمنه على انتخاب احسن الامثله.

و لم لا يكون الأمر كذلك،و الاستدلالات العقليه هى حصيله المسائل الحسّيه و العينيّه و التجريبيّه؟!

۳-القصّه و التاریخ مفهومان عند کل احد،علی خلاف الاستدلالات العقلیه،فإنّ الناس فی فهمها لیسوا سواسیه...و علی هذا فإنّ الکتاب الشامل الذی یرید ان یستفید منه البدوی الامّی و المتوحش...الی الفیلسوف و المفکر الکبیر،یجب ان یکون معتمدا علی التاریخ و القصص و الامثله.

و مجموعه هذه الجهات تبیّن انّ القرآن خطا احسن الخطوات فی بیان التواریخ و القصص فی سبیل التعلیم و التربیه،و لا سیّما إذ التفتنا الی هذه النقطه، و هی انّ القرآن لا یذکر الوقائع التاریخیه فی ایّ مجال بشکل عار من الفائده،بل یذکر معطیاتها بشکل ینتفع بها تربویا،کما سنلاحظ«النماذج»و الامثله فی هذه السوره.

الآيات [سوره يوسف (۱۲): الآيات ۴ الى ۶]

اشاره

إِذْ قٰالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يٰا أَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَ اَلشَّمْسَ وَ اَلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سٰاجِدِينَ (۴) قٰالَ يٰا بُنَىَّ لاٰ تَقْصُصْ رُؤْيٰاكَ عَلىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ اَلشَّيْطٰانَ لِلْإِنْسٰانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (۵) وَ كَذٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَ يُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ اَلْأَحٰادِيثِ وَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ عَلىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمٰا أَتَمَّهٰا عَلىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرٰاهِيمَ وَ إِسْحٰاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۶)

التّفسير

اشاره

بارقه الأمل و بدايه المشاكل:

بدا القرآن بذكر قصّه يوسف من رؤياه العجيبه ذات المعنى الكبير،لانّ هذه الرؤيا فى الواقع تعدّ اوّل فصل من فصول حياه يوسف المتلاطمه.

جاء يوسف فى احد الايّام صباحا الى أبيه و هو فى غايه الشوق ليحدثه عن رؤياه،و ليكشف ستارا عن حادثه جديده لم تكن ذات اهميه فى الظاهر،و لكنّها كانت إرهاصا لبدايه فصل جديد من حياته إِذْ قٰالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يٰا أَبَتِ إِنِّى

رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سٰاجِدِينَ

.

يقول ابن عباس:(انّ يوسف راى رؤياه ليله الجمعه التى صادفت ليله القدر) (ليله تعيين الأقدار و الآجال).

و لكن كم كان ليوسف من العمر حين راى رؤياه؟! هناك من يقول:كان ابن تسع سنوات،و من يقول:ابن سبع،و منهم من يقول: ابن اثنتى عشره سنه،و القدر المسلم به انّه كان صبيّا.

و ممّا يستلفت الانتباه الى جمله«رأيت»جاءت مكرره فى الآيه للتأكيد و القاطعيه،و هى اشاره الى ان يوسف عليه السّلام يريد ان يقول:إذا كان كثير من الناس ينسون رؤياهم و يتحدثون عنها بالشك و التردّد،فلست كذلك.بل اقطع بأنّى رأيت احد عشر كوكبا و الشمس و القمر ساجدين لى دون شك.

و اللطيفه الاخرى هى انّ ضمير«هم»الذى يأتى لجمع المذكر السالم العاقل،قد استعمل للكواكب و الشّمس و القمر،و مثل هذا الاستعمال«ساجدين» ايضا اشاره الى انّ سجود الكواكب لم يكن من قبيل الصدفه بل كان امرا مدروسا و محسوبا كما يسجد الرجال العقلاء! و واضح-طبعا-انّ السجود المقصود منه هنا هو الخضوع و التواضع،و الاّ فإنّ السجود المعروف عند الناس لا مفهوم له بالنسبه للكواكب و الشمس و القمر.

ان هذه الرؤيا المثيره ذات المغزى تركت يعقوب النّبى غارقا فى التفكير...

فالقمر و الشمس و الكواكب،و اى الكواكب!انّها احد عشر يسجدون جميعا لولدى يوسف،كم هى رؤيا ذات مغزى!لا شك انّ الشمس و القمر«انا و امه او خالته»و الكواكب الأحد عشر اخوته،هكذا يرتفع قدر ولدى حتى تسجد له الشمس و القمر و كواكب السّماء.

ان ولدى«يوسف»عزيز عند اللّه إذا راى هذه الرؤيا المثيره! لذلك توجه الى يوسف بلهجه يشوبها الاضطراب و الخوف المقرون

«بالفرحه»و قَالَ يَا بُنَيَّ لاٰ تَقْصُصْ رُؤْيٰاکَ عَلىٰ إِخْوَتِکَ فَيَکِيدُوا لَکَ کَيْداً و انا اعرف إِنَّ الشَّيْطٰانَ لِلْإِنْسٰانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ و هو منتظر الفرصه ليوسوس لهم و يثير نار الفتنه و الحسد و ليجعل الاخوه يقتتلون فيما بينهم.

الطريف هنا انّ يعقوب لم يقل«أخاف من إخوتک ان يقصدوا إليک بسوء» بل اکّد ذلک على انّه امر قطعى،و خصوصا بتکرار«الکيد»لانّه کان يعرف نوازع ابنائه و حساسيّاتهم بالنسبه لأخيهم يوسف،و ربّما کان اخوته يعرفون تأويل الرؤيا،ثمّ انّ هذه الرؤيا لم تکن بشکل يعسر تعبيرها.

و من جهه اخرى لا يتصور ان تکون هذه الرؤيا شبيهه برؤيا الأطفال،إذ يمکن احتمال رؤيه الأطفال للشمس و القمر و الکواکب فى منامهم،و لکن ان تکون الشمس و القمر و الکواکب موجودات عاقله و تنحنى بالسجود لهم،فهذه ليست رؤيا أطفال...و من هذا المنطلق خشى يعقوب على ولده يوسف نائره الحسد من اخوته عليه.

و لکن هذه الرؤيا لم تکن دليلا على عظمه يوسف فى المستقبل من الوجهه الظاهريه و الماديه فحسب،بل تدل على مقام النبوّه التى سيصل إليها يوسف فى المستقبل.

و لذلک فقد أضاف يعقوب-لولده يوسف-قائلا: وَ کَذٰلِکَ يَجْتَبِيکَ رَبُّکَ وَ يُعَلِّمُکَ مِنْ تَأْوِيلِ (1) الْأَحٰادِيثِ وَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْکَ وَ عَلىٰ آلِ يَعْقُوبَ کَمٰا أَتَمَّهٰا عَلىٰ أَبَوَيْکَ مِنْ قَبْلُ إِبْرٰاهِيمَ وَ إِسْحٰاقَ .

اجل فإنّ اللّه على کل شىء قدير و إِنَّ رَبَّکَ عَلِيمٌ حَکِيمٌ .

ص:127

1- 1) «التأويل»فى الأصل إرجاع الشىء،و کل عمل او کل حديث يصل الى الهدف النهائى يطلق عليه«تأويل»و تحقق الرؤيا فى الخارج مصداق للتأويل...و«الأحاديث»جمع الحديث،و هو نقل ما يجرى،و الحديث هنا کنايه عن الرؤيا لان الإنسان ينقلها للمعبرين.

ملاحظات

اشاره

۱-الرّؤيا و الحلم

اشاره

انّ مسأله الرؤيا فى المنام من المسائل التى تستقطب أفكار الافراد العاديين من الناس و العلماء فى الوقت نفسه.

فما هـذه الأحلام التى يراها الإنسان فى منامه من احداث سيئه او حسنه، و ميادين موحشه او مؤنسه،و ما يثير السرور او الغم فى نفسه؟! أ هى مرتبطه بالماضى الـذى عشعش فى اعماق روح الإنسان و برز الى الساحه بعد بعض التبديلات و التغييرات؟ام هى مرتبطه بالمستقبل الـذى تلتقط صوره عدسه الروح برموز خاصّه من الحوادث المستقبليه؟!او هى انواع مختلفه،منها ما يتعلق بالماضى،و منها ما يتعلق بالمستقبل،و منها ناتج عن الميول النفسيه و الرغبات و ما الى ذلك...؟! انّ القرآن يصرّح فى آيات متعدده انّ بعض هذه الأحلام-على الأقل- انعكاسات عن المستقبل القريب او البعيد.

و قد قرانا عن رؤيا يوسف فى الآيات المتقدمه،كما سنرى قصّه الرؤيا التى حدثت لبعض السجناء مع يوسف فى الآيه(۳۶)و قصّه رؤيا عزيز مصر فى الآيه (۴۳)و جميعها تكشف الحجب عن المستقبل.

و بعض هذه الحوادث-كما فى رؤيا يوسف-تحقق فى وقت متأخر نسبيا «يقال انّ رؤيا يوسف تحققت بعد أربعين سنه»و بعضها تحقق فى المستقبل القريب كما فى رؤيا عزيز مصر و لمن فى السجن مع يوسف.

و فى غير سوره يوسف إشارات الى الرؤيا التى كان لها تعبير ايضا،كما ورد فى سوره الفتح عن رؤيا النّبى محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و ما ورد فى سوره الصافات عن رؤيا إبراهيم الخليل«و هذه الرؤيا كانت وحيا الهيا بالاضافه لما حملت من تعبير».

و نقرا

فى الحديث عن النّبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن الرؤيا قوله: «الرؤيا ثلاث:

بشری من اللّه،و تحزین من الشیطان،و الذی یحدث به الإنسان نفسه فیراه فی منامه» (۱) .

و واضح انّ أحلام الشیطان لیست شیئا حتی یکون لها تعبیر،و لکن ما یکون من اللّه فی الرؤیا فهی تحمل بشاره حتما...و یجب ان تکون رؤیا تکشف الستار عن المستقبل المشرق.

و علی کل حال یلزمنا هنا ان نبیّن النظرات المختلفه فی حقیقه الرؤیا، و نشیر إلیها بأسلوب مکثف مضغوط.

و التفاسیر فی حقیقه الرؤیا کثیره و یمکن تصنیفها الی قسمین هما:

۱-التّفسیر المادی ۲-التّفسیر المعنوی

۱-التّفسیر المادی:

یقول المادیون:یمکن ان تکون للرؤیا عدّه علل:

الف:قد تکون الرؤیا نتیجه مباشره للأعمال الیومیه،ای انّ ما یحدث للإنسان فی یومه قد یراه فی منامه.

ب-و قد تکون الرؤیا عباره عن سلسله من الامانی،فیراها الإنسان فی النوم کما یری الظمآن فی منامه الماء،او ان إنسانا ینتظر مسافرا فیراه فی منامه قادما من سفره.

ج-و قد یکون الباعث للرؤیا الخوف من شیء ما،و قد کشفت التجارب ان الذین یخافون من لص یرونه فی النوم.

امّا فروید و اتباعه فلدیهم مذهب خاص فی تفسیر الأحلام،إذ انهم بعد

۱- ۱) بحار الأنوار،ج ۱۴،ص ۴۴ و یضیف بعض العلماء قسما رابعا علی هذه الأقسام،هو الرؤیا التی تکون نتیجه مباشره عن الوضع المزاجی و الجسمانی للإنسان،و سیشار إلیها فی البحوث المقبله...ان شاء اللّه.

شرح بعض المقدمات يقولون:انّ الرؤيا عباره عن إرضاء الميول المكبوته التی تحاول الظهور علی مسرح الوعی بعد تحویرها و تبدّلها فی عملیه خداع الانا.

و لزیاده الإیضاح یقولون:-بعد قبول ان النفس البشریه مشتمله علی قسمین«الوعی»و هو ما له ارتباط بالأفکار الیومیه و المعلومات الاراديه و الاختیاریه للإنسان،و«اللاّوعی»و هو ما خفی فی باطن الإنسان بصوره رغبه لم تتحقق-فکثیرا ما یحدث ان تکون لنا میول لکننا لم نستطع ارضاءها- لظروف ما-فتأخذ مکانها فی ضمیر الباطن:و عند النوم حین یتعطل جهاز الوعی تمضی فی نوع من إشباع التخیل الی الوعی نفسه،فتنعکس أحیانا دون تغییر [کمثل العاشق الذی یری فی النوم معشوقته]

و أحیانا تتغیر اشکالها و تنعکس بصور مناسبه،و فی هذه الحاله تحتاج الرؤیا الی تعبیر.

فعلی هذا تکون الأحلام مرتبطه بالماضی دائما و لا تخبر عن المستقبل ابدا، نعم یمکن ان تکون وسیله جیده لقراءه«ضمیر اللاوعی!».

و من هنا فهم یستعینون لمعالجه الأمراض النفسیّه المرتبطه بضمیر «اللاوعی»باستدراج أحلام المریض نفسه.

و یعتقد بعض علماء التغذیه انّ هناک علاقه بین الرؤیا و حاجه البدن للغذاء، فمثلا لو رای الإنسان فی نومه دما یقطر من أسنانه،فتعبیر ذلک انّ بدنه یحتاج الی فیتامین(ث)و إذا رأی فی نومه أن شعر رأسه صار أبیضا،فمعناه انّه مبتلی بنقص فیتامین(ب).

٢-التّفسیر المعنوی

و امّا الفلاسفه المیتافیزیقیون فلهم تفسیر آخر للرؤیا،حیث یقولون:انّ الرؤیا و الأحلام علی اقسام:

١-الرّؤیا المرتبطه بماضی الحیاه حیث تشکل الرغبات و الامنیات قسما

مهما من هذه الأحلام.

۲-الرؤيا غير المفهومه و المضطربه و أضغاث الأحلام التى تنشأ من التوهم و الخيال(و ان كان من المحتمل ان يكون لها دافع نفسى.

۳-الرّؤيا المرتبطه بالمستقبل و التى تخبر عنه.

و ممّا لا شك فيه انّ الأحلام المتعلقه بالحياه الماضيه و تجسّد الأمور التى راها الإنسان فى طول حياته ليس لها تعبير خاص...و مثلها الاطياف المضطربه او ما تسمى بأضغاث أحلام التى هى افرازات الأفكار المضطربه،كالاطياف التى تمرّ بالإنسان و هو فى حال الهذيان او الحمّى،فهى-ايضا-لا يمكن ان تكون تعبيرا عن مستقبل الحياه...و لهذا فإنّ علماء النفس يستفيدون من هذه الأحلام و يتخذونها نوافذ للدخول الى ضمير اللّاوعى فى البشر،و يعدّونها مفاتيح لعلاج الأمراض النفسيّه،و يكون تعبير الرؤيا عند هؤلاء لكشف الأسرار النفسيه و أساس الأمراض،لا لكشف حوادث المستقبل فى الحياه! امّا الأحلام المتعلقه بالمستقبل فهى على نحوين:

قسم منها أحلام واضحه و صريحه لا تحتاج الى تعبير...و أحيانا تتحقق بشكل عجيب فى المستقبل القريب او البعيد دون اى تفاوت.

و هناك قسم آخر من هذه الأحلام التى تتحدث عن المستقبل،و لكنّها فى الوقت ذاته غير واضحه،و قد تغيّرت نتيجه العوامل الذهنيه و الروحيّه الخاصّه فتحتاج الى تعبير.

و لكل من هذه الأحلام نماذج و مصاديق كثيره،و لا يمكن إنكارها جميعا، لأنّها لا فى المصادر المذهبيه او الكتب التأريخيه-فحسب-بل تتكرر فى حياتنا او حياه من نعرفهم بشكل لا يمكن عدّه من باب المصادفات و الاتفاقات!.

ص :۱۳۱

و نذكر هنا عدّه نماذج من الأحلام الصادقه التى كشفت بشكل عجيب عن حوادث مستقبليه سمعناها من افراد موثوقين:

۱-المرحوم الآخوند ملا على من علماء همدان الموثوقين و المعروفين ينقل عن المرحوم الميرزا عبد النّبى النورى و هو من علماء طهران الكبار هذه القضيه:

عند ما كنت فى سامراء كان يصلنى سنويا من مدينه مازندران مبلغ بمقدار مائه تومان تقريبا،و على أساس هذا الأمر كنت استقرض دائما مقدار حاجتى من المؤونه و عند ما يصلنى هذا المبلغ كنت أقوم بتسديد هذه القروض.

و فى احد الأعوام جاءنى خبر مؤسف،و هو انّ المحصول الزراعى فى مازندران سىء للغايه بسبب القحط،و لهذا فإنّهم يعتذرون عن عدم إرسال المبلغ المقرر فى هذه السنه،و لما سمعت بذلك تألمت بشدّه و نمت و انا فى هذه الحال من الهم و الغم،فرأيت فى عالم الرؤيا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو يدعونى و يقول:يا فلان،قم و افتح تلك الخزانه(و أشار الى خزانه فى الحائط)و خذ منها مائه تومان موجوده هناك.فانتبهت من النوم،و لم تمض فتره حتى طرقت الباب بعد الظهر، فرأيت رسول الميرزا الشيرازى قدّس سرّه المرجع الكبير للشيعه و قال لى: انّ الميرزا يدعوك:فتعجبت من هذه الدعوه فى هذا الوقت بالذات.فذهبت اليه فرأيته جالسا فى حجرته(و قد نسيت الرؤيا تماما)و فجأه قال لى المرحوم الميرزا الشيرازى:يا ميرزا عبد النّبى افتح باب تلك الخزانه و خذ منها مائه تومان موجوده هناك.فتذكرت الرؤيا فورا و تعجبت كثيرا و أردت ان أقول شيئا، و لكنى شعرت بأنّه لا يرغب فى ذلك،فقمت الى الخزانه فأخذت المبلغ المذكور و خرجت.

۲-و ينقل صديق-و هو محل اعتماد-ان المرحوم التبريزى صاحب كتاب «ريحانه الأدب»كان له ولد يشكو من يده اليمنى(ربّما كان مبتلى بالروماتيزم)

بشكل يصعب عليه ان يمسک القلم بيده،فتقرر ان يسافر الى المانيا للمعالجه و يقول:حين كنت فى السفينه رأيت فى المنام ان امى توفيت ففتحت التقويم السنوى و سجلت الحادثه-مقيده بالساعه و اليوم-و لم تمض فتره حتى رجعت الى بلدى فاستقبلنى جماعه من الأقارب و الأصدقاء فوجدتهم لبسوا ثياب الحداد فتعجبت،و كنت قد نسيت الرؤيا،و أخيرا أخبرت-بالتدريج-ان امى توفيت،فتذكرت مباشره رؤياى فى السفينه فأخرجت التقويم و سألت عن اليوم الذى توفيت فيه فكان مطابقا لذلک اليوم تماما.

۳-يقول سيد قطب فى تفسيره«فى ظلال القرآن»فى هامشه على الآيات المتعلقه بسوره يوسف:«إذا كنت أنكر جميع ما قلتم فى الرؤيا فلن أستطيع ان أنكر ما حدث لى يوم كنت فى امريكا ابدا...رأيت هناک فى المنام انّ ابن أختى قد نزفت عيناه دما و لا يستطيع ان يرى(كان ابن أختى و سائر أعضاء اسرتى بمصر)فاستوحشت ممّا رأيت و كتبت رساله الى اسرتى بمصر فورا،و سألتهم عن حال ابن أختى بوجه خاص، فلم تمض فتره حتى جاءتنى الجواب الذى يخبرنى بأنّ ابن أختى مبتلى بنزيف داخلى فى عينيه و لا يستطيع ان يرى،و هو مشغول بالمعالجه.

و ممّا يستلفت النظر انّ النزف الداخلى كان بشكل لا يمكن رؤيته الاّ بالاجهزه الطبيّه،و قد حرم ابن أختى من النظر و الرؤيه على كل حال.غير اننى رأيت فى منامى حتى هذه المسأله الدقيقه.

ان الأحلام التى تكشف الحجب عن الأسرار و الحقائق المرتبطه بالمستقبل، او الحقائق الخفيّه المتعلقه بالحاضر،هى اكثر من ان تحصر،و ليس بمقدور بعض الافراد الذى لا يعتقدون بهذه الحقائق إنكارها،او حملها على المصادفه و الاتفاق! و من خلال التحقيق مع الأصدقاء القريبين يمكن الحصول على شواهد

كثيره من هـذه الأحلام،و هـذه الأحلام لا يمكن تعبيرها عن طريق التّفسير المادى ابـدا،و انما الطريق الوحيـد هو تعبير فلاسـفه الروح و الاعتقاد باستقلال الروح، و من مجموع هذه الأحلام يمكن ان نستفيد منها كشاهد على استقلال الروح.

۲-فى الآيـات-محل البحث-نلاحظ ان يعقوب-بالاضافه الى تحـذيره لولـده يوسف من ان يقصّ رؤياه على اخوته-فإنّه عبر عن رؤياه بصوره اجماليّه و قال له وَ كَذٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَ يُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحٰادِيثِ وَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ عَلىٰ آلِ يَعْقُوبَ .

و دلالـه رؤيـا يوسف على انّه سيبلغ فى المسـتقبل مقامات كبيره معنويه و ماديه يمكن دركها تماما...و لكن يبرز هـذا السؤال،و هو: كيف عرف يعقوب انّ ابنه يوسف سيعلم تأويل الأحاديث فى المسـتقبل؟اهو خبر أخبره يعقوب ليوسف مصادفه و لا علاقه له بالرؤيـا،ام انّه اكتشف ذلـك من رؤيا يوسف؟ الظاهر ان يعقوب فهم ذلك من رؤيا يوسف،و يمكن ان يكون ذلك عن احد طريقين:

الاوّل:انّ يوسف فى حداثه سنّه و قد نقل لأبيه-خاصّه-بعيدا عن أعين اخوته(لانّ أباه أوصاه ان لا يقصّها على اخوته)و هذا الأمر يدلّ على ان يوسف نفسه كان له احساس خاص برؤياه بحيث لم يقصصها بمحضر الجميع....

و لانّ مثل هـذا الاحساس فى صبىّ-كيوسف عليه السّلام-يـدلّ على انّ له اسـتعدادا روحيّا لتعبير الرؤيا،و انّ أباه قـد احسّ بهذا الاستعداد...و بالتربيه الصحيحه سيكون له فى المستقبل حظّ زاهر فى هذا المجال.

الثّانى:انّ ارتبـاط الأنبيـاء،بعالم الغيب له عـدّه طرق،فمرّه عن طريق «الإلهامات القلبيه»و تاره عن طريق«ملك الوحى»و اخرى عن طريق«الرؤيا».

و بـالرغم من انّ يوسف لم يكن نبيّا فى ذلك الوقت،لكن رؤيته لهـذه الرؤيا ذات المعنى الكبير يـدلّ على ان سيكون له ارتباط بعالم الغيب فى المستقبل،

و لا بدّ أن يعرف تعبير الرؤيا-طبعا-حتى يكون له مثل هذا الارتباط.

٣-من الدروس التى نستلهمها من هذا القسم من الآيات ان نحفظ الأسرار، و ينبغى ان يطبق هذا الدرس أحيانا حتى امام الاخوه،فدائما تقع فى حياه الإنسان اسرار لو اذيعت و فشت بات مستقبله او مستقبل مجتمعه معرضا للخطر،و المواظبه على حفظ هذه الأسرار دليل على سعه الروح و تملك الاراده، فكثير من ضعاف الشخصيّه أوقعوا أنفسهم او مجتمعهم فى الخطر بسبب افشاء الأسرار،و كم يرى الإنسان-من مساءه و ضرر لأنّه ترك حفظ الأسرار....

و فى هذا المجال

ورد حديث عن الامام على بن موسى الرضا عليه السّلام إذ قال: «لا يكون المؤمن مؤمنا حتى تكون فيه ثلاث خصال:سنّه من ربّه،و سنّه من نبيّه، و سنّه من وليّه.فأمّا السّنه من ربّه فكتمان السرّ،و امّا السّنه من نبيّه فمداراه الناس،و امّا السّنه من وليّه فالصبر على البأساء و الضراء» (۱) .

و

ورد حديث عن الامام الصادق عليه السّلام يقول: «سرّك من دمك فلا يجرينّ من غير أوداجك» (۲) .

ص: ۱۳۵

۱- ۱) بحار الأنوار،ط جديده،ج ۷۸،ص ۳۳۴.

۲- ۲) سفينه البحار،ماده:كتم.

الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ٧ الى ١٠]

اشاره

لَقَدْ كانَ فِي يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسّائِلِينَ (٧) إِذْ قالُوا لَيُوسُفُ وَ أَخُوهُ أَحَبُّ إِلى أَبِينا مِنّا وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبانا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٨) اُقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَ تَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صالِحِينَ (٩) قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَ أَلْقُوهُ فِي غَيابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيّارَهِ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ (١٠)

التّفسير

اشاره

المؤامره:

من هنا تبدا قصّه مواجهه اخوه يوسف و اشتباكهم معه:

ففى الآيه الاولى-من الآيات محل البحث-اشاره الى الدروس التربويه الكثيره التى توحيها القصّه، إذ تقول الآيه: لَقَدْ كانَ فِي يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسّائِلِينَ .

و فى انّ المراد بالسائلين،من هم؟يقول بعض المفسّرين كالقرطبى فى التّفسير الجامع و غيره:انّ هؤلاء السائلين هم جماعه من يهود المدينه،جاؤوا

يسألون النّبى اسئله فى هذا المجال،و لكن ظاهر الآيه مطلق،فلا مرجّح لانّ يكون المراد بالسائلين هم اليهود دون غيرهم.

و ایّ درس أعظم من ان يجتمع عدّه افراد لإهلاک فرد ضعيف و وحيد-فى الظاهر-و بخطط اعدّها الحسد،و يبذلون أقصى جهودهم لهذا الأمر،و لكن نفس هذا العمل-و دون شعور و اراده منهم-بات سببا فى تربّعه على سرير الملک و صيرورته آمرا على البلد الكبير«مصر»ثمّ يأتى اخوته فى النهايه ليطأطئوا برؤوسهم إعظاما له،و هذا يدلّ على ان اللّه إذا أراد امرا فهو قادر على ان يجريه حتى على ايدى من يخالفون ذلک الأمر،ليتجلّى ان الإنسان المؤمن الطاهر ليس وحيدا فى هذا العالم،فلو سعى جميع افراد هذا العالم الى إزهاق روحه و اللّه لا يريد ذلک،فإنهم لا يستطيعون ان يسلبوا منه شعره واحده.

كان ليعقوب اثنا عشر ولدا،و اثنان منهم:يوسف و بنيامين و هما من ام واحده اسمها راحيل،و كان يعقوب يولى هذين الولدين محبّه خاصّه،لا سيما يوسف.

لانّهما اوّلا:أصغر أولاده،و بالطبع فهما يحتاجان الى العنايه و الرعايه و المحبه.

و ثانيا:لانّ امّهما ارتحلت من الدنيا-طبقا لبعض الرّوايات-و بعد هذا كلّه كانت بوادر النبوغ و الذكاء و الحادّ ترتسم على يوسف،و هذه الأمور ادّت الى ان أن يولى يعقوب ابنه هذا عنايه اكثر.

الاّ ان الاخوه الحساد-دون ان يلتفتوا الى هذه الجهات-تألّموا من حبّ أبيهم ليوسف و أخيه،و خاصّه بعد اختلافهم فى الام و المنافسه الطبيعيه المترتبه على هذا الأمر.لهذا اجتمعوا فيما بينهم و تدارسوا الأمر و صمموا على المؤامره إِذْ قٰالُوا لَيُوسُفُ وَ أَخُوهُ أَحَبُّ إِلىٰ أَبِينٰا مِنّٰا وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ (1) .

ص: 137

1- 1) «العصبه»معناها الجماعه المتفقون على الأمر،و هذه الكلمه معناها الجمع الاّ لا مفرد لها من جنسها.

و حكموا على أبيهم من جانب واحد بقولهم: إِنَّ أَبانا لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ .

ان نار الحسد و الحقد لم تدعهم ليفكروا فی جميع جوانب الأمر ليكتشفوا دلائل علاقه الحبّ التی تربط يعقوب بولديه يوسف و بنيامين،لانّ المنافع الخاصّه لكل فرد تجعل بينه و بين عقله حجابا فيقضی من جانب واحد لتكون النتيجه«الضلال عن جاده الحق و العدل»و بالطبع فإنّ اتهامهم لأبيهم بالضلاله،لم يكن المقصود منها الضلاله الدينيه،لانّ الآيات الآتيه تكشف عن اعتقادهم بنبوّه أبيهم،و انما استنكروا طريقه معاشرته فحسب.

ثمّ ادّى بهم الحسد الى ان يخططوا لهذا الأمر،فاجتمعوا و قدموا مقترحين و قالوا: اُقْتُلُوا یُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً -أرسلوه الى منطقه بعيده- یَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِیكُمْ .

و من الحق ان تشعروا بالذنب و الخجل فی وجدانكم لانّكم تقدمون على هذه الجنايه فی حق أخيكم الصغير،و لكن يمكن أن تتوبوا و تغسلوا الذنب تَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صالِحِینَ .

و هناك احتمال آخر لتفسير هذه الآيه هو انّكم إذا أبعدتم أخاكم عن عينى أبيكم يصلح ما بينكم و بين أبيكم و تذهب اتعابكم و يزول اذاكم من هذا الموضوع،و لكن التّفسير الاوّل اقرب للنظر! و على كل حال فإنّ هذه الجمله تدلّ على احساسهم بالذنب من هذا العمل، و كانوا يخافون اللّه فی اعماق قلوبهم،و لذلك قالوا:نتوب و نكون من بعده قوما صالحين.

و لكن المسأله المهمه هنا هی انّ الحديث عن التوبه قبل الجريمه-فی الواقع-هو لأجل خداع«الوجدان»و اغرائه و فتح الباب للدخول الى الذنب،فلا يعدّ دليلا على الندم ابدا.

و بتعبير آخر:انّ التوبه الواقعيه هی التی توجد بعد الذنب حاله من الندم

و الخجل للإنسان،و امّا الكلام فى التوبه قبل الذنب فليس توبه.

و توضيح ذلك انّه كثيرا ما يقع أن الإنسان حين يواجه الضمير و«الوجدان» عند الاقدام على الذنب،او حين يكون الاعتقاد الدينى سدّا و حاجزا امامه يمنعه عن الذنب و هو مصمم عليه،فمن اجل ان يجتاز حاجز الوجدان او الشرع بيسر، يقوم الشخص بخداع نفسه و ضميره يأتى سوف اقف مكتوف اليدين بعد الذنب، بل سأتوب و امضى الى بيت اللّه و أؤدى الأعمال الصالحه،و سأغسل جميع آثار الذنوب.

اى انّه فى الوقت الذى يرسم الخطه الشيطانيه للاقدام على الذنب،يرسم خطه شيطانيه اخرى لمخادعه الضمير و الوجدان...و للاعتداء على عقيدته! فإلى اىّ درجه تبلغ هذه الخطه من السوء بحيث تمكّن الإنسان من تحقيق الجنايه و الذنب و كسر الحاجز الدينى الذى يقف امامه!! انّ اخوه يوسف دخلوا من هذا الطريق ايضا.

المسأله الدقيقه الاخرى فى هذه الآيه:انّهم قالوا: يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ و لم يقولون:يخل لكم قلب أبيكم،و ذلك لانّهم لم يطمئنّوا الى انّ أباهم ينسى يوسف بهذه السرعه...فيكفى ان يتوجه إليهم أبوهم،و لو ظاهرا! و هناك احتمال آخر لهذا التعبير،و هو أنّ الوجه و العينين نافذتان الى القلب، فمتى ما خلا الوجه لهم فإنّ القلب سيخلو و يتوجه إليهم بالتدريج.

و لكن كان من بين الاخوه من هو اكثر ذكاء و ارق عاطفه و وجدانا،لانّه لم يرض بقتل يوسف او إرساله الى البقاع البعيده التى يخشى عليه من الهلاك فيها...

فاقترح عليهم اقتراحا ثالثا،و هو ان يلقى فى البئر(بشكل لا يصيبه مكروه)لتمرّ قافله فتأخذه معها،و يغيب عن وجه أبيه و وجوههم،حيث تقول الآيه فى هذا الصدد قٰالَ قٰائِلٌ مِنْهُمْ لاٰ تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَ أَلْقُوهُ فِي غَيٰابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيّٰارَهِ إِنْ كُنْتُمْ فٰاعِلِينَ... .

ملاحظات

اشاره

۱-«الجبّ»معناه«البئر»التی لم تنضّد بالطابوق و الصخور،و لعلّ اغلب آبار الصحراء علی هذه الشاکله.

و«الغیابه»المخبأ من البئر الغائب عن النظر و لعلّ هذا التعبیر یشیر الی ان الآبار الصحراویه یصنع فی قعرها مکان قریب من الماء،بحیث لو أراد احد النزول الی البئر لیستفید من الماء،فإنّه یستطیع ان یجلس هناک و یملا دلوه من ذلک الماء دون ان ینزل هو فی الماء،و بالطبع فإنّ من ینظر البئر من فوقها لا یری ذلک المکان و لذلک سمی«غیابه» (۱) .

۲-لا شک انّ اقتراح هذا القائل أَلْقُوهُ فِی غَیابَتِ الْجُبِّ لم یکن الهدف منه موت یوسف فی البئر،بل بقاءه سالما لتنقذه القافله عند مرورها علی البئر للاستسقاء.

۳-یستفاد من جمله إِنْ کُنْتُمْ فاعِلِینَ انّ القائل لم یکن یرغب-أساسا- حتی بهذا الاقتراح و لعله کان لا یوافقهم علی إیذاء یوسف أصلا.

۴-هناک اختلاف بین المفسّرین فی اسم هذا الأخ القائل لا تَقْتُلُوا یُوسُفَ فقال بعضهم:اسمه«روبین»و کان اذکاهم،و قال بعضهم:اسمه«یهودا»و قال آخرون:اسمه«لاوی».

۵-اثر الحسد المدمّر فی حیاه الناس

الدرس الآخر الذی نتعلّمه من هذه القصّه،و هو انّ الحسد یمکن ان یدفع الإنسان حتی الی قتل أخیه،او إیجاد المشاکل له،فنار الحسد إذا لم یمکن إخمادها فإنّها ستحرق صاحبها بالاضافه الی إحراق الآخرین بها.

و أساسا إذا حرم الإنسان من نعمه أنعمها اللّه علی عبد سواه،فإنّه سیکون

۱- ۱) مقتبس من تفسیر المنار فی تفسیر الآیه.

امام اربع حالات مختلفه.

الاولی:ان یتمنّی ان ینعم اللّه علیه مثل ما أنعم علی غیره،و هذه الحاله تدعی «الغبطه»و هی جدیره بالثناء و المدح،و لیس لها اثر سیء،لأنّها تدعو صاحبها للسعی و الجدّ و المثابره حتی ینال مثل ما نال المغبوط.

الثّانیه:ان یتمنّی ان تسلب هذه النعمه عن الآخرین،و یسعی من اجل تحقیق هذا التمنی،و هذه هی الحاله المذمومه الموسومه«بالحسد»التی تدعو صاحبها الی التخریب و سلب النعمه عن الآخرین،دون ان تدعوه لانّ یطلب من اللّه مثل ما اعطی غیره من النعم.

الثّالثه:ان یتمنّی ان تکون هذه النعمه له فقط و یحرم الآخرون منها و هذه الحاله تسمّی«البخل»و الانانیه التی تدعو الإنسان ان یطلب شیئا لنفسه،و یلتذّ من حرمان الآخرین.

الرّابعه:ان یتمنّی و یحب تنعّم الآخرین بهذه النعمه و ان کان محروما منها، و هو مستعدّ ان یقدّم ما عنده من أجلهم...و بغض النظر عن منافعه الشخصیه، و هذه الحاله الرفیعه هی ما یسمّی ب«الإیثار»التی هی من أهم الصفات الانسانیه الحمیده.

و علی کل حال فإنّ الحسد لا یقتصر علی قتل اخوه یوسف لأخیهم فحسب، بل قد یوصل الإنسان الی قتل نفسه.

و لهذا نجد فی الأحادیث الاسلامیه تعابیر مؤثره تدعو الی مکافحه هذه الرّذیله،و علی سبیل المثال نورد منها ما یلی:

-۱

فی حدیث عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم انّه قال: «انّ اللّه نهی موسی عن الحسد و قال له:انّ الحاسد ساخط لنعمی صادّ لقسمی الذی قسمت بین عبادی،و من یک کذلک فلست منه و لیس منّی» (۱) .

۱- ۱) اصول الکافی،ج ۲،ص ۳۰۷.

۲-و نقرا

حديثا للإمام الصادق عليه السّلام يقول: «آفه الدين الحسد و العجب و المفاخره» كما نقرا له

حديثا يقول: «انّ المؤمن يغبط و لا يحسد،و المنافق يحسد و لا يغبط» (۱) .

۶-كما نستنتج درسا آخر من هذا المقطع فى القصّه،و هو انّ الوالدين ينبغى ان يلاحظا أبناءها الآخرين عند إبراز عنايتهما و محبّتهما لواحد منهم،فبالرغم من ان يعقوب لم يرتكب خطأ-دون اىّ شك-بالنسبه لإبراز علاقته لولديه يوسف و بنيامين،و انّما كان كل ذلك وفق حسابات خاصّه.و لكن هذه الحادثه تكشف لنا انّه ينبغى ان يكون الإنسان اكثر إحساسا،فى هذه المسأله-من القدر اللازم.لانّ إبراز العلاقه لبعض الأبناء دون بعض توجد عقده فى نفوس الآخرين،الى درجه انّها تجرّهم الى كل عمل مخرّب،حيث يجدون شخصياتهم منهزمه و لا بدّ من تحطيم شخصيه أخيهم للتعويض عن هذه الهزيمه،فيكون الاقدام على هذا العمل دون لحاظ الرحميه و وشائج القربى.

و إذا لم يستطع الإنسان ان يقوم بعمل معاكس،فإنّه يظل يلوم نفسه و يحرضها حتى يبتلى بالمرض النفسى.

و ما زلت اذكر انّه كان لى صديق قد مرض ولده الصغير،فأوصى ولده الكبير برعايته،و أخذ الأب يولى ولده الصغير محبه و شفقه فائضه«لأنّه مريض».

فلم تمض فتره حتى مرض هذا الابن الكبير بمرض نفسى مجهول،قلت لذلك الصديق العزيز:الا تفكّر انّ أساس المرض هو عدم العداله بين ولديك...

لكنّه لم يصدّق،و أخيرا راجع الطبيب النّفسانى المختصّ فقال:ان ابنك ليس مريضا بمرض خاصّ،و انّما أساس مرضه هو اهتمامك بأخيه و عدم اهتمامك به، و هو يحس بأنّ شخصيته متعطشه للحنان و الحبّ،فى حين انّ أخاه لم يحرم منهما.

۱- ۱) المصدر نفسه.

و فی هذا الصدد نقرا

فی الرّوایات الاسلامیه ان الامام الباقر علیه السّلام قال یوما:

«و اللّه انّی لأصانع بعض ولـدی،و أجلسه علی فخذی،و انکز له المخّ،و اکسـر له الکسـر،و ان الحقّ لغیره من ولدی،و لکن مخافه علیه منه و من غیره،لا یصـنعوا به ما فعل بیوسف اخوته،و ما انزل اللّه سوره الاّ أمثالا لکی لا یجد بعضـنا بعضا کما حسد یوسف اخوته،و بغوا علیه،فجعلها رحمه علی من تولاّنا،و دان بحبّنا و جحّه علی أعدائنا و من نصب لنا الحرب و العداوه» (1) .

ص:143

1- 1) بحار الأنوار،ج 74،ص 78.

الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ١١ الى ١۴]

اشاره

قالُوا يا أَبانا ما لَکَ لا تَأْمَنّا عَلى يُوسُفَ وَ إِنّا لَهُ لَناصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنا غَداً يَرْتَعْ وَ يَلْعَبْ وَ إِنّا لَهُ لَحافِظُونَ (١٢) قالَ إِنِّی لَيَحْزُنُنِی أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَ أَخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَ أَنْتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ (١٣) قالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنّا إِذاً لَخاسِرُونَ (١۴)

التّفسير

اشاره

المؤامره المشؤومه

! بعد ان صوّب اخوه يوسف اقتراح أخيهم فی عدم قتل يوسف،و القائه فی الجبّ،أخذوا يفكرون فی كيفيه فصل يوسف عن أبيه لذلک اقدموا علی تخطيط آخر،فجاءوا الی أبيهم بلسان ليّن يدعو الی الترحم،و فی شكل يتظاهرون به انهم مخلصون له و حدثوا أباهم و قالُوا يا أَبانا ما لَکَ لا تَأْمَنّا عَلى يُوسُفَ وَ إِنّا لَهُ لَناصِحُونَ .

تعال يا أبانا و ارفع اليد عن اتهامنا،فإنّه أخونا و ما يزال صبيا و بحاجه الی اللهو و اللعب،و ليس من الصحيح حبسه عندک فی البيت،فخلّ سبيله أَرْسِلْهُ

ص :١۴۴

مَعَنٰا غَداً یَرْتَعْ وَ یَلْعَبْ

(۱)

.

و إذا کنت تخشی علیه من سوء فنحن نواظب علی حمایته وَ إِنّٰا لَهُ لَحٰافِظُونَ .

و بهذا الأسلوب خططوا لفصل أخیهم عن أبیه بمهاره،و لعلّهم قالوا هذا الکلام امام یوسف لیطلب من أبیه إرساله معهم.

و هذه الخطه ترکت الأب-من جانب-امام طریق مسدود،فإذا لم یرسل یوسف مع اخوته فهو تأکید علی اتهامه ایّاهم،و حرضت-من جانب آخر- یوسف علی ان یطلب من أبیه الذهاب معهم لیتنزّه کما یتنزه اخوته،و یستفید من هذه الفرصه لاستنشاق الهواء الطلق خارج المدینه.

اجل،هکذا تکون مؤامرات الذین ینتهزون الفرصه،و غفله الطرف الآخر، فیستفیدوا من جمیع الوسائل العاطفیه و النفسیّه،و لکن المؤمنین ینبغی الاّ ینخدعوا بحکم

الحدیث المأثور «المؤمن کیّس» ای فطن ذکی فلا یرکنوا للمظهر المنمّق حتی لو کان ذلک من أخیهم.

و لکن یعقوب-دون ان یتهم اخوه یوسف بسوء القصد- اظهر تردّده فی إرسال یوسف لامرین:الاوّل:انه سیبتعد عنه فیحزن علیه،و الثانی:ربّما یوجد خارج المدینه بعض الذئاب المفترسه فتأکله،فاعتذر إلیهم و قٰالَ إِنِّی لَیَحْزُنُنِی أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَ أَخٰافُ أَنْ یَأْکُلَهُ الذِّئْبُ وَ أَنْتُمْ عَنْهُ غٰافِلُونَ .

و هذه المسأله طبیعیه،حیث قد یبتعد اخوه یوسف عنه فیغفلون عن امره، فیأتی إلیه الذئب فیأکله.

و بدیهی انّ الاخوه لم یکن لهم جواب بالنسبه للأمر الاوّل الذی أشار الیه أبوهم یعقوب،لانّ الحزن و الاغتمام علی فراق یوسف لم یکن شیئا عادیّا حتی

۱- ۱) «یرتع»من ماده«رتع»علی وزن«قطع»و معناه فی الأصل رعی الأغنام و الانعام بصوره عامّه للنباتات و شبعها منها،و لکن قد یطلق هذا اللفظ(رتع،یرتع)و یراد به تنزّه الإنسان و کثره الاکل و الشرب ایضا.

یعوّض عنه،و ربّما کان هذا التعبیر مثیرا لنار الحسد فی اخوه یوسف اکثر.

و من جهه اخری فـإنّ هـذا الموضوع الـذی أشـار الیه یعقوب،و هو حزنه علی ابتعـاد یوسف عنه یمکن ردّه،و هو لاـ یحتـاج الی بیان،لانّ الولـد لا بـدّ له من الابتعاد عن أبیه من اجل ان ینمو و یرشـد،و إذا أرید له ان یکون کنبات «النّورس»بحیث یبقی تحت ظل شـجره«وجود الأب»فإنّه سوف یبقی عاله علیه فلا بـدّ من هذا الابتعاد و الانفصال حتی یتکامل ولده،فالیوم تنزّه و غدا اجتهاد و مثابره لتحصیل العلم،و بعد غد عمل و سعی للحیاه،و أخیرا فإنّ الانفصال لا بدّ منه.

لـذلک فـإنّهم لم یجیبوه عن الشقّ الاـوّل من کلاـمه،بل أجابوه عن الشقّ الثّانی لانّه کان مهما و اساسـیا بالنسـبه لهم إذ قالُوا لَئِنْ أَکَلَهُ الذِّئْبُ وَ نَحْنُ عُصْبَهٌ إِنّا إِذاً لَخاسِرُونَ .

ای:أ ترانـا موتی فلاـ نـدافع عن أخینـا،بـل نتفرج علی الـذئب کیف یـأکله!ثمّ اضـافه الی علاـقه الاخوه التی تـدفعنا للحفاظ علی أخینـا،ما عسـی ان نقول للناس عنّا؟ هل ننتظر لیقال عنّا:انّ جماعه أقویاء و فتیه أشـداء جلسوا و تفرجوا علی الـذئب و هو یفترس أخاهم!فهل نسـتطیع العیش بعـد هـذا مع الناس؟! لقـد أجابوا أباهم بما تضـمن قوله: أَخافُ أَنْ یَأْکُلَهُ الذِّئْبُ وَ أَنْتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ و مشغولون بلعبکم،کیف یکون ذلک؟و المسأله لیست بهذه البساطه...

انّها الخساره و ذهاب ماء الوجه و الخزی...إذ کیف یمکن لواحـد منّا ان یشـغله اللعب فیغفل عن أخیه یوسف،لانّه فی مثل هـذه الحال لا تبقی لنا قیمه و لا نصلح لای عمل.

و یبرز هنـا سؤال مهم...و هو:لمـاذا أشـار یعقوب الی خطر الـذئب من دون الاخطـار الاـخری؟! قـال البعض:ان صـحراء کنعـان-کانت-«صحراء مذئبه»و من هنا کان

الخوف من الذئب اكثر من غيره.

و قال البعض:كان ذلك للرؤيا التى رآها يعقوب من قبل و هى ان ذئابا هجمت على ولده يوسف.

و هناك احتمال آخر هو ان يعقوب أجابهم بلسان الكنايه،و المقصود من الذئاب فى كلامه هم الأناس المتصفون بصفه الذئب اخوه يوسف.

و على كل حال فقد استطاع اخوه يوسف بما أوتوا من الحيل،و بتحريك احاسيس يوسف النقيّه و ترغيبه الى التنزه خارج المدينه،و ربّما كان الاوّل مرّه يتاح ليوسف ان يحصل على مثل هذه الفرصه...استطاعوا ان يأخذوا يوسف معهم و ان يستسلم الأب لهذا الأمر فيوافق على طلبهم.

بحوث

اشاره

و ينبغى هنا الالتفات الى عده دروس حيّه تستلهم من هذه القصّه:

۱-مؤامرات الأعداء فى ثياب الأصدقاء

من الطبيعى انّ الأعداء لا يدخلون الميادين-عند الهجوم-بصراحه و دون استتار ابدا.

بل انّهم من اجل تفويت الفرصه على الطرف الآخر و استغفاله و سلبه كل وسائل الدفاع يسعون الى إخفاء عملهم تحت قناع جذاب انّ اخوه يوسف اخفوا خطه هلاكه او ابعاده تحت غطاء اسمى الاحاسيس و العواطف الاخويه،هذه الاحاسيس التى كانت تحرك يوسف من جهه لانّ يمضى معهم،و كانت عند أبيهم موضع قبول من جهه اخرى ايضا.

و هذه هى الطريقه التى نواجهها فى حياتنا اليوميّه على المدى الواسع،و ما

تلقيناه من ضربات قاسيه من أعدائنا المخاتلين بثياب الأبرار فی هذا المضمار غير قليل،و لها مظاهر متعدده،فمره بمظهر المساعدات الاقتصاديه،و اخری تحت ستار التبادل الثقافی،و ثالثه فی ثوب الدفاع عن حقوق البشر،و رابعه بأسلوب المعاهدات الدفاعيه...كل تلك الأمور كانت نتيجه اسوا القرارات الاستعماريه المذلّه للأمم المستضعفه و التی من ضمنها أمتنا الاسلاميّه.

و لكن و مع هذه التجارب التاريخيّه ينبغی ان نكون حذرين للغايه و ان نعرف أعداءنا جيدا،فلا نحسن الظن بهذه الذئاب البشريه التی تريد ان تمتص دماءنا بما تظهره من عواطف و احاسيس متلبسه بثياب المخلصين المتفانين فما زلنا نتذكر ما فعلته الدول المتسلطه علی العالم حيث أرسلت تحت ستار المساعدات الطبيّه الی بعض الدول الافريقيه المتضرره بالحرب اسلحه و عتاد أرسلت الی عملائها،كما بعثت اخطر جواسيسها تحت ثياب الدبلوماسيه و السفارات و الممثلين لها الی مختلف مناطق العالم.

و تحت ستار الخبراء العسكريين و تدريب الدّول المستضعفه علی الاسلحه الحديثه و المتطوره كانوا يأخذون مع عودتهم جميع الأسرار العسكريه لتلك الدوله.

و بإرسال خبراء فنيين!!الی هذه الدول يربطوا عجله اقتصادها بالمناهج تكرس التبعيه تری،أ ليست كل هذه التجارب التأريخيّه كافيه لئلّا ننخدع بهذه الزخارف البرّاقه الكاذبه و ان نعرف وجوه هؤلاء الذئاب المتظاهرين بالانسانيّه.

٢-حاجه الإنسان الفطريه و الطبيعيه الی التنزّه و الارتياح

من الطريف ان يعقوب عليه السّلام لم يردّ علی كلام اخوه يوسف و استدلالهم علی انّه بحاجه الی التنزه و الارتياح،بل وافق علی ذلك عمليّا،و هذا دليل كاف علی ان ایّ عقل سليم لا يستطيع ان ينكر هذه الحاجه الفطريه و الطبيعيّه...فالإنسان

لیس آله تستعمل فی ای وقت کـان و کیف کان،بل له روح و نفس ینالهما التعب و النصب کما ینالان الجسم.فکما ان الجسـم یحتاج الی الراحه و النوم،کذلک الرّوح و النّفس بحاجه الی التنزّه و الارتیاح السلیم.

التجربه-ایضا-تدل علی ان الإنسان کلّما واصل عمله بشـکل رتیب،فإنّ مردود هذا العمل سـیقلّ تدریجیا نتیجه ضـعف النشاط،و علی العکس من ذلـک فـإنّ الاـستراحه لعـده ساعـات تبعث فی الجسم نشاطا جدیـدا بحیث تزداد کمیه العمـل و کیفیته معـا،و لذلک فإنّ الساعات التی تصرف فی الراحه و التنزه تکون عونا علی العمل ایضا.

و فی الرّوایات الاسلامیه نجد هذه الواقعیه بأسلوب طریف جاء بمثابه «القانون»حیث

یقول الامـام علی علیه السّـلام: «للمؤمن ثلاـث ساعـات:فسـاعه ینـاجی فیهـا ربّه،و ساعه یرمّ معاشه،و ساعه یخلی بین نفسه و بین لذّتها فیما یحلّ و یجمل» (۱) .

و ممّا یستجلب النظر انّ فی بعض الرّوایات الاسلامیه أضیفت هذه الجمله الی النص المتقدم«و ذلک عون علی سائر الساعات».

و علی حـدّ تعبیر البعض فـإنّ التنزّه و الارتیـاح بمثـابه تـدهین و تنظیف اجهزه السیّاره،فلو توقفت هـذه السـیاره ساعه عن العمل لمراقبه اجهزتها و تنظیفها، فإنها سـتغدو اکثر قوه نشاطا یعوّض عن زمن توقفها اضـعاف المرات،کما انه سـیزید من عمر السـیاره ایضا.

لکن المهم ان یکون هذا التنزّه صـحیحا،و الاّ فإنه لا یحل المشـکله،بل سـیزیدها،فإنّ کثیرا من حالات التنزّه هذه تدمر الإنسان و تسلب منه نشاطه و قدرته علی العمل لفتره ما،او علی الأقل تخفف من نشاط عمله.

و هناک نقطه تـدعو للالتفات ایضا،و هی ان الإسـلام اهتم بمسأله الترویض و الاستراحه النفسـیه بحیث أجاز المسابقات فی هذا المضمار..و یحدثنا التاریخ

۱- ۱) نهج البلاغه،الکلمات القصار:رقم الکلمه ۳۹۰.

انّ قسـما من هـذه المسابقـات جرت بمرأى من رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم،و أحيانا كانت تناط اليه مهمه التحكيم و القضاء فى هذه المسابقه،و ربّما اعطى ناقته الخاصّه- لبعض الصحابه للتسابق عليها.

ففى روايه الامام الصادق عليه السّلام انّه قال: «ان النّبى اجرى الإبل مقبله من تبوك فسـبقت العضـباء و عليها اسامه،فجعل الناس يقولون:سبق رسول اللّه و رسول اللّه يقول:سبق اسامه (۱) » (اشاره الى ان المهم فى السبق هو الراكب لا المركب،حتى و ان كان المركب السابق عند من لا يجيدون السبق).

النقطه الاخرى هى انّه كما ان اخوه يوسف اسـتغلّوا علاقه الإنسان-و لا سيما الشاب-بالتنزّه و اللعب من اجل الوصول الى هدفهم الغـادر...ففى حياتنـا المعاصـره-ايضـا-نجـد اعـداء الحق و العـداله يسـتغلّون مسـأله الريـاضه و اللعب فى سبيـل تلـويث أفكـار الشـباب،فينبغى ان نحـذر المسـتكبرين«الـذئاب»الـذين يخططـون لإضـلال الشـباب و حرفهم عن رسـالتهم تحت اسم الريـاضه و المسابقات المحلّيه و العالميه.

و لاـ ننسـى ما كان يجرى فى عصـر الطاغوت(الشاه)،فإنّهم و بهـدف تنفيـذ بعض المؤامرات و نهب ثروات البلاد و تحويلها الى الأجـانب لقـاء ثمن بخس، كـانوا يرتّبون سلسـله من المسابقـات الرياضـيه الطويله العريضه لالهاء الناس لئلّا يطلعوا على المسائل السياسيّه.

۳-الولد فى ظلّ الوالد

إذا كانت محبّه الأب الشديده او الام بالنسبه للولد تسـتوجب ان يحفظ الى جانبهما،الّا ان من الواضح ان فلسـفه هذه المحبه من وجهه نظر قانون الخلقه هى المحافظه التامه على الولد عند الحاجه إليها،و على هذا الأساس ينبغى ان تقل

۱- ۱) سفينه البحار،ج ۱،ص ۵۹۶.

هـذه المحافظه كلّما تقـدّمت به السن،و يمنح الولد الاجازه ليخطو فى حياته نحو الاسـتقلال،و الاّ فسـيكون كمثل غرسه النّورس تحت ظل الشجره القويه دائما لا تنمو كما يلزم.

و ربّما وافق يعقوب عليه السّلام-لهذا السبب-على اقتراح ابنائه رغم علاقته الشديده بيوسف،و أرسله معهم الى خارج المدينه،و مع انّ هذا الأمر كان صـعبا على يعقوب،و لكن مصـلحه يوسف و حاجته الى الرشد و النموّ كانت تستوجب ان يجيزه أبوه ليبتعد عنه ساعات و ايّاما! و هذه مسأله تربويه مهمّه غفل عنها كثير من الآباء و الأمهات،حيث يربّون أولادهم تربيه بحيث لا يسـتطيعون ان يعيشوا خـارج«خيمه الأبوين» و محافظتهمـا عليهم،و بالتـالى يسـقطون امام تيارات الحوادث و ضـغوطها،كما ان هناك رجالا عظماء فقدوا والديهم فى دور الطفوله،و لكنّهم صنعوا أنفسهم بأيديهم و واجهوا المشاكل و تجاوزوها.

فالمهم ان يلتفت الوالدان الى هذه المسأله التربويه،و الاّ فستكون محبتهما «الكاذبه»مانعا من استقلال أولادهم.

من الطريف ان هـذه المسـأله موجوده فى بعض الحيوانـات بشـكل غريزى، فنحن نرى أفراخ الـدجاج«الفروج»-مثلا-يبـدأ حياته تحت جناحى امه، و تحافظ الدجاجه الام عليها كما تحافظ على روحها«العزيزه».

و لكن بعـد فتره حيت تكبر هـذه الافراخ فإنّ الام لا تترك المحافظه على هذه الافراخ فحسب،بل تنقر ايّا منها يصل إليها.و معنى هـذا انّها تريـد ان تعوّدهم على ان يتعلموا طريق الحياه المسـتقله!فإلى متى تعيشون غير مسـتقلين؟! و لكن هذا الموضوع لا ينافى تقويه الروابط العائليه و المحافظه على الموده و المحبّه،بل هى محبّه عميقه و علاقه محسوبه و نافعه للطرفين.

۴-لا قصاص و لا اتهام قبل الجنايه

نشاهد فی هذا الفصل من القصّه انّ یعقوب بالرغم من علمه بما سیقدم علیه اخوه یوسف...و تحذیره ولده یوسف ألّا یقصص رؤیاه علی اخوته،و ان یکتم الأمر،الّا انّه لم یکن مستعدا لانّ یتّهمهم بقصد الاساءه الی یوسف،بل کان عذره إلیهم انّه یحزنه فراقه،و یخاف ان یأکله الذئب فی الصحراء.

و الأخلاق و المعاییر الانسانیه و الاسس القضائیه العادله توجب ذلک ایضا، فحیث لم تتوفر لدینا علامه ظاهره علی مخالفه شخص ما فلا ینبغی اتّهامه، فالأصل البراءه و الصحّه و الطهاره الّا ان یثبت خلافه.

۵-تلقین العدوّ

المسأله الاخری اننا نقرا-فی ذیل الآیات المتقدمه-

روایه عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم انّه قال: «لا تلقّنوا الکذّاب فیکذب فإنّ بنی یعقوب علیه السّلام لم یعلموا ان الذئب یأکل الإنسان حتی لقّنهم أبوهم» (۱) . اشاره الی انه قد یحدث أحیانا ان لا یلتفت الطرف الآخر الی الحیله و الی طریق الاعتذار و انتخاب طریق الانحراف،فعلیکم ان تحذروا من ذکر الاحتمالات المختلفه التی تبیّن له طرق الانحراف.

و مثل هذا یشبه تماما ما لو قال الإنسان لطفله:لا ترم الکره باتّجاه المصباح، و لم یکن الطفل یعلم ان الکره یمکن ان ترمی نحو المصباح،فیلتفت الی ان مثل هذا العمل ممکن،و تتحرک فیه نوازع الفحص...ماذا سیکون لو رمیت الکره باتجاه المصباح؟ثمّ یبدأ«لعبته»لتنتهی بتکسّر المصباح! و لیس هذا موضوعا هینا و لا خاصا بالأطفال،فقد یتفق أحیانا ان الأوامر و النواهی الخاطئه،تسبب ان یتعلم الناس أشیاء لم یعرفوها من قبل،فتوسوس لهم أنفسهم ان یقدموا علیها،فینبغی فی مثل هذه الموارد-قدر المستطاع-ان

ص:۱۵۲

۱- ۱) نور الثقلین،ج ۲،ص ۴۱۵.

تثار المسائل بشكل لا يبعث على اى تعلّم سيئ! و بالطبع فإنّ يعقوب النّبى عليه السّلام قال كلامه عن صفاء و طهاره قلب،الاّ انّ أبناءه الضالين استغلوا كلامه لقصدهم السيئ.

و شبيه هذا الموضوع الأسلوب الذى نجده فى كثير من المقالات،فمثلا قد يكتب أحدهم مقاله-او يقوم بإخراج فيلما او غيرها- عن ضرر الموادّ المخدره او الاستمناء،فيتناول هذه المسائل بصوره يتعلمها غير المطلعين و ينسون المسائل التى تذكر فى هذه المواضيع لذم هذه الأعمال و بيان طرق النجاه منها، و لذلك فغالبا ما يكون ضرر هذه المقالات و الافلام و خسارتها اكثر من فائدتها بمراتب.

۶-و آخر نقطه نشير إليها هنا انّ اخوه يوسف قالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنّا إِذاً لَخاسِرُونَ و هى اشاره الى انّ الإنسان إذا تحمّل مسئوليه ما- و وافق عليها-فإنّ من الواجب عليه ان يوقف نفسه من أجلها...و الاّ فإنّه سيفقد كل قيمه- قيمه شخصيته،و ماء وجهه،و الموقع الاجتماعى،و وجدانه.

فكيف يعقل ان يكون الشخص ضمير حىّ و وجدان يقظ و شخصيه كريمه يعتز بحيثيته و ماء وجهه،و مع كل ذلك يتنصل عن مسئولياته و يقف موقفا سلبيا ازاءها؟!

الآيات [سوره يوسف (۱۲): الآيات ۱۵ الى ۱۸]

اشاره

فَلَمّٰا ذَهَبُوا بِهِ وَ أَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِی غَيٰابَتِ اَلْجُبِّ وَ أَوْحَيْنٰا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هٰذٰا وَ هُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ (۱۵) وَ جٰاؤُ أَبٰاهُمْ عِشٰاءً
يَبْكُونَ (۱۶) قٰالُوا يٰا أَبٰانٰا إِنّٰا ذَهَبْنٰا نَسْتَبِقُ وَ تَرَكْنٰا يُوسُفَ عِنْدَ مَتٰاعِنٰا فَأَكَلَهُ اَلذِّئْبُ وَ مٰا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنٰا وَ لَوْ كُنّٰا صٰادِقِينَ (۱۷) وَ جٰاؤُ
عَلیٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قٰالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَ اَللّٰهُ اَلْمُسْتَعٰانُ عَلیٰ مٰا تَصِفُونَ (۱۸)

التّفسير

اشاره

الكذب المفضوح:

و أخيرا انتصر اخوه يوسف و اقنعوا أباهم ان يرسل معهم أخاهم يوسف، فباتوا ليلتهم مطمئنى البال بانتظار الصبح لتنفيذ خطتهم و ازاحه أخاهم الذى يقف عائقا فى طريقهم...و كان قلقهم الوحيد ان يندم أبوهم و يسحب كلامه و وعده بإرسال يوسف معهم.

فجاءوا صباحا الى أبيهم فأمرهم بالمحافظه على يوسف،و كرر توصياته

ص :۱۵۴

فی شأنه،فأظهر الأبناء طاعتهم لأبیهم و ابدوا احترامهم الفائق و محبتهم العمیقه، و تحرکوا الی خارج المدینه.

یقال:انّ أباهم ودعهم الی بوابه المدینه ثمّ أخذ منهم یوسف و ضمّه الی صدره و دمعت عیناه،ثمّ أودع یوسف عندهم و فارقهم،و لکن یعقوب کان یودعهم بنظراته،و کان اخوه یوسف لا- یقصرون عن مداره أخیهم یوسف و اظهار عنایتهم به و محبتهم له طالما کانت تلا-حظهم عینا أبیهم،و لکن ما ان غاب عنهم أبوهم و اطمأنوا الی انّه لا یراهم،حتی انفجرت عقدتهم و صبوا«جام غضبهم» و حقدهم و حسدهم المتراکم لعدّه سنوات علی راس یوسف،فالتفّوا حوله یضربونه بأیدیهم و یلتجئ من واحد لآخر و یستجیر بهم فلا یجیره احد منهم.

نقرا فی روایه انّ یوسف کان یبکی تحت وابل اللکمات و الضربات القاسیّه، و لکن حین أرادوا ان یلقوه فی الجبّ شرع بالضحک فجأه...فتعجب اخوته کثیرا و حسبوا ان أخاهم یظنّ الأمر لا یعدو کونه مزاحا...و لکنّه رفع الستار عن ضحکه و علّمهم درسا کبیرا إذ قال:-لا انسی اننی نظرت-ایها الاخوه-الی عضلات أیدیکم القویّه و قواکم الجسدیه الخارقه،فسررت و قلت فی نفسی:ما عسی ان یخشی و یخاف من الحوادث و الملمّات من کان عنده مثل هؤلاء الاخوه،فاعتمدت علیکم و ربطت قلبی بقواکم،و الآن و قد أصبحت أسیرا بین أیدیکم و استجیر بکم من واحد للآخر فلا أجار،و قد سلطکم اللّه علیّ لا تعلم هذا الدرس،و هو الاّ اعتمد و اتوکّل علی احد سواه...حتی و لو کانوا اخوتی.

و علی کل حال فالقرآن الکریم یقول فی هذا الصدد: فَلَمّا ذَهَبُوا بِهِ وَ أَجْمَعُوا أَنْ یَجْعَلُوهُ فِی غَیابَتِ الْجُبِّ (۱) .

ص: ۱۵۵

---

۱ – ۱) فی العباره المتقدمه حذف جواب«لما»و التقدیر کما یلی:فلما ذهبوا به و اجمعوا ان یجعلوه فی غیابه الجبّ عظمت فتنتهم(تفسیر القرطبی)و لعل هذا الحذف اقتضی لعظم هذه الحادثه المؤلمه ان یسکت عنه المتکلم،و هو بنفسه من فنون البلاغه العربیه(تفسیر المیزان).

جمله«اجمعوا»تدلّ على انّ جميع الاخوه كانوا متفقين على هذه الخطّه، و ان لم يتفقوا جميعا على قتله.

و أساسا فإنّ كلمه«اجمعوا»مأخوذه من ماده«جمع»و هى فى هذه الموارد اشاره الى جمع الآراء و الأفكار.

ثمّ تبيّن الآيه انّ اللّه اوحى الى يوسف و هدا روعه و ألهمه الاّ يحزن فالعاقبه له،إذ تقول: وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ .

ذلك اليوم الذى تجلس فيه على العرش و أنت القوى الأمين،فيأتى إخوتك ليمدّوا ايدى الحاجه إليك،و يكونوا كالظامئين الى النبع العذب فى الصحراء اللاهبه و يسرعون إليك فى منتهى التواضع،و لكنّك فى حال من العظمه بحيث لا يصدّقون انك أخوهم،و ستقول لهم فى ذلك اليوم:أ لستم الذين فعلتم مع أخيكم الصغير يوسف كذا و كذا...و كم سيكونون خجلين من فعلهم هذه فى ذلك اليوم! و هذا الوحى الالهى لم يكن وحى النبوه،بقرينه الآيه(٢٢)من السوره ذاتها، بل كان إلهاما لقلب يوسف ليعلم انه ليس وحيدا،بل له حافظ و رقيب،و هذا الوحى بثّ فى قلب يوسف نور الأمل و أزال عن روحه ظلمات اليأس و الحيره.

لقد نفّذ اخوه يوسف خطتهم كما أرادوا،و لكن ينبغى ان يفكروا عند العوده ماذا كيف كى يصدّق أبوهم ان يوسف انتهى بصوره طبيعيه لا عن مكيده ليضمنوا عواطف أبيهم نحوهم.

و كانت الفكره التى أوصلتهم الى هذا الهدف هى ما تخوّف أبوهم منه، فأقنعوه-ظاهرا-عن هذا الطريق مدّعين بأنّ الذئب قد أكل يوسف و جاؤوا اليه بدلائل مزيّفه!! يقول القرآن الكريم: وَ جاؤُ أَباهُمْ عِشاءً يَبْكُونَ بكاء كاذبا،و هذا يدلّ على انّ البكاء الكاذب ممكن..و لا يمكن ان يخدع ببكاء العين وحدها.

امّا الأب الذى كان ينتظر مجىء ولده(يوسف)بفارغ الصبر،فقد اهتز

و ارتجف حين راى الجمع و ليس بينهم يوسف، و سأل عنه مستفسرا...فأجابو و قالُوا يا أَبانا إِنّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ وَ تَرَكْنا يُوسُفَ عِنْدَ مَتاعِنا لصغر سنه و لانّه لا يعرف التسابق،و انشغلنا عنه فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَ ما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا وَ لَوْ كُنّا صادِقِينَ .

لأنك أخبرتنا من قبل بهذا الاحتمال،و ستظن ان ادّعاءنا مجرّد احتيال.

لقد كان كلام اخوه يوسف مدروسا بشكل دقيق،و ذلك-اوّلا-لانّهم خاطبوا يعقوب بقولهم بكلمه «يا أَبانا» و فيها ما فيها من الاستعطاف.

و ثانيا:لانّ من الطبيعى ان ينشغل هؤلاء الاخوه الأقوياء بالتسابق،و يتركوا أخاهم الصغير رقيبا على متاعهم،و بعد ذلك كله فقد جاؤوا أباهم يبكون لتمرير خطتهم،و قالوا له: وَ ما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا وَ لَوْ كُنّا صادِقِينَ .

و من اجل ان يبرهنوا على صحه كلامهم فقد جاؤُ عَلى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ إذ لطخوا الثوب بدم الغزال او الخروف او التيس...

و لكن حيث انّ الكاذب لا يمتلك حافظه قويّه،و حيث ان ايه حقيقه فيها علائق مختلفه و كيفيات و مسائل يقل ان تجتمع منظّمه فى الكذب،فقد غفل اخوه يوسف عن هذه المسأله الدقيقه...و هى-على الأقل-ان يخرقوا قميص يوسف الملطخ بالدم ليدل على هجوم الذئب...فقد قدّموا القميص سالما غير مخرق فأحس الأب بمؤامرتهم، فما ان وقعت عيناه على القميص حتى فهم كل شىء و قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً .

جاء فى بعض الرّوايات انّ يعقوب أخذ قميص يوسف و هو يقلّبه و يقول:

«ما أرى اثر ناب و لا ظفر انّ هذا السبع رحيم»،و فى روايه انّه أخذ القميص و ألقاه على وجهه و بكى حتى خضب وجهه بدم القميص،و قال:تاللّه ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا أكل ابنى و لم يمزق على قميصه،و جاء انّه بكى و صاح و حرّ مغشيّا عليه فأفاضوا على الماء فلم يتحرك و نادوه فلم يجب و وضع يهوذا يده على مخارج نفسه فلم يحس بنفس و لا تحرك له عرق،فقال:ويل لنا من

دیان یوم الدین ضیعنا أخانا و قتلنا أبانا فلم یفق الاّ ببرد السحر (۱) .

و بالرغم من احتراق قلبه و لهیب روحه لم یجر علی لسانه ما یدل علی عدم الشکر او الیأس او الفزع او الجزع،بل قال: فَصَبْرٌ جَمِیلٌ (۲) ثمّ قال: وَ اللّهُ الْمُسْتَعٰانُ عَلیٰ مٰا تَصِفُونَ و اسأله ان یبدل مراره الصبر فی فمی الی«حلاوه» و یرزقنی القوه و القدره علی التحمّل اکثر امام هذا الطوفان العظیم،لئلا افقد زمامی و یجری علی لسانی کلام غیر لائق.

و لم یقل:اسأله ان یعطینی الصبر علی موت یوسف،لانّه کان یعلم ان یوسف لم یقتل...بل قال:اطلب الصبر علی مفارقتی ولدی یوسف...و علی ما تصفون.

ملاحظات

اشاره

۱-حول الترک«الاولی»

ینقل ابو حمزه الثمالی عن الامام السجاد فیقول:کنت یوم الجمعه فی المدینه و صلیت الغداه مع الامام السجاد علیه السّلام فلمّا فرغ من صلاته و تسبیحه نهض الی منزله و انا معه،فدعا مولاه له تسمی سکینه فقال لها:«لا یعبر علی بابی سائل الاّ أطعمتموه فإنّ الیوم یوم الجمعه».

یقول ابو حمزه:فقلت له:لیس کل من یطلب العون مستحقا له،فقال:یا أبا ثابت،أخاف أن یکون بعض من یسألنا محقّا فلا نطعمه و نردّه فینزل بنا-اهل البیت-ما نزل بیعقوب و آله.أطعموهم ان یعقوب کان یذبح کل یوم کبشا فیتصدق منه و یأکل هو و عیاله منه،و ان سائلا مؤمنا صوّاما محقّا له عند اللّه منزله،و کان مجتازا غریبا اعترّ علی باب یعقوب عشیه جمعه عند أوان إفطاره

۱- ۱) تفسیر الآلوسی:ذیل الآیه.

۲- ۲) صبر جمیل(صفه و موصوف)خبر لمبتدإ محذوف،و تقدیر الکلام:صبری صبر جمیل.

یهتف علی بـابه:أطعموا السائل المجتاز الغریب الجائع من فضل طعامکم،یهتف بـذلک علی بابه مرارا و هم یسـمعونه،قـد جهلوا حقّه و لم یصدقوا قوله:فلما ایس ان یطعموه و غشـیه اللیل استرجع و اسـتعبر و شـکا جوعه الی اللّه باب و طاویا، و أصـبح صائما جائعا صابرا حامدا للّه،و بات یعقوب و آل یعقوب شباعا بطانا و أصبحوا و عندهم من فضل طعامهم.

قال:فأوحی اللّه عزّ و جلّ الی یعقوب فی صبیحه تلک اللیله:لقد أذللت-یا یعقوب-عبدی ذله اسـتجررت بها غضبی،و اسـتوجبت بها أدبی،و نزول عقوبتی و بلوای علیک و علی ولدک یا یعقوب،ان احبّ انبیائی الیّ و أکرمهم علی من رحم مساکین عبادی و قرّبهم الیه و أطعمهم و کان لهم مأوی و ملجأ یا یعقوب،ما رحمت«ذمیال»عبدی المجتهد فی عبادته،القانع بالیسیر من ظاهر الدنیا عشـاء أمس لمّـا عبر ببابـک عنـد أوان إفطـاره و یهتف بکم:أطعموا السائـل الغریب المجتـاز القانع،فلم تطعموه شـیئا.فاسترجع و اسـتعبر و شـکا ما به الیّ و بات جائعا و طاویا حامـدا،أصـبح لی صائما،و أنت-یا یعقوب-و ولـدک شـباع،و أصـبحت و عندکم فضل من طعامکم.

او علمت-یا یعقوب-انّ العقوبه و البلوی أولیائی أسرع منها الی اعدائی...

إلخ... (۱) .

و من الطریف

انّ أبا حمزه یقول: سألت الامام زین العابدین علیه السّلام متی رای یوسف رؤیاه؟فقال الامام:فی تلک اللیله» (۲) .

یستفاد من هـذا الحـدیث ان زلّه بسـیطه او بعبـاره أدق:«ترک الاولی»و هو لاـ یعـدّ خطیئه او إثما،لانّ یعقوب له یتّضـح له حال السائل...هذا الترک من قبل الأنبیاء و الأولیاء یکون سببا لانّ یبتلیهم اللّه بلاء شدیدا...و ما ذلک الاّ لمقامهم

۱- ۱) تفسیر البرهان،ج ۲،ص ۲۴۳ و نور الثقلین،ج ۲،ص ۴۱۱.

۲- ۲) المصدر السّابق.

الکبیر الذی یوجب علیهم ان یراقبوا کل حرکاتهم و سکناتهم،لانّ«حسنات الأبرار سیئات المقربین».

فإذا کان یعقوب علیه السّلام قد ابتلی بهذا البلاء و الهمّ لانّه لم یطلع علی حال قلب السائل و آلامه،فکیف الحال فی المجتمعات التی تغرق فیها طائفه بالنعیم و الرفاه و طائفه من الناس جیاع،کیف لا یشملهم غضب اللّه!و کیف یسلمون من عذاب اللّه!

۲-دعاء یوسف البلیغ الجذّاب

ترد فی روایات اهل البیت علیهم السّلام و روایات اهل السنه،ان یوسف حین استقرّ فی قعر الجبّ انقطع أمله من کل شیء،و صرف کلّ توجهه الی ذات اللّه المقدسه یناجی ربّه،و کانت لدیه حوائج ذکرها بتلقین جبرئیل إیاه...

ففی روایه انّه دعا ربّه بهذه المناجاه

«اللّهم یا مؤنس کل غریب،و یا صاحب کل وحید،یا ملجأ کل خائف،و یا کاشف کل کربه،و یا عالم کل نجوی،و یا منتهی کل شکوی،و یا حاضر کل ملاء،یا حیّ یا قیّوم،اسألک ان تقذف رجاءک فی قلبی، حتی لا یکون لی همّ و لا شغل غیرک،و ان تجعل لی من امری فرجا و مخرجا،انّک علی کل شیء قدیر».

و من الطریف انّنا نقرا فی ذیل هذه الروایه،انّ الملائکه سمعت صوت یوسف فنادت:

«الهنا نسمع صوتا و دعاء،الصوت صوت صبی و الدعاء دعاء نبیّ» (۱) .

و هناک نقطه تدعو للالتفات و هی:حین رمی یوسف اخوته فی الجبّ خلعوا عنه قمیصه و ترکوه عاریا،فنادی:اترکوا لی قمیصی-علی الأقل-لاغطی به بدنی إذا بقیت حیا،و یکون کفنی إذا متّ.فقال له اخوته:اطلبه من الشمس

۱- ۱) تفسیر القرطبی،ج ۵،ص ۳۳۷.

و القمر و الكواكب الأحد عشر الذين رايتهم فى منامک،ليكونوا مؤنسيک فى هذه البئر،و يکسوک و يلبسوک ثوبا على بدنک...فدعا يوسف على اثر اليأس المطلق بالدعاء الآنف الذكر. (1)

و

فى روايه عن الامام الصادق عليه السّلام انّه قال: «حين القى يوسف فى الجبّ هبط عليه جبرئيل و قال:ما تصنع هنا ايّها الغلام؟فقال له:ان اخوتى القونى فى البئر.

فقال له جبرئيل:أ تحبّ ان تخرج من البئر؟قال:ذلک بمشيئه اللّه،ان شاء اخرجنى.

فقال له:ان اللّه يأمرک ان تدعو بهذا الدعاء لتخرج من البئر:«اللّهم انّى اسألک بأنّ لک الحمد،لا اله الاّ أنت المنّان،بديع السماوات و الأرض،ذو الجلال و الإكرام،ان تصلى على محمّد و آل محمّد و ان تجعل لى ممّا انا فيه فرجا و مخرجا» (2) .

3-جمله وَ أَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيٰابَتِ الْجُبِّ تدلّ على انّهم لم يرموه فى البئر،أنزلوه على مكان يشبه الرصيف لمن يريد النّزول الى سطح الماء،و قد شدوه بحبل حتى إذا نزل و وصل الى غيابه الجبّ تركوه وحده.

و هناک قسم من الرّوايات التى تفسّر الآيات المتقدمه تؤيد هذا الموضوع.

4-تسويل النفس

جمله«سوّلت»مشتقّه من«التسويل»و معناه«التزيين»و قد يأتى بمعنى «الترغيب»و قد يأتى بمعنى«الوسوسه»كما فى بعض التفاسير...جميع هذه المعانى ترجع الى شيء واحد...اى انّ هوى النفس زيّن لكم هذا العمل.

و هى اشاره الى انّه حين يطغى هوى النفس على الإنسان و يستبدّ به عناده، فإنه يتصور ان اسوا الجنايات لديه امر حسن،كما لو كان ذلک قتل الأخ او ابعاده،و قد يتصور ان ذلک امر مقدّس...و هذه نافذه على اصل كلى فى المسائل

1- 1) المصدر السابق،ص 416.

2- 2) نور الثقلين،ج 2،ص 216.

النفسیه،بحیث یجعل المیل المفرط و الرغبه الجامحه لأمر ما-و خاصّه مع اقترانهما بالرذائل الاخلاقیه-غشاوه علی احساس الإنسان،فتنقلب عنده الحقائق و تتغیر صورها.

لذا فإنّ القضاء الصحیح و ادراک الواقعیّات العینیّه،لا یمکن لها ان تتحقق دون تهذیب النفس،و إذا کانت العداله شرط فی القاضی فإنّ هذا الأمر واحد من أسبابها...و إذا کان القرآن الکریم یقول فی الآیه(۲۸۲)من سوره البقره وَ اتَّقُوا اللّٰهَ وَ یُعَلِّمُکُمُ اللّٰهُ فذلک اشاره الی هذه الحقیقه ایضا.

۵-الکذاب عدیم الحافظه

قصّه یوسف-و ما جری له مع اخوته-تثبت مرّه اخری هذا الأصل المعروف الذی یقول:انّ الکذاب لا یستطیع ان یکتم سرّه دائما،لانّ الواقعیات العینیه حین تظهر الی الوجود الخارجی تظهر و معها روابط-اکثر من ان تعدّ-مع موضوعات اخری تدور حولها،و إذا أراد الکاذب ان یهیئ مناخا لمسأله غیر واقعیه فإنّه لا یستطیع ان یحفظ هذه الروابط مهما کان دقیقا.

و لنفرض انّه یستطیع ان یؤلف بین عدد من الروابط الکاذبه فی حادثه ما، و لکن المحافظه علی هذه الروابط المصطنعه فی ذهنه لیست عملا هیّنا،فإنّ اقل غفله منه تسبب وقوعه فی التناقض،فتتسبب هذه الغفله فی فضیحه صاحبها و تکشف الأمر الواقعی...و هذا درس کبیر لمن یرید المحافظه علی ماء وجهه و مکانته فی المجتمع ان لا یلجأ الی الکذب فیتعرض موقعه الاجتماعی للخطر و ینزل علیه غضب اللّه.

۶-ما هو الصبر الجمیل

؟ الصبر امام الحوادث الصعبه و الأزمات الشدیده یدلّ علی قوه شخصیه الإنسان،و علی سعه روحه بسعه ما تترکه هذه الحوادث فلا یتأثر و لا یهتز لها.

ص :۱۶۲

ربّما يحرك النسيم العليل ماء الحوض الصغير،و لكن المحيطات العظيمه كالمحيط الهادى-مثلا-يستوعب حتى الاعصار الذى يتلاشى امام هدوئه و سعته.

و قد يتصبر الإنسان أحيانا،و لكنّه سرعان ما يتلف هذا الصبر بكلماته النابيه التى تدل على عدم الشكر و عدم تحمل الحادثه و نفاد الصبر.

و لكن المؤمنين الذين يتمتعون بإراده قويّه و استيعاب للحوادث،هم أولئك الذين لا يتأثرون بها و لا يجرى على لسانهم ما يدلّ على عدم الشكر و كفران النعمه او الجزع او الهلع.

صبر هؤلاء هو الصبر الجميل...

قد يبرز الآن هذا السؤال،و هو اننا نقرا فى الآيات الاخرى-من هذه السوره-انّ يعقوب بكى على يوسف حتى ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم،أ فلا ينافى ما صدر من يعقوب صبره الجميل؟! و الجواب على هذا السؤال فى جمله واحده،و هى:ان قلوب عباد اللّه مركز للعواطف،فلا عجب ان ينهلّ دمع عينهم مدرارا،المهم ان يسيطروا على أنفسهم، و لا يفقدوا توازنهم،و لا يقولوا شيئا يسخط اللّه.

و من الطريف ان مثل هذا السؤال وجه الى النّبى محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حين بكى على موت ولده ابراهيم حيث قالوا له:يا رسول اللّه،أ تنهانا عن البكاء و تبكى؟! فأجابهم النّبى الكريم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

«تدمع العين و يحزن القلب،و لا نقول ما يسخط الربّ». و

فى روايه اخرى انّه قال: «ليس هذا بكاء انّه رحمه» (۱) .

و هذا اشاره الى انّ ما فى صدر الإنسان هو القلب،و ليس حجرا!و طبيعىّ ان يتأثر الإنسان امام المسائل العاطفيه،و ابسط هذا التأثر هو انهلال الدمع...انّ هذا لا يعدّ عيبا،بل هو امر حسن،العيب هو ان يقول الإنسان ما يسخط الربّ.

۱- ۱) بحار الأنوار،ج ۲۲،ص ۱۵۷ و ۱۵۸.

الآيتان [سوره يوسف (١٢): الآيات ١٩ الى ٢٠]

اشاره

وَ جٰاءَتْ سَيّٰارَةٌ فَأَرْسَلُوا وٰارِدَهُمْ فَأَدْلىٰ دَلْوَهُ قٰالَ يٰا بُشْرىٰ هٰذٰا غُلاٰمٌ وَ أَسَرُّوهُ بِضٰاعَةً وَ اَللّٰهُ عَلِيمٌ بِمٰا يَعْمَلُونَ (١٩) وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرٰاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَ كٰانُوا فِيهِ مِنَ اَلزّٰاهِدِينَ (٢٠)

التّفسير

اشاره

نحو ارض مصر:

قضى يوسف فى ظلمه الجب الموحشه و الوحده القاتله ساعات مرّه،و لكنّه بإيمانه باللّه و سكينته المنبثقه عن الايمان شع فى قلبه نور الأمل،و ألهمه اللّه تعالى القوه و القدره على تحمّل الوحده الموحشه،و ان ينجح فى هذا الامتحان.

و لكنّ...اللّه اعلم كم يوما قضى يوسف فى هذه الحاله؟ قال بعض المفسّرين:قضى ثلاثه ايام،و قال آخرون:يومين.

و على كل حال تبلج النّور وَ جٰاءَتْ سَيّٰارَةٌ (١) .

و انتخبت منزلها على مقربه من الجبّ،و طبيعى انّ اوّل ما تفكر القافله فيه-

ص: ۱۶۴

١- ١) سمّيت القافله«سياره»لانّها فى سير و حركه دائمين.

فی منزلها الجدید-هو تأمین الماء و سد حاجتها منه فَأَرْسَلُوا وٰارِدَهُمْ فَأَدْلیٰ دَلْوَهُ (۱) .

فانتبه یوسف الی صوت و حرکه من أعلی البئر،ثمّ رای الحبل و الدلو یسرعان الی النّزول،فانتهز الفرصه و انتفع من هذا العطاء الالهی و تعلق بالحبل بوثوق.

فأحسّ المأمور بالإتیان بالماء ان الدلو قد ثقل اکثر ممّا ینبغی،فلمّا سحبه بقوه الی الأعلی فوجئ نظره بغلام کأنّه فلقه قمر،فصرخ و قال: یٰا بُشْریٰ هٰذٰا غُلاٰمٌ .

و شیئا فشیئا سری خبر یوسف بین جماعه من اهل القافله،و لکن من اجل ان لا یذاع هذا الخبر و ینتشر،و لکی یمکن بیع هذا الغلام الجمیل فی مصر،اخفوه وَ أَسَرُّوهُ بِضٰاعَهً (۲) .

و بالطبع هناک احتمالات اخری فی تفسیر هذه الجمله منها ان الذین عثروا علی یوسف اسرّوه و اخفوا خبره،و قالوا:هذا متاع لأصحاب هذا الجبّ أودعوه عندنا لنبیعه فی مصر.

و منها ان احد اخوه یوسف کان بین الحین و الحین یأتی الی الجبّ لیطلع علی یوسف و یأتیه بالطعام و حین اطلع اخوه یوسف علی ما جری اخفوا علاقتهم الاخویه بیوسف و قالوا:هذا غلامنا فرّ من أیدینا و اختفی هنا،و هددوا یوسف بالموت إذ کشف الستار عن الحقیقه.

و لکن التّفسیر الاوّل یبدو اقرب للنظر.

و تقول الآیه فی نهایتها: وَ اللّٰهُ عَلِیمٌ بِمٰا یَعْمَلُونَ و بالرغم من اختلاف المفسّرین فی من هم الذین شروا یوسف بثمن بخس،و قول بعضهم:هم اخوه

ص: ۱۶۵

۱- ۱) «الوارد»فی الأصل من«الورود»و هو من یأتی بالماء،ثمّ توسع استعمال الکلمه و أطلقت علی کل ورود و دخول.

۲- ۲) «البضاعه»فی الأصل من ماده«بضع»علی وزن«نذر»و معناها:القطعه من اللحم،ثمّ توسعوا فی المعنی و أطلقوا هذا اللفظ علی القطعه المهمّه،من المال.و البضعه هی القطعه من الجسد،و حسن البضع معناه:الإنسان المکتنز لحمه، و«بضع»علی وزن«حزب»معناه العدد من ثلاثه الی عشره(راجع المفردات للراغب).

یوسف،و لکن ظاهر الآیات هو من کان فی القافله،و قد تمّ البحث عن اخوته فی نهایه الآیه التی سبقت هذه الآیات،و جمیع الضمائر فی الجمل فَأَرْسَلُوا وٰارِدَهُمْ أَسَرُّوهُ بِضٰاعَهً تعود علی من کان فی القافله.

هنا یبرز هذا السؤال و هو:لم باعوا یوسف الذی کان یعدّ-علی الأقل- غلاما ذا قیمه بثمن قلیل،او کما عبّر عنه القرآن وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ...؟ و لکن هذا امر مألوف فإنّ السراق او أولئک الذین تأتیهم بضاعه مهمّه دون ای تعب و نصب یبیعونها سریعا لئلا یطلع الآخرون.

و من الطبیعی انّهم لا یستطیعون بهذه الفوریه ان یبیعوه بسعر غال.

و«البخس»فی الأصل معناه تقلیل قیمه الشیء ظلما، و لذلک فإنّ القرآن یقول: وَ لاٰ تَبْخَسُوا النّٰاسَ أَشْیٰاءَهُمْ (۱) .

ثمّ انّ هناک اختلافا آخر بین المفسّرین فی الثمن الذی بیع به یوسف،و کیف قسّم بینهم؟فقال البعض:عشرون درهما،و قالت طائفه:اثنان و عشرون،و مع ملاحظه انّ الباعه کانوا عشرین یتّضح سهم کل منهم،و کم هو زهید!...و تقول الآیه: وَ کٰانُوا فِیهِ مِنَ الزّٰاهِدِینَ .

و فی الحقیقه انّ هذه الجمله فی حکم بیان العله للجمله المتقدمه،و هی اشاره الی انّهم باعوا یوسف بثمن بخس،لأنّهم لم یرغبوا فی هذه المعامله و لم یعتنوا بها.

و هذا البیع البخس امّا لانّ اهل القافله اشتروا یوسف بثمن بخس،و الإنسان إذا اشتری شیئا رخیصا باعه رخیصا عاده،او انّهم کانوا یخافون ان یفتضح سرّهم و یجدون من یدّعیه،او من جهه انّهم لم یجدوا فی یوسف أثرا للغلام الذی یباع و یشتری،بل وجدوا فیه آثار الحرّیه واضحه فی وجهه،و من هنا فلا البائعون کانوا راغبین ببیعه و لا المشترون کانوا راغبین بشرائه.

ص :۱۶۶

۱- ۱) هود،۸۵.

الآیتان [سوره یوسف (۱۲): الآیات ۲۱ الی ۲۲]

اشاره

وَ قٰالَ اَلَّذِی اِشْتَرٰاهُ مِنْ مِصْرَ لاِمْرَأَتِهِ أَکْرِمِی مَثْوٰاهُ عَسیٰ أَنْ یَنْفَعَنٰا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَ کَذٰلِکَ مَکَّنّٰا لِیُوسُفَ فِی اَلْأَرْضِ وَ لِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِیلِ اَلْأَحٰادِیثِ وَ اَللّٰهُ غٰالِبٌ عَلیٰ أَمْرِهِ وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَ اَلنّٰاسِ لاٰ یَعْلَمُونَ (۲۱) وَ لَمّٰا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَیْنٰاهُ حُکْماً وَ عِلْماً وَ کَذٰلِکَ نَجْزِی اَلْمُحْسِنِینَ (۲۲)

التّفسیر

اشاره

فی قصر عزیز مصر:

انتهت حکایه یوسف مع اخوته الذین القوه فی غیابه الجبّ و بیّناها تفصیلا، بدا فصل جدید من حیاه هذا الغلام الحدث فی مصر...فقد جیء بیوسف الی مصر و عرض للبیع،و لما کان تحفه نفیسه فقد صار من نصیب«عزیز مصر»الذی کان وزیرا لفرعون او رئیسا لوزرائه،لأنّه کان یستطیع ان یدفع قیمه أعلی لغلام ممتاز من جمیع الجهات،و الآن لنر ما الذی حدث له فی بیت عزیز مصر.

یقول القرآن الکریم فی شأن یوسف: وَ قٰالَ الَّذِی اشْتَرٰاهُ مِنْ مِصْرَ لاِمْرَأَتِهِ

أَكْرِمِی مَثْوٰاهُ عَسیٰ أَنْ یَنْفَعَنٰا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً

(۱)

فلا ینبغی ان تنظری الیه کما ینظر الی العبید.

یستفاد من سیاق الآیه انّ عزیز مصر لم یرزق ولدا و کان فی غایه الشوق للولد،و حین وقعت عیناه علی هذا الصبیّ الجمیل و السعید تعلّق قلبه به لیکون مکان ولده.

ثمّ یضیف القرآن الکریم وَ کَذٰلِکَ مَکَّنّٰا لِیُوسُفَ فِی الْأَرْضِ .

هذا«التمکین»فی الأرض امّا ان یکون لمجیء یوسف الی مصر،و خاصّه ان خطواته،فی محیط مصر مقدّمه لما سیکون علیه من الاقتدار و المکانه القصوی،و امّا انّه لا قیاس،بین هذه الحیاه فی مصر«العزیز»و بین تلک الحیاه فی غیابه الجبّ و الوحده و الوحشه.فأین تلک الشدّه من هذه النعمه و الرفاه! و یضیف القرآن ایضا وَ لِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِیلِ الْأَحٰادِیثِ .

المراد من «تَأْوِیلِ الْأَحٰادِیثِ» -کما أشرنا سابقا-هو علم تفسیر الأحلام و تعبیر الرؤیا حیث کان یوسف قادرا علی ان یطلع علی بعض اسرار المستقبل من خلاله،او المراد منه الوحی لانّ یوسف مع عبوره من المضایق الصعبه و الشدائد القاسیه و نجاحه فی الاختبارات الالهیه فی قصر عزیز مصر،نال الجداره بحمل الرساله و الوحی.و لکن الاحتمال الاوّل اقرب کما یبدو للنظر.

ثمّ یختتم القرآن هذه الآیه بالقول: وَ اللّٰهُ غٰالِبٌ عَلیٰ أَمْرِهِ وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَ النّٰاسِ لاٰ یَعْلَمُونَ .

انّ واحده من مظاهر قدره اللّه العجیبه و هیمنته علی الأمور کلها ان یدع-فی کثیر من الموارد-اسباب موفقیه الإنسان و نجاحه بید أعدائه کما حدث فی مسأله یوسف علیه السّلام،فلو لا خطه اخوته لم یصل الی الجبّ ابدا،و لو لم یصل الی الجبّ لما وصل الی مصر،و لو لم یصل الی مصر لما ذهب الی السجن و لما کان

۱- ۱) «المثوی»من ماده(ثوی)و معناه المقام،و لکن معناه هنا الموقعیه و المنزله و المقام کذلک.

هناک اثر من رؤیا فرعون التی أصبح یوسف بسببها عزیز مصر! ففی الحقیقه ان اللّه اجلس یوسف علی عرش الاقتدار بواسطه اخوته الذین تصوروا انّهم سیقضون علیه فی ترکهم ایّاه فی غیابه الجبّ.

لقد واجه یوسف فی هذا المحیط الجدید،الذی یعدّ واحدا من المراکز السیاسیه المهمه فی مصر مسائل مستحدثه...فمن جهه کان یری قصور الطغاه المدهشه و ثرواتهم و من جهه اخری کانت تتجسد فی ذهنه صوره أسواق النخاسین و بیع الممالیک و العبید...و من خلال الموازنه بین هاتین الصورتین کان یفکر فی کیفیه القضاء علی هموم المستضعفین من الناس لو أصبح مقتدرا علی ذلک! اجل،لقد تعلم الکثیر من هذه الأشیاء فی هذا المحیط المفعم بالضوضاء، و کان قلبه یفیض همّا لانّ الظروف لم تتهیأ له بعد.فاشتغل بتهذیب نفسه و بنائها، یقول القرآن الکریم فی هذا الصدد: وَ لَمّٰا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَیْنٰاهُ حُکْماً وَ عِلْماً وَ کَذٰلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ .

کلمه«اشدّ»مشتقّه من ماده«شدّ»و تعنی فتل العقده باستحکام...و هی هنا اشاره الی الاستحکام الجسمانی و الروحانی.

قال بعضهم:انّ هذه الکلمه جمع لا مفرد لها...و لکن البعض الآخر قال:انّها جمع(شدّ)علی وزن(سدّ)و لکن معناها الجمعی غیر قابل للإنکار علی کل حال! المراد من«الحکم»و«العلم»الواردین فی الآیه المتقدمه التی تقول: وَ لَمّٰا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَیْنٰاهُ حُکْماً وَ عِلْماً... امّا ان یکون مقام النبوّه کما ذهب الی ذلک بعض المفسّرین،و امّا ان یکون المراد من الحکم العقل و الفهم و القدره علی القضاء الصحیح الخالی من اتباع الهوی و الاشتباه.و المراد من العلم الاطلاع الذی لا یقترن معه الجهل،و مهما کان فإنّ الحکم و العلم موهبتان نادرتان وهبهما

اللّه لیوسف لتقواه و صبره و توکله علیه،و جمیع هذه الصفات مجتمعه فی کلمه «المحسنین».

قال بعض المفسّرین:هناک ثلاثه احتمالات لمعنی کلمتی(الحکم و العلم) الواردتین فی الآیه،و هی:

۱-انّ الحکم اشاره الی مقام النبوه(لانّ النّبی حاکم علی الحق)و العلم اشاره الی علم الدین.

۲-ان الحکم یعنی ضبط النفس إزاء الهوی و المیول النفسیّه،و هو هنا اشاره الی الحکمه العملیه.و العلم اشاره الی العلم النظری...و تقدیم الحکم علی العلم هنا لانّ الإنسان إذا لم یهذب نفسه و یبنیها بناء صحیحا لا یصل الی العلم الصحیح.

۳-انّ الحکم معناه ان یبلغ الإنسان مقام«النفس المطمئنه»و یتسلّط علی نفسه بحیث یستطیع ان یتملک زمام النفس الامّاره و وسوستها...و المراد من العلم هو الأنوار القدسیّه و اشعه الفیض الالهی الذی تنزل من عالم الملکوت علی قلب الإنسان الطاهر (۱).

ملاحظات

اشاره

۱-ما هو اسم«عزیز»مصر

؟ ممّا یستجلب النظر فی الآیات المتقدمه ان اسم عزیز مصر لم یذکر فیها،انّما ورد التعبیر عنه ب اَلَّذِی اشْتَرٰاهُ .

لکن من هو هذا العزیز؟!لم تذکره الآیه،کما سنری فی الآیات المقبله ان عنوانه لم یصرّح به الاّ بالتدریج،فمثلا نقرا فی الآیه(۲۵)هذا النصّ

۱- ۱) راجع التفسیر الکبیر للفخر الرازی،ج ۱۸،ص ۱۱۱.

وَ أَلْفَيٰا سَيِّدَهٰا لَدَى الْبٰابِ .

و حين نتجاوز هذه الآيات و نصل الى الآيه(۳۰)نواجه التعبير عن زوجته ب «امْرَأَتُ الْعَزِيزِ» .

و هـذا البيان التـدريجى امّا لانّ القرآن يتحـدث-حسب طريقته-بالمقـدار اللازم،و هذا دليل من ادله الفصاحه و البلاغه،او لأنّه-كما هو ملاحظ هذا اليوم فى«نصوص الآداب»ايضا-حين يبدأ بالقصّه-يبدأ بها من نقطه غامضه ليتحرك الاحساس فى الباحث،و ليلفت نظره نحو القصّه.

۲-يوسف عليه السّلام و تعبير الأحلام

الملاحظه الاخرى التى تثير السؤال فى الآيات المتقدمه،هى:ما علاقه الاطلاع على تفسير الأحلام و تأويل الأحاديث بمجىء يوسف الى قصر عزيز مصر الذى أشير اليه بلام الغايه فى جمله وَ لِنُعَلِّمَهُ ؟! لكن مع الالتفات الى انّ هذه النقطه يمكن ان تكون جوابا للسؤال الآنف الذكر،و هى ان كثيرا من المواهب العلميه يهبها اللّه قبال التقوى من الذنوب و مقاومه الأهواء و الميول النفسيّه،او بتعبير آخر:انّ هذه المواهب التى هى ثمره البصيره القلبيه الثاقبه،هى جائزه الهيه يهبها اللّه لمثل هؤلاء الأشخاص.

نقرا فى حالات ابن سيرين مفسر الأحلام المشهور انّه كان رجلا بزازا و كان جميلا للغايه فعشقته امراه و تعلق قلبها به،و استدرجته الى بيتها بأساليب و حيل خاصّه،ثمّ غلّقت الأبواب عليه(لينال منها الحرام)لكنه لم يستسلم لهوى تلك المراه و أخذ ينصحها و يذكر مفاسد هذا الذنب العظيم،و لكن نار الهوى كانت متأججه فى قلبها بحيث لم يطفئها ماء الموعظه،ففكر ابن سيرين فى الخلاص من قبضتها،فلوّث جسده بما كان فى بيتها من اقذار تنفّر الرائى،فلما رأته المراه نفرت منه و أخرجته من البيت.

يقال انّ ابن سيرين أصبح ذكيّا بعد هذه الحادثه و رزق موهبه عظيمه فى تفسير الأحلام،و ذكروا قصصا عجيبه عنه فى الكتب التى تتناول تفسير الأحلام تدل على عمق اطلاعه فى هذا المجال! فعلى هذا يمكن ان يكون يوسف عليه السّلام قد نال هذه الموهبه الخاصّه(العلم بتأويل الأحاديث)لتسلّطه على نفسه قبال اثاره امراه العزيز لهوى النفس! ثمّ بعد هذا كله فإنّ قصور الملوك فى ذلك الزمان كانت مراكز لمفسرى الأحلام،و انّ شابا-ذكيا كيوسف-كان يستطيع ان يستفيد من تجارب الآخرين، و ان يكون له استعداد روحى لافاضه العلم الالهى فى هذا المجال! و على كل حال فإنّه ليس مستبعدا ان يهب اللّه سبحانه لعباده المخلصين المنتصرين فى ميادين«جهاد النفس للهوى و الشّهوات»مواهب من المعارف و العلوم التى لا تقاس بأىّ معيار مادى،و يمكن ان يكون الحديث المعروف «العلم نور يقذفه اللّه فى قلب من يشاء»اشاره الى هذه الحقيقه.

هذا العلم ليس ممّا يقرا عند الأستاذ،و لا يعطى لاىّ كان و بدون حساب...

بل هو جائزه من الجوائز التى تمنح للمتسابقين فى ميادين جهاد النفس!

٣-المراد من قوله تعالى: وَ لَمّا بَلَغَ أَشُدَّهُ

قلنا ان(اشدّ)معناه الاستحكام الجسمانى و الروحانى،و بلوغ الرشد معناه الوصول الى هذه المرحله،و لكن هذا العنوان قد عبّر عنه القرآن الكريم فى مراحل مختلفه من عمر الإنسان.

فتاره أطلقه على سنّ البلوغ كقوله تعالى: وَ لاَ تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلاّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ (١) .

و تاره يرد هذا المعنى فى وصول الإنسان الى أربعين سنه،كقوله تعالى:

١- ١) سوره الاسراء،الآيه ٣۴.

حَتّٰى إِذٰا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً

(۱)

.

و تاره یراد به ما قبل مرحله الشیخوخه و الکبر،کقوله تعالی: ثُمَّ یُخْرِجُکُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّکُمْ ثُمَّ لِتَکُونُوا شُیُوخاً (۲) .

و لعل هذا التفاوت فی التعبیرات آت من طیّ الإنسان مراحل مختلفه لاستحکام الروح و الجسم،و لا شکّ ان الوصول الی سنّ البلوغ واحد من هذه المراحل.

و بلوغ الأربعین الذی یکون تواما للنضج الفکری و العقلی مرحله ثانیه،کما ان المرحله الثّالثه تکون قبل ان یسیر الإنسان نحو قوس النّزول و یبلغ الضعف و الوهن! و علی کل حال فإنّ المقصود فی الآیه-محل البحث-هو مرحله البلوغ الجسمی و الروحی الذی ظهر فی یوسف بدایه شبابه،یقول الفخر الرازی فی تفسیره فی هذا الصدد:«مده دور القمر ثمانیه و عشرون یوما و کسر،فإذا جعلت هذه الدوره اربعه اقسام کان کل قسم منها سبعه ایام،فلا جرم رتبوا احوال الأبدان علی الأسابیع،فالإنسان إذا ولد کان ضعیف الخلقه نحیف الترکیب الی ان یتم له سبع سنین،ثمّ إذا دخل فی السبعه الثانیه حصل فیه آثار الفهم و الذکاء و القوّه،ثمّ لا یزال فی الترقی الی ان یتمّ له اربع عشره سنه،فإذا دخل فی السنه الخامسه عشره دخل فی الأسبوع الثّالث و هناک یکمل العقل و یبلغ الی حد التکلیف و تتحرک فیه الشهوده،ثمّ لا یزال یرتقی علی هذه الحاله الی ان یتم السنه الحادیه و العشرین و هناک یتم الأسبوع الثّالث،و یدخل فی السنه الثّانیه و العشرین و هذا الأسبوع آخر أسبوع النشوء و النماء،فإذا تمّت السنه الثّامنه و العشرون فقد تمّت مدّه النشوء و النماء و ینتقل الإنسان منه الی زمان الوقوف،

۱- ۱) سوره الأحقاف،الآیه ۱۵.

۲- ۲) سوره غافر،۶۷.

و هو الزمان الذی یبلغ الإنسان فیه اشدّه،و بتمام هذا الأسبوع الخامس-یحصل للإنسان خمسه و ثلاثون سنه ثمّ انّ هذه المراتب مختلفه فی الزیاده و النقصان، فهذا الأسبوع الخامس الذی هو أسبوع الشدّه و الکمال یبتدئ من السنه التّاسعه و العشرین الی الثّالثه و الثّلاثین،و قد یمتّد الی الخامسه و الثّلاثین،فهذا هو الطریق المعقول فی هذا الباب،و اللّه اعلم بحقائق الأشیاء» (۱) .

التقسیم المتقدّم و ان کان مقبولا الی حدّ ما...لکنّه یبدو غیر دقیق،لانّ مرحله البلوغ اوّلا لیست فی انتهاء العقد الثانی،و کذلک فإن التکامل الجسمانی- طبقا لما یقول علماء الیوم-هو ۲۵ سنه...و البلوغ الفکری الکامل أربعون سنه طبقا لبعض الرّوایات،و بعد هذا کله فإنّ ما ورد آنفا لا یصحّ ان یکون قانونا عامّا لیصدق علی جمیع الأشخاص.

۴-و آخر ما ینبغی الالتفات الیه هنا هو ان القرآن بعد ان یتحدث عن إتیان یوسف الحکم و العلم یعقب بالقول: وَ کَذٰلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ و معنی ذلک ان مواهب اللّه-حتی للأنبیاء-لیست اعتباطا،و کل ینال بمقدار إحسانه و یغرف من بحر اللّه و فیضه اللامحدود کما نال یوسف سهما وافرا من ذلک بصبره و استقامته امام کل تلک المشاکل.

۱- ۱) تفسیر الفخر الرازی،ج ۱۸،ص ۱۱۱.

الآیتان [سوره يوسف (١٢): الآيات ٢٣ الى ٢۴]

اشاره

وَ رٰاوَدَتْهُ اَلَّتِی هُوَ فِی بَیْتِهٰا عَنْ نَفْسِهِ وَ غَلَّقَتِ اَلْأَبْوٰابَ وَ قٰالَتْ هَیْتَ لَکَ قٰالَ مَعٰاذَ اَللّٰهِ إِنَّهُ رَبِّی أَحْسَنَ مَثْوٰایَ إِنَّهُ لاٰ یُفْلِحُ اَلظّٰالِمُونَ (٢٣) وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهٰا لَوْ لاٰ أَنْ رَأیٰ بُرْهٰانَ رَبِّهِ کَذٰلِکَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ اَلسُّوءَ وَ اَلْفَحْشٰاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبٰادِنَا اَلْمُخْلَصِینَ (٢۴)

التّفسير

اشاره

العشق الملتهب:

لم يأسر جمال يوسف الملكوتى عزيز مصر فحسب،بل أسر قلب امراه العزيز كذلك و أصبح متيما بجماله!.

و امتدّت مخالب العشق الى اعماق قلبها،و بمرور الزمن كان هذا العشق يتجذّر يوما بعد يوم و يزداد اشتعالا...لكنّ يوسف هذا الشابّ الطاهر التقى،لم يفكّر بغير اللّه،و لم يتعلّق قلبه بغير عشق اللّه سبحانه.

و هناك امور اخرى زادت من عشق امراه العزيز ليوسف..فمن جهه لم ترزق الولد،و من جهه اخرى انغمارها فى حياه مترفه مفعمه بالبذخ...و من جهه

ثـالثه عـدم ابتلائهـا بـأىّ نوع من البلاء كما هى حال المتنعّمين،و عـدم الرقابه الشديـده على هـذا القصـر من قبل العزيز من جهه رابعه..كـلّ ذلك ترك امراه العزيز -الفارغه من الايمان و التقوى-تهوى فى وساوسـها الشـيطانيه الى الحضـيض، بحيث أفضـت ليوسف أخيرا عمّا فى قلبها و راودته عن نفسه.

و اتّبعت جميع الاسـاليب و الطرق للوصول الى هـدفها،وسـعت لكى تلقى فى قلبه أثرا من هواها و ترغيبها و طلبها،كما يقول عن ذلك القرآن الكريم:

وَ رٰاوَدَتْهُ الَّتِی هُوَ فِی بَیْتِهٰا

.

و جمله«راودته»مـأخوذه من مـادّه«المراوده»و أصـلها البحث عن المرتع و المرعى،و ما ورد فى المثل المعروف«الرائـد لا يكـذب اهله»اشـاره الى هـذا المعنى،كمـا يطلق«المرود»على وزن(منبر)على قلم الكحـل الـذى تكحل به العين،ثمّ توسّـعوا فى هـذا اللفظ فأطلق على كلّ ما يطلب بالمداراه و الملاءمه.

و هـذا التعبير يشـير الى انّ امراه العزيز طلبت من يوسف ان ينال منها بطريق المسالمه و المساومه-كما يصـطلح عليه-و بدون اى تهديد،و أبدت محبّتها القصوى له بمنتهى اللين.

و أخيرا فكّرت فى ان تخلو به و توفّر له جميع مـا يـثير غريزته،من ثيـاب فضـفاضه،و عطور عبقه شـذيّه،و تجميلات مرغبه،حتّى تستولى على يوسف و تأسره!.

يقول القرآن الكريم: وَ غَلَّقَتِ الْأَبْوٰابَ وَ قٰالَتْ هَيْتَ لَکَ .

«غلّقت»تدلّ على المبالغه و انّها أحكمت غلق الأبواب،و هذا يعنى انّها سـحبت يوسف الى مكان من القصـر المتشكّل من غرف متـداخله..و كمـا ورد فى بعض الرّوايـات كـانت سـبعه أبواب،فغلقتهـا عليه جميعا..لئلاّـ يجـد يوسف اى طريق للفرار..اضافه الى ذلك أرادت ان تشعر يوسف ان لا يقلق لانتشار الخبر فإنّه سوف لا يفتضح،حيث لا يستطيع احد ان ينفذ الى داخل القصر ابدا.

ص :۱۷۶

و فی هـذه الحـال،حین رای یوسف انّ هـذه الأـمور تجری نحو الإـثم،و لم یر طریقـا لخلاصه منها،توجّه یوسف الی زلیخا و قالَ مَعاذَ اللّهِ و بهذا الکلام رفض یوسف طلب امراه العزیز غیر المشـروع..و أعلمها انّه لن یستسـلم لارادتها.و افهمها ضمنا-کما افهم کلّ انسان-انّه فی مثل هذه الظروف الصـعبه لا سبیل الی النجاه من وساوس الشـیطان و اغراءاته الاّ بالالتجاء الی اللّه..اللّه الذی لا فرق عنـده بین السـرّ و العلن،بین الخلوه و الاجتمـاع،فهو مطّلع و مهیمن علی کـلّ شـیء،و لا شـیء الاّ و هو طوع امره و ارادته! و بهـذه الجمله اعترف یوسف بوحـدانیه اللّه تعالی من الناحیه النظریه،و کذلک من الناحیه العملیه ایضا،ثمّ أضاف إِنَّهُ رَبِّی أَحْسَـنَ مَثْوایَ ..أ لیس التجاوز ظلما و خیانه واضحه إِنَّهُ لا یُفْلِحُ الظّالِمُونَ .

المراد من کلمه«ربّی»

هناک اقوال کثیره بین المفسّـرین فی المراد من قوله: إِنَّهُ رَبِّی فأکثر المفسّرین،کالعلاّمه الطبرسی فی مجمع البیان و کاتب المنار فی تفسیر المنـار و غیرهمـا،قـالوا:انّ کلمـه«ربّ»هنـا اسـتعملت فی معناهـا الواسـع،و قـالوا:انّ المراد من کلمه«ربّ»هنـا هـو«عزیز مصر»الذی لم یأل جهدا فی إکرام یوسف،و کان یوصی امرأته من البدایه بالاهتمام به و قال لها: أَکْرِمِی مَثْواهُ .

و من یظنّ انّ هـذه الکلمه لم تسـتعمل بهـذا المعنی فهو مخطئ تماما،لانّ کلمه«ربّ»فی هذه السوره أطلقت عدّه مرّات علی غیر اللّـه سـبحانه.و أحیانـا ورد هـذا الاسـتعمال علی لسـان یوسـف نفسـه،و أحیانـا علی لسـان غیره! فمثلاـ فی قصّـه تعـبیر الرؤیا للسـجناء،طلب یوسف من الـذی بشّـره بالنجاه ان یـذکر حاله عنـد ملک مصـر وَ قالَ لِلَّذِی ظَنَّ أَنَّهُ ناجٍ مِنْهُمَا اذْکُرْنِی عِنْدَ رَبِّکَ (الآیه ۴۲).

كما نلاحظ هذا الاستعمال على لسان يوسف-أيضا-حين جاءه مبعوث فرعون مصر،إذ يقول القرآن الكريم فى هذا الصدد: فَلَمّا جاءَهُ الرَّسُولُ قالَ ارْجِعْ إِلى رَبِّکَ فَسْئَلْهُ ما بالُ النِّسْوَهِ اللاّتِی قَطَّعْنَ أَیْدِیَهُنَّ (الآیه ۵۰).

و فى الآيه(۴۱)من هذه السوره،و ذيل الآيه(۴۲)أطلقت كلمه«ربّ»فى لسان القرآن الكريم بمعنى المالك و صاحب النعمه.فعلى هذا تلاحظون انّ كلمه «ربّ»استعملت ۴ مرّات-سوى الآيه محلّ البحث-فى غير اللّه،و إن كانت قد استعملت فى هذه السوره و فى سور اخرى من القرآن فى خصوص ربّ العالمين (اللّه)مرارا.

فالحاصل انّ هذه الكلمه من المشترك اللفظى و هى تستعمل فى المعنيين.

و لكن رجّح بعض المفسّرين ان تكون كلمه«ربّ»فى هذه الآيه إِنَّهُ رَبِّی أَحْسَنَ مَثْوایَ يقصد بها اللّه..لانّها جاءت بعد كلمه مَعاذَ اللّهِ مباشره،و كونها الى جنب لفظ الجلاله صار سببا لعود الضمير فى إِنَّهُ رَبِّی عليه فيكون معنى الآيه:انّنى ألتجئ الى اللّه و أعوذ به فهو الهى الذى اكرمنى و عظم مقامى و كلّ ما عندى من النعم فهو منه.

و لكن مع ملاحظه وصيه عزيز مصر لامراته أَکْرِمِی مَثْواهُ و تكرارها فى الآيه-محل البحث-يكون المعنى الاوّل اقرب و أقوى.

جاء فى التوراه الفصل ۳۹ رقم ۸ و ۹ و ۱۰ ما مؤدّاه:«و بعد هذا وقعت المقدّمات،انّ امراه سيّده القت نظرتها على يوسف و قالت:اضطجع معى،لكنّه ابى و قال لامراه سيّده:انّه سيّدى غير عارف بما معى فى البيت،و كلّ ما يملك مودع عندى،و لا أجد اكبر منّى فى هذا البيت،و لم يزاحمنى شىء سواك لانّك امرأته،فكيف اقدم على هذا العمل القبيح جدّا،و اتجرّا فى الذنب على اللّه».فهذه الجمل فى التوراه تؤيّد المعنى الاوّل.

و هنا يبلغ امر يوسف و امراه العزيز الى ادقّ مرحله و اخطرها،حيث يعبّر

القرآن عنه تعبيرا ذا مغزى كبير وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهٰا لَوْ لاٰ أَنْ رَأىٰ بُرْهٰانَ رَبِّهِ .

و فى معنى هذه الجمله اقوال بين المفسّرين يمكن تصنيفها و اجمالها الى ثلاثه تفاسير:

١-انّ امراه العزيز كانت تريد ان تقضى وطرا مع يوسف،و بذلت وسعها فى ذلك،و كاد يوسف يستجيب لرغبتها بطبيعه كونه بشرا شابّا لم يتزوّج و يرى نفسه إزاء المثيرات الجنسيّه وجها لوجه...لو لا ان راى برهان اللّه...اى روح الايمان و التقوى و تربيه النفس،أضف الى كلّ ذلك مقام العصمه الذى كان حائلا دون هذا العمل! فعلى هذا يكون الفرق بين معانى«همّ»اى القصد من امراه العزيز،و القصد من قبل يوسف،هو انّ يوسف كان يتوقّف قصده على شرط لم يتحقّق،اى(عدم وجود برهان ربّه)و لكن القصد من امراه العزيز كان مطلقا،و لأنّها لم يكن لديها مثل هذا المقام من التقوى و العفّه،فإنّها صمّمت على هذا القصد حتّى آخر مرحله،و الى ان اصطدمت جبهتها بالصخره الصمّاء! و نظير هذا التعبير موجود فى الآداب العربيّه و غيرها كما نقول مثلا:انّ جماعه لا- ترتبط بقيم أخلاقيه و لا ذمّه صمّمت على الاغاره على مزرعه فلان و نهب خيراته،و لولا انّى تربّيت سنين طوالا عند استاذى العارف الزاهد فلان، لاقدمت على هذا العمل معهم.

فعلى هذا كان تصميم يوسف مشروطا بشرط لم يتحقّق،و هذا الأمر لا منافاه له مع مقام يوسف من العصمه و التقوى،بل يؤكّد له هذا المقام العظيم كذلك.

و طبقا لهذا التّفسير لم يبد من يوسف اى شىء يدلّ على التصميم على الذنب، بل لم يكن فى قلبه حتّى هذا التصميم.

و من هنا فيمكن القول انّ بعض الرّوايات التى تزعم انّ يوسف كان مهيّئا

لینال وطرا من امراه العزیز،و خلع ثیابه عن بدنه،و ذکرت تعبیرات اخری نستحیی من ذکرها،کلّ هذه الأمور عاریه من الصحّه و مختلقه،و هذه اعمال من شأن الافراد و المنحرفین الملوّثین غیر الانقیاء.فکیف یمکن ان یتّهم یوسف مع هذه المنزله و قداسه روحه و مقام تقواه بمثل هذا الاتّهام.

الطریف انّ التّفسیر الاوّل

نقل عن الامام علی بن موسی الرضا علیه السّلام فی عباره موجزه جدّا و قصیره ،حیث یسأله المأمون«الخلیفه العبّاسی»قائلا:الا تقولون انّ الأنبیاء معصومون؟فقال الامام:«بلی».فقال:فما تفسیر هذه الآیه وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهٰا لَوْ لاٰ أَنْ رَأیٰ بُرْهٰانَ رَبِّهِ فقال الامام علیه السّلام:«لقد همّت به،و لولا ان رای برهان ربّه لهمّ بها کما همّت،لکنّه کان معصوما و المعصوم لا یهمّ بذنب و لا یأتیه»فقال المأمون:للّه درّک یا أبا الحسن (۱) .

۲-انّ تصمیم کلّ من امراه العزیز و یوسف لا علاقه له بالوطر الجنسی،بل کان تصمیما علی ضرب أحدهما الآخر..

فتصمیم امراه العزیز علی هذا العمل کان لعدم انتصارها فی عشقها و بروز روح الانتقام فیها ثأرا لهذا العشق.

و تصمیم یوسف کان دفاعا عن نفسه،و عدم التسلیم لطلب تلک المراه.

و من جمله القرائن التی تذکر فی هذا الموضوع:

اوّلا:انّ امراه العزیز کانت قد صمّمت علی نیل الوطر الجنسی قبل هذه الحاله،و کانت قد هیّأت مقدّمات هذا الأمر، فلا مجال-اذن-لان یقول القرآن:

انّها صمّمت علی هذا العمل الآن،لانّ هذه الساعه لم تکن ساعه تصمیم.

و ثانیا:انّ ظهور حاله الخشونه و الانتقام بعد هذه الهزیمه امر طبیعی،لانّها بذلت ما فی وسعها لاقناع یوسف،و لمّا لم توفّق الی ما رغبت فیه توسّلت بطریق آخر،و هو طریق الخشونه و الضرب.

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج ۲ ص ۴۲۱.

و ثالثا:انّنا نقرا فى ذيل هذه الآيه كَذٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشٰاءَ و المراد بالفحشاء هو التلوّث و عدم العفّه..و المراد بصرف السوء،هو نجاته من مخالف امراه العزيز،و على كلّ حال فحين راى يوسف برهان ربّه...تجنّب الصراع مع امراه العزيز و ضربها،لانّه قد يكون دليلا على تجاوزه و عدوانه عليها، و لذا رجّح ان يبتعد عن ذلك المكان و يفرّ نحو الباب.

٣-ممّا لا شكّ فيه انّ يوسف كان شابّا يحمل جميع الاحاسيس التى فى الشباب،و بالرغم من انّ غرائزه كانت طوع عقله و ايمانه..الاّ انّ مثل هذا الإنسان-بطبيعه الحال-يهيج طوفان فى داخله لما يشاهده من مثيرات فى هذا المجال،فيصطرع العقل و الغريزه،و كلّما كانت أمواج المثيرات اشدّ كانت كفّه الغرائز أرجح،حتّى انّها قد تصل فى لحظه خاطفه الى أقصى مرحله من القوّه، بحيث لو تجاوز هذه المرحله خطوه لهوى فى مزلق مهول،و لكنّ قوّه الايمان و العقل ثارت فى نفسه فجأه و تسلّمت زمام الأمور فى انقلاب عسكرى سريع و كبحت جماح الشهوه.

و القرآن يصوّر هذه اللحظه الخاطفه الحسّاسه و المتأزّمه التى وقعت بين زمانين هادئين-فى الآيه المتقدّمه-فيكون المراد من قوله تعالى: وَ هَمَّ بِهٰا لَوْ لاٰ أَنْ رَأىٰ بُرْهٰانَ رَبِّهِ انّ يوسف انجرّ الى حافّه الهاويه فى الصراع بين الغريزه العقل،و لكن فجأه ثارت قوّه الايمان و العقل و هزمت طوفان الغريزه (١) ..لئلاّ يتصوّر احد انّ يوسف عند ما استطاع ان يخلّص نفسه من هذه الهاويه فلم يقم بعمل مهمّ،لانّ اسباب الذنب و الهياج الجنسى كانت فيه ضعيفه..كلاّ ابدا..فهو فى هذه اللحظه الحسّاسه جاهد نفسه اشدّ الجهاد.

١- ١) مقتبس من تفسير«فى ظلال القرآن»لسيّد قطب ذيل الآيه ج ۴ ص ٧١١.

ما المراد من برهان ربّه

؟ «البرهـان»فی الأصـل مصـدر«بره»و معنـاه«صـیروره الشـیء ابیضا»ثمّ اطلق هـذا اللفظ علی کلّ دلیل محکم قوی یوجب وضوح المقصود،فعلی هـذا یکون برهـان اللّه الـذی نجّی یوسف نوعا من الادلّه الالهیّه الواضـحه،و قـد احتمل فیه المفسّـرون احتمالات کثیره،من جملتها:

۱-العلم و الایمان و التربیه الانسانیه و الصفات البارزه.

۲-معرفته بحکم تحریم الزنا.

۳-مقام النبوّه و عصمته من الذنب.

۴-نوع من الأمداد الالهی الذی تدارکه فی هذه اللحظه الحسّاسه بسبب اعماله الصالحه.

۵-هناک روایه یستفاد منها انّه کان فی قصر امراه عزیز مصر صنم تعبده، و فجأه وقعت عیناها علیه،فکأنّها احسّت بأنّ الصنم ینظر الی حرکاتها الخیانیّه بغضب،فنهضت و القت علیه سترا،فاهتزّ یوسف لهذا المنظر، و قال:أنت تستحین من صنم لا یملک عقلا و لا شعورا و لا إحساسا،فکیف لا استحیی من ربّی الخبیر بکلّ شیء،و الذی لا تخفی علیه خافیه؟.

فهذا الاحساس منح یوسف قوّه جدیده،و أعانه علی الصـراع الشدید فی اعماق نفسه بین الغریزه و العقل،لیتمکّن من التغلّب علی أمواج الغریزه فی نفسه (۱) .

و فی الوقت ذاته لا مانع ان تکون جمیع هذه المعانی منظوره،لانّ مفهوم البرهان العام یستوعبها جمیعا،و قد أطلقت آیات القرآن کلمه«البرهان»علی کثیر من المعانی المتقدّمه.

امّا الرّوایات التی لا سند لها و التی ینقلها بعض المفسّرین،و التی مؤدّاها انّ

۱- ۱) نور الثقلین،ج ۲،ص ۴۲۲،و تفسیر القرطبی،ص ۳۹۸،ج ۵.

یوسف صمّم علی الذنب،و لکنّه لاحظ فجأه حاله من المکاشفه بین جبرئیل و یعقوب و هو یعضّ علی إصبعه،فرای یوسف هذا المنظر و تخلّف عن اقدامه علی هذا الذنب..فهذه الرّوایات لیس لها ای سند معتبر..و هی روایات إسرائیلیه انتجتها الذهنیات البشریه الضیّقه التی لم تدرک مقام النبوّه ابدا.

و الآن لنتوجّه الی تفسیر بقیّه الآیه إذ یقول القرآن المجید: کَذٰلِکَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشٰاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبٰادِنَا الْمُخْلَصِینَ .و هی اشاره الی انّ هذا الأمداد الغیبی و الاعانه المعنویه لانقاذ یوسف من السوء و الفحشاء من قبل اللّه لم یکن اعتباطا،فقد کان عبدا عارفا مؤمنا ورعا ذا عمل صالح طهّر قلبه من الشرک و ظلماته،فکان جدیرا بهذا الأمداد الالهی.

و بیان هذا الأمر یدلّ علی انّ مثل هذه الامدادات الغیبیه،فی لحظات الشدّه و الازمه التی تدرک الأنبیاء-کیوسف مثلا-غیر مخصوصه بهم،فإنّ کلّ من کان فی زمره عباد اللّه الصالحین المخلصین فهو جدیر به هذه المواهب ایضا.

ملاحظات

اشاره

۱-جهاد النفس

نحن نعرف انّ أعظم الجهاد فی الإسلام هو جهاد النفس،الذی عبّر عنه فی حدیث عن النّبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ب«الجهاد الأکبر»ای هو جهاد أعظم من جهاد العدوّ الذی عبّر عنه بالجهاد الأصغر..و إذا لم یتوفّر فی الإنسان الجهاد الأکبر بالمعنی الواقعی-أساسا-فلن ینتصر فی جهاده علی أعدائه.

و فی القرآن المجید ترتسم صور شتّی فی میادین الجهاد،و تتجلّی فیها علاقه الأنبیاء و اولیاء اللّه الصالحین.و قصّه یوسف و ما کان من عشق امراه العزیز الملتهب واحده من هذه الصور،و بالرغم من انّ القرآن لم یوضّح جمیع ما فی القصّه من خفایا و زوایا،الاّ انّه أجملها بصوره موجزه فی جمله قصیره هی وَ هَمَّ

بِهٰا لَوْ لاٰ أَنْ رَأىٰ بُرْهٰانَ رَبِّهِ

و بيّن شدّه هذا الطوفان.

لقد خرج يوسف من هذا الصراع منتصرا بوجه مشرق لثلاثه اسباب:

الاوّل:انّه التجأ الی اللّه و استعاذ به،و قال: مَعٰاذَ اللّٰهِ .

الثّانی:التفاته الی الإحسان الذی اسداه الیه عزیز مصر،و ما تناوله فی بیته فأثّر فیه،فلم ینس فضله طیله حیاته،و مع ملاحظه نعم اللّه التی لا تحصی و انقاذه له من غیابه الجبّ الموحشه الی محیط الامان و الهدوء جعلته یفکّر فی ماضیه و مستقبله،و لا یستسلم للتیارات العابره.

الثّالث:بناء شخصیّته و عبودیّته المقرونه بالإخلاص التی عبّر عنها القرآن إِنَّهُ مِنْ عِبٰادِنَا الْمُخْلَصِینَ یستفاد منها انّها منحته القوّه و القدره لیخرج من میادین الوسوسه التی تهجم علیه من الداخل و الخارج بانتصار.

و هذا درس کبیر لجمیع الناس الأحرار الذین یریدون ان ینتصروا علی عدوّهم الخطر فی میادین جهاد النفس.

یقول الامام علی بن أبی طالب«امیر المؤمنین»فی دعاء الصباح، بأسلوب جمیل رائق:«و ان خذلنی نصرک عند محاربه النفس و الشیطان،فقد وکلنی خذلانک الی حیث النصب و الحرمان».

و نقرا

فی بعض الأحادیث انّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بعث سریه فلمّا رجعوا قال:

«مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر،و بقی علیهم الجهاد الأکبر»فقیل:یا رسول اللّه، و ما الجهاد الأکبر قال:«جهاد النفس» (۱) .

و

یقول الامام علی علیه السّلام ایضا «المجاهد من جاهد نفسه» (۲) .

کما ینقل

عن الامام الصادق علیه السلام انّه قال: «من ملک نفسه إذا رغب و إذا رهب و إذا اشتهی و إذا غضب و إذا رضی حرّم اللّه جسده علی النار» (۳) .

۱- ۱) وسائل الشیعه،ج ۱۱،ص ۱۲۲.

٢- ٢) المصدر السابق،ص ١٢٤.

٣- ٣) المصدر نفسه،ص ١٢٣.

۲-ثواب الإخلاص

كما أشرنا فی تفسیر الآیات المتقدّمه،فإنّ القرآن المجید عزا نجاه یوسف- من هذه الازمه الخطره التی أوقعته امراه العزیز فیها- الی اللّه،إذ قال: کَذٰلِکَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشٰاءَ .

و لکن مع ملاحظه الجمله التی تلیها: إِنَّهُ مِنْ عِبٰادِنَا الْمُخْلَصِینَ تتجلّی هذه الحقیقه،و هی انّ اللّه سبحانه لا یترک عباده المخلصین فی اللحظات المتأزّمه وحدهم..و لا یقطع عنهم امداداته المعنویّه..بل یحفظ عباده بألطافه الخفیّه.

و هذا الثواب فی الواقع هو ما یمنحه اللّه جلّ جلاله لامثال هؤلاء العباد،و هو ثواب الطهاره و التقوی و الإخلاص.

و هناک مسأله جدیره بالتنویه،و هی انّ یوسف«من عباد اللّه المخلصین» و مفرد الکلمه«مخلص»علی وزن«مطلق»و هو اسم مفعول.و لم تأت الکلمه علی وزن اسم الفاعل ای«مخلص»علی وزن«محسن».

و الدقّه فی آیات القرآن تکشف عن انّ کلمه«مخلص»(بکسر اللام)غالبا ما تستعمل فی مراحل تکامل الإنسان الاولی و فی حال بناء شخصیته،کقوله تعالی: فَإِذٰا رَکِبُوا فِی الْفُلْکِ دَعَوُا اللّٰهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ (۱) .

و کقوله تعالی: وَ مٰا أُمِرُوا إِلاّٰ لِیَعْبُدُوا اللّٰهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ (۲) .

غیر انّ کلمه«مخلص»بفتح اللام استعملت فی المرحله العالیه..التی تحصل بعد مدّه مدیده من جهاد النفس،تلک المرحله التی ییأس الشیطان فیها من نفوذه و وسوسته داخل الإنسان،و فی الحقیقه تکون نفس الإنسان مؤمّنا علیها من قبل اللّه،یقول القرآن فی هذا الصدد:

۱- ۱) العنکبوت،۶۵.

۲- ۲) البینه،۵.

قالَ فَبِعِزَّتِکَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاّ عِبادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ

(۱)

.

و كان يوسف قد بلغ هذه المرحله بحيث وقف كالجبل امام تلك الازمه، فينبغى على كلّ فرد السعى لبلوغ هذه المرحله.

۳-العفّه و المتانه فى البيان

من عجائب القرآن و واحده من ادلّه الاعجاز،انّه لا يوجد فى تعبيره ركّه و ابتذال و عدم العفّه و ما الى ذلك،كما انّه لا يتناسب مع أسلوب الفرد العادى الامّى الذى تربّى فى محيط الجاهليّه،مع انّ حديث كلّ احد يتناسب مع محيطه و أفكاره!.

و بين جميع قصص القرآن و احداثه التى ينقلها توجد قصّه غرام و عشق واقعيه،و هى قصّه(يوسف و امراه عزيز مصر).

قصّه تتحدّث عن عشق امراه جميله والهه ذات أهواء جامحه لشاب جميل طاهر القلب.

اصحاب المقالات و الكتاب حين يواجهون مثل هذا الأمر..امّا ان يتحدّثوا عن ابطال القصّه بأن يطلقوا للقلم او اللسان العنان، حتّى تظهر فى(البين)تعابير مثيره و غير أخلاقيه كثيره.

و امّا ان يحافظوا على العفّه و النزاهه فى القلم و اللسان،فيحوّلوا القصّه الى القرّاء او السامعين بشكل غامض و مبهم.

فالكاتب او صاحب المقال مهما كان ماهرا يبتلى بواحد من هذين الإشكالين،ترى هل يعقل انّ فردا لم يدرس يرسم رسما دقيقا و كاملا-لفصول مثل هذا العشق المثير،دون ان يستعمل اقلّ تعبير مهيّج و بعيد عن العفّه؟! و لكنّ القرآن يمزج فى رسم هذه الميادين الحسّاسه من هذه القصّه-

ص:۱۸۶

۱- ۱) سوره ص،الآيه ۸۳.

بأسلوب معجب-الدقّه فی البیان مع المتانه و العفّه،دون ان یغضّ الطرف عن ذکر الوقائع،او ان یظهر العجز،و قد استعمل جمیع الأصول الاخلاقیه و الأمور الخاصّه بالعفّه.

و نعرف انّ اخطر ما فی هذه القصّه ما جری فی«خلوه العشق»و ما أظهرته امراه العزیز بابتکارها و هواها.

و القرآن یتناول کلّ ما جری من حوادث و یتحدّث عنها دون ان یظهر اقلّ انحراف من اصول العفّه حیث یقول: وَ رٰاوَدَتْهُ الَّتِی هُوَ فِی بَیْتِهٰا عَنْ نَفْسِهِ وَ غَلَّقَتِ الْأَبْوٰابَ وَ قٰالَتْ هَیْتَ لَکَ قٰالَ مَعٰاذَ اللّٰهِ إِنَّهُ رَبِّی أَحْسَنَ مَثْوٰایَ إِنَّهُ لاٰ یُفْلِحُ الظّٰالِمُونَ (یوسف ٢٣).

و المسائل التی تسترعی الانتباه فی هذه القصّه ما یلی:

١-کلمه«راود»تستعمل فی مکان یطلب فیه احد من الآخر شیئا بإصرار ممزوجا بالترغیب و اللین،لکن ما الذی ارادته امراه العزیز من یوسف؟!..بما انّه کان واضحا فقد اکتفی القرآن بالکنایه و التلمیح دون التصریح!.

٢-انّ القرآن هنا لم یعبّر عن امراه العزیز تعبیرا مباشرا،بل قال: اَلَّتِی هُوَ فِی بَیْتِهٰا لیقترب من بیان العفّه و اسدال الحجاب،کما جسّد معرفه یوسف للحقّ و جسّد مشاکل یوسف ایضا فی عدم التسلیم إزاء من کانت حیاته فی قبضتها.

٣- غَلَّقَتِ الْأَبْوٰابَ التی تدلّ علی المبالغه و انّ الأبواب جمیعا أوصدت بشدّه،(و هذا تصویر من هذا المیدان المثیر).

۴-جمله هَیْتَ لَکَ تشرح آخر کلام امراه العزیز للبلوغ الی وصال یوسف،و لکنّها فی عباره متینه ذات مغزی کبیر و لیس فیها ما یشیر الی تعبیر سیئ.

۵- مَعٰاذَ اللّٰهِ إِنَّهُ رَبِّی أَحْسَنَ مَثْوٰایَ التی قالها یوسف لتلک المراه الجملیه،معناها کما یقول اکثر المفسّرین:انّی ألتجئ الی اللّه فإنّ عزیز مصر

صاحبی و سیّدی و هو یجلّنی و یحترمنی و یعتمد علیّ،فکیف اخونه؟!و هذا العمل خیانه و ظلم إِنَّهُ لاٰ یُفْلِحُ الظّٰالِمُونَ و بهذا توضّح الآیه سعی یوسف الی إیقاظ العواطف الانسانیه فی امراه العزیز.

۶-جمله وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهٰا لَوْ لاٰ أَنْ رَأیٰ بُرْهٰانَ رَبِّهِ ترسم-من جهه-تلک الخلوه بدقّه،بحیث لو انّ یوسف لم یکن لدیه مقام العصمه او العقل او الایمان لکان قد وقع فی«الفخّ».

و من جهه أخری ترسم انتصار یوسف أخیرا فی هذه الظروف علی شیطان الشهوه الطاغی..بأسلوب رائع.

الطریف هنا انّ الآیه استعملت کلمه«همّ»فحسب،«ای انّ امراه العزیز صمّمت من جهتها و لو لم یر یوسف برهان ربّه لصمّم من جهته ایضا،تری هل توجد کلمه اکثر متانه للتعبیر عن(القصد و التصمیم)أفضل من هذه؟!

الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ٢٥ الى ٢٩]

اشاره

وَ اِسْتَبَقَا اَلْبٰابَ وَ قَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَ أَلْفَيٰا سَيِّدَهٰا لَدَى اَلْبٰابِ قٰالَتْ مٰا جَزٰاءُ مَنْ أَرٰادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلاّٰ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ
(٢٥) قٰالَ هِيَ رٰاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَ شَهِدَ شٰاهِدٌ مِنْ أَهْلِهٰا إِنْ كٰانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَ هُوَ مِنَ اَلْكٰاذِبِينَ (٢٦) وَ إِنْ كٰانَ
قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَ هُوَ مِنَ اَلصّٰادِقِينَ (٢٧) فَلَمّٰا رَأىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قٰالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨)
يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذٰا وَ اِسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ اَلْخٰاطِئِينَ (٢٩)

التّفسير

اشاره

فضيحه امراه العزيز

!! المقاومه الشديده التى أبداها يوسف جعلت امراه العزيز آيسه منه تقريبا..

و لكن يوسف الذى انتصر فى هذا الدور على تلك المراه المعانده احسّ انّ بقاءه فى بيتها-فى هذا المزلق الخطر-غير صالح،و ينبغى ان يبتعد عنه،و لذلك اسرع نحو باب القصر ليفتحه و يخرج،و لم تقف امراه العزيز مكتوفه الايدى،بل

أسرعت خلفه لتمنعه من الخروج،و سحبت قميصه من خلفه فقدّته وَ اسْتَبَقَا الْبٰابَ وَ قَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ .

(الاستباق)فی اللغه هو المسابقه بین شخصین او اکثر.

و(قدّ)بمعنی مزّق طولا،کما انّ«قطّ»بمعنی مزّق عرضا،و لذلک نقرا

فی الحدیث.. «کانت ضربات علی بن أبی طالب علیه السّلام أبکارا،إذا اعتلی قدّ،و إذا اعترض قطّ» (۱) .

و علی کلّ حال فقد أوصل یوسف نفسه نحو الباب و فتحه فرأیا«یوسف و امراه العزیز»عزیز مصر خلف الباب فجأه.یقول القرآن الکریم: وَ أَلْفَیٰا سَیِّدَهٰا لَدَی الْبٰابِ .

«ألفیا»من مادّه«الالفاء»و معناها العثور المفاجئ..و التعبیر عن الزوج ب«السیّد»کما یقول بعض المفسّرین کان طبقا للعرف السائد فی مصر،حیث کانت تخاطب المراه زوجها بالسیّد.

فی هذه اللحظه التی رأت امراه العزیز نفسها علی أبواب الفضیحه من جهه، و شعله الانتقام تتأجّج فی داخلها من جهه اخری،کان اوّل شیء توجّهت الیه ان تخاطب زوجها متظاهره بمظهر الحقّ متّهمه یوسف إذ قٰالَتْ مٰا جَزٰاءُ مَنْ أَرٰادَ بِأَهْلِکَ سُوءاً إِلاّٰ أَنْ یُسْجَنَ أَوْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ .

من الطریف هنا انّ هذه المراه الخائنه نسیت نفسها انّها امراه العزیز حینما کانت لوحدها مع یوسف،و لکن عند ما وجدت نفسها مشرفه علی الافتضاح، عبّرت عن نفسها بأنّها اهله لتثیر فیه احساس الغیره!فهی خاصّه به و لا ینبغی لأحد ان یلقی علیها نظرات الطمع!! و هذا الکلام قریب الشبه بکلام فرعون مصر فی عصر موسی إذ قال:

ص: ۱۹۰

۱- ۱) مجمع البیان:ذیل الآیه.

أَ لَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ، (١) حيث كان جالسا على عرش السلطنه!و لكنّه حين وجد نفسه مشرفا على السقوط،و وجد ملكه و تاجه فى خطر،قال عن موسى و أخيه:

يُرِيدانِ أَنْ يُخْرِجاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ

(٢)

.

و الأمر الآخر انّ امراه العزيز لم تقل انّ يوسف كان يريد السوء بى،بل تحدّثت[عن ما يستحقّه من الجزاء]

مع عزيز مصر،فكأنّ اصل المسأله مسلّم به!!و الكلام عن كيفيه الجزاء.

و هذا التعبير المدروس الذى كان فى لحظه اضطراب و مفاجأه للمراه يدلّ على شدّه احتيالها (٣) .

ثمّ انّ التعبير عن السجن اوّلا،ثمّ عدم قناعتها بالسجن وحده،إذ تتجاوز هذا الحكم الى العذاب الأليم او«الاعدام»مثلا.

و لكن يوسف أدرك انّ السكوت هنا غير جائز..فأماط اللثام عن عشق امراه العزيز قالَ هِيَ راوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي .

و طبيعى انّ مثل هذا الحادث من العسير تصديقه فى البدايه،اى انّ شابّا يافعا غير متزوّج لا يعدّ آثما،و لكن امراه متزوّجه ذات مكانه اجتماعيه-ظاهرا -آثمه!فلذلك كانت أصابع الاتّهام تشير الى يوسف اكثر من امراه العزيز.

و لكن حيث انّ اللّه حامى الصالحين و المخلصين فلا يرضى ان يحترق هذا الشاب المجاهد بشعله الاتّهام،لذلك يقول القرآن فى هذا الصدد: وَ شَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَ هُوَ مِنَ الْكاذِبِينَ وَ إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَ هُوَ مِنَ الصّادِقِينَ .و اى دليل أقوى من هذا الدليل،لانّ طلب المعصيه ان كان من طرف امراه العزيز فقد ركضت خلف يوسف و قدّت

١- ١) الزخرف،٥١.

٢- ٢) سوره طه،٦٣.

٣- ٣) فى المراد من«ما»من قولها «ما جَزاءُ» أ هى نافيه ام استفهاميه،هناك اختلاف بين المفسّرين،و النتيجه واحده.

قمیصه من دبر،لانّه کان یرید الفرار فأمسکت بثوبه فقدّته،و إذا کان یوسف هو الذی هجم علیها و هی ترید الفرار او وقفت امامه للمواجهه و الدفاع،فمن المسلّم ان یقدّ قمیص یوسف من قبل!و ایّ شیء اعجب من ان تکون هذه المسأله البسیطه«خرق الثوب»مؤشّرا علی تغییر مسیر حیاه بریء و سندا علی طهارته و دلیلا علی افتضاح المجرم!.

امّا عزیز مصر فقد قبل هذا الحکم الدقیق،و تحیّر فی قمیص یوسف ذاهلا:

فَلَمّا رَأیٰ قَمِیصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قٰالَ إِنَّهُ مِنْ کَیْدِکُنَّ إِنَّ کَیْدَکُنَّ عَظِیمٌ

.

فی هذه الحال،و لخوف عزیز مصر من انتشار خبر هذا الحادث المؤسف علی الملا،فتسقط منزلته و کرامته فی مصر رای انّ من الصلاح کتمان القضیّه، فالتفت الی یوسف و قال: یُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذٰا ای اکتم هذا الأمر و لا تخبر به أحدا..ثمّ التفت الی امرأته و قال: وَ اسْتَغْفِرِی لِذَنْبِکِ إِنَّکِ کُنْتِ مِنَ الْخٰاطِئِینَ (۱) .

و ذهب بعض المفسّرین الی انّ القائل لهذه الجمله لیس عزیز مصر،بل الشاهد نفسه،و لکن لا دلیل یؤیّد هذا الاحتمال و خاصّه مع وقوع هذه الجمله بعد قول العزیز.

ملاحظات

اشاره

۱-من کان الشاهد

؟! هناک اقوال فی الشاهد الذی ختم«ملفّ یوسف و امراه العزیز»بسرعه، و أوضح البریء من المسیء من هو؟

---

۱ – ۱) ورد التعبیر بالخاطئین و هو جمع مذکّر،و لم یرد التعبیر بالخاطئات الذی هو جمع مؤنث،لانّ جمع المذکّر السالم یغلّب فی کثیر من الموارد و یطلق علی جماعه الذکور و الإناث ای«انّک فی زمره الخاطئین».

قال بعضهم:هو احد أقارب امراه العزيز،و كلمه «مِنْ أَهْلِها» دليل على ذلك ..و على القاعده فهو رجل حكيم و عارف ذكى بحيث استطاع ان يستنبط الحكم من قدّ الثوب دون ان يكون لديه شاهد او بيّنه.بل اكتشف حقيقه الحال..و يقال:

انّ هذا الرجل كان من مشاورى عزيز مصر و كان معه.

التّفسير الآخر:انّ الشاهد كان طفلا رضيعا من أقارب امراه العزيز و كان على مقربه من الحادث،و كان يوسف قد طلب من عزيز مصر ان يحتكم الى هذا الطفل،فتعجّب عزيز مصر من هذا الطلب..ترى هل يمكن هذا؟!لكن«الطفل» حين تكلّم-كما تكلّم المسيح عليه السّلام فى المهد-و اعطى هذا المعيار لمعرفه البرىء من المسىء،التفت عزيز مصر الى انّ يوسف ليس غلاما(عاديّا)بل هو نبى او متنّبى.

و الرّوايات المنقوله عن طريق اهل البيت عليهم السّلام و اهل السنّه تشير الى هذا التّفسير،من جملتها ما

نقله ابن عبّاس عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:انّه قال: «اربعه تكلّموا أطفالا:ابن ماشطه فرعون،و شاهد يوسف،و صاحب جريح،و عيسى بن مريم» (۱) .

كما

نقل عن تفسير على بن ابراهيم عن الامام الصادق انّ شاهد يوسف كان طفلا فى المهد (۲) .

و لكن ينبغى الالتفات الى انّ ايّا من الحديثين المتقدّمين ليس له سند قوى، بل هما مرفوعان.

الاحتمال الثالث:انّ الشاهد هو القدّ فى الثوب الذى تكلّم بلسان الحال، و لكن مع ملاحظه كلمه مِنْ أَهْلِها يضعّف هذا الاحتمال،بل ينفيه!.

۱- ۱) تفسير المنار،ج ۱۲،ص ۲۸۷.

۲- ۲) تفسير نور الثقلين،ج ۱۲،ص ۴۲۲.

۲-الموقف الضعيف لعزيز مصر

من جمله المسائل التى تستجلب الانتباه فى هذه القصّه انّ فى مثل هذه المسأله المهمّه التى طعن فيها بناموس عزيز مصر و عرضه،كيف يكتفى قانعا بالقول وَ اسْتَغْفِرِی لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخاطِئِينَ و ربّما كانت هذه المسأله سببا لانّ تدعوا امراه العزيز نساء الاشراف الى مجلسها الخاص،و تكاشفهنّ بفصّه حبّها و غرامها بجلاء.

ترى:أ كان هذا خوفا من الافتضاح،فاختصر عزيز مصر هذه المسأله و غضّ النظر عنها!؟ ام انّ هذه المسأله-أساسا-ليست بذات اهميّه للحكّام و مالكى ازمّه الأمور و الطواغيت،فهم لا يكترثون للغيره و حفظ الناموس،لانّهم ملوّثون بالذنوب و غارقون فى مثل هذه الرذائل و الفساد حتّى كأنّه لا اهميّه لهذا الموضوع فى نظرهم.

يبدو انّ الاحتمال الثّانى اقرب للنظر!.

۳-حمايه اللّه فى الأزمات

الدرس الكبير الآخر الذى نتعلّمه من قصّه يوسف،هو حمايه اللّه و رعايته للإنسان الاكيده فى اشدّ الحالات،و بمقتضى قوله: يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاٰ يَحْتَسِبُ -فمن جهه كان يوسف لا يصدّق ابدا انّ نافذه من الأمل ستفتح له،و يكون قدّ القميص سندا للطهاره و البراءه،ذلك القميص الذى يصنع الحوادث،فيوما يفضح اخوه يوسف لانّهم جاؤوا أباهم و هو غير ممزّق،و يوما يفضح امراه العزيز لانّه قدّ من دبر،و يوما آخر يهب البصر و النّور ليعقوب،و ريحه المعروف يسافر مع نسيم الصباح من مصر الى ارض كنعان و يبشّر العجوز «الكنعانى»بقدوم موكب البشير!.

ص :۱۹۴

و على کـلّ حال فإنّ للّه الطافا خفیّه لا یسبر غورها احـد،و حین یهبّ نسـیم هـذه الألطاف تتغیّر الأسـباب و المسبّبات بشـکل لا یمکن حتّی لاذکی الافراد ان یتنبّأ عنها!.

بل قد یتّفق أحیانا انّ خیوط العنکبوت تبدّل مسیر الحیاه لامّه او قوم بشکل دائم،کما حدث فی قصّه غار ثور و هجره النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

۴-خطّه امراه العزیز

فی الآیات المتقدّمه اشاره الی مکر النسوه(طبعا النساء اللائی لا ارتباط لهنّ بشیء الاّ هواهنّ کامرأه العزیز)و هذا المکر و التحیّل الموصوف بالعظمه إِنَّ کَیْدَکُنَّ عَظِیمٌ یوجد منه فی التاریخ و القصص التأریخیّه امثله کثیره،حیث تکشف اجمالا انّ النساء اللائی یسوقهنّ هواهنّ یرسمن خططا لا نظیر لها من نوعها.

رأینا فی القصّه المتقدّمه کیف انّ امراه العزیز بعد الهزیمه فی عشـقها و افتضاح أمرها،برّات نفسـها بمهاره و اتّهمت یوسف و لم تقـل انّ یوسف قصـد السوء بی،بـل افترضت ذلـک امرا مسـلّما به.و انّما سألت فقط عن جزاء مثل من یعمل هـذا العمل!!جزاء لا یتوقّف علی السجن فحسب،بل یأخذ ابعادا اخری غیر محدوده.

و نری ایضا انّ هذه المراه فی مقابل لوم نسوه مصر لها إذ عشقت غلامها- فی الآیات التالیه-تستعمل مثل هذا المکر او الخداع،و هذا تأکید آخر علی مکر مثل هؤلاء النسوه!

ص: ۱۹۵

الآيات [سوره يوسف (۱۲): الآيات ۳۰ الی ۳۴]

اشاره

وَ قٰالَ نِسْوَةٌ فِی اَلْمَدِينَةِ اِمْرَأَتُ اَلْعَزِيزِ تُرٰاوِدُ فَتٰاهٰا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهٰا حُبًّا إِنّٰا لَنَرٰاهٰا فِی ضَلاٰلٍ مُبِينٍ (۳۰) فَلَمّٰا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ
أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَ أَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَ آتَتْ كُلَّ وٰاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَ قٰالَتِ اُخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمّٰا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَ قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَ قُلْنَ
حٰاشَ لِلّٰهِ مٰا هٰذٰا بَشَراً إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ مَلَكٌ كَرِيمٌ (۳۱) قٰالَتْ فَذٰلِكُنَّ اَلَّذِی لُمْتُنَّنِی فِيهِ وَ لَقَدْ رٰاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَ لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ
مٰا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَ لَيَكُوناً مِنَ اَلصّٰاغِرِينَ (۳۲) قٰالَ رَبِّ اَلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمّٰا يَدْعُونَنِی إِلَيْهِ وَ إِلاّٰ تَصْرِفْ عَنِّی كَيْدَهُنَّ أَصْبُ
إِلَيْهِنَّ وَ أَكُنْ مِنَ اَلْجٰاهِلِينَ (۳۳) فَاسْتَجٰابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ (۳۴)

التّفسير

اشاره

مؤامره اخری:

بالرغم من انّ عشق امراه العزيز المذكور آنفا كان-مسأله خصوصيه-

ص: ۱۹۶

بحیث اكّد حتّی العزیز علی كتمانها،و لكن حیث انّ هذه الأسرار لا تبقی خافیه، و لا سیّما فی قصور الملوك و اصحاب المال و القوّه-التی فی حیطانها آذان صاغیه-فسوف تتسرّب الی خارج القصر كما یقول القرآن فی هذا الشأن: وَ قَالَ نِسْوَةٌ فِی الْمَدِینَهِ امْرَأَتُ الْعَزِیزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ثمّ لمنها و عنّفنها بهذه الجمله إِنَّا لَنَرَاهَا فِی ضَلَالٍ مُبِینٍ .و واضح انّ المتحدّث بمثل هذا الكلام كنّ نساء اشراف مصر حیث كانت اخبار القصور المفعمه بفساد الفراعنه و المستكبرین مثیره لهنّ و كنّ یستقصینها دائما.

لم یكن فساد هؤلاء النسوه بأقلّ من امراه العزیز و لكنّ ایدیهنّ لم تصل الی یوسف،و كما یقول المثل-«العین بصیره و الید قصیره»فكنّ یرین امراه العزیز بسبب هذا العشق فی ضلال مبین.

و یقول بعض المفسّرین:انّ اذاعه هذا السرّ من قبل هذه المجموعه من نساء مصر،كانت خطّه لتحریك امراه العزیز حتّی تدعوهنّ الی قصرها لتكشف لهنّ عن براءتها و تریهن یوسف و جماله! و لعلّهنّ كنّ یتصوّرن انّ یوسف إذا رآهنّ بهره جمالهنّ،و ربّما رآهنّ أجمل من امراه العزیز،و لانّ یوسف كان یحترم امراه العزیز احترام الولد لوالدته-ام مربّیته-فهو لا یطمع فیها،و لهذا السبب یكون احتمال نفوذهنّ الی قلبه أقوی من نفوذ امراه العزیز الیه!.

«الشغف»من مادّه«الشغاف»و معناه أعلی القلب او الغشاء الرقیق المحیط بالقلب،و شغفها حبّا معناه انّها تعلّقت به الی درجه بحیث نفذ حبّه الی قلبها و استقرّ فی أعماقه.

و هذا التعبیر اشاره الی العشق الشدید و الملتهب.

یذكر«الآلوسی»فی تفسیره«روح المعانی»نقلا عن كتاب اسرار البلاغه مراتب الحبّ و العشق و نشیر هنا الی قسم منها:

ص :۱۹۷

فـأوّل مراحـل الحـبّ«الهـوى»و معنـاه الميـل،ثـمّ«العلاقه»و هى المحبّه الملازمه للقلب،و بعدها«الكلف»و هو الحبّ الشديد،ثمّ«العشق»و بعده «الشعف»بالعين المهمله اى الحاله التى يحترق القلب فيها من الحبّ و يحسّ باللّذه من هذه الحاله..و بعدها«اللوعه»ثمّ«الشغف»و هو المرحله التى ينفذ العشق فيها الى جميع زوايا القلب،ثمّ«الوله»و هو المرحله التى تخطف عقل الإنسان من العشق،و آخر المراحل«الهيام» و هو المرحله التى تذهل العاشق و تجرّه الى كلّ جهه دون اختياره (۱) .

هناک مسأله جديره بالالتفات و هى:من الذى أذاع هذا السرّ؟هل كان من امراه العزيز التى لم ترغب فى هذه الفضيحه ابدا!او من قبل العزيز نفسه!و كان يؤكّد على كتمان السرّ،او القاضى الحكيم الذى حكم فى الأمر،و يستبعد منه هذا العمل؟! و على كلّ حال فإنّ مثل هذه المسائل فى هذه القصور المفعمه بالفساد لا تبقى طىّ الكتمان،و أخيرا فإنّها تنتقل على السنه الذين يظهرون الحرص على شرف القصر و تنتشر،و من الطبيعى ان يضيف عليها آخرون اوراقا و اغصانا.

امّا امراه العزيز فقد وصلها ما دار بين النسوه من افتضاحها فَلَمّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَ أَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَ آتَتْ كُلَّ واحِدَهٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً (۲) .

هذا العمل دليل على انّ امراه العزيز لم تكن تكترث بزوجها،و لم تأخذ الدرس من فضيحتها،ثمّ أمرت يوسف ان يتخطّى فى المجلس وَ قالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ و تعبير اُخْرُجْ عَلَيْهِنَّ بدلا من«ادخل»يشير الى انّها كانت اخفت يوسف داخل البيت،او جعلته مشغولا فى احدى الغرف التى يوضع فيها الغذاء

ص: ۱۹۸

۱- ۱) تفسير(روح المعانى)ج ۱۲ ص ۲۰۳.

۲- ۲) «المتّكأ»ما يتكأ عليه كالكراسى و الاسره،و ما يوضع خلف الظهر كما هو معروف فى القصور،و لكن البعض قال: انّ المتّكأ هو نوع من الفواكه المعروفه«بالاترنج»و الذين فسّروا المتّكأ بالمعنى المتقدّم قالوا ايضا:انّها فاكهه«الأترنج» و هى فاكهه من فصائل الحمضيات لها قشر ضخم يستعمل فى المربيات،و هذه الفاكهه فى مصر خفيفه الحموضه الحموضه و تؤكل!

عاده حتّى يكون دخوله الى المجلس مفاجأه للجميع.

نساء مصر-و طبقا لبعض الرّوايات التى تقول:كنّ عشرا..او اكثر-فوجئن بظهور يوسف كأنّه البدر او الشمس الطالعه،فتحيّرن من جماله فَلَمّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ و فقدن انفسهنّ وَ قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ مكان الفاكهه،و حين وجدن الحياء و العفّه تشرقان من عينيه و قد احمّر وجهه خجلا صحن جميعا وَ قُلْنَ حاشَ لِلّهِ ما هذا بَشَراً إِنْ هذا إِلاّ مَلَكٌ كَرِيمٌ (۱) .

و هناك اقوال بين المفسّرين فى انّ النسوه الى اى حدّ قطّعن أيديهن؟فمنهم من بالغ فى الأمر،و لكن كما يستفاد من القرآن على نحو الإجمال انّهن جرحن ايديهنّ.

و فى هذه الحال التى كانت الدماء تسيل من ايدى النسوه و قد لاحظن ملامح يوسف كلّها و صرن امامه«كالخشب المسنّده»كشفن عن انّهن لسن بأقل من امراه العزيز عشقا ليوسف،فاستغلّت امراه العزيز هذه الفرصه ف قالَتْ فَذلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ .

فكأنّ امراه العزيز أرادت ان تقول لهنّ:لقد رأيتن يوسف مرّه واحده فحدث لكنّ ما حدث و فقدتنّ صوابكن و قطعتن أيديكن من جماله و عشقه،فكيف الام و انا أراه و اسكن معه ليل نهار؟! و هكذا احسّت امراه العزيز بالغرور لانّها وفّقت فى ما ألقته من فكره و اعطت لنفسها العذر،و اعترفت بكلّ صراحه بكلّ ما فعلت و قالت: وَ لَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ .

و بدلا من ان تظهر الندم على كلامها او تتحفّظ على الأقل امام ضيوفها، أردفت القول بكلّ جدّ يحكى عن ارادتها القطعيّه: وَ لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ ما آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ

۱- ۱) «حاش لله»من ماده«حشى»معناها الطرف او الناحيه..و التحاشى الابتعاد و مفهوم جمله«حاش لله»اى ان الله منزه، و هى اشاره الى ان يوسف عبد منزه و طاهر.

...و لا اكتفى بسجنه،بل وَ لَيَكُوناً مِنَ الصّاغِرِينَ .

و من الطبيعى انّه إذا اكتفى عزيز مصر إزاء خيانه امرأته بالقول: اِسْتَغْفِرِى لِذَنْبِكِ فينبغى ان تجرّ امرأته الفضيحه الى هذه المرحله..و أساسا فإنّ مثل هذه الأمور و المسائل فى قصور الفراعنه و الملوك ليست أمورا مهمّه.

ينقل البعض روايات عجيبه مؤدّاها انّ بعضا من نسوه مصر أعطين الحقّ لامرأه العزيز و درن حول يوسف ليرغّبنه بأن يستسلم لحبّها و كلّ واحده تكلّمت بكلام! فقالت واحده:ايّها الشاب ما هذا الصبر و الدلال،و لم لا ترحم هذه العاشقه الواهبه قلبها لك،الا ترى هذا الجمال الآسر؟أ ليس عندك قلب؟!الست شابّا؟ الا تستلذّ بالعشق و الجمال،فهل أنت حجاره او خشب؟! و قالت الثّانيه:إذا كنت لا تعرف عن الجمال و العشق شيئا..لكن الا تدرى انّ امراه العزيز ذات نفوذ و قدره..الا تفكّر ان لو ملكت قلبها فستنال كلّ شىء و تبلغ ایّ مقام شئت...

و قالت الثّالثه:إذا كنت لا ترغب فى جمالها المثير و لا تحتاج الى مقامها و مالها،و لكن الا تعرف انّها ستنتقم لنفسها بما أوتيت من وسائل الانتقام الخطره، الا تخاف من السجن و وحشته و من الغربه المضاعفه فيه؟! تهديد امراه العزيز من جانبها بالسجن و الاذلال من جهه،و وساوس النسوه الملوّثات اللائى خطّطن ليوسف كما يخطّط الدلّال من جهه اخرى، اوقعا يوسف فى ازمه شديده،و أحاط به طوفان المشاكل،و لكن حيث انّ يوسف كان قد صنع نفسه،و قد أوجد نور الايمان و العفّه و التقوى فى قلبه هدوءا و سكينه خاصّه،فقد صمّم بعزم و شجاعه و التفت نحو السّماء ليناجى ربّه و هو فى هذه الشدّه قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ .

و حيث كان يدرى ان لا مهرب له الاّ الى اللّه فى جميع الأحوال و لا سيما فى

الساعات الحرجه،فقد أودع نفسه عند اللّه بهذا الكلام وَ إِلاّ تَصْرِفْ عَنِّی کَیْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَیْهِنَّ وَ أَکُنْ مِنَ الْجاهِلِینَ .

ربّاه...انّنی أتقبّل السجن الموحش رعایه لأمرک و حفظا لطهاره نفسی...

هذا السجن تتحرّر فیه روحی و تطهّر نفسی،و انا ارفض هذه الحریّه الظاهریه التی تأسر روحی فی سجن«الشهوه»و تلوّث نفسی.

ربّاه..اعنّی،و هب لی القوّه،و زدنی قدره و عقلا و ایمانا و تقوی،حتّی انتصر علی هذه الوساوس! و حیث انّ وعد اللّه حقّ،و انّه یعین المجاهد(لنفسه او لعدوّه)فإنّه لم یترک یوسف سدی و تلقفته رحمته و لطفه کما یقول القرآن الکریم: فَاسْتَجابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ کَیْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ .

فهو یسمع نجوی عبیده،و هو مطلع علی اسرارهم،و یعرف طریق الحلّ لهم.

ملاحظات

۱-کما رأینا من قبل فإنّ امراه العزیز و نسوه مصر،استفدن من امور مختلفه فی سبیل الوصول الی مرادهن،فمرّه بإظهار العشق و العلاقه الشدیده و التسلیم المحض،و مرّه بالترغیب و الطمع،ثمّ بالتهدید،او بتعبیر آخر:توسلن بالشهوه و المال و القوّه!! و هذه اصول متّحده المآل یتوسّل بها الطغاه و المتجبرون فی کلّ عصر و زمان،حتّی لقد رأینا کرارا و مرارا انّهم و من اجل ان یجبروا رجال الحقّ علی الاستسلام،یظهرون لهم فی مجلس واحد لینا للغایه و یلوّحون بالمساعدات و انواع الأمداد ترغیبا،ثمّ یتوسلون فی نهایه المجلس بالتهدید و الوعید،و لا یلتفتون الی ما فی هذا من التناقض فی مجلس واحد و ما فیه من دناءه و خسّه

و لؤم فاضح.

و السبب واضح..فهم يريدون الهدف و لا تهمّهم الوسيله،و بتعبير آخر:

يستسيغون للوصول الى اهدافهم اى أسلوب و ايّه وسيله كانت.

و فى هذا المحيط يستسلم الافراد الضعاف،سواء فى اوّل المرحله او وسطها او نهايتها،الاّ انّ اولياء الحقّ لا يكترثون بهذه الاساليب بما لديهم من شهامه و شجاعه و نور الايمان و يرفضون التسليم بضرس قاطع حتّى و لو ادّى ذلك الى الموت..و عاقبتهم الانتصار طبعا،انتصار أنفسهم و انتصار مبادئهم،او على الأقل انتصار مبادئهم.

۲-كثيرون هم مثل نسوه مصر،فطالما هم جالسون حول الحمى يظهرون أنفسهم منزّهين و أتقياء و يلبسون ثياب العفّه و يعدّون الانحراف-كما هو فى امراه العزيز-فى ضلال مبين.

و لكن حين يتعرّضون لأدنى صدمه ينكشف انّ أقوالهم لا تصدّق أفعالهم..

فإذا كانت امراه العزيز بعد سنين من معاشره يوسف قد وقعت فى شرك حبّه و عشقه،فإنّهم فى اوّل مجلس يبتلون بمثل هذا المصير و يقطّعون«الايدى» مكان«الأترنج».

۳-هنا قد يرد سؤال و هو:لم وافق يوسف على طلب امراه العزيز و خرج على النسوه فى المجلس؟المجلس الذى ترتّب من اجل الإثم،او لتبرئه امراه آثمه؟! و لكن مع ملاحظه انّ يوسف كان بحسب الظاهر غلاما مشترى و عليه ان يخدم فى القصر،فلعلّ امراه العزيز استغلّت هذه الفرصه و الحيله ليأتى بالطعام مثلا دون ان يعرف بهذه الخطّه و مكر النسوه.

و خاصّه انّنا قلنا انّ تعبير القرآن اُخْرُجْ عَلَيْهِنَّ كما يظهر منه انّه لم يكن خارجا،بل كان فى احدى الغرف المجاوره للمجلس كالمطبخ مثلا.

۴-جمله يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ و جمله تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ تدلّان جيّدا على انّ نسوه مصر-ذوات الهوى-بعد ما جرى لهنّ من تقطيع الايدى و الانبهار بجمال يوسف،وردن هذا الميدان ايضا و طلبن من يوسف ان يستسلم لهنّ او لامراه العزيز،و لكن يوسف ابى عليهنّ جميعا،و هذا يعنى انّ امراه العزيز لم تكن وحدها فى الجريمه بل كان لها شريكات فى ذلك.

۵-حين يقع الإنسان أسيرا بقبضه الشدائد و الحوادث و تجرّه الى شفى الهاويه،فعليه ان يتوكّل على اللّه و يلتجئ اليه و يستمدّ منه فقط،فإذا لم يحظ بلطفه و عونه فإنّه لا يستطيع ان يقوم بأى عمل،و هذا درس علّمنا ايّاه يوسف العظيم الطاهر الذيل،فهو القائل: وَ إِلاّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَ أَكُنْ مِنَ الْجاهِلِينَ فأنت يا ربّ الحافظ لى،و لا اعتمد على قواى و قدرتى و تقواى.

هذه الحاله«التعلّق المطلق بلطف اللّه»بالاضافه الى انّها تمنح عباده اللّه قدره و استقامه غير محدوده،فهى تشملهم بألطافه الخفيّه..تلك الألطاف التى لا يمكن وصفها و التصديق بها الاّ عند رؤيتها و مشاهدتها.

فهؤلاء هم الذين يسكنون فى ظلّ اللّه و رحمته فى الدنيا و الآخره...

فقد ورد حديث عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى هذا الشأن يقول: «سبعه يظلّهم اللّه فى ظلّ عرشه يوم لا ظلّ الاّ ظلّه:امام عادل،و شابّ نشأ فى عباده اللّه عزّ و جلّ،و رجل قلبه متعلّق بالمسجد إذا خرج منه حتّى يعود اليه،و رجلان كانا على طاعه اللّه عزّ و جلّ فاجتمعا على ذلك و تفرّقا،و رجل ذكر اللّه عزّ و جلّ خاليا ففاضت عيناه،و رجل دعته امراه ذات حسن و جمال فقال:انّى أخاف اللّه تعالى،و رجل تصدّق بصدقه فأخفاها حتّى لا تعلم شماله ما تصدّق بيمينه» (۱) .

۱- ۱) سفينه البحار،ج ۱،ص ۵۹۵،مادّه«ظلّ».

الآيات [سوره يوسف (۱۲): الآيات ۳۵ الى ۳۸]

اشاره

ثُمَّ بَدٰا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مٰا رَأَوُا اَلْآيٰاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتّٰى حِينٍ (۳۵) وَ دَخَلَ مَعَهُ اَلسِّجْنَ فَتَيٰانِ قٰالَ أَحَدُهُمٰا إِنِّي أَرٰانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَ قٰالَ اَلْآخَرُ إِنِّي أَرٰانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ اَلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنٰا بِتَأْوِيلِهِ إِنّٰا نَرٰاكَ مِنَ اَلْمُحْسِنِينَ (۳۶) قٰالَ لاٰ يَأْتِيكُمٰا طَعٰامٌ تُرْزَقٰانِهِ إِلاّٰ نَبَّأْتُكُمٰا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمٰا ذٰلِكُمٰا مِمّٰا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كٰافِرُونَ (۳۷) وَ اِتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبٰائِي إِبْرٰاهِيمَ وَ إِسْحٰاقَ وَ يَعْقُوبَ مٰا كٰانَ لَنٰا أَنْ نُشْرِكَ بِاللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ ذٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اَللّٰهِ عَلَيْنٰا وَ عَلَى اَلنّٰاسِ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ اَلنّٰاسِ لاٰ يَشْكُرُونَ (۳۸)

التّفسير

اشاره

السّجن بسبب البراءه:

انتهى المجلس العجيب لنسوه مصر مع يوسف فى قصر العزيز فى تلك

ص :۲۰۴

الغوغـاء و الهيـاج،و لكنّ خـبره-بـالطبع-وصـل الى سـمع العزيز..و من مجمـوع هـذه المجريـات اتّضـح انّ يوسف لم يكن شـابّا عادّيـا،بـل كـان طـاهرا لـدرجه لا يمكن لاى قوّه ان تجرّه الى الانحراف و التلوّث،و اتّضـحت علامات هـذه الظاهره من جهات مختلفه،فتمزّق قميصه من دبر،و مقاومته امام وساوس نسوه مصر، و اسـتعداده لدخول السـجن و عدم الاستسـلام لتهديدات امراه العزيز بالسجن و العذاب الأليم،كلّ هذه الأمور ادلّه على طهارته لا يمكن لأحد ان يسدل عليها الستار او ينكرها!.

و لازم هـذه الادلّه اثبـات عـدم طهـاره امراه العزيز و انكشـاف جريمتها،و على اثر ثبوت هـذه الجريمه فإنّ الخوف من فضـيحه جنسيه فى اسره العزيز كان يزداد يوما بعد يوم.

فكان الراى بعد تبادل المشوره بين العزيز و مستشاريه هو ابعاد يوسف عن الانظار لينسـى الناس اسـمه و شـخصه،و احسن السبل لذلك ايداعه قعر السجن المظلم اوّلا،و ليشيع بين الناس انّ المذنب الاصلى هو يوسف ثانيا،لذلك يقول القرآن فى هذا الصدد: ثُمَّ بَدٰا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مٰا رَأَوُا الْآيٰاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتّٰى حِينٍ .

التعبير بكلمه«بـدا»التى معناها ظهور الراى الجديـد،يـدلّ على انّ مثل هـذا التصـميم فى حقّ يوسف لم يكن من قبل.و يحتمل ان تكون هذه الفكره اقترحتها امراه العزيز الاوّل مرّه..و بهذا دخل يوسف النزيه-بسبب طهاره ثوبه-السجن، و ليست هذه اوّل مرّه و لا آخرها ان يدخل الإنسان النزيه«بجريره نزاهته» السـجن!! اجل..فى المحيط المنحرف تكون الحريه من نصيب المنحرفين الذين يسـيرون مع التيار و ليست الحريه وحدها من نصـيبهم فحسب،..بل أنّ الأفراد النجباء كيوسف الذى لا يتلاءم مع ذلك المحيط و لونه و يتحرّك على خلاف مجرى الماء!ينبغى ان يقبعوا فى زاويه النسيان..و لكن الى متى؟هل تستمر هذه

الحاله؟..قطعا لا..

و من جمله السجناء الداخلين مع يوسف فتيان وَ دَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيٰانِ .

و حيث انّ من الظروف لم تكن تسمح للإنسان ان يحصل فيها على الاخبار بطريق عادى،فإنّه يأنس لاحاسيس الآخرين ليبحث عن مسير الحوادث و يتوقّع ما سيكون،حتّى انّ الرؤيا و تعبيرها عنده يكون مطلبا مهمّا.

من هذا المنطلق جاء ليوسف يوما هذان الفتيان اللذان يقال:انّ أحدهما كان ساقيا فى بيت الملك،و الآخر كان مأمورا للطعام و المطبخ،و بسبب وشايه الأعداء و سعايتهم بهما دخلا السجن بتهمه التصميم لسمّ الملك،و تحدّث كلّ منهما عن رؤيا رآها الليله الفائته و كانت بالنسبه له امرا عجيبا.

قٰالَ أَحَدُهُمٰا إِنِّى أَرٰانِى أَعْصِرُ خَمْراً وَ قٰالَ الْآخَرُ إِنِّى أَرٰانِى أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ

ثمّ اضافا نَبِّئْنٰا بِتَأْوِيلِهِ إِنّٰا نَرٰاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ .

و حول معرفه الفتيين و اطلاعهما على انّ يوسف له خبره بتأويل الأحلام هناك اقوال بين المفسّرين:

قال بعضهم:انّ يوسف نفسه اخبر السجناء بأنّ له اطلاعا واسعا فى تفسير الأحلام،و قال بعضهم:انّ سيماء يوسف الملكوتيه كانت تدلّ على انّه ليس فردا عاديا..بل هو فرد عارف مطّلع و صاحب فكر و نظر،و لا بدّ ان يكون مثل هذا الشخص قادرا على حلّ مشاكلهم فى تعبير الرؤيا.

و قال البعض الآخر:انّ يوسف من بدايه دخول السجن برهن-بأخلاقه الحسنه و المعاشره الطيّبه للسجناء و خدمتهم و عياده مرضاهم-انّه رجل صالح و حلاّل المشاكل،لذلك كانوا يلتجئون اليه فى حلّ مشاكلهم و يستعينون به.

و هناك ملاحظه جدير ذكرها،و هى انّ القرآن عبّر ب«الفتى»مكان«العبد» و هو نوع من الاحترام،و عندنا

فى الحديث «لا يقولنّ أحدكم عبدى و امتى و لكن

فتای و فتاتی» (۱) لیکون العبید فی مراحل الانعتاق و الحریّه التی نظّمها الإسلام فی مأمن من کلّ انواع التحقیر.

التعبیر ب إِنِّی أَرٰانِی أَعْصِرُ خَمْراً امّا لانّه رای فی النوم انّه یعصر العنب للشراب او العنب المخمّر الذی فی الدنّ،و هو یعصره لیصفّیه مستخرجا منه الشراب،او انّه یعصر العنب لیقدّم عصیره للملک!..دون ان یکون خمرا،و حیث انّ العنب یمکن ان یتبدّل خمرا اطلق علیه لفظ الخمر.

و التعبیر ب إِنِّی أَرٰانِی بدلا من«إنّی رأیت»هو بعنوان حکایه الحال،أی إنّه یفرض نفسه فی اللحظه التی یری فیها الرؤیا«النوم»و هذا الکلام لتصویر تلک الحاله.

و علی کلّ حال فقد اغتنم یوسف مراجعه السجینین له لتعبیر الرؤیا-و کان لا یدع فرصه لإرشاد السجناء و نصحهم-و بحجّه التعبیر کان یبیّن حقائق مهمّه تفتح لهم السبل و لجمیع الناس ایضا.

فی البدایه،و من اجل ان یستلفت اهتمامهما و اعتمادهما علی معرفته بتأویل الأحلام الذی کان مثار اهتمامهما و توجّههما قٰالَ لاٰ یَأْتِیکُمٰا طَعٰامٌ تُرْزَقٰانِهِ إِلاّٰ نَبَّأْتُکُمٰا بِتَأْوِیلِهِ قَبْلَ أَنْ یَأْتِیَکُمٰا .

و بهذا فقد طمأنهما انّهما سیجدان ضالّتهما قبل وصول الطعام إلیهما.

و هناک احتمالات کثیره فی هذه الجمله بین المفسّرین،من جملتها:انّ یوسف قال:انا بأمر اللّه مطّلع علی بعض الأسرار،لا انّی أستطیع تعبیر الأحلام فحسب،بل انا أستطیع حتّی اخبارکم بما سیأتیکم من الطعام و ما نوعه و بأی صوره و ای خصوصیه!.

فعلی هذا یکون التأویل بمعنی ذکر خصوصیات ذلک الطعام،و ان کان التأویل قلیل الاستعمال فی مثل هذا المعنی طبعا،و لا سیّما انّه ورد فی الجمله

۱- ۱) مجمع البیان،ج ۵،ص ۲۳۲.

السابقه بمعنى تعبير الرؤيا.

و الاحتمال الآخر من مقصود يوسف هو:انّ اى نوع من الطعام ترونه فى النوم فأنا اعرف ما تأويله(و لكن هذا الاحتمال لا ينسجم مع الجمله السابقه) قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمٰا .

فعلى هذا يكون احسن التفاسير للجمله المتقدّمه،هو التّفسير الاوّل الذى ذكرناه فى بدايه الحديث.

ثمّ انّ يوسف أضاف الى كلامه مقرونا بالايمان باللّه و التوحيد الجارى بجميع ابعاده فى اعماق وجوده،ليبيّن بوضوح ان لا شىء يتحقّق الاّ بإراده اللّه قائلا: ذٰلِكُمٰا مِمّٰا عَلَّمَنِي رَبِّي و لئلاّ يتصوّر انّ اللّه يمنح مثل هذه الأمور دون حساب،قال إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّهَ قَوْمٍ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ هُمْ بِالْآخِرَهِ هُمْ كٰافِرُونَ .

و المقصود بهذه الملّه او الجماعه هم عبده الأصنام بمصر او عبده الأصنام من كنعان.

و ينبغى لى ان اترك مثل هذه العقائد لانّها على خلاف الفطره الانسانيه النقيّه،ثمّ انّى تربّيت فى اسره الوحى و النّبوّه وَ اتَّبَعْتُ مِلَّهَ آبٰائِي إِبْرٰاهِيمَ وَ إِسْحٰاقَ وَ يَعْقُوبَ .

و لعلّ هذه هى اوّل مرّه يعرّف يوسف نفسه للسجناء بهذا التعريف،ليعلموا انّه سليل الوحى و النّبوّه و قد دخل السجن بريئا..كبقيّه السجناء الابرياء فى حكومه الطواغيت.

ثمّ يضيف على نحو التأكيد مٰا كٰانَ لَنٰا أَنْ نُشْرِكَ بِاللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ لانّ أسرتنا اسره التوحيد...اسره ابراهيم محطّم الأصنام ذٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ عَلَيْنٰا وَ عَلَى النّٰاسِ .

و على هذا فلا تتصوّروا انّ هذا الفضل و الحبّ شملا أسرتنا اهل النّبوّه فحسب-بل هى الموهبه العامّه التى تشمل جميع عباد اللّه المودعه فى أرواحهم

ص :۲۰۸

المسمّاه بالفطره حيث يتكاملون بقياده الأنبياء وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لاٰ يَشْكُرُونَ .

جـدير بالذكر و الالتفات انّ«إسـحاق»عدّ فى الآيه المتقدّمه فى زمره«آباء يوسف»فى حين انّنا نعرف انّ يوسف هو ابن يعقوب و يعقوب هو ابن إسحاق، فتكون كلمه أب بهذا مستعمله فى الجدّ ايضا.

ص :۲۰۹

الآيات [سوره یوسف (١٢): الآيات ٣٩ الى ۴٢]

اشاره

يَا صَاحِبَيِ اَلسِّجْنِ أَ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اَللَّهُ اَلْوَاحِدُ اَلْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اَللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ اَلْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ اَلدِّينُ اَلْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ اَلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (۴٠) يَا صَاحِبَيِ اَلسِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَ أَمَّا اَلْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ اَلطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ اَلْأَمْرُ اَلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (۴١) وَ قَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اُذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ اَلشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي اَلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (۴٢)

التّفسير

اشاره

السّجن او مركز التّربيه:

حين هيّأ يوسف فى البحث السابق قلوب السجينين لقبول حقيقه التوحيد،

ص: ٢١٠

توجّه إليهما و قال: يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهّارُ .

فكأنّ يوسف يريد ان يفهم السجينين انّه لم تريان الحريه فى النوم و لا تريانها فى اليقظه؟!أ ليس ذلك من تفرقتكم و شرككم و نفاقكم الذى مصدره عباده الأوثان و الأرباب المتفرّقين ممّا سبّب ان يتغلّب عليكم الطغاه و الجبابره؟! فلم لا تجتمعون تحت رايه التوحيد،و تعتصموا بحبل الواحد القهّار،لتطردوا من مجتمعكم هؤلاء الظالمين و الجبابره الّذين يسوقونكم الى السجن ابرياء دون ذنب؟! ثمّ يضيف قائلا: مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاّ أَسْمٰاءً سَمَّيْتُمُوهٰا أَنْتُمْ وَ آبٰاؤُكُمْ مٰا أَنْزَلَ اللّهُ بِهٰا مِنْ سُلْطٰانٍ بل هى صنع عقولكم العاجزه و افكاركم المنحرفه. إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ لِلّٰهِ فلا ينبغى ان تطأطئوا رؤوسكم لسواه من الطغاه و الفراعنه،ثمّ أضاف زياده فى التأكيد قائلا: أَمَرَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّٰاهُ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ .

اى انّ التوحيد فى جميع ابعاده-فى العباده،فى الحكومه،فى المجتمع،فى المسائل الثقافيه،و فى كلّ شيء-هو الدين الالهى المستقيم و الثابت. وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النّٰاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ و لذلك خضعوا لحكومه غير(اللّه)فذاقوا الشقاء و السجون فى هذا السبيل.

و بعد ان ارشد يوسف صاحبى سجنه و دلّهما و دعاهما الى حقيقه التوحيد، بدا بتعبير الرؤيا لهما..لأنّهما من البدايه جاءا لهذا الأمر و قد وعدهما بتعبير الرؤيا،و لكنّه اغتنم الفرصه و حدّثهما عن التوحيد الحى و المواجهه مع الشرك، ثمّ التفت إليهما و قال: يٰا صٰاحِبَيِ السِّجْنِ أَمّٰا أَحَدُكُمٰا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَ أَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ .

و بالرغم من تناسب كلّ رؤيا مع ما عبّره يوسف،فكان معلوما اجمالا من الذى يطلق من السجينين؟و من الذى يصلب منهما؟الاّ انّ يوسف لم يرغب فى

ان يبيّن التعبير بصراحه اكثر من هذه..خاصّه و انّ فيه خبرا غير مريح،لذلك جعل التعبير تحت عنوان«أحدكما».

ثمّ أضاف مؤكدا قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ و هو اشاره الى انّ هذا التعبير ليس تعبيرا ساذجا،بل هو من انباء الغيب التى تعلّمها من اللّه،فلا مجال للترديد و الكلام بعد هذا.

فى كثير من التفاسير ورد فى ذيل الجمله المتقدّمه انّ السجين الثّانى الذى سمع بالخبر المزعج أخذ يكذّب رؤياه و يقول:كنت امزح معك،ظانّا انّ مصيره سيتبدّل بهذا التكذيب،فعقّب عليه يوسف بالجمله المتقدّمه! و يحتمل ايضا انّ يوسف كان قاطعا فى تعبير الرؤيا الى درجه بحيث ذكر الجمله المتقدّمه تأكيدا لما سبق بيانه.

و حين احسّ يوسف انّ السجينين سينفصلان عنه عاجلا،و من اجل ان يجد يوما يطلق فيه و يبرّأ من هذه التهمه،اوصى احد السجينين الذى كان يعلم انّه سيطلق ان يذكره عند الملك وَ قالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ ناجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ لكن هذا الغلام«الناسى»مثله مثل الافراد قليلى الاستيعاب،ما ان يبلغوا نعمه ما حتّى ينسوا صاحبها،و هكذا نسى يوسف تماما،و لكن القرآن عبّر عن ذلك بقوله: فَأَنْساهُ الشَّيْطانُ ذِكْرَ رَبِّهِ و هكذا أصبح يوسف منسيّا فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ .

هناك اقوال بين المفسّرين فى انّ الضمير من فَأَنْساهُ الشَّيْطانُ هل يعود على ساقى الملك،ام على يوسف؟كثير من المفسّرين يعيدون الضمير على يوسف فيكون المعنى:انّ الشيطان انسى يوسف ذكر اللّه فتوسّل بسواه.

و لكن مع ملاحظه الجمله السابقه التى تذكر انّ يوسف كان يوصى صاحبه ان يذكره عند ربّه،يظهر انّ الضمير يعود على الساقى نفسه.

و كلمتا«الربّ»فى المكانين بمعنى واحد.

ص:٢١٢

كما انّ جمله وَ ادَّكَرَ بَعْدَ أَمَّهٍ التى ستأتى فى الآيات التاليه،تدلّ على انّ الذى نسى هو الساقى.

و لكن سواء عـاد الضـمير على يوسف ام على صاحبه،فما من شكّ من انّ يوسف توسّل بالغير فى سبيل نجاه نفسه! و بـديهى انّ مثل هـذا التوسّل للنجاه من السـجن و من سائر المشاكل،ليس امرا غريبا بالنسبه للافراد العاديين،و هو من قبيل التوسّل بالأسـباب الطبيعيه، و لكن بالنسـبه للافراد الـذين هم قـدوه و فى مكانه عاليه من الايمان و التوحيـد،لا يمكن ان يخلو من إيراد،و لعلّ هـذا كان سببا فى بقاء يوسف فى السجن بضع سنين،إذ لم يرض اللّه سبحانه ليوسف«ترك الاولى»!.

فى حديث عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم انّه قال: «عجيب من اخى يوسف كيف استغاث بالمخلوق دون الخالق؟» و

روى انّه قال: «لو لا كلمته ما لبث فى السجن طول ما لبث»يعنى قوله اُذْكُرْنِى عِنْدَ رَبِّكَ .

و

روى عـن أبى عبـد اللّه الصـادق عليه السّـلام قـال: «جـاء جبرئيـل عليه السّـلام فقـال:يـا يوسـف من جعلـك احسن النـاس؟قـال: ربّى،قـال:فمـن حبّبـك الى أبيـك دون إخوانـك؟قـال:ربّى، قـال:فمـن سـاق إليـك السياره؟قـال:ربّى،قـال:فمـن صـرف عنك الحجاره؟قال:

ربّى،قـال:فمن أنقـذك من الجبّ؟قـال:ربّى،قال:فمن صـرف عنك كيـد النسوه؟ قال:ربّى،قال:فإنّ ربّك يقول:ما دعاك الى ان تنزل حاجتك بمخلوق دونى؟البث بالسجن بما قلت بضع سنين» (۱) .

ص :۲۱۳

۱- ۱) مجمع البيان فى تفسير الآيه،الجزء ۳،ص ۲۳۵.

ملاحظات

اشاره

۱-السّجن مركز للإرشاد او بؤره للفساد

للسجن تأريخ مؤلم و مثير للغمّ جدّا فى هذا العالم،فأسوا المجرمين و احسن الناس كلاهما دخل السجن،و لهذا السبب كان مركزا دائما لافضل الدروس البنّاءه او لأسوإ الاختبارات.

و فى الحقيقه انّ السجون التى يجتمع فيها المفسدون تعدّ معهدا عاليا للفساد!ففى هذه السجون تتمّ مبادله الخطط التخريبيّه و التجارب..و كلّ منحرف يعلم درسه للآخرين،و لهذا السبب حين يطلقون من السجن يواصلون طريقهم بأسلوب اكثر مهاره من السابق و بتشكيل جديد...الاّ ان يلتفت مسئولو السجن لهذا الموضوع،و يعملوا على تغيير هؤلاء الافراد الذين فيهم الاستعداد و القابليه الى عناصر صالحه و مفيده و بنّاءه.

و امّا السجون التى تتشكّل من الصالحين و الابرياء و النزيهين و المجاهدين فى طريق الحقّ و الحريه،فهى معاهد و مراكز لتعليم الدروس العقائديّه و الطرق العمليه للجهاد و المبارزه و البناء.

و هذه السجون تعطى فرصه طيّبه للمنافحين فى طريق الحقّ ليؤدّوا دورهم، و ينسّقوا جهودهم بعد التحرّر من هذه السجون.

و حين انتصر يوسف على امراه محتاله ماكره متّبعه لهواها-كامرأه عزيز مصر-و دخل السجن،سعى ان يبدّل محيط السجن الى محيط بنّاء و مركز للتعليم و التربيه،حتّى انّه وضع أساس حريته و حريه الآخرين ضمن تخطيطه هناك.

و هذا الماضى يعطينا درسا مهمّا،و هو انّ الإرشاد و التربيه ليسا محدودين فى مركز معيّن كالمسجد و المدرسه-مثلا-بل ينبغى ان يستفاد من كلّ فرصه سانحه للوصول الى هذا الهدف،حتّى و لو كانت فى السجن و تحت أثقال القيود.

امّا عدد السنوات التى قضاها يوسف فى السجن،فهناك اقوال بين

المفسّرين،و المشهور انّها سبع سنوات،الّا انّ بعضهم قال:انّ يوسف بقى فى السجن اثنتى عشره سنه،خمس قبل رؤيا صاحبى سجنه،و سبع بعدها،و كانت سنوات ملأى بالتعب و النصب الّا انّها من جهه الإرشاد كانت سنوات مفعمه بالبركه و الخير (۱) .

۲-حين يصلب المصلحون

! من الطريف انّنا نقرا فى هذه القصّه انّ الذى راى فى منامه انّه يعصر خمرا و يقدّمه للملك قد تحرّر و اطلق من السجن،و انّ الذى راى انّه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه قد صعد عود المشنقه.

أ ليس مفهوم هذا انّ الذين هم على خطى الشّهوات و فى محيط المفسدين و انظمه الطغاه ينالون الحريّه،و امّا الذين يقدّمون خدمه للمجتمع و يعطون الخبز للناس فليس من حقّهم الحياه!و ينبغى ان يموتوا؟فهذا نسيج المجتمع الذى يحكمه النظام الفاسد..و هذه نهايه الصالحين فى أمثال هذا المجتمع!.

صحيح انّ يوسف-اعتمادا على الوحى الالهى و علم التعبير-توقّع ما كان، و لكنّ ایّ معبّر لا يمكن له ان يبعد عن نظره هذه المناسبات! ففى الحقيقه انّ الخدمه فى مثل هذه المجتمعات ذنب عظيم،و الخيانه و الاساءه هى الثواب بعينه!.

۳-اكبر دروس الحرّيه

رأينا انّ اكبر درس علّمه يوسف للسجناء هو درس التوحيد و عباده اللّه الواحد الأحد،ذلك الدرس الذى حصيلته الحريّه و التحرّر.

لقد كان يعرف انّ الأرباب«المتفرّقين»و المعبودين المختلفين و الاهداف

۱- ۱) لزياده الإيضاح فى سنوات سجن يوسف يراجع تفسير المنار،و القرطبى،و الميزان،و الفخر الرازى.

المتفرّقه،كلّها أساس التفرقه فى المجتمعات،و طالما هناك تفرقه فالجبابره مسلّطون على رقاب الناس،لذلك اعطى يوسف«دستورا»و امرا بقطع جذورهم بسيف التوحيد الباتر،لئلاّ يضطرّوا الى رؤيه الحريّه فى الأحلام و المنام،بل ينبغى ان يشاهدوا الحريّه فى اليقظه.

ترى،أ ليس الجبابره المسلّطون على رقاب الناس هم ثلّه من الافراد يستطيع الناس مكافحتهم،الاّ انّهم بإيجاد التفرقه و النفاق،و عن طريق«الأرباب المتفرقين»استطاعوا ان يتحكّموا على رقاب الناس و يهدّوا قوى المجتمع!.

و من الطبيعى ان يكون اليوم الذى تجتمع فيه الأمم على كلمه التوحيد و توحيد الكلمه تحت رايه«اللّه الواحد القهّار»و يجمعوا قواهم،هو يوم زوال أولئك الجبابره الظالمين،و هذا درس مهم جدّا ليومنا و غدنا و لجميع الناس فى كلّ المجتمعات البشريه و على امتداد التاريخ.

و من الضرورى ان نلتفت الى هذه المسأله الدقيقه،و هى انّ يوسف يقول:

إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ لِلّهِ

ثمّ يؤكّد أنّ العباده و الخضوع لا تكونان إلاّ له أَمَرَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ و يؤكّد بعد ذلك بالقول: ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ و يعقّب أخيرا وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ .

فعلى هذا لو تعلّم الناس المعارف الصحيحه و عرفوا الحقيقه،و نهضت فيهم حقيقه التوحيد،فإنّ المشاكل ستنحلّ لا محاله.

۴-استغلال شعار بنّاء بشكل سيئ

شعار إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ لِلّهِ الذى هو شعار قرآنى ايجابى مثبت،ينفى ايّه حكومه كانت سوى حكومه اللّه او ما تنتهى اليه حكومه اللّه،الاّ انّه-و للأسف- استغلّ على امتداد التاريخ بشكل عجيب،و من ذلك استغلال الخوارج لهذا الشعار فى واقعه«النهروان»حيث كانوا أناسا جامدين حمقى قشريين منحرفين

جدّا..فتمسكوا بهذا الشعار لنفى التحكيم فى حرب صفين و قالوا:لا يصحّ الحكم لنهايه الحرب او الخليفه لانّ اللّه يقول: إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ لِلّهِ .

لقد كانوا غافلين او متغافلين عن هذه المسأله البديهيّه،و هى انّ التحكيم إذا كان قد تعيّن من ائمّه امر اللّه باتّباعهم فحكمهم ايضا حكم اللّه لانّه ينتهى اليه.

صحيح انّ الحكمين فى حرب صفين لم يتمّ تعيينهما من قبل الامام على عليه السّلام،و لو كان الامام امير المؤمنين على عليه السّلام عيّنهما فإنّ حكمهما حكمه،و حكم على حكم النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و حكم النّبى حكم اللّه.

و هل يا ترى يحكم اللّه او يقضى مباشره بين المجتمعات!او يتولّى امور الناس اشخاص من جنسهم،غايه ما فى الأمر ينتهى أمرهم الى اللّه؟!و لكن الخوارج و دون ان يتوجّهوا الى هذه الحقيقه الواضحه اشكلوا على اصل قصّه التحكيم على الامام على عليه السّلام و حتّى عدّوه-و العياذ باللّه-زيغا منه،يا لهذا الجهل و الجمود و البلاده.

و هكذا فإنّ مثل هذه الأمور البنّاءه حين تقع بأيدى افراد جهّال تتحوّل الى أسوإ الوسائل التخريبيّه.

و فى هذا اليوم نرى مجموعه من الناس من ضعاف النفوس الذين لا يقلّون عن أولئك جهلا و لجاجه،تمسّكوا بالآيه المتقدّمه لنفى التقليد عن المجتهدين، او نفى صلاحيّه حكومتهم،لكن جوابهم جميعا هو ما ذكرناه آنفا.

۵-التوجّه لغير اللّه

التوحيد لا يتلخّص فى انّ اللّه تعالى احد فرد،بل ينبغى ان يتجسّد فى جميع شؤون الحياه،و احد ابرز علائمه انّ الإنسان الموحّد لا يعتمد على غير اللّه و لا يلتجئ الاّ اليه.

نحن لا نقول يجب على الإنسان ان لا يلحظ عالم الأسباب و قانون العلّيه لا

یری الأسـباب شـیئا،و لا یعتمد علی الوسائل و الأسباب،بل نقول:انّ لا یری تأثیرا واقعیّا فی السبب،بل یری راس الخیط فی جمیع الأمور بید مسبّب الأسباب.و بتعبیر آخر:لا یری للأسباب استقلالا،بل یراها تحت هیمنه الذات المقدّسه للّه سبحانه.

و یمکن ان یکون عـدم توجّه الافراد العادیین لهـذه الحقیقه الکبری مـدعاه للعفو،و لکن عـدم الالتفات و لو بمقـدار راس الابره بالنسـبه لأولیاء اللّه یکون سـببا لمجازاتهم،و ان لم یکن اکثر من«ترک الاولی»و رأینا کیف انّ یوسف بسـبب عـدم توجّهه لهذه المسأله المهمّه امتـدّ حبسه سـنوات لینضـج آخرا فی«موقـد» الحوادث،و لیحصل علی اسـتعداد اکبر لمواجهه الطغاه،و لیعلم انّه لا ینبغی الاعتماد الاّ علی اللّه.و علی المظلومین الذین یسیرون فی طریق(اللّه).

و هذا درس کبیر لمن یطوی هذه الطریق و للمجاهدین الصادقین بأن لا یخطر ببالهم الاتّفاق مع الشـیطان لضرب شیطان آخر!..و لئلاّ یمیلوا الی الشرق او الغرب،و لا یغذّون الخطی الاّ علی الجادّه الوسطی و هی«الصراط المستقیم».

ص :۲۱۸

الآیات [سوره یوسف (۱۲): الآیات ۴۳ الی ۴۹]

اشاره

وَ قالَ اَلْمَلِکُ إِنِّی أَری سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ یَأْکُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَ سَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ یابِساتٍ یا أَیُّهَا اَلْمَلَأُ أَفْتُونِی فِی رُءْیایَ إِنْ کُنْتُمْ لِلرُّءْیا تَعْبُرُونَ (۴۳) قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ وَ ما نَحْنُ بِتَأْوِیلِ اَلْأَحْلامِ بِعالِمِینَ (۴۴) وَ قالَ اَلَّذِی نَجا مِنْهُما وَ اِدَّکَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُکُمْ بِتَأْوِیلِهِ فَأَرْسِلُونِ (۴۵) یُوسُفُ أَیُّهَا اَلصِّدِّیقُ أَفْتِنا فِی سَبْعِ بَقَراتٍ سِمانٍ یَأْکُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَ سَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ یابِساتٍ لَعَلِّی أَرْجِعُ إِلَی اَلنّاسِ لَعَلَّهُمْ یَعْلَمُونَ (۴۶) قالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِینَ دَأَباً فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِی سُنْبُلِهِ إِلاّ قَلِیلاً مِمّا تَأْکُلُونَ (۴۷) ثُمَّ یَأْتِی مِنْ بَعْدِ ذلِکَ سَبْعٌ شِدادٌ یَأْکُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاّ قَلِیلاً مِمّا تُحْصِنُونَ (۴۸) ثُمَّ یَأْتِی مِنْ بَعْدِ ذلِکَ عامٌ فِیهِ یُغاثُ اَلنّاسُ وَ فِیهِ یَعْصِرُونَ (۴۹)

ص: ۲۱۹

التّفسير

اشاره

رؤيا ملك مصر و ما جرى له:

بقى يوسف سنين فى السجن المظلم كأى انسان منسىّ،و لم يكن لديه من عمل الاّ بناء شخصيته،و ارشاد السجناء و عياده مرضاهم و تسليه الموجعين منهم.

حتّى غيّرت(حظّه و طالعه)حادثه صغيره بحسب الظاهر..و لم تغيّر هذه «الظاهره»حظّه فحسب،بل حظّ امّه مصر و ما حولها.

لقد راى ملك مصر الذى يقال انّ اسمه هو«الوليد بن الرّيان»و كان«عزيز مصر وزيره»راى هذا الملك رؤيا مهوله،فأحضر عند الصباح المعبّرين للرؤيا و من حوله فقصّ عليهم رؤياه وَ قٰالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرىٰ سَبْعَ بَقَرٰاتٍ سِمٰانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجٰافٌ وَ سَبْعَ سُنْبُلاٰتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ يٰابِسٰاتٍ ثمّ التفت إليهم طالبا منهم تعبير رؤياه فقال: يٰا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيٰايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيٰا تَعْبُرُونَ .

و لكن حاشيه السلطان وجموا إزاء هذه الرؤيا و قٰالُوا أَضْغٰاثُ أَحْلاٰمٍ وَ مٰا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلاٰمِ بِعٰالِمِينَ .

«الأضغاث»جمع«ضغث»على وزن(حرص)و معناه المجموعه من الحطب او العشب اليابس او الأخضر او شىء آخر،و«الأحلام»جمع«حلم» على وزن«رخم»معناه الطيف و الرؤيا،فيكون معنى أَضْغٰاثُ أَحْلاٰمٍ هو الاطياف المختلطه،فكأنّها متشكّله من مجموعه مختلفه و متفاوته من الأشياء، و جاءت كلمه الأحلام فى جمله وَ مٰا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلاٰمِ بِعٰالِمِينَ مسبوقه بالألف و اللام العهديه و هى اشاره الى انّ المعبّرين غير قادرين على تأويل مثل هذه الأحلام.

و من اللازم ذكر هذه المسأله الدقيقه و هى:انّ اظهار عجز أولئك فى الحقيقه كان من اجل انّ المفهوم الواقعى لهذه الرؤيا عندهم غير واضح،و لذلك عدّوها

ضمن الأحلام المختلطه و«الأضغاث»حيث قسّموا الأحلام الى قسمين:

أحلام ذات معنى و هى قابله للتعبير.

و أحلام مختلطه لا معنى لها حيث لم يجدوا لها تعبيرا و تأويلا..و كانوا يعدّون هذا النوع نتيجه قوّه الخيال،على العكس من النوع الاوّل الذى يعدّونه نتيجه اتّصال الروح بعالم الغيب.

كما انّ هناك احتمال آخر،و هو انّهم توقّعوا ان تقع حوادث مزعجه فى المستقبل،و ما اعتاد عليه حاشيه الملوك و الطغاه هو ذكر المسائل المريحه لهم فحسب،و كما يصطلح عليه ما فيه طيب الخاطر،و يمتنعون عن ذكر ما يزعجهم، و هذا احد اسباب سقوط مثل هذه الحكومات المتجبّره! هنا يرد سؤال،و هو:كيف تجرّا هؤلاء امام السلطان،بقولهم جوابا لسؤاله عن رؤياه انّها أَضْغٰاثُ أَحْلاٰمٍ فى حين انّ المعروف عند حاشيه السلطان انّ تفلسف كلّ حركه منه و لو كانت بغير معنى و يفسّرونها تفسيرا مقبولا.

من الممكن انّهم رأوا الملك مهموما من هذه الرؤيا،و كان من حقّه ذلك لانّه راى سَبْعَ بَقَرٰاتٍ سِمٰانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجٰافٌ وَ سَبْعَ سُنْبُلاٰتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ يٰابِسٰاتٍ .

الا يدلّ ذلك على أنّ من الممكن انّ افرادا ضعافا يتسلّمون السلطه من يده على حين غرّه!؟! لذلك قالوا له: أَضْغٰاثُ أَحْلاٰمٍ ليرفعوا الكدوره عن خاطره،اى:لا تتأثّر فما هنالك امر مهم،و هذه الأحلام لا يمكن ان تكون دليلا على اى شىء.

و هناك احتمال آخر ذكره المفسّرون و هو انّ مرادهم من أَضْغٰاثُ أَحْلاٰمٍ لم يكن انّ هذه الأحلام لا تأويل لها،بل المراد انّ مثل هذه الأحلام ملتويه و مجموعه من امور مختلفه،و هم غير قادرين على تأويل مثل هذه الأحلام،فهم لم ينكروا إمكان وجود أستاذ ماهر و قادر على تأويل هذه الرؤيا،و انّما أظهروا

عجزهم عن التعبير و التأويل فحسب.

و هنا تذكّر ساقى الملك ما حدث له و لصاحبه فى السجن مع يوسف،و نجا من السجن كما بشّره يوسف وَ قالَ الَّذِى نَجا مِنْهُما وَ ادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ .

اجل فى زاويه السجن يعيش رجل حىّ الضمير طاهر القلب مؤمن و قلبه مرآه للحوادث المستقبليه،انّه الذى يستطيع ان يكشف الحجاب عن هذه الرؤيا المغلقه و يعبّرها.

جمله فَأَرْسِلُونِ تشير الى انّ من الممكن ان يكون يوسف ممنوع المواجهه،و كان الساقى يريد ان يأذن الملك و من حوله بمواجهته لهذا الشأن.

و هكذا حرّك كلام الساقى المجلس و شخصت الأبصار نحوه،و طلبوا منه الاسراع بالذهاب اليه و الإتيان بالخبر.

مضى الساقى الى السجن ليرى صديقه القديم..ذلك الصديق الذى لم يف بوعده له،لكنّه ربّما كان يعرف انّ شخصيه يوسف الكريمه تمنعه من فتح«باب العتاب»فالتفت اليه و قال: يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنا فِى سَبْعِ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَ سَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ يابِساتٍ لَعَلِّى أَرْجِعُ إِلَى النّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ .

كلمه«الناس»تشير الى احتمال انّ رؤيا الملك صيّرها أطرافه المتملّقون و حاشيته حادثه مهمّه لذلك اليوم،فنشروها بين الناس و عمّموا حاله«القلق»من القصر الى الوسط الاجتماعى العام.

و على كلّ حال فإنّ يوسف دون ان يطلب شرطا او قيدا او اجرا لتعبيره عبّر الرؤيا فورا تعبيرا دقيقا لا غموض فيه و لا حجاب مقرونا بما ينبغى عمله فى المستقبل و قالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِى سُنْبُلِهِ إِلاّ

قَلِیلاً مِمّا تَأْکُلُونَ

(۱)

.

ثمّ انّه یحلّ بکم القحط لسبع سنین متوالیه فلا امطار و لا زراعه کافیه، فعلیکم بالاستفاده ممّا جمعتم فی سنیّ الرخاء ثُمَّ یَأْتِی مِنْ بَعْدِ ذٰلِکَ سَبْعٌ شِدٰادٌ یَأْکُلْنَ مٰا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ .

و لکن علیکم ان تحذروا من استهلاک الطعام إِلاّٰ قَلِیلاً مِمّٰا تُحْصِنُونَ و إذا واظبتم علی هذه الخطّه فحینئذ لا خطر یهدّدکم لأنّه ثُمَّ یَأْتِی مِنْ بَعْدِ ذٰلِکَ عٰامٌ فِیهِ یُغٰاثُ النّٰاسُ ..

و یُغٰاثُ النّٰاسُ ای یدرکهم الغیث فتکثر خیراتهم،و لیس هذا فحسب،بل فِیهِ یَعْصِرُونَ المحاصیل لاستخراج الدهن و الفاکهه لشراب عصیرها..إلخ.

ملاحظات

۱-کم کان تعبیر یوسف لهذه الرؤیا دقیقا و محسوبا،حیث کانت البقره فی الأساطیر القدیمه مظهر«السنه»..و کون البقرات سمانا دلیل علی کثره النعمه، و کونها عجافا دلیل علی الجفاف و القحط،و هجوم السبع العجاف علی السبع السّمان کان دلیلا علی ان یستفاد من ذخائر السنوات السابقه.

و سبع سنبلات خضر و قد أحاطت بها سبع سنبلات یابسات تأکید آخر علی هاتین الفترتین فتره النعمه و فتره الشدّه.

اضافه الی انّه اکّد له علی هذه المسأله الدقیقه،و هی خزن المحاصیل فی

۱- ۱) کلمه«داب»علی وزن«ادب»تعنی فی الأصل ادامه الحرکه،کما انّها بمعنی العاده المستمره،فیکون معنی الکلام: علیکم ان تزرعوا تبعا لعادتکم المستمره فی مصر و لکن ینبغی ان تقتصدوا فی مصرفه..و یحتمل ان یکون المراد منه ان تزرعوا بجد و جهد اکثر فأکثر لانّ دأبا و دؤوبا بمعنی الجدّ و التعب ایضا،ای اعملوا حتّی تتعبوا.

سنابلها لئلّا تفسد بسرعه و ليكون حفظها الى سبع سنوات ممكنا.

و كون عـدد البقرات العجـاف و السـنابل اليابسات لم يتجاوز السـبع لكلّ منهما دليل آخر على انتهاء الجفاف و الشـدّه مع انتهاء تلك السـنوات السـبع..و بالطبع فإنّ سنّه سيأتى بعد هذه السنوات سنه مليئه بالخيرات و الأمطار،فلا بدّ من التفكير للبذر فى تلك السنه و ان يحتفظوا بشىء ممّا يخزن لها.

فى الحقيقه لم يكن يوسف مفسّرا بسيطا للأحلام،بل كان قائـدا يخطّط من زاويه السـجن لمسـتقبل البلاد،و قـد قدّم مقترحا من عدّه مواد لخمسه عشر عاما على الأقل،و كما سـنرى فإنّ هذا التعبير المقرون بالمقترح للمسـتقبل حرّك الملك و حاشيته و كان سببا لانقاذ اهل مصر من القحط القاتل من جهه،و ان ينجو يوسف من سجنه و تخرج الحكومه من ايدى الطغاه من جهه اخرى.

٢-مرّه اخرى تعلّمنا هـذه القصّه هذا الدرس الكبير و هو انّ قدره اللّه اكبر ممّا نتصوّر،فهو القادر بسـبب رؤيا بسـيطه يراها جبابره الزمان أنفسهم ان ينقذ امّه كبيره من فاجعه عظيمه،و يخلّص عبده الخالص بعد سنين من الشدائد و المصائب ايضا.

فلا بـدّ ان يرى الملك هـذه الرؤيا،و لا بـدّ ان يحضـر الساقى عنده يتذكّر رؤياه فى السـجن،و ترتبط أخيرا حوادث مهمّه بعضـها ببعض،فاللّه تعالى هو الذى يخلق الحوادث العظيمه من توافه الأمور.

اجل،ينبغى لنا توكيد ارتباطنا القلبى مع هذا الربّ القادر..

٣-الأحلام المتعدّده فى هذه السوره،من رؤيا يوسف نفسه الى رؤيا السـجينين الى رؤيا فرعون مصـر،و الاهتمام الكبير الذى كان يوليه اهـل ذلـك العصـر بالنسـبه لتعبير الرؤيـا أساسـا،يـدلّ على انّ تعبير الرؤيا فى ذلك العصـر كان من العلوم المتقـدّمه،و ربّما وجب-لهذا السبب-ان يكون نبى ذلك العصر-اى

(يوسف)-مطّلعا على مثل هذا العلم الى درجه عاليه بحيث يعدّ اعجازا منه.

أ ليست معاجز الأنبياء يجب ان تكون من ابرز العلوم فى زمانهم،ليحصل اليقين-عند العجز من قبل علماء العصر-بأنّ مصدر العلم الذى يحمله نبيّهم هو اللّه!.

ص:٢٢٥

الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ٥٠ الى ٥٣]

اشاره

وَ قٰالَ اَلْمَلِكُ اِئْتُونِي بِهِ فَلَمّٰا جٰاءَهُ اَلرَّسُولُ قٰالَ اِرْجِعْ إِلىٰ رَبِّكَ فَسْئَلْهُ مٰا بٰالُ اَلنِّسْوَةِ اَللاّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠) قٰالَ مٰا خَطْبُكُنَّ إِذْ رٰاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حٰاشَ لِلّٰهِ مٰا عَلِمْنٰا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قٰالَتِ اِمْرَأَةُ اَلْعَزِيزِ اَلْآنَ حَصْحَصَ اَلْحَقُّ أَنَا رٰاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ اَلصّٰادِقِينَ (٥١) ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَ أَنَّ اَللّٰهَ لاٰ يَهْدِي كَيْدَ اَلْخٰائِنِينَ (٥٢) وَ مٰا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ اَلنَّفْسَ لَأَمّٰارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاّٰ مٰا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٣)

التّفسير

اشاره

تبرئه يوسف من كلّ اتّهام

! لقد كان تعبير يوسف لرؤيا الملك-كما قلنا-دقيقا و مدروسا و منطقيا الى درجه انّه جذب الملك و حاشيته اليه،إذ كان يرى انّ سجينا مجهولا عبّر رؤياه بأحسن تعبير و تحليل،دون ان ينتظر ايّ اجر او يتوقّع امرا ما..كما انّه اعطى

للمستقبل خطّه مدروسه ايضا.

لقد فهم الملك اجمالا انّ يوسف لم يكن رجلا يستحقّ السجن،بل هو شخص اسمى مقاما من الإنسان العادى،دخل السجن نتيجه حادث خفيّ،لذلك تشوّق لرؤيته،و لكن لا ينبغى للملك ان ينسى غروره و يسرع الى زيارته،بل امر ان يؤتى به اليه كما يقول القرآن: وَ قٰالَ الْمَلِكُ ائْتُونِی بِهِ فَلَمّٰا جٰاءَهُ الرَّسُولُ لم يوافق يوسف على الخروج من السجن دون ان يثبت براءته،فالتفت الى رسول الملك و قٰالَ ارْجِعْ إِلیٰ رَبِّکَ فَسْئَلْهُ مٰا بٰالُ النِّسْوَهِ اللاّٰتِی قَطَّعْنَ أَیْدِیَهُنَّ اذن..

فيوسف لم يرغب ان يكون كأى مجرم،او على الأقل كأى متّهم يعيش مشمولا ب«عفو الملك»..لقد كان يرغب اوّلا ان يحقّق فى سبب حبسه،و ان تثبت براءته و طهاره ذيله،و يخرج من السجن مرفوع الراس،كما يثبت ضمنا تلوّث النظام الحكومى و ما يجرى فى قصر وزيره!.

اجل لقد اهتمّ بكرامه شخصيته و شرفه قبل خروجه من السجن،و هذا هو نهج الأحرار.

الطريف هنا انّ يوسف فى عبارته هذه أبدى سموا فى شخصيته الى درجه انّه لم يكن مستعدّا لانّ يصرّح باسم امراه العزيز التى كانت السبب المباشر فى اتّهامه و حبسه،بل اكتفى بالاشاره الى جماعه النسوه اللاتى لهنّ علاقه بهذا الموضوع فحسب.

ثمّ يضيف يوسف:إذا لم يعلم سبب سجنى شعب مصر و لا جهازه الحكومى و بأى سبب وصلت السجن،فاللّه مطّلع على ذلك إِنَّ رَبِّی بِکَیْدِهِنَّ عَلِیمٌ .

عاد المبعوث من قبل الملك الى يوسف مرّه ثانيه الى الملك،و أخبره بما طلبه يوسف مع ما كان من إبائه و علوّ همّته،لذا عظم يوسف فى نفس الملك و بادر مسرعا الى إحضار النسوه اللائى شاركن فى الحادثه،و التفت اليهنّ قٰالَ مٰا خَطْبُکُنَّ إِذْ رٰاوَدْتُنَّ یُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ يجب ان تقلن الحقّ..هل ارتكب

یوسف خطیئه او ذنبا؟ فتیقّظ فجأه الوجدان النائم فی نفوسهنّ،و أجبنه جمیعا بکلام واحد-متّفق علی طهارته و قُلْنَ حٰاشَ لِلّٰهِ مٰا عَلِمْنٰا عَلَیْهِ مِنْ سُوءٍ .

امّا امراه العزیز التی کانت حاضره ایضا،و کانت تصغی بدقّه الی حدیث الملک و نسوه مصر،فلم تجد فی نفسها القدره علی السکوت،و دون ان تسأل احسّت بأنّ الوقت قد حان لانّ تنزّه یوسف و ان تعوّض عن تبکیت وجدانها و حیائها و ذنبها بشهادتها القاطعه فی حقّه،و خاصّه انّها رأت کرم یوسف المنقطع النظیر من خلال رسالته الی الملک،إذ لم یعرّض فیها بالطعن فی شخصیتها و کان کلامه عامّا و مغلقا تحت عنوان«نسوه مصر».

فکأنّما حدث انفجار فی داخلها فجأه و صرخت و قٰالَتِ امْرَأَهُ الْعَزِیزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رٰاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصّٰادِقِینَ .

ثمّ واصلت امراه العزیز کلامها ذٰلِکَ لِیَعْلَمَ أَنِّی لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَیْبِ لانّی عرفت بعد هذه المدّه الطویله و ما عندی من التجارب أَنَّ اللّٰهَ لاٰ یَهْدِی کَیْدَ الْخٰائِنِینَ .

فی الحقیقه(بناء علی انّ الجمله المتقدّمه لامراه العزیز کما یقتضیه ظاهر العباره)فانّها و من اجل اعترافها الصریح بنزاهه یوسف و ما اخطأته فی حقّه، تقیم دلیلین:

الاوّل:انّ وجدانها،و یحتمل بقایا علاقتها بیوسف،لا تسمح لها ان تستر الحقّ اکثر من هذا،و ان تخون هذا الشاب الطاهر فی غیابه.

الثّانی:انّ من مشاهده الدروس الملیئه بالعبر علی مرور الزمن تجلّت لها هذه الحقیقه،و هی انّ اللّه یرعی الصالحین و لا یوفّق الخائنین فی مرادهم ابدا.

و بهذا بدأت الحجب تنقشع عن عینیها قلیلا-قلیلا-.و تلمس حقیقه الحیاه و لا سیّما فی هزیمه عشقها الذی صنع غرورها و شخصیتها الخیالیّه،و انفتحت

عيناها على الواقع اكثر،فلا عجب ان تعترف هذا الاعتراف الصريح.

و تواصل امراه العزيز القول: وَ مٰا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمّٰارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاّٰ مٰا رَحِمَ رَبِّي و بحفظه و اعانته نبقى مصونين،و انا أرجو ان يغفر لى ربّى هذا الذنب إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ .

قال بعض المفسّرين:انّ الآيتين الأخيرتين من كلام يوسف،و قالوا:انّهما فى الحقيقه تعقيب لما قاله يوسف لرسول الملك و معنى الكلام يكون هكذا.

«إذا قلت حقّقوا عن شأن النسوه اللائى قطّعن أيديهن،فمن اجل ان يعلم الملك او عزيز مصر الذى هو وزيره،انّى لم اخنه فى غيابه و اللّه لا يهدى كيد الخائنين كما لا أبرئ نفسى لانّ النفس امّاره بالسوء الاّ ما رحم ربّى انّ ربّى غفور رحيم».

الظاهر انّ الهدف من هذا التّفسير المخالف لظاهر الآيه انّهم صعب عليهم قبول هذا المقدار من العلم و المعرفه لامراه العزيز التى تقول بلحن مخلص و حاك عن التنبّه و التيقّظ.

و الحال انّه لا يبعد انّ الإنسان حين يرتطم فى حياته بصخره صمّاء،تظهر فى نفسه حاله من التيقّظ المقرون بالاحساس بالذنب و الخجل، خاصّه انّه لوحظ انّ الهزيمه فى العشق المجازى يجرّ الإنسان الى طريق العشق الحقيقى «عشق اللّه».

و بالتعبير علم النفس المعاصر:انّ تلك الميول النفسيه المكبوته يحصل فيها حاله ال«تصعيد»و بدلا من تلاشيها و زوالها فانّها تتجلّى بشكل عال.

ثمّ انّ قسما من الرّوايات التى تشرح حال امراه العزيز-فى السنين الاخيره من حياتها-دليل على هذا التيقّظ و الانتباه ايضا.

و بعد هذا كلّه فربط هاتين الآيتين بيوسف-الى درجه ما-بعيد،و هو خلاف الظاهر بحيث لا ينسجم مع اى من المعايير الادبيه للأسباب الآتيه:

اوّلا- كلمه«ذلك»التى ذكرت فى بـدايه الآيه هى بعنوان ذكر العلّه،اى علّه الكلام المتقـدّم الـذى لم يكن سوى كلام امراه العزيز فحسب،و ربط هذا التذييل بكلام يوسف الوارد فى الآيات السابقه امر عجيب.

ثانيا:إذا كانت هاتان الآيتان بيانا لكلام يوسف فسيبدو بينهما نوع من التناقض و التضادّ،فمن جهه يقول:انّى لم اخنه بالغيب،و مرّه يقول:و ما أبرئ نفسـى انّ النفس لامّاره بالسوء.و هذا الكلام لا يقوله الاّ من يعثر او يزل و لو يسيرا،فى حين انّ يوسف لم يصدر منه اى زلل.

و ثالثـا:إذا كـان مقصوده ان يعرف عزيز مصـر انّه برىء فهو من البـدايه«بعـد شـهاده الشاهـد»عرف الواقع،و لـذلك قـال لامراته: اِسْتَغْفِرِی لِذَنْبِكِ و إذا كـان مقصوده انّه لم يخن الملـك،فلا علاقه للملك بهـذا الأمر،و التوسّل الى تفسـيرهم هـذا بحجّه انّ الخيانه لامراه العزيز خيانه للملك الجبّار،فهو حجّه واهيه-كما يبدو-خاصّه انّ حاشيه القصر لا يكترثون بمثل هذه المسائل.

و خلاصه القول:انّ هـذا الارتباط فى الآيات يـدلّ على انّ جميع ما ورد فى السـياق من كلام امراه العزيز التى انتبهت و تيقّظت و اعترفت بهذه الحقائق.

ملاحظات

اشاره

١-هذه عاقبه التقوى

رأينا فى هـذا القسم من قصّه يوسف انّ عـدوّته المعانـده«زليخا»اعترفت أخيرا بطهارته،كما اعترفت بـذنبها و خطئها..و ببراءته..و هذه عاقبه التقوى و طهاره الثوب،و هذا معنى قوله تعالى: وَ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ .

فكن طاهرا و استقم فى طريق«الطهاره»فاللّه حاميك و لا يسمح للملوّثين

ان يسيئوا إليک.

۲-الهزائم التی تکون سببا للتيقّظ

لا تکون الهزائم هزائم دائما،بل-فی کثير من الأحيان-تعدّ الهزيمه هزيمه فی الظاهر الاّ انّها فی الباطن نوع من الانتصار المعنوی،و هذه هی الهزائم التی تکون سببا لتيقّظ الإنسان،و تشقّ حجب الغفله و الغرور عنه،و تعدّ نقطه انعطاف جديده فی حياته.

فامرأه العزيز التی تدعی«زليخا»او«راعيل»و إن ابتليت فی عملها بأشدّ الهزائم،لکن هذه الهزيمه فی مسير الذنب کانت سببا لأنّ تنتبه و يتيقّظ وجدانها النائم،و ان تندم علی ما فات من عملها..و التفتت الی ساحه اللّه.و ما ينقل من قصتها بعد لقائها ليوسف و هو عزيز مصر-آنئذ-شاهد علی هذا المدّعی،إذ قالت:

«الحمد للّه الذی جعل العبيد ملوکا بطاعته و جعل الملوک عبيدا بمعصيته».

و نقرا فی نهايه الحديث انّ يوسف تزوّج منها أخيرا (۱) .

السعداء هم أولئک الذين يصنعون من الهزائم انتصارا،و من سوء الحظّ حظّا حسنا،و من اخطائهم طريقا صحيحا للحياه.

و بالطبع فليس ردّ الفعل من قبل جميع الافراد إزاء الهزائم هکذا...

فالأشخاص الضعاف حين تصيبهم الهزيمه ييأسون و يکتنف القنوط جميع وجودهم،و قد يؤدّی بهم الی الانتحار و هذه هی الهزيمه الحقيقيّه.

لکن الذين يشعرون بکرامتهم و شخصيّتهم،يسعون لان يجعلوا الهزائم سلّما لصعودهم و ترقّيهم و جسرا لانتصارهم.

۱- ۱) سفينه البحار ج ۱ ص ۵۵۴.

۳-الحفاظ على الشرف خير من الحريه الظاهريه

رأينا انّ يوسف لم يدخل السجن لطهاره ثوبه فحسب،بل لم يكن مستعدّا للخروج من السجن حتّى يعود مبعوث الملك و يجرى التحقيقات حول النسوه اللائى قطّعن أيديهن لتثبت براءته و يخرج من السجن مرفوع الراس...لا ان يخرج كأى مجرم ملوّث يشمله عفو الملك!!و ذلك ذلّ و اى ذلّ!و هذا درس لكلّ الناس فى الماضى و الحاضر و المستقبل.

۴-النفس الامّاره«المتمرّده»

يقسّم علماء النفس و الأخلاق النفس«و هى الإحساسات و الغرائز و العواطف الانسانيه»الى ثلاثه مراحل،و قد أشار إليها القرآن المجيد:

المرحله الاولى:«النفس الامّاره»و هى النفس التى تأمر الإنسان بالذنب و تجرّه الى كلّ جانب،و لذا سمّوها«امّاره»و فى هذه المرحله لا يكون العقل و الايمان قد بلغا مرحله من القدره ليكبحا جماحها،بل فى كثير من المواقع يستسلمان للنفس الامّاره،و إذا تصارعت النفس الامّاره مع العقل فى هذه المرحله فإنّها ستهزمه و تطرحه أرضا.

و هذه المرحله هى التى أشير إليها فى الآيه المتقدّمه،و جرت على لسان امراه العزيز بمصر،و جميع شقاء الإنسان أساسه النفس الامّاره بالسوء.

المرحله الثّانيه:«النفس اللوّامه»و هى التى ترتقى بالإنسان بعد التعلّم و التربيه و المجاهده،و فى هذه المرحله ربّما يخطئ الإنسان نتيجه طغيان الغرائز،لكن سرعان ما يندم و تلومه هذه النفس،و يصمّم على تجاوز هذا الخطأ و التعويض عنه،و يغسل قلبه و روحه بماء التوبه.

و بعباره اخرى:فى المواجهه بين النفس و العقل،قد ينتصر العقل أحيانا و قد

تنتصر النفس،الّا انّ النتیجه و الکفّه الراجحه هی للعقل و الایمان.

و من اجل الوصول الی هذه المرحله لا بدّ من الجهاد الأکبر،و التمرین الکافی،و التربیه فی مدرسه الأستاذ،و الاستلهام من کلام اللّه و سنن الأنبیاء و الائمّه علیهم السّلام.

و هذه المرحله هی التی اقسم اللّه بها فی سوره القیامه قسما یدلّ علی عظمتها لاٰ أُقْسِمُ بِیَوْمِ الْقِیٰامَهِ وَ لاٰ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوّٰامَهِ .

المرحله الثّالثه: «النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ» و هی المرحله التی توصل الإنسان بعد التصفیه و التهذیب الکامل الی ان یسیطر علی غرائزه و یروّضها فلا تجد القدره للمواجهه مع العقل و الایمان،لانّ العقل و الایمان بلغا درجه من القوّه بحیث لا تقف امامهما الغرائز الحیوانیه.

و هذه هی مرحله الاطمئنان و السکینه...الاطمئنان الذی یحکم المحیطات و البحار حیث لا یظهر علیها الانهزام امام اشدّ الأعاصیر.

و هذا هو مقام الأنبیاء و الأولیاء و اتباعهم الصادقین،أولئک الذین تدارسوا الایمان و التقوی فی مدرسه رجال اللّه،و هذّبوا أنفسهم سنین طوالا،و واصلوا الجهاد الأکبر الی آخر مرحله.

و إلیهم و الی أمثالهم یشیر القرآن الکریم فی سوره الفجر یٰا أَیَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ ارْجِعِی إِلیٰ رَبِّکِ رٰاضِیَهً مَرْضِیَّهً فَادْخُلِی فِی عِبٰادِی وَ ادْخُلِی جَنَّتِی .

اللهمّ اعنّا لنستضیء بنور آیاتک،و نصعّد أنفسنا الامّاره الی اللّوامه و منها الی النفس المطمئنه..و لنجد روحا مطمئنا لا یضطرب و لا یتزلزل امام طوفان الحوادث،و ان نکون أقویاء امام الأعداء،و لا تبهرنا زخارف الدنیا و زبارجها، و ان نصبر علی البأساء و الضرّاء.

اللهمّ ارزقنا العقل لننتصر علی اهوائنا..و نوّرنا إذا کنّا علی خطأ بالتوفیق

و الهدایه.

اللهمّ انّنا لم نبلغ هذه المرحله بخطانا،بل کنت أنت فی کلّ مرحله دلیلنا و قائدنا،فلا تحبس الطافک عنّا...و إذا کان عدم شکرنا علی جمیع هذه النعم مستوجبا لعقابک،فأیقظنا من نومه الغافلین قبل ان نذوق العذاب آمین ربّ العالمین.

ص:۲۳۴

الآیات [سوره یوسف (۱۲)]: الآیات ۵۴ الی ۵۷

اشاره

وَ قٰالَ اَلْمَلِکُ اِئْتُونِی بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِی فَلَمّٰا کَلَّمَهُ قٰالَ إِنَّکَ اَلْیَوْمَ لَدَیْنٰا مَکِینٌ أَمِینٌ (۵۴) قٰالَ اِجْعَلْنِی عَلیٰ خَزٰائِنِ اَلْأَرْضِ إِنِّی حَفِیظٌ عَلِیمٌ (۵۵) وَ کَذٰلِکَ مَکَّنّٰا لِیُوسُفَ فِی اَلْأَرْضِ یَتَبَوَّأُ مِنْهٰا حَیْثُ یَشٰاءُ نُصِیبُ بِرَحْمَتِنٰا مَنْ نَشٰاءُ وَ لاٰ نُضِیعُ أَجْرَ اَلْمُحْسِنِینَ (۵۶) وَ لَأَجْرُ اَلْآخِرَهِ خَیْرٌ لِلَّذِینَ آمَنُوا وَ کٰانُوا یَتَّقُونَ (۵۷)

التّفسیر

اشاره

یوسف أمینا علی خزائن مصر:

رأینا انّ یوسف-هذا النّبی العظیم- ثبتت براءته أخیرا للجمیع،و حتّی الأعداء شهدوا بطهارته و نزاهته،و ظهر لهم انّ الذنب الوحید الذی أودع من اجله السجن لم یکن غیر التقوی و الامانه التی کان یتحلّی بهما.

اضافه الی هذا فقد ثبت لهم انّ هذا السجین منهل العلم و المعرفه و النّباهه و طاقه فذّه و عالیه فی الاداره،حیث انّه حینما فسّر رؤیا الملک(و هو سلطان

مصر)بيّن له الطرق الكفيله للخلاص من المشكله الاقتصاديه المتفاقمه القادمه.

ثمّ يستمر القرآن بذكر القصّه فيقول: وَ قالَ الْمَلِكُ ائْتُونِی بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِی و هكذا امر الملک بإحضاره لکی یجعله مستشاره الخاص و نائبه فی المهمّات فیستفید من علمه و معرفته و خبرته لحلّ المشاکل المستعصیه.

ثمّ أرسل الملک مندوبا لزیارته فی السجن،فدخل علیه و أبلغه تحیات الملک و عواطفه القلبیه تجاهه ثمّ قال له:انّه قد لبّی طلبک فی البحث و التحقیق عن نساء مصر و اتّهامهنّ ایّاک،حیث شهدنّ جمیعهنّ صراحه ببراءتک و نزاهتک فالآن لا مجال للتأخیر،قم لنذهب الی الملک.

فدخل یوسف علی الملک و تکلّم معه فعند ما سمع من یوسف الاجوبه التی تحکی عن علمه و فراسته و ذکائه الحادّ،ازداد حبّا له و قال:انّ لک الیوم عندنا منزله رفیعه و سلطات واسعه و انّک فی موضع ثقتنا و اعتمادنا فَلَمّا کَلَّمَهُ قالَ إِنَّکَ الْیَوْمَ لَدَیْنا مَکِینٌ أَمِینٌ فلا بدّ ان تتصدّی للمناصب الهامّه فی هذا البلد،و تهتمّ بإصلاح الأمور الفاسده،و انّک تعلم(حینما فسّرت الرؤیا)بأنّ ازمه اقتصادیه شدیده سوف تعصف بهذا البلد،و فی تصوّری انّک الشخص الوحید القادر علی ان یتغلّب علی هذه الازمه.

فاختار یوسف منصب الامانه علی خزائن مصر،و قال اجعلنی مشرفا علی خزائن هذا البلد فإنّی حفیظ علیم و علی معرفه تامّه بأسرار المهنه و خصائصها قالَ اجْعَلْنِی عَلی خَزائِنِ الْأَرْضِ إِنِّی حَفِیظٌ عَلِیمٌ .

کان یوسف یعلم انّ جانبا کبیرا من الاضطراب الحاصل فی ذلک المجتمع الکبیر الملیء بالظلم و الجور یکمن فی القضایا الاقتصادیه،و الآن و بعد ان عجزت اجهزه الحکم من حلّ تلک المشاکل و اضطرّوا لطلب المساعده منه،فمن الأفضل له ان یسیطر علی اقتصاد مصر حتّی یتمکّن من مساعده المستضعفین و ان یخفّف عنهم-قدر ما یستطیع-الآلام و المصاعب و یستردّ حقوقهم من

الظالمین.و یقوم بترتیب الأوضاع المتردیّه فی ذلک البلد الکبیر،و یجعل الزراعه و تنظیمها هدفه الاوّل و خاصّه بعد وقوفه علی انّ السنین القادمه هی سنوات الوفره حیث تلیها سنوات المجاعه و القحط،فیدعو الناس الی الزراعه و زیاده الانتاج و عدم الإسراف فی استعمال المنتوجات الزراعیه و تقنین الحبوب و خزنها و الاستفاده منها فی ایّام القحط و الشدّه.

و هکذا لم یر یوسف بدّا من تولیّه منصب الاشراف علی خزائن مصر.

و قال البعض:انّ الملک حینما رای فی تلک السنه انّ الأمور قد ضاقت علیه و عجز عن حلّها،کان یبحث عمّن یعتمد علیه و ینجّیه من المصاعب،فمن هنا حینما قابل یوسف و رآه أهلا لذلک أعطاه مقالید الحکم بأجمعها و استقال هو من منصبه.

و قال آخرون:انّ الملک جعله فی منصب الوزیر الاوّل بدیلا عن(عزیز مصر).

و الاحتمال الآخر هو انّه بقی مشرفا علی خزائن مصر-و هذا ما یستفاد من ظاهر الآیه الکریمه، الاّ انّ الآیتین(١٠٠)و(١٠١)و اللتین یأتی تفسیرهما بإذن اللّه تدلاّن علی انّه أخیرا استقلّ بأمور مصر-بدل الملک و صار هو ملکا علی مصر.

و برغم انّ الآیه رقم(٨٨)تقول:انّ اخوه یوسف حینما دخلوا علیه نادوه باسم یا أَیُّهَا الْعَزِیزُ و هذا دلیل علی انّه استقلّ بمنصب عزیز مصر،لکن نقول:

انّه لا مانع من ان یکون یوسف قد ارتقی سلّم المناصب تدریجا حیث کان فی اوّل الأمر مشرفا علی الخزائن،ثمّ جعل الوزیر الاوّل،و أخیرا صار ملکا علی مصر.

ثمّ یقول اللّه سبحانه و تعالی منهیا بذلک قصّه یوسف علیه السّلام: وَ کَذٰلِکَ مَکَّنّا لِیُوسُفَ فِی الْأَرْضِ یَتَبَوَّأُ مِنْها حَیْثُ یَشاءُ .

نعم انّ اللّه سبحانه و تعالی ینزل رحمته و برکاته و نعمه المادیه و المعنویه علی من یشاء من عباده الذین یراهم أهلا لذلک نُصِیبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ .

و انّه سبحانه و تعالی لا ینسی ان یجازی المحسنین،و انّه مهما طالت المدّه فإنّه یجازیهم بجزائه الأوفی وَ لا نُضِیعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِینَ .

و لکن لا یقتصر سبحانه و تعالی علی مجازاه المحسنین فی الدنیا،بل یجازی المتّقین و المحسنین بأحسن من ذلک فی الآخره و هو الجزاء الأوفی وَ لَأَجْرُ الْآخِرَهِ خَیْرٌ لِلَّذِینَ آمَنُوا وَ کانُوا یَتَّقُونَ .

بحوث

اشاره

۱-کیف استجاب یوسف لطلب طاغوت زمانه

؟ بالنسبه للآیات المتقدّمه فإنّ اوّل ما یجلب إلیها النظر هو انّه کیف لبّی یوسف-هذا النّبی العظیم-طلب طاغوت زمانه و تعاون معه و تحمّل منصب الوزاره او الاشراف علی خزینه الدوله؟ جواب هذا السؤال-فی الحقیقه-یکمن فی نفس الآیات السابقه،فإنّه قد تحمّل هذه المسؤولیه بعنوان انّه حَفِیظٌ عَلِیمٌ کی یحفظ بیت المال المتضمّن لاموال الشعب و یستثمره فی سبیل منافعهم،و بخاصّه حقوق الطبقه المحرومه و التی غالبا ما یستولی علیها المستکبرون.

اضافه الی هذا فإنّه عن طریق معرفته بتعبیر الرؤیا-کما ذکرنا-کان علی علم بالأزمه الاقتصادیه الشدیده التی سوف تعصف بالشعب المصری،بحیث لولا التخطیط الدقیق و الاشراف المباشر علیها لماتت جماعات کثیره من الشعب ..فبناء علی هذا فإنّ انقاذ حیاه الامّه و الاحتفاظ بأرواح شعب بریء یقتضی ان یستفید یوسف من هذه الفرصه التی أتیحت له و یستغلّها لأجل خدمه جمیع افراد

الشعب،و بخاصّه المحرومين منهم حيث انّهم عاده ما يكونون اوّل ضحايا الازمه الاقتصاديه و اكثر المتضرّرين من الغلاء.

و قد ورد كلام مفصّل حول هذا الموضوع فى بحث استجابه طلب الظالم و قبول الولايه فى علم الفقه،و انّ استجابه طلب الظالم و التصدّى لمناصب الحكم لا يكون حراما دائما،بل تاره يكون مستحبّا،و قد يكون فى بعض الأحيان واجبا شرعا،و ذلك إذا كانت منفعه التصدّى و مرجّحاته الدينيّه اكثر من الإضرار الناتجه عن التصدّى من دعم حكم الظالم و غيره.

و نلاحظ فى روايات عديده انّ ائمّه اهل البيت عليهم السّلام كانوا يجوّزون لبعض خلّص شيعتهم و أصحابهم أمثال على بن يقطين-الذى كان من اصحاب الكاظم عليه السّلام-حيث تصدّى لمنصب الوزاره لفرعون زمانه-هارون الرشيد-و ذلك بأمر من الامام عليه السّلام،غايه ما فى الأمر انّ الاستجابه و التصدّى لمناصب الحكم او ردّها تابعان لقانون«الأهم و المهم».

فلا بدّ من ملاحظه المنافع الدينيّه و الاجتماعيه و مقارنتها مع الإضرار الناتجه،إذ لعلّ الذى يتصدّى للمنصب قد يستطيع فى نهايه المطاف ان يزيح الظالم عن الحكم(كما حدث ليوسف بناء على مضمون بعض الرّوايات الوارده) او يكون المعين الذى تنبثق منه الحركات و الثورات،لانّه يقوم بتهيئه مقدّمات الثوره من داخل اجهزه الحكم القائم(و يمكن ان يكون مؤمن آل فرعون من هذا القبيل)او يكون على الأقل ملجأ و ملاذا للمظلومين و المحرومين و مخفّفا عن آلامهم و الضغوط الوارده عليهم من قبل اجهزه النظام.

و كلّ واحد من هذه الأمور يمكن ان يكون مبرّرا للتصدّى للمناصب و قبولها من الحاكم الظالم،و للإمام الصادق عليه السّلام روايه معروفه فى حقّ هؤلاء الأشخاص

يقول عليه السّلام (كفّاره عمل السلطان قضاء حوائج الاخوان) (۱) .

ص :۲۳۹

۱- ۱) وسائل الشيعه،ج ۱۲،۱۳۹.

لکن هـذا الموضوع-التعـاون مع الظـالم-من الأمور التی یقترب فیها حـدود الحلال من الحرام،و کثیرا ما یؤدّی تهاون صـغیر من الشـخص المتصـدّی الی وقوعه فی اشـراک النظام و ارتکاب جریمه تعدّ من اکبر الجرائم و أفظعها-و هی التعاون مع الظالم-فی حین یتصوّر انّه یقوم بعباده و خدمه انسانیه مشکوره.

و قـد یسـتفید بعض الانتهـازیین مـن حیـاه(یوسـف)او(علی بـن یقطیـن) و یتّخـذه ذریعـه للتعـاون مع الظـالم و تغطیه لاعمـالهم الشریره،فی حین انّه یوجد بون شاسع بین تصرّفاتهم و تصرّفات یوسف او علی بن یقطین (۱) .

هنا سؤال آخر یطرح نفسه و هو انّه کیف رضخ سلطان مصر الظالم لهذا الأمر -و استجاب لطلب یوسف-مع علمه بأنّ یوسف لا یسیر بسیره الظالمین و المستثمرین و المستعمرین،بل یکون علی العکس من ذلک معادیا لهم؟ الاجابه علی هذا السؤال لا تکون صعبـه مع ملاـحظه امر واحـد و هـو انّـه تـاره تحیـط الأزمـات الاقتصـادیه و الاجتمـاعیه بالظـالم بحیـث تزلزل ارکـان حکـومته الظـالمه،فیری الخطر محـدقا بحکومته و بکـلّ شـیء یتعلّق بها...فی هـذه الحاله و تجنّبا من السـقوط التامّ لا یمانع،بل یـدعم قیام حکومه شعبیه عادله لکی یحافظ علی حیاته و بجزء من سلطته.

۲-اهمیّه المسائل الاقتصادیه و الاداریه

رغم انّنا لا نتّفق مع الرؤیه التی تنظر الی الأمور بمنظار واحد و تحصر جمیع

---

۱ - ۱) نطـالع فی روایـات عدیـده عـن الإمـام علی بن موسـی الرضـا علیه السّـلام انّ بعض الجـاهلین بالمعـاییر الاسـلامیه کـانوا یعترضون علی الامـام أحیانـا،بـأنّه لمـاذا قبلت ولاـیه عهـد المأمون مع کلّ زهـدک فی الـدنیا و اعراضک عنها؟فکان الامام علیه السّـلام یجیبهم:«یـا هـذا ایّمـا أفضـل النّبی ام الوصـی»؟فقالوا:لا بل النّبی،فقال:ایّهما أفضل مسـلم ام مشـرک»؟فقالوا:لا بل مسـلم فقال:«فإنّ العزیز عزیز مصـر کان مشـرکا،و کان یوسف علیه السّـلام نبیّا،و انّ المأمون مسـلم»و انا وصی،و یوسف سأل العزیز ان یولّیه حین قال: اِجْعَلْنِی عَلیٰ خَزٰائِنِ الْأَرْضِ إِنِّی حَفِیظٌ عَلِیمٌ ،و انا أجبرت علی ذلک» وسائل الشیعه،ج ۱۲، ص ۱۴۶.

الأمور فی القضایا الاقتصادیه دون إعطاء ای دور للإنسان،و لکن برغم ذلک فإنّه لا یمکن غضّ النظر عن اهمیه القضایا الاقتصادیه و دورها فی المجتمعات، و الآیات السابقه تشیر إلی هذه الحقیقه،و الملاحظ انّ یوسف رکّز من بین جمیع مناصب الدوله علی منصب الاشراف علی الخزانه،و ذلک لعلمه انّه إذا نجح فی ترتیب اقتصاد مصر،فإنّه یتمکّن من إصلاح کثیر من المفاسد الاجتماعیه،کما انّ تنفیذه للعداله الاقتصادیه یؤدّی الی سیطرته علی سائر دوائر الدوله و جعلها تحت امرته.

و قد اهتمّت الرّوایات الاسلامیه بهذا الموضوع اهتماما کبیرا،فمثلا نری فی الرّوایه المعروفه المرویه عن امیر المؤمنین علی علیه السّلام انّه جعل(قوام الدین و الدنیا)فی رکنین:أحدهما القضایا الاقتصادیه و ما یقوم علیه معاش الناس، و الرّکن الآخر هو العلم و المعرفه.

و برغم انّ المسلمین قد أهملوا هذا الجانب من الحیاه الفردیه و الاجتماعیه الذی اهتمّ به الإسلام کثیرا و تأخّروا عن اعداء الإسلام فی هذا الجانب،الاّ انّ یقظه المجتمعات الاسلامیه المتزایده و توجّههم نحو الإسلام یزید الأمل فی النفوس بأن تزید من نشاطها الاقتصادی و تعتبره عباده اسلامیه کبری،و تقوم ببناء نظام اقتصادی مدروس وفق خطط محکمه لکی تعود إلیهم قوّتهم و نشاطهم.

و هنا نقطه اخری یجب التنبیه علیها،و هی انّنا نلاحظ انّ یوسف علیه السّلام یخاطب الملک و یقول له: إِنِّی حَفِیظٌ عَلِیمٌ و هذه اشاره الی اهمیّه عنصر الاداره الی جانب عنصر الامانه و انّ توفّر عنصر الامانه و التقوی فقط فی شخص لا یؤهّله لان یتصدّی لأحد المناصب الاجتماعیه الحسّاسه،بل لا بدّ من اجتماع ذلک العامل مع العلم و التخصّص و القدره علی الاداره،لکونه قرن ال(علیم)مع ال(حفیظ)و کثیرا ما نشاهد الإضرار الناتجه عن سوء الاداره لا تقلّ بل تزید علی

الخسائر الناتجه عن الخيانه! فهذه التعليمات الاسلاميه صريحه فی اهميّه جانب الاداره و القدره عليها، و مع ذلک نری تهاون بعض المسلمين بهذا الجانب،فالمهمّ لديهم هو نصب الأشخاص الذين يطمئنون الی تقواهم و أمانتهم لاداره الأمور،مع انّ السيره النبويه الشريفه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و كذلک سيره علی عليه السّلام ترشدان الی انّهما كانا يهتمّان اهتماما كبيرا بالجانب الاداری و القدره علی الاداره مع اهتمامهم بأمانه الشخص و سلوكه الحسن.

٣-الرّقابه علی الاستهلاک

الملاحظ فی القضايا الاقتصاديه انّه قد لا تكون(زياده الانتاج)بمكان من الاهميّه بقدر اهميّه(الرقابه علی الاستهلاک)و من هنا نشاهد انّ يوسف فی ايّام حكومته،حاول-بشدّه-ان يسيطر علی الاستهلاک الداخلی فی سنوات الوفره لكی يتمكّن من الاحتفاظ بجزء كبير من المنتوجات الزراعيه لسنوات القحط و المجاعه القادمه، و فی الحقيقه انّ زياده الانتاج و الرقابه متلازمان لا يفترقان، فالزياده فی الانتاج لا تثمر الاّ إذا أعقبتها رقابه صحيحه،كما انّ الرقابه تكون اكثر فائده إذا أعقبتها زياده فی الانتاج.

انّ السياسه الاقتصاديه التی انتهجها يوسف عليه السّلام فی مصر أظهرت انّ الخطّه الاقتصاديه الصحيحه و المتطوره مع الزمن لا يمكن ان تقتصر علی متطلّبات الجيل الحاضر،بل لا بدّ و ان تراعی مصالح الأجيال القادمه،لانّ التفكير بالمصالح المستعجله للجيل الحاضر و التغاضی عن مصالح الأجيال القادمه-كما لو استهلكنا جميع ثروات الأرض-تعتبر غايه الانانيه و حبّ الذات،إذ انّ الأجيال القادمه هم فی الواقع إخوتنا و أبناؤنا فلا بدّ من التفكير فی مصالحهم و عدم التفريط بها.

ص: ٢۴٢

و الملفت للنظر انّه يستفاد من بعض الرّوايات الوارده كما

ورد عن الامام على بن موسى الرّضا عليهما السّلام «و اقبل يوسف على جمع الطعام فجمع فى السبع سنين المخصبه فكبسه فى الخزائن،فلمّا مضت تلك السنون و أقبلت المجديه اقبل يوسف على بيع الطعام فباعهم فى السنه الاولى بالدراهم و الدنانير حتى لم يبق بمصر و ما حولها دينار و لا درهم الاّ صار فى مملكه يوسف،و باعهم فى السنه الثّانيه بالحلى و الجواهر حتى لم يبق بمصر و ما حولها حلى و لا جواهر الا صار فى ملكه يوسف،و باعهم فى السنه الثّالثه بالدّواب و المواشى حتى لم يبق بمصر و ما حولها دابه و لا ماشيه الاّ صار فى ملكيه يوسف،و باعهم فى السنه الرّابعه بالعبيد و الإماء حتى لم يبق بمصر و من حولها عبد و لا امه الاّ صار فى ملكيه يوسف، و باعهم فى السنه الخامسه بالدّور و العقار حتى لم يبق بمصر و ما حولها دار و لا عقار الاّ صار فى ملكيه يوسف،و باعهم فى السنه السّادسه بالمزارع و الأنهار حتى لم يبق بمصر و ما حولها نهر و لا مزرعه الاّ صار فى ملكيه يوسف،و باعهم فى السنه السّابعه برقابهم حتى لم يبق بمصر و ما حولها عبد و لا حرّ الاّ صار عبد يوسف،فملك احرارهم و عبيدهم و أموالهم و قال النّاس:ما رأينا و لا سمعنا بملك أعطاه اللّه من الملك ما اعطى هذا الملك حكما و علما و تدبيرا،ثمّ قال يوسف للملك:ايّها الملك ما ترى فيما خولنى ربّى من ملك مصر و أهلها اشر علينا برأيك، فإنّى لم أصلحهم لافسدهم،و لم انجهم من البلاء ليكون وبالا عليهم و لكن اللّه نجاهم على يدى،قال له الملك:الرّاى رأيك،قال يوسف:انّى اشهد اللّه و أشهدك ايّها الملك انّى اعتقت اهل مصر كلّهم،و رددت إليهم أموالهم و عبيدهم،و رددت إليك ايّها الملك خاتمك و سريرك و تاجك على ان لا تسير الاّ بسيرتى و لا تحكم الاّ بحكمى قال له الملك:انّ ذلك لشرفى و فخرى لا أسير الاّ بسيرتك و لا احكم الاّ بحكمك،و لولاك ما قويت عليه و لا اهتديت له،و لقد جعلت سلطانى عزيزا ما

یرام،و انا اشهد ان لا اله الاّ اللّه وحده لا شریک له،و أنت رسوله فأقم علی ما ولیتک فإنّک لدینا مکین أمین» (۱) .

۴-مدح النفس

لا شکّ فی انّ مـدح الإنسان نفسه یعـدّ من الأمور القبیحه،و لکن لیست هذه قاعده عامّه،بل قد تقتضـی الأمور بأن یقوم الإنسان بعرض نفسه علی المجتمع و الإعلان عن خبراته و تجاربه،لکی یتعرّف علیه الناس و یستفیدوا من خبراته و لا یبقی کنزا مستورا.

و قد مرّ علینا فی الآیات السابقه انّ یوسف حینما تولّی مسئولیه الاشـراف علی خزائن مصر وصف نفسه بأنّه: حَفِیظٌ عَلِیمٌ ،و کان هذا الوصف من یوسف لنفسه ضروریا و ذلک حتّی یعرف شعب مصر و ملیکها انّه یمتلک الصفات اللازمه التی تؤهله للتصدّی لهذا المنصب.

و من هنا نقرا

فی تفسـیر العیاشـی نقلاـ عن الامـام الصّـادق علیه السّـلام انّه حینمـا سـئل عن الحکم الشـرعی لمـدح الإنسـان نفسه؟أجاب علیه السّـلام«نعم إذا اضـطرّ الیه،امّـا سـمعت قول یوسف اجعلنی علی خزائن الأـرض انّی حفیـظ علیم،و قول العبـد الصالـح:و انا لکم ناصح أمین» (۲) .

و من هنا یتّضح لنا جلیّا فلسفه مدح الامام علی علیه السّلام نفسه فی بعض الخطب، فمثلا

یقول فی خطبه الشقشـقیه واصـفا نفسه: (...انّ محلی منها محلّ القطب من الرّحی ینحدر عنّی السیل و لا یرقی الیّ الطیر...) فمثل هذه الأوصاف هی فی الواقع لأجل إیقاظ الغافلین و إرشادهم الی الاسـتفاده من هذا المنهل العذب فی سبیل الوصول الی سعاده الفرد و المجتمع.

ص: ۲۴۴

۱- ۱) مجمع البیان،المجلّد الثّالث،صفحه ۲۴۴،تفسیر نور الثقلین،ج ۲،ص ۴۳۵.

۲- ۲) تفسیر نور الثّقلین،ج ۲،ص ۴۳۳.

۵-افضليّه الجزاء المعنوى على سواه

برغم انّ كثيرا من المؤمنين الخيرين يلقون فى هـذه الدنيا جزاء اعمالهم الخيره،كما هو الحال بالنسـبه ليوسف حيث جوزى جزاء حسـنا،لعفـافه و تقواه و صبره على البلاء،إذ لو كـان آثمـا لما اعتلى هـذا المنصب،و لكن هـذا لا يعنى انّ على الإنسان ان ينتظر الجزاء فى هـذه الـدنيا و يتوهّم انّ الجزاء يجب ان يكون ماديّا و ملموسا و فى هـذه الدنيا و يرى تأخير الجزاء ظلما فى حقّه،لكن هذا التصوّر بعيد عن الواقع،لانّ الجزاء الأوفى هو ما يوافى الإنسان فى حياته القادمه.

و لعلّ لـدفع هذا التوهّم الخاطئ و انّ ما جوزى به يوسف هو الجزاء الأوفى، يقول القرآن الكريم وَ لَأَجْرُ الْآخِرَهِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ .

۶-الدفاع عن المسجونين

برغم انّ السـجن لم يكن دائما محلا للأخيار،بل يستضـيف تاره الابرياء و تاره المجرمين،لكنّ القواعد الانسانيه تستوجب التعامل الحسن مع السجناء، حتّى و لو كانوا مجرمين.

و قـد يتصوّر البعض أنّ الـدفاع عن المسـجونين من مبتكرات العصـر الحديث، لكن المتتبّع للتاريخ الاسـلامى يرى انّه منذ الايّام الاولى لقيـام دولـه الإسـلام كـان رسـول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم يؤكّد و يوصـى على التعامـل الحسن مع الأسـرى و المسجونين- كما قرانا جميعا وصيّه على عليه السّلام فى حقّ المجرم الذى قام باغتياله(و هو عبد الرّحمن بن ملجم المرادى)حيث امر ان يرفق به و حتّى انّه عليه السّلام بعث اليه من اللبن الذى كان يشربه و عند ما أرادوا قتله قال:ضربه بضربه.

كما انّ يوسف حينما كان فى السـجن كان يعدّ أخا حميما و صديقا وفيّا و مسـتشارا أمينا لجميع نزلاء السـجن،و حينما خرج من السجن-امر ان يكتب-

لجلب انتباه العالمين-على بابه

«هذا قبور الاحياء،و بيت الأحزان،و تجربه الأصدقاء،و شماته الأعداء» (۱) .

و اظهر لهم بهذا الدعاء عطفه و محبّته حيث

قال: «اللهمّ اعطف عليهم بقلوب الأخيار،و لا تعم عليهم الاخبار» (۲) .

و الطريف انّنا نقرا

فی سیاق الحدیث السابق انّه: «فذلک یکون اصحاب السجن اعرف الناس بالاخبار فی کلّ بلده».

و قد مرّت علینا هذه التجربه فی ایّام السجن،حیث کانت تصلنا الاخبار و بصوره منتظمه-الّا فی بعض الحالات النادره-و عن طرق خفیّه لا یکشفها السجّانون،و کثیرا ما کان الذی یدخل الی السجن یطّلع علی بعض الاخبار التی لم یکن قد سمعها عند ما کان فی الخارج،و الحدیث عن هذا الموضوع طویل و قد یخرجنا عن هدف هذا الکتاب.

۱- ۱) نور الثقلین،ج ۲،ص ۴۳۲.

۲- ۲) نور الثقلین،ج ۲،ص ۴۳۲.

الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ۵٨ الى ۶٢]

اشاره

وَ جٰاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَ هُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (۵٨) وَ لَمّٰا جَهَّزَهُمْ بِجَهٰازِهِمْ قٰالَ اِئْتُونِی بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَ لاٰ تَرَوْنَ أَنِّی أُوفِی اَلْكَيْلَ وَ أَنَا خَيْرُ اَلْمُنْزِلِينَ (۵٩) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِی بِهِ فَلاٰ كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِی وَ لاٰ تَقْرَبُونِ (۶٠) قٰالُوا سَنُرٰاوِدُ عَنْهُ أَبٰاهُ وَ إِنّٰا لَفٰاعِلُونَ (۶١) وَ قٰالَ لِفِتْيٰانِهِ اِجْعَلُوا بِضٰاعَتَهُمْ فِی رِحٰالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهٰا إِذَا اِنْقَلَبُوا إِلىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (۶٢)

التّفسير

اشاره

اقتراح جديد من يوسف لإخوته:

و كما كان متوقّعا،فقد تحسّنت الزراعه فی مصر خلال سبع سنوات متتاليه و ذلك على اثر توالی الأمطار و وفره ماء النيل و كثرته،و يوسف الذی كان مسئولا عن الشؤون الاقتصاديه فی مصر و مشرفا على خزائنها،امر ببناء المخازن الكبيره و الصغيره التی تستوعب الكمّيّات الكبيره من المواد الغذائيه

و تحفظها عن الفساد،و قد اجبر أبناء الشعب على ان يبيعوا للدوله الفائض عن حاجتهم من الانتاج الزراعى،و هكذا امتلأت المخازن بالمنتوجات الزراعيه و الاستهلاكيه و مرّت سبع سنوات من الرخاء و الوفره،و بدا القحط و الجفاف يظهر وجهه الكريه،و منعت السّماء قطرها،فلم تينع ثمره،و لم تحمل نخله.

و هكذا أصاب عامّه الشعب الضيق و قلّت منتوجاتهم الزراعيه،لكنّهم كانوا على علم بخزائن الدوله و امتلائها بالمواد الغذائيه،و ساعدهم يوسف حيث استطاع-بخطّه محكمه و منظّمه مع الأخذ بعين الاعتبار الحاجات المتزايده،فى السنين القادمه-ان يرفع الضيق عن الشعب بأن باع لهم المنتوجات الزراعيه مراعيا فى ذلك العداله بينهم.

و هذا القحط و الجفاف لم يكن مقتصرا على مصر وحدها،بل شمل البلدان المحيطه بها ايضا،و منهم شعب فلسطين و ارض كنعان المتاخمه لمصر و الواقعه على حدودها فى الشمال الشرقى،و كانت عائله يوسف تسكن هناك و قد تأثّرت بالجفاف.و اشتدّ بهم الضيق،بحيث اضطرّ يعقوب ان يرسل جميع أولاده-ما عدا بنيامين الذى أبقاه عنده بعد غياب يوسف-الى مصر،حيث سافروا مع قافله كانت تسير الى مصر و وصلوا إليها-كما قيل-بعد ١٨ يوما.

و تذكر المصادر التاريخيّه انّ الأجانب عند دخولهم الى الاراضى المصريه كانوا ملزمين بتسجيل اسمائهم فى قوائم معيّنه لكى تعرض على يوسف،و من هنا فحينما عرض الموظفون تقريرا على يوسف عن القافله الفلسطينيه و طلبهم للحصول على المؤن و الحبوب راى يوسف أسماء اخوته بينهم و عرفهم و امر بإحضارهم اليه،دون ان يتعرّف احد على حقيقتهم و انّهم اخوته..

يقول القرآن الكريم: وَ جٰاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَ هُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ و كان طبيعيّا ان لا يتعرّف اخوه يوسف عليه لانّه فى جانب كان قد مضى على فراقهم ايّاه منذ ان أودعوه الجبّ و خرج منه و دخل الى مصر ما يقرب

من أربعين سنه،و من جهه اخرى كان لا يخطر ببالهم انّ أخوهم صار عزيزا لمصر،و حتّى لو رأوا الشبه بين العزيز و بين أخيهم لحملوه على الصدفه.

اضافه الى هذا فإنّ ملابس يوسف تختلف عن السابق،و من الصعب عليهم معرفه يوسف و هو فى ملابس اهل مصر،كما انّ احتمال بقاء يوسف على قيد الحياه بعد هذه المدّه كان ضعيفا عندهم،و على ايّه حال فإنّ اخوه يوسف قد اشتروا ما طلبوه من الحبوب و دفعوا ثمنه بالأموال او الكندر او الاحذيه او بسائر ما جلبوه معهم من كنعان الى مصر.

امّا يوسف فإنّه قد رحّب بإخوته و لاطفهم و فتح باب الحديث معهم،قالوا:

نحن عشره اخوه من أولاد يعقوب،و يعقوب هو ابن ابراهيم الخليل نبى اللّه العظيم،و أبونا ايضا من أنبياء اللّه العظام،و قد كبر سنّه و الّم به حزن عميق ملك عليه وجوده.

فسألهم يوسف:لماذا هذا الغمّ و الحزن؟ قالوا:كان له ولد أصغر من جميع اخوته و كان يحبّه كثيرا، فخرج معنا يوما للنزهه و التفرّج و الصيد و غفلنا عنه فأكله الذئب،و منذ ذلك اليوم و أبونا يبكى لفراقه.

نقل بعض المفسّرين انّه كان من عاده يوسف ان لا يعطى و لا يبيع لكلّ شخص الاّ حمل بعير واحد،و بما انّ اخوته كانوا عشره فقد باع لهم ۱۰ أحمال من الحبوب،فقالوا:انّ لنا أبا شيخا كبيرا عاجزا عن السفر و أخا صغيرا يرعى شؤون الأب الكبير،فطلبوا من العزيز ان يدفع إليهم حصّتهما،فأمر يوسف ان يضاف الى حصصهم حملان آخران،ثمّ توجّه إليهم مخاطبا ايّاهم و قال:انّى ارى فى وجوهكم النبل و الرفعه كما انّكم تتحلّون بأخلاق طيبه،و قد ذكرتم انّ أباكم يحبّ أخاكم الصغير كثيرا،فيتّضح انّه يمتلك صفات و مواهب عاليه و فذّه و لهذا احبّ ان أراه اضافه الى هذا،فإنّ الناس هنا قد أساءوا الظنّ بكم و اتهموكم،

لانّكم من بلد اجنبى،فأتوا بأخيكم الصغير فى سفركم القادم لتثبتوا صدقكم، و تدفعوا التّهمه عن أنفسكم.

و هنا يقول القرآن الكريم:انّه حينما جهّزهم يوسف بجهازهم و أرادوا الرحيل عن مصر وَ لَمّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ قالَ ائْتُونِى بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَ لاٰ تَرَوْنَ أَنِّى أُوفِى الْكَيْلَ وَ أَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ لكنّه ختم كلامه بتهديد مبطّن لهم،و هو انّنى سوف امنع عنكم المؤن و الحبوب إذا لم تأتونى بأخيكم فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِى بِهِ فَلاٰ كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِى وَ لاٰ تَقْرَبُونِ ،و كان يوسف يحاول بشتّى الطرق،تاره بالتهديد،و اخرى بالتحبّب،ان يلتقى بأخيه بنيامين و يبقيه عنده.و ظهر من سياق الآيات.

أمران:انّ الحبوب كانت تباع و تشترى فى مصر بالكيل لا بالوزن،و اتّضح ايضا انّ يوسف كان يستقبل الضيوف-و منهم اخوته- الذين كانوا يفدون الى مصر بحفاوه بالغه و يستظيفهم بأحسن وجه.

و أجاب اخوه يوسف على طلب أخيهم: قالُوا سَنُراوِدُ عَنْهُ أَباهُ وَ إِنّا لَفاعِلُونَ و يستفاد من قوله إِنّا لَفاعِلُونَ و اجابتهم الصريحه لعزيز مصر،انّهم كانوا مطمئنين الى قدرتهم على التأثير على أبيهم و أخذ الموافقه منه،و كيف لا يكونون مطمئنين بقدرتهم على ذلك و هم الذين استطاعوا بإصرارهم و الحاحهم ان يفرّقوا بين يوسف و أبيه؟! و أخيرا امر يوسف رجاله بأن يضعوا الأموال التى اشتروا بها الحبوب فى رحالهم-جلبا لعواطفهم- وَ قالَ لِفِتْيانِهِ اجْعَلُوا بِضاعَتَهُمْ فِى رِحالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَها إِذَا انْقَلَبُوا إِلى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ .

ص :۲۵۰

بحوث

اشاره

۱-لماذا لم يظهر يوسف حقيقته لإخوته

بالنسبه للآيات السابقه فإنّ اوّل ما يتبادر الى الذهن هو انّه لماذا لم يعرّف يوسف نفسه لإخوته،حتّى يقفوا على حقيقه حاله و يرجعوا الى أبيهم و يخبرونه عن مصير يوسف،و بذلك تنتهى آلامه لأجل فراق يوسف؟ و يمكن طرح هذا السؤال على شكل أوسع و بصوره اخرى،و هو انّه حينما التقى يوسف بإخوته فى مصر كان قد مرّ ثمان سنوات على تحريره من السجن، حيث كان فى السنه الاولى من سنوات القحط و الجدب،التى أعقبت سبع سنوات من الوفره و الرخاء،و قام بخزن المنتوجات الزراعيه-و فى السنه الثامنه او بعدها -جاء اخوه يوسف الى مصر لشراء الحبوب،فلما ذا لم يحاول يوسف خلال هذه السنوات الثمان ان يبعث الى كنعان من يخبر أباه بواقع حاله و يخرجه عن آلامه و ينهى مرارته الطويله؟ حاول جمع من المفسّرين-كالعلّامه الطبرسى فى مجمع البيان و العلاّمه الطباطبائى فى تفسير الميزان و القرطبى فى تفسيره الجامع لأحكام القرآن- الاجابه على هذا السؤال،و ذكروا له عدّه اجوبه،و لعلّ أحسنها و أقربها هو انّ يوسف لم يكن مجازا من قبل اللّه سبحانه و تعالى فى اخبار أبيه،لانّ قصّه يوسف مع غضّ النظر عن خصائصه الذاتيه كانت ساحه لاختبار يعقوب و حقلا لامتحانه،فلا بدّ من ان يؤدّى يعقوب امتحانه و يجتاز فتره الاختبار قبل ان يسمح ليوسف بإخباره،و اضافه الى هذا فإنّ اسراع يوسف فى اخبار اخوته قد يؤدّى الى عواقب غير محموده،مثلا قد يستولى عليهم الخوف و الهلع من انتقام يوسف منهم لما ارتكبوه سابقا فى حقّه فلا يرجعوا اليه.

۲-لماذا ارجع يوسف الأموال الى اخوته

السؤال الذى يطرح نفسه هو انّه لماذا امر يوسف ان تردّ اموال اخوته التى

دفعوها ثمنا للحبوب،و توضع فی رحالهم؟ و قد أجاب المفسّرون عن هذا السؤال بإجابات عديده،و منهم الرازی فی تفسیره حيث ذكر عشره اجوبه،لكن بعضها بعيد عن الواقع،و لعلّ ملاحظه الآيات السابقه تكفی فی الاجابه عن السؤال،لانّ الآيه الشريفه تقول: لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ فإنّ يوسف كان يقصد من وراء هذا العمل،انّ اخوته بعد رجوعهم الی الوطن حينما يجدون أموالهم قد خبّئت فی متاعهم،سوف يقفون علی كرم عزيز مصر(يوسف)و جلاله قدره،اكثر ممّا شاهدوه،و سوف يطمئن يعقوب بنوايا عزيز مصر و يعطی الاذن بسفر بنيامين، و يكون السبب و الدافع فی سفرهم الی مصر مرّه اخری و باطمئنان اكثر مستصحبين معهم أخاهم الصغير.

٣-كيف وهب يوسف الی اخوته اموال بيت المال

؟ السؤال الآخر الذی يطرح نفسه هنا هو انّه كيف وهب يوسف الأموال من بيت المال لإخوته دون ای تعويض؟ يمكن الاجابه علی هذا السؤال بطريقتين:

الاوّل:انّ بيت المال فی مصر كان يحتوی علی حصّه معيّنه من الأموال تصرف فی شؤون المستضعفين(و مثل هذه الحصّه موجوده دائما)و بما انّ اخوه يوسف كانوا فی تلك الفتره من المستضعفين،استغلّ يوسف هذه الفرصه و استفاد من هذه الحصّه لمساعده إخوته:(كما كان يستفيد منها فی مساعده سائر المستضعفين)و من المعلوم انّ الحدود المصطنعه بين الدوله لم تكن حائلا دون مساعده مستضعفی سائر البلدان من هذه الحصّه.

الثّانی:انّ المناصب العاليه فی الدوله-كمنصب يوسف-تتضمّن عاده علی

امتيازات و حقوق معيّنه،و من اقلّ هـذه الحقوق هو ان يهيئ لنفسه و لعائلته المحتاجه و لمن يقرب اليه كأبيه و اخوته مستلزمات العيش الكريم،و قد استفاد يوسف من هذا الحقّ فى إعطاء الأموال لإخوته.

ص :٢٥٣

الآیات [سوره یوسف (۱۲): الآیات ۶۳ الی ۶۶]

اشاره

فَلَمّٰا رَجَعُوا إِلىٰ أَبِيهِمْ قٰالُوا يٰا أَبٰانٰا مُنِعَ مِنَّا اَلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنٰا أَخٰانٰا نَكْتَلْ وَ إِنّٰا لَهُ لَحٰافِظُونَ (۶۳) قٰالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاّٰ كَمٰا
أَمِنْتُكُمْ عَلىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللّٰهُ خَيْرٌ حٰافِظاً وَ هُوَ أَرْحَمُ اَلرّٰاحِمِينَ (۶۴) وَ لَمّٰا فَتَحُوا مَتٰاعَهُمْ وَجَدُوا بِضٰاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قٰالُوا يٰا
أَبٰانٰا مٰا نَبْغِي هٰذِهِ بِضٰاعَتُنٰا رُدَّتْ إِلَيْنٰا وَ نَمِيرُ أَهْلَنٰا وَ نَحْفَظُ أَخٰانٰا وَ نَزْدٰادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (۶۵) قٰالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتّٰى
تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِنَ اَللّٰهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاّٰ أَنْ يُحٰاطَ بِكُمْ فَلَمّٰا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قٰالَ اَللّٰهُ عَلىٰ مٰا نَقُولُ وَكِيلٌ (۶۶)

التّفسیر

اشاره

موافقه یعقوب:

رجع اخوه یوسف الی کنعان فرحین حاملین معهم المتاع الثمین،لکنّهم کانوا یفکّرون بمصیرهم فی المستقبل و انّه لو رفض الأب و لم یوافق علی سفر أخیهم الصغیر(بنیامین)فإنّ عزیز مصر سوف لن یستقبلهم،کما انّه لا یعطیهم

ص: ۲۵۴

حصّتهم من الحبوب و المؤن.

و من هنا يقول القرآن: فَلَمّا رَجَعُوا إِلىٰ أَبِيهِمْ قالُوا يا أَبانا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ و لا سبيل لنا للحصول عليه الاّ ان ترسل معنا أخانا فَأَرْسِلْ مَعَنا أَخانا نَكْتَلْ و كن على يقين من انّنا سوف نحافظ عليه و نمنعه من الآخرين وَ إِنّا لَهُ لَحافِظُونَ .

امّا الأب الشيخ الكبير الذى لم يمح صوره(يوسف)عن ذاكرته مرّ السنين فإنّه حينما سمع هذا الكلام استولى عليه الخوف و قال لهم معاتبا: هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاّ كَما أَمِنْتُكُمْ عَلىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فكيف تتوقّعون منّى ان اطمئن بكم و النّبى طلبكم و اوافق على سفر ولدى و فلذّه كبدى معكم الى بلاد بعيده،و لا زلت اذكر تخلفّكم فى المرّه السابقه عن عهدكم،ثمّ أضاف فَاللّهُ خَيْرٌ حافِظاً وَ هُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ هذه العباره لعلّها اشاره الى ما تحدّثت به نفس يعقوب من انّه يصعب علىّ ان اوافق على سفر بنيامين معكم و قد عرفت سوءكم فى المرّه السابقه،لكن حتّى لو وافقت على ذلك فإنّنى اتّكل على اللّه سبحانه و تعالى الذى هو ارحم الراحمين و اطلب رعايته و حفظه منه لا منكم.

الآيه السابقه لا تدلّ على الموافقه القطعيّه و قبوله لطلبهم،و انّما هى مجرّد احتمال منه حيث انّ الآيات القادمه تظهر انّ يعقوب لم يكن قد وافق على طلبهم الاّ بعد ان أخذ منهم العهود و المواثيق،و الاحتمال الآخر هو انّ هذه الآيه لعلّها اشاره الى يوسف،حيث كان يعلم انّه على قيد الحياه(و سوف نقرا فى الآيات القادمه انّه كان على يقين بحياه يوسف)فدعا له بالحفظ.

ثمّ انّ الاخوه حينما عادوا من مصر وَ لَمّا فَتَحُوا مَتاعَهُمْ وَجَدُوا بِضاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ فشاهدوا انّ هذا الأمر هو برهان قاطع على صحّه طلبهم،فجاءوا الى أبيهم و قالُوا يا أَبانا ما نَبْغِى هٰذِهِ بِضاعَتُنا رُدَّتْ إِلَيْنا و هل هناك فضل و كرم اكثر من هذا ان يقوم حاكم اجنبى و فى ظروف القحط و الجفاف،

بمساعدتنا و يبيع لنا الحبوب و المؤن ثمّ يردّ إلينا ما دفعناه ثمنا له؟! ثمّ انّه ردّ بضاعتنا علينا بشكل خفى بحيث لا يستثير فينا الخجل-أ ليس هذا غايه الجود و الكرم؟!فيا أبانا ليس هناك مجال للتأخير-ابعث معنا أخانا لكى نسافر و نشترى الطعام وَ نَمِيرُ أَهْلَنا و سوف نكون جادّين فى حفظ أخينا وَ نَحْفَظُ أَخانا ،و هكذا نتمكّن من ان نشترى كيل بعير من الحبوب وَ نَزْدادُ كَيْلَ بَعِيرٍ و انّنا على يقين فى انّ سماحه العزيز و كرمه-سوف يسهّلان حصوله و ذٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ .

و فى كلّ الأحوال-رفض يعقوب إرسال ابنه بنيامين معهم،و لكنّه كان يواجه إصرار أولاده بمنطقهم القوى بحيث اضطرّ الى التنازل على مطلبهم و لم ير بدّا من القبول،و لكنّه وافق بشرط: قٰالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتّٰى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِنَ اللّٰهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاّٰ أَنْ يُحٰاطَ بِكُمْ ،و المقصود من قوله مَوْثِقاً مِنَ اللّٰهِ هو العهد و اليمين المتضمّن لاسم اللّه سبحانه و تعالى،و امّا جمله إِلاّٰ أَنْ يُحٰاطَ بِكُمْ فهى فى الواقع بمعنى-الاّ- إذا أحاطت بكم و غلبتكم الحوادث،و لعلّها اشاره الى حوادث الموت او غيرها من الحوادث و المصائب التى تسلب قدره الإنسان و تقصم ظهره و تجعله عاجزا.

و ذكر هذا الاستثناء دليل بارز على ذكاء نبى اللّه يعقوب و فطنته،فإنّه برغم حبّه الشديد لولده بنيامين لكنّه لم يحمل أولاده بما لا يطيقوا و قال لهم:انّكم مسئولون عن سلامه ولدى العزيز و انّى سوف اطلبه منكم الاّ ان تغلبكم الحوادث القاهره،فحينئذ لا حرج عليكم.

و على كلّ حال فقد وافق اخوه يوسف بدورهم على شرط أبيهم،و حينما أعطوه العهد و المواثيق المغلّظه قال يعقوب: فَلَمّٰا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قٰالَ اللّٰهُ عَلىٰ مٰا نَقُولُ وَكِيلٌ .

ص:۲۵۶

١-بالنسبه للآيات السابقه فإنّ اوّل ما يتبادر الى الذهن،هو انّه كيف وافق يعقوب على سفر بنيامين مع اخوته برغم ما اظهروه فى المرّه السابقه من سوء المعامله مع يوسف،اضافه الى هذا فإنّنا نعلم انّهم كانوا يبطنون الحقد و الحسد لبنيامين-و ان كان اخفّ من حقدهم و حسدهم على يوسف-حيث وردت فى الآيات الافتتاحيه لهذه السوره قوله تعالى: إِذْ قالُوا لَيُوسُفُ وَ أَخُوهُ أَحَبُّ إِلى أَبِينا مِنّا وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ اى انّ يوسف و أخاه احبّ الى أبينا برغم ما نملكه نحن من قوّه و كثره.

لكن تظهر الاجابه على هذا السؤال إذا لاحظنا انّه قد مضى ثلاثون الى أربعين سنه على حادثه يوسف،و قد صار اخوه يوسف الشبّان كهولا،و من الطبيعى انّهم نضجوا اكثر من السابق،كما وقفوا على الآثار السلبيه و السيّئه لما فعلوه مع يوسف،سواء فى داخل اسرتهم ام فى وجدانهم،حيث أثبتت لهم تجارب السنين السالفه انّ فقد يوسف كان لا يزيد حبّ أبيهم لهم،بل ازداد نفوره منهم و خلق لهم مشاكل جديده.

اضافه الى هذه الأمور فإنّ يعقوب لم يواجه طلبا للخروج الى التنزّه و الصيد، بل كان يواجه مشكله مستعصيه مستفحله،و هى اعداد الطعام لعائله كبيره و فى سنوات القحط و المجاعه.

فمجموع هذه الأمور أجبرت يعقوب على الرضوخ لطلب أولاده و الموافقه على سفر بنيامين و لكنّه أخذ منهم العهود و المواثيق على ان يرجعوه سالما.

٢-السؤال الآخر الذى نواجهه هنا هو انّه هل الحلف و أخذ العهد و المواثيق منهم كان كافيا لكى يوافق يعقوب على سفر بنيامين معهم؟ الجواب:انّه من الطبيعى انّ مجرّد الحلف و اليمين لم يكن كافيا لذلك،و لكن فى هذه المرّه كانت الشواهد و القرائن تدلّ على انّ هناك حقيقه واضحه قد برزت

الی الوجود،و هی خالیه عن محاولات الخداع و التضلیل(کما هو الحال فی المرّه السابقه)ففی مثل هذه الصوره لا سبیل لتأکید هذه الحقیقه و جعلها اقرب الی التنفیذ سوی العهد و الیمین،مثل ما نشاهده فی هذه الایّام من تحلیف الزعماء السیاسیین کرئیس الجمهوریه او نوّاب البرلمان،حیث یحلفون بالوفاء للدستور و العمل علی طبقه و ذلک بعد ان انتخبهم الشعب من خلال انتخابات حرّه و نزیهه.

ص :۲۵۸

الآیتان [سوره یوسف (۱۲): الآیات ۶۷ الی ۶۸]

اشاره

وَ قالَ یا بَنِیَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بابٍ واحِدٍ وَ اُدْخُلُوا مِنْ أَبْوابٍ مُتَفَرِّقَهٍ وَ ما أُغْنِی عَنْکُمْ مِنَ اَللّهِ مِنْ شَیْءٍ إِنِ اَلْحُکْمُ إِلاّ لِلّهِ عَلَیْهِ تَوَکَّلْتُ وَ عَلَیْهِ فَلْیَتَوَکَّلِ اَلْمُتَوَکِّلُونَ (۶۷) وَ لَمّا دَخَلُوا مِنْ حَیْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ ما کانَ یُغْنِی عَنْهُمْ مِنَ اَللّهِ مِنْ شَیْءٍ إِلاّ حاجَهً فِی نَفْسِ یَعْقُوبَ قَضاها وَ إِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِما عَلَّمْناهُ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ اَلنّاسِ لا یَعْلَمُونَ (۶۸)

التّفسیر

و أخیرا توجّه اخوه یوسف صوب مصر للمرّه الثانیه بعد اذن أبیهم و موافقته علی اصطحاب أخیهم الصغیر معهم،و حینما أرادوا الخروج ودعهم أبوهم موصیا ایّاهم بقوله: وَ قالَ یا بَنِیَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بابٍ واحِدٍ وَ ادْخُلُوا مِنْ أَبْوابٍ مُتَفَرِّقَهٍ ثمّ أضاف:انّه لیس فی مقدوری ان امنع ما قد قدّر لکم فی علم اللّه سبحانه و تعالی وَ ما أُغْنِی عَنْکُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ شَیْءٍ و لکن هناک بعض الأمور التی یمکن للإنسان ان یجتنب عنها حیث لم یثبت فی حقّها القدر الالهی

ص :۲۵۹

المحتوم،و ما أسديته لكم من النصيحه هو فى الواقع لدفع هذه الأمور الطارئه و التى بإمكان الإنسان ان يدفعها عن نفسه ثمّ قال:أخيرا إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ عَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ .

لا شكّ فى انّ عاصمه مصر فى تلك الايّام شأنها شأن جميع البلدان،كانت تمتلك سورا عاليا و أبوابا متعدّده و كان يعقوب قد نصح أولاده بأن يتفرّقوا الى جماعات صغيره،و تدخل كلّ جماعه من باب واحد،لكن الآيه السابقه لم تبيّن لنا فلسفه هذه النصيحه.

ذهب جمع من المفسّرين الى انّ سبب هذه النصيحه هو انّ اخوه يوسف كانوا يتمتّعون بقسط وافر من الجمال(و ان لم يكونوا كيوسف لكنّهم فى كلّ الأحوال كانوا اخوته)و بأجسام قويّه رشيقه،و كان الأب الحنون فى قلق شديد من انّ الفات نظر الناس الى هذه المجموعه المكوّنه من ۱۱ شخصا و يدلّ سيماهم على انّهم غرباء و انّهم ليسوا من اهل مصر،فيصيبهم الحسد من تلك العيون الفاحصه.

ثمّ بعد هذا التّفسير-دخل المفسّرون فى بحث طويل و نقاش مستمر حول موضوع تأثير العين فى حياه الإنسان و استدلّوا على ذلك بشواهد عديده من الرّوايات و التاريخ.و نحن بحول اللّه و قوّته سوف نبحث عن هذا الموضوع عند حديثنا عن قوله تعالى: وَ إِنْ يَكادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصارِهِمْ . (۱) و نثبت انّه برغم الخرافات الكثيره التى لفّها العوام حوله الاّ انّ مقدارا من هذا الأمر له حقيقه موضوعيه حيث ثبت علميا انّ أمواج سيّاله تخرج من العين و تمتلك بعض المواصفات المغناطيسيّه.

و هناك سبب آخر ذكره المفسّرون و هو انّ دخول هذه المجموعه الى مصر بوجوههم المشرقه و أجسامهم الرشيقه القويمه و السير فى شوارعها،قد يثير

۱- ۱) سوره ن و القلم،۲۵.

الحسد و البغضاء فى بعض النفوس الضعيفه فيسعون ضدّهم عند السلطان و يظهرونهم كمجموعه اجنبيه تحاول العبث بأمن البلد و نظامه،فحاول يعقوب عليه السّلام ان يجنبهم بنصيحته عن هذه المشاكل.

و أخيرا حاول بعض المفسّرين تأويل الآيه بمعنى قد يعد ذوقيا...قال:انّ يعقوب بنصيحته تلك أراد ان يعلم أولاده دستورا اجتماعيا هامّا،و هو انّ على الإنسان ان يبحث عن ضالّته بطرق عديده و سبل شتّى بحيث لو سدّ طريق بوجهه لكان بمقدوره البحث عنها من طرق اخرى حيث سيكون النصر حليفه فى النهايه،امّا إذا حاول الوصول الى هدفه بانتهاجه طريقا واحدا فقط،فقد يصطدم فى اوّل الطريق بعائق يمنعه عن الوصول فعند ذلك يستولى عليه اليأس و يترك السعى اليه.

واصل الاخوه سيرهم نحو مصر،و بعد ان قطعوا مسافه طويله و شاسعه بين كنعان و مصر دخلوا الاراضى المصريه،و عند ذاك وَ لَمّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ ما كانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ شَيْءٍ فهم برغم تفرّقهم الى جماعات صغيره-طبقا لما وصّاهم به أبوهم-فإنّ الفائده و الثمره الوحيده التى ترتّبت على تلك النصيحه ليس(الاّ حاجه فى نفس يعقوب قضاها)و هذه اشاره الى انّ اثرها لم يكن سوى الهدوء و الطمأنينه التى استولت على قلب الأب الحنون الذى بعد عنه أولاده،و بقى ذهنه و فكره مشغولا بهم و بسلامتهم و خائفا عليهم من كيد الحاسدين و شرور الطامعين،فما كان يتسلّى به فى تلك الايّام لم يكن سوى يقينه القلبى بأنّ أولاده سوف يعملون بنصيحته.

ثمّ يستمرّ القرآن فى مدح يعقوب و وصفه بقوله: وَ إِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِما عَلَّمْناهُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ و هذه اشاره الى انّ كثيرا من الناس يتيهون فى الأسباب و ينسون قدره اللّه سبحانه و تعالى و يتصوّرون انّ ما يصيب الإنسان من الشرور انّما هو من الآثار الملازمه لبعض العيون فيتوسّلون بغير اللّه سبحانه

و تعالی لدفع هذه الشرور و یغفلون عن التوکّل علی اللّه سبحانه و تعالی و الاعتماد علیه،الاّ انّ یعقوب کان عالما بأنّه بدون اراده اللّه سبحانه و تعالی لا یحدث شیء، فکان یتوکّل فی الدرجه الاولی علی اللّه سبحانه و تعالی و یعتمد علیه،ثمّ یبحث عن عالم الأسباب و من هنا نری فی الآیه(۱۰۲)من سوره البقره انّ القرآن یصف سحره بابل و کهنتها بأنّهم وَ مٰا هُمْ بِضٰارِّینَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاّٰ بِإِذْنِ اللّٰهِ و هذه اشاره الی انّ القادر الوحید هو اللّه سبحانه و تعالی،فلا بدّ من الاعتماد و الاتّکال علیه لا علی سواه.

ص: ۲۶۲

الآیات [سوره یوسف (۱۲): الآیات ۶۹ الی ۷۶]

اشاره

وَ لَمّا دَخَلُوا عَلی یُوسُفَ آوی إِلَیْهِ أَخاهُ قالَ إِنِّی أَنَا أَخُوکَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما کانُوا یَعْمَلُونَ (۶۹) فَلَمّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ جَعَلَ اَلسِّقایَةَ فِی رَحْلِ أَخِیهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَیَّتُهَا اَلْعِیرُ إِنَّکُمْ لَسارِقُونَ (۷۰) قالُوا وَ أَقْبَلُوا عَلَیْهِمْ ما ذا تَفْقِدُونَ (۷۱) قالُوا نَفْقِدُ صُواعَ اَلْمَلِکِ وَ لِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِیرٍ وَ أَنَا بِهِ زَعِیمٌ (۷۲) قالُوا تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِی اَلْأَرْضِ وَ ما کُنّا سارِقِینَ (۷۳) قالُوا فَما جَزاؤُهُ إِنْ کُنْتُمْ کاذِبِینَ (۷۴) قالُوا جَزاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِی رَحْلِهِ فَهُوَ جَزاؤُهُ کَذلِکَ نَجْزِی اَلظّالِمِینَ (۷۵) فَبَدَأَ بِأَوْعِیَتِهِمْ قَبْلَ وِعاءِ أَخِیهِ ثُمَّ اِسْتَخْرَجَها مِنْ وِعاءِ أَخِیهِ کَذلِکَ کِدْنا لِیُوسُفَ ما کانَ لِیَأْخُذَ أَخاهُ فِی دِینِ اَلْمَلِکِ إِلاّ أَنْ یَشاءَ اَللّهُ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ وَ فَوْقَ کُلِّ ذِی عِلْمٍ عَلِیمٌ (۷۶)

التّفسیر

اشاره

یوسف یخطّط للاحتفاظ بأخیه:

و أخیرا دخل الاخوه علی یوسف و اعلموه بأنّهم قد نفّذوا طلبته و اصطحبوا

ص: ۲۶۳

معهم أخاهم الصغير برغم امتناع الأب فى البدايه،و لكنّهم اصرّوا عليه و انتزعوا منه الموافقه لكى يثبتوا لك انّهم قد وفوا بالعهد،امّا يوسف فإنّه قد استقبلهم بحفاوه و كرم بالغين و دعاهم لتناول الطعام على مائدته،فأمر ان يجلس كلّ اثنين منهم على طبق من الطعام،ففعلوا و جلس كلّ واحد منهم بجنب أخيه على الطعام،و بقى بنيامين وحيدا فتألّم من وحدته و بكى و قال:لو كان اخى يوسف حيّا لعطف علىّ و لاجلسنى الى جنبه على المائده لانّنا اخوه من أب واحد و امّ واحده،قال يوسف مخاطبا ايّاهم:إنّ أخاكم بقى وحيدا و انّنى سأجلسه بجنبى على المائده و نأكل سويّه من الطعام،ثمّ بعد ذلك امر يوسف بأن تهيّأ لهم الغرف ليستريحوا فيها و يناموا،و مرّه اخرى بقى بنيامين وحيدا،فاستدعاه يوسف إلى غرفته و بسط له الفراش الى جنبه،لكنّه لاحظ فى تقاسيم وجهه الحزن و الألم و سمعه يذكر أخاه المفقود(يوسف)متأوّها،عند ذلك نفذ صبر يوسف و كشف عن حقيقه نفسه،و القرآن الكريم يصف هذه الوقائع بقوله: وَ لَمّا دَخَلُوا عَلى يُوسُفَ آوى إِلَيْهِ أَخاهُ قالَ إِنِّی أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ .

قوله تعالى (فَلا تَبْتَئِسْ) مأخوذ من مادّه(البؤس)و هو اصل بمعنى الضرر و الشدّه،لكن فى الآيه الشريفه استعملت بمعنى:لا تسلط الغمّ على نفسك و لا تكن حزينا من معاملتهم لك،و المراد بقوله«يعملون»هو معامله الاخوه السيّئه لأخيهم بنيامين حيث خطّطوا لإبعاده و طرده من بينهم كما فعلوا بيوسف-فقال يوسف لأخيه:لا تحزن فإنّ المحاولات التى قاموا بها لالحاق الضرر بى قد انقلبت الى خير و سعاده و رفعه لى،إذا لا تحزن و كن على يقين بأنّ محاولاتهم سوف تذهب ادراج الرياح.

و تقول بعض الرّوايات:انّه عند ذاك اقترح يوسف على أخيه بنيامين و قال له:هل تودّ ان تبقى عندى و لا تعود معهم؟

قال بنیامین:نعم،و لکن اخوتی لا یوافقون علی ذلک،لانّهم قد اعطوا أبی العهود و المواثیق المغلّظه بأن یرجعونی الیه سالما.

قال یوسف:لا تهتمّ بهذا الأمر فإنّی سوف أضع خطّه محکمه بحیث یضطرّون لترکک عندی و الرجوع دونک.

و بدا یوسف بتنفیذ الخطّه، و امر بأن یعطی لکلّ واحد منهم حصّه من الطعام و الحبوب ثمّ عند ذاک فَلَمّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ جَعَلَ السِّقایَهَ فِی رَحْلِ أَخِیهِ .

لا شکّ فی أنّ یوسف قام بهذا العمل بسریه تامّه،و لعلّه لم یطّلع علی هذه الخطّه سوی موظّف واحد و عند ذاک افتقد العاملون علی تزوید الناس بالمؤونه الکیل الملکی الخاص،و بحث عنه الموظّفون و العمّال کثیرا لکن دون جدوی و حینئذ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَیَّتُهَا الْعِیرُ إِنَّکُمْ لَسارِقُونَ .

و حینما سمع اخوه یوسف هذا النداء ارتعدت فرائصهم و استولی علیهم الخوف،حیث لم یخطر ببالهم ان یتّهموا بالسرقه بعد الحفاوه التی قوبلوا بها من جانب یوسف،فتوجّهوا الی الموظفین و العمال و قالوا لهم:ماذا فقدتم؟ قالُوا وَ أَقْبَلُوا عَلَیْهِمْ ما ذا تَفْقِدُونَ .

قالوا:قد فقدنا صواع الملک و نظنّ انّه عندکم قالُوا نَفْقِدُ صُواعَ الْمَلِکِ و بما انّ الصواع ثمین و مورد علاقه الملک فانّ لمن یعثر علیه جائزه،و هی حمل بعیر من الطعام وَ لِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِیرٍ ،ثمّ أضاف المؤذّن و المسؤول عن البحث عن الصواع المفقود:انّنی شخصیّا اضمن هذه الجائزه وَ أَنَا بِهِ زَعِیمٌ .

فاشتدّ اضطراب الاخوه لسماعهم هذه الأمور و زادت مخاوفهم، و توجّهوا الی الموظّف مخاطبین ایّاه قالُوا تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِی الْأَرْضِ وَ ما کُنّا سارِقِینَ .

قولهم(لقد علمتم ما جئنا...الی آخره)لعلّه اشاره الی ما قصده الاخوه فی خطابهم للموظفین من انّکم قد وقفتم علی حسن نیّتنا فی المرّه السابقه حیث

جئناكم و قد وضعتم الأموال التى دفعناها إليكم ثمنا للطعام فى رحالنا،لكنّنا رجعنا إليكم مرّه ثانيه،فلا يعقل انّنا و قد قطعنا المسافات البعيده للوصول الى بلدكم نقوم بعمل قبيح و نسرق الصواع؟ اضافه الى هذا فقد ورد فى بعض المصادر انّ الاخوه حينما دخلوا ارض مصر ألجموا جمالهم ليمنعوها من التطاول و التعدّى على المزارع و اموال الناس، فمثلنا الحريص على اموال الناس كيف يعقل ان يقوم بهذا العمل القبيح؟ الاّ انّ الموظفين توجّهوا إليهم و قالُوا فَمٰا جَزٰاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كٰاذِبِينَ .

أجاب الاخوه:إنّه عقاب من وجد الصواع فى رحله هو ان يؤخذ الشخص نفسه بدل الصواع قٰالُوا جَزٰاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِى رَحْلِهِ فَهُوَ جَزٰاؤُهُ و انّ هذا العقاب هو جزاء السارق كَذٰلِكَ نَجْزِى الظّٰالِمِينَ .

و حينئذ امر يوسف الموظفين و العمال بأنّ تنزل رحالهم من على ظهور الجمال و يفتح متاعهم و ان يبحثوا فيها واحدا بعد واحد و دون استثناء،و تجنّبا عن انكشاف الخطّه امر يوسف بأن يبداوا البحث و التفتيش فى امتعه الاخوه اوّلا-قبل امتعه أخيه بنيامين،لكنّهم وجدوه أخيرا فى امتعه بنيامين فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعٰاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهٰا مِنْ وِعٰاءِ أَخِيهِ .

بعد ان عثر على الصاع فى متاع بنيامين،استولى الارتباك و الدهشه على الاخوه،و صعقتهم هذه الواقعه و رأوا أنفسهم فى حيره غريبه،فمن جهه قام أخوهم بعمل قبيح و سرق صواع الملك،و هذا يعود عليهم بالخزى و العار،و من جهه اخرى انّ هذا العمل سوف يفقدهم اعتبارهم و نفوذهم عند الملك خصوصا مع حاجتهم الشديده الى الطعام،و اضافه الى كلّ هذا،كيف يجيبون على استفسارات أبيهم؟و كيف يقنعونه بذنب ابنه و عدم تقصيرهم فى ذلك؟ قال بعض المفسّرين:انّه بعد ان عثر على الصاع توجّه الاخوه الى بنيامين و عاتبوه عتابا شديدا،فقالوا له:الا تخجل من فعلك القبيح قد فضحتنا و فضحت

أباك يعقوب،و آل يعقوب..قل لنا كيف سرقت الصاع و وضعته فی رحلك؟ أجابهم بنيامين ببرود،حيث كان عالما بالقضيّه و اسرارها:انّ الذی قام بهذا العمل و وضع الصواع فی رحلی،هو نفسه الذی وضع الأموال فی متاعكم فی المرّه السابقه،لكن الاخوه لم ينتبهوا-لهول الواقعه عليهم-لمغزی كلام بنيامين (۱) .

ثمّ يستمرّ القرآن الكريم و يبيّن كيف استطاع يوسف ان يأخذ أخاه بالخطّه التی رسمها اللّه له دون ان يثير فی اخوته ای نوع من المقاومه و الرفض كَذٰلِكَ كِدْنا لِيُوسُفَ .

و الأمر المهمّ فی هذه القضيّه هو انّه لو أراد يوسف ان يعاقب أخاه بنيامين، و طبقا للقانون المصری- لكان عليه ان يضرب أخاه و يودعه السجن لكن مثل هذه المعامله كانت تخالف رغبات و اهداف يوسف للاحتفاظ بأخيه،و من هنا و قبل القبض على بنيامين،سأل اخوته عن عقوبه السارق عندهم،فاعترفوا عنده بأنّ السنه المتّبعه عندهم فی معاقبه السارق ان يعمل السارق عند المعتدی عليه كالعبد.

لاـ ريب انّ للعقوبه و الجزاء طرقا عديده منها ان يعاقب المعتدی على طبق ما يعاقب به فی قومه،و هكذا عامل يوسف أخاه بنيامين،و توضيحا لهذه الحاله و انّ يوسف لم يكن بإمكانه أخذ أخيه طبقا للدستور المصری يقول القرآن الكريم: ما كانَ لِيَأْخُذَ أَخاهُ فِی دِينِ الْمَلِكِ لكن اللّه سبحانه و تعالی يستثنی بقوله: إِلاّ أَنْ يَشاءَ اللّهُ و هو اشاره إلی أنّ ما فعله يوسف بأخيه لم يكن الاّ بأمر منه سبحانه و تعالی و طبقا لإرادته فی الاحتفاظ ببنيامين،و استمرارا لامتحان يعقوب و أولاده.

و أخيرا يضيف القرآن الكريم و يقول:انّ اللّه سبحانه يرفع درجات من

۱- ۱) مجمع البيان،ج ۵،ص ۲۵۳ ذيل الآيه.

استطاع ان یفوز فی الامتحان و یخرج مرفوع الراس کما حدث لیوسف نَرْفَعُ دَرَجٰاتٍ مَنْ نَشٰاءُ و لکن فی کلّ الأحوال فانّ اللّه تعالی علیم یهدی الإنسان الی سواء السبیل و هو الذی أوقع هذه الخطّه فی قلب یوسف و ألهمه ایّاها وَ فَوْقَ کُلِّ ذِی عِلْمٍ عَلِیمٌ .

بحوث

اشاره

الآیات السابقه تثیر اسئله کثیره فلا بدّ من الاجابه علیها:

١-لماذا لم یعترف یوسف بالحقیقه

لماذا لم یعترف یوسف بالحقیقه لإخوته لینهی-و فی اسرع وقت ممکن- مأساه أبیه و ینجیه من العذاب الذی کان یعیشه؟ الجواب علی هذا السؤال:هو ما مرّ علینا خلال البحث،من انّ الهدف کان امتحان یعقوب و أولاده و اختبار مدی تحمّلهم و صبرهم علی الشدائد و المصائب،و بتعبیر آخر:لم تکن هذه الخطّه امرا عفویا دون تفکیر،و انّما نفذت طبقا لاوامر اللّه سبحانه و تعالی و ارادته فی اختبار یعقوب و مدی صبره علی مصیبه فقد ثانی اعزّ أولاده،لکی تکمل سلسله الامتحانات و یفوز بالدرجات العالیه التی یستحقّها،کما کانت الخطّه اختبارا لأخوه یوسف فی مدی تحمّلهم للمسؤولیه و قدرتهم علی حفظ العهد و مراعاه الامانه التی قطعوها مع أبیهم.

٢-لماذا اتّهم یوسف أخاه

؟ هل یجوز شرعا ان یتّهم الإنسان بریئا لم یرتکب ذنبا،و لم تقتصر آثار هذه

التّهمه على البرىء وحده،بل تشـمل الآخرين من قريب او بعيد؟كما هو الحال فى يوسف حيث شـمل اتّهامه الاخوه و سـبب لهم مشاكل عديده.

يمكن معرفه الجواب بعد وقوفنا على انّ توجيه هـذه التّهمه لبنيامين كان باتّفاق مسـبق بينه و بين يوسف،و كان عارفا بأنّ هدف الخطّه و توجيه التهمه اليه لأجل بقائه عند يوسف،امّا بالنسـبه للآثار السلبيه المترتّبه على الاخوه فإنّ اتّهام بنيامين بالسرقه لم يكن فى الواقع اتّهاما مباشرا لإخوته و إنّ سبب لهم بعض التشويش و القلق و لا مانع من ذلک بالنظر الى امتحان مهم.

٣-لماذا اتّهام الجميع بالسرقه

؟ مرّ علينا فى الآيه الشـريفه قوله تعالى: إِنَّكُمْ لَسٰارِقُونَ و هذه فى الواقع تهمه موجّهه الى الجميع و هى تهمه كاذبه،فما المسوغ و المجوّز الشرعى لمثل هذا الاتّهام الباطل؟ يمكن الاجابه على هذا السؤال فى عدّه نقاط و هى:

اوّلا:انّ قائل هـذه الجمله غير معلوم،حيث ورد فى القرآن انّه(قالوا...) و لعلّ القـائلين هم بعض الموظفين من عمّال يوسف و المسؤولين عن حمايه خزائن الحبوب،فهم حينما افتقدوا صواع الملک،اطمأنّوا بأنّ السارق هو احد افراد القافله القادمه من كنعان،فوجّهوا الخطاب إليهم جميعا،و هذا من الأمور الطبيعيّه،فحينما يقوم شخص مجهول فى ضمن مجموعه معيّنه بعمل ما،فإنّ الخطاب يوجّه إليهم جميعا و يقال لهم:إنّكم فعلتم هذا العمل،و المقصود إنّ احد هذا المجموعه او بعضها قد فعل كذا.

ثانيا:الطرف الذى وجّهت اليه التّهمه و هو بنيامين،كان موافقا على توجيه هذه التهمه له،لانّ التهمه كانت مقدّمه للخطّه المرسومه و التى كانت تنتهى ببقائه عند أخيه يوسف،و امّا شمول الاتّهام لجميع الاخوه و دخولهم جميعا فى دائره

الظنّ بالسرقه،فإنّ كلّ ذلك كان اتّهاما مؤقتا حيث زالت بمجرّد التفتيش و العثور على الصواع و ظهر المذنب الواقعى.

قال بعض المفسّرين:انّه قصد بالسرقه-فيما نسبوه الى اخوه يوسف-هو ما اقترفوه سابقا من سرقه الاخوه يوسف من أبيه،لكن هذا التوجيه يتمّ إذا كانت التهمه قد وجهت إليهم من قبل يوسف،لانّه كان عالما بالذنب الذى ارتكبوه، و لعلّ ما ورد فى ذيل الآيه الشريفه يدلّ على ذلك،حيث قال العمّال انّنا: نَفْقِدُ صُوٰاعَ الْمَلِكِ و مثل هذا الخطاب لا يتضمّن توجيه السرقه إليهم،(و لكن الجواب الاوّل أصح ظاهرا).

۴-عقوبه السرقه فى تلك الازمنه

يستفاد من الآيات السابقه انّ عقوبه السرقه عند المصريين كانت تختلف عنها عند الكنعانيين،فعند اخوه يوسف(آل يعقوب)و لعلّه عند الكنعانيين كانت العقوبه هى عبوديه السارق(بصوره دائمه او مؤقته) لأجل الذنب الذى اقترفه (۱) .

لكن المصريين لم يجازوا السارق بالعبوديه الدائمه او المؤقته،و انّما كانوا يعاقبون المذنب بالضرب المبرح او السجن،و فى كلّ الأحوال لا يستفاد من قوله تعالى: قٰالُوا جَزٰاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزٰاؤُهُ انّ الشرائع السّماويه كانت تحدّد عقوبه السارق بالعبوديه،و لعلّها كانت سنّه متّبعه عند بعض المجتمعات فى تلك الازمنه،و قد ذكر المؤرّخون فى تاريخ العبوديه انّ بعض المجتمعات التى كانت تدين بالشرائع الخرافيه،كانوا يعاقبون المدين العاجز عن سداد دينه بالعبوديه للمدين.

۱- ۱) يقول الطبرسى فى مجمع البيان-ذيل الآيه-انّ السنّه المتّبعه لدى بعض المجتمعات فى ذلك الزمان هو ان يصير السارق عبدا لمدّه سنه كامله،و ذكر ايضا انّ اسره يعقوب كانت ترى عبوديه السارق بمقدار ما سرق(اى يعمل عندهم بذلك المقدار).

۵-السقایه او الصواع

یلاحظ فی الآیات السابقه انّ اللّه سبحانه و تعالی یعبّر عن الکیل تاره ب(الصواع)و اخری ب(السقایه)،و الظاهر انّهما صفتان لشیء واحد،حیث ورد فی بعض المصادر انّ هذا الصاع کان فی اوّل الأمر کأسا یسقی به الملک،ثمّ حینما عمّ القحط و الغلاء فی مصر و صار الطعام و الحبوب یوزّع علی الناس حسب الحصص،استعمل هذا الکأس الثمین لکیل الطعام و توزیعه،و ذلک إظهارا لاهمیّه الحبوب و ترغیبا للناس فی القناعه و عدم الإسراف فی الطعام.

ثمّ انّ المفسّرین ذکروا أوصافا عدیده لهذا الصاع،حیث قال بعضهم انّها کانت من الفضّه و قال آخرون:انّها کأس ذهبیه،و أضاف آخرون انّ الکأس کان مطعما بالجواهر و الأحجار الکریمه،و قد وردت فی بعض الرّوایات الضعیفه إشاره الی هذه الأمور،لکن لیس لنا دلیل قطعی و صریح علی صحه کلّ هذه المذکورات،الاّ ما قیل من انّ هذا الصاع کان فی یوم من الایّام کأسا یسقی به ملک مصر،ثمّ صار کیلا للطعام، و من البدیهی انّه لا بدّ و ان یکون لهذا الصاع صبغه رمزیه و اعتباریه للدلاله علی اهمیه الطعام و تحریض الناس علی عدم الإسراف فیه،إذ لا یعقل ان یکون الجهاز الذی یوزن به کلّ ما یحتاجه البلد من الطعام و الحبوب،هو مجرّد کأس کان یستعمله الملک فی یوم من الایّام.

و أخیرا فقد مرّ علینا خلال البحث انّ یوسف قد اختیر مشرفا علی خزائن الدوله،و من الطبیعی ان یکون الصاع الملکی الثمین فی حوزته،فحینما حکم علی بنیامین بالعبودیه صار عبدا لمن کان الصاع فی یده(ای یوسف)و هذه هی النتیجه التی کان یوسف قد خطّط لها.

الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ٧٧ الى ٧٩]

اشاره

قٰالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهٰا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَ لَمْ يُبْدِهٰا لَهُمْ قٰالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكٰاناً وَ اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا تَصِفُونَ (٧٧) قٰالُوا يٰا أَيُّهَا اَلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنٰا مَكٰانَهُ إِنّٰا نَرٰاكَ مِنَ اَلْمُحْسِنِينَ (٧٨) قٰالَ مَعٰاذَ اَللّٰهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاّٰ مَنْ وَجَدْنٰا مَتٰاعَنٰا عِنْدَهُ إِنّٰا إِذاً لَظٰالِمُونَ (٧٩)

التّفسير

اشاره

موقف اخوه يوسف:

و أخيرا اقتنع اخوه يوسف بأنّ أخاهم(بنيامين)قد ارتكب فعلا شنيعا و قبيحا و إنّه قد شوّه سمعتهم و خذلهم عند عزيز مصر،فأرادوا ان يبرّئوا أنفسهم و يعيدوا ماء وجههم قالوا: إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ اى انّه لو قام بالسرقه فهذا ليس بأمر عجيب منه فإنّ أخاه يوسف و هو اخوه لأبويه قد ارتكب مثل هذا العمل القبيح،و نحن نختلف عنهما فى النسب،و هكذا أرادوا ان يفصلوا بينهم و بين بنيامين و يربطوه بأخيه يوسف.

و حینما سمع یوسف کلامهم تأثّر بشدّه لکنّه کتم ما فی نفسه فَأَسَرَّهٰا یُوسُفُ فِی نَفْسِهِ وَ لَمْ یُبْدِهٰا لَهُمْ لانّه کان عالما بأنّهم قد افتروا علیه و اتّهموه کذبا، الاّ انّه لم یرد علیهم و قال لهم باختصار و اقتضاب قٰالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَکٰاناً ای انّکم احقر و اشرّ مکانا ممّن تتّهمونه و تنسبون الیه السرقه،او أنتم احقر الناس عندی.

ثمّ أضاف یوسف:انّ اللّه سبحانه و تعالی اعلم بما تنسبون وَ اللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا تَصِفُونَ .

الملاحظ هنا انّه برغم انّ اخوه یوسف افتروا علیه زورا و اتّهموه بالسرقه لکی یبرّئوا أنفسهم،لکن لا بدّ و ان تکون لهذه التّهمه ارضیه قدیمه بحیث تمسّک بها الاخوه فی تلک اللحظه الحرجه.

و من هنا فقد قام المفسّرون بالبحث و التنقیب فی الرّوایات القدیمه و المصادر التاریخیّه،و نقلوا ثلاثه نصوص فی هذا المجال:

الاوّل:انّ یوسف بعد ان توفّیت امّه قضی فتره من طفولته عند عمّته،و قد کانت تکنّ له حبّا عمیقا،و حینما کبر یوسف و أراد یعقوب ان یفصله عنها،لم تر عمّته حیله و وسیله للاحتفاظ بیوسف الاّ بحیله نسائیه و ذلک بأن ربطت علی خاصرته حزاما او شالا ممّا ترکه آل إسحاق،ثمّ ادّعت انّ یوسف أراد سرقتها، فلا بدّ من ان یعاد إلیها یوسف-و طبقا للدستور و السنّه المتّبعه عندهم-عبدا قنا جزاء له.

الثّانی:قیل انّ امراه من أرحام یوسف من امّه یوسف کان لها صنم تعبده، فأخذه یوسف و حطمه و رمی به علی الطریق،فاتّهموه بالسرقه.

الثّالث:قیل انّ یوسف کان یأخذ-أحیانا بعض الطعام من المائده و یتصدّق به علی الفقراء و المساکین،فعلم الاخوه بذلک و اتّهموه بالسرقه.

لکن مثل هذه الأعمال لا تعدّ سرقه،لانّ النّبیه یعرف انّ ربط الحزام علی الشخص دون علمه بأنّه ملک الغیر.او کسر الصنم و رمیه علی الطریق،او أخذ

الطعام من المائده التى بسطها أبوه و يعلم انّه يرضى بالتصدّق ببعضها للفقراء و المساكين،لا يعدّ سرقه و لا يجوز معاقبه من فعله بهذه التّهمه.

و عند ما لاحظ الاخوه أنفسهم محاصرين بين أمرين،فمن جهه و طبقا للسنّه و الدستور المتعيّن عندهما لا بدّ و ان يبقى أخوهم الصغير-بنيامين عند عزيز مصر و يقوم بخدمته كسائر عبيده،و من جهه اخرى فإنّهم قد اعطوا لأبيهم المواثيق و الايمان المغلّظه على ان يحافظوا على أخيهم بنيامين و يعودوا به سالما اليه،حينما وقعوا فى هذه الحاله توجّهوا الى يوسف الذى كان مجهول الهويه عندهم،مخاطبين ايّاه قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ لكى نرجعه الى أبيه و نكون قد وفينا بالوعد الذى قطعناه له،فإنّه شيخ كبير و لا طاقه له بفراق ولده العزيز،فنرجو منك ان تترحّم علينا و على أبيه ف إِنّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ .

امّا يوسف فإنّه قد واجه هذا الطلب بالإنكار الشديد و قَالَ مَعَاذَ اللّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاّ مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ فإنّ العدل و الإنصاف يقتضى ان يكون المعاقب هو السارق،و ليس بريئا رضى بأن يتحمّل أوزار عمل غيره،و لو فعلنا لامسينا من الظالمين إِنّا إِذاً لَظالِمُونَ .

و الطريف انّ يوسف لم ينسب لأخيه السرقه و انّما عبّر عنه ب مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ .و هذا برهان على السلوك الحسن و السيره المستقيمه التى كان ينتهجها يوسف فى حياته.

ص :۲۷۴

الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ٨٠ الى ٨٢]

اشاره

فَلَمَّا اِسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قٰالَ كَبِيرُهُمْ أَ لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبٰاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اَللّٰهِ وَ مِنْ قَبْلُ مٰا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ اَلْأَرْضَ حَتّٰى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اَللّٰهُ لِي وَ هُوَ خَيْرُ اَلْحٰاكِمِينَ (٨٠) اِرْجِعُوا إِلىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يٰا أَبٰانٰا إِنَّ اِبْنَكَ سَرَقَ وَ مٰا شَهِدْنٰا إِلاّٰ بِمٰا عَلِمْنٰا وَ مٰا كُنّٰا لِلْغَيْبِ حٰافِظِينَ (٨١) وَ سْئَلِ اَلْقَرْيَةَ اَلَّتِي كُنّٰا فِيهٰا وَ اَلْعِيرَ اَلَّتِي أَقْبَلْنٰا فِيهٰا وَ إِنّٰا لَصٰادِقُونَ (٨٢)

التّفسير

اشاره

رجوع الاخوه الى أبيهم خائبين:

حاول الاخوه ان يستنقذوا أخاهم بنيامين بشتّى الطرق،إلاّ انّهم فشلوا فى ذلك،و رأوا انّ جميع سبل النجاه قد سدّت فى وجوههم،فبعد ان فشلوا فى تبرئه أخيهم و بعد ان رفض العزيز استعباد أحدهم بدل بنيامين،استولى عليهم اليأس و صمّموا على الرجوع و العوده الى كنعان لكى يخبروا أباهم،يقول القرآن واصفا

ص: ٢٧٥

ایّـاهم فَلَمّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ای انّهم بعـد ان یئسوا من عزیز مصـر او من انقاذ أخیهم،ابتعـدوا عن الآخرین و اجتمعوا فی جانب و بداوا بالتشاور و النجوی فیما بینهم.

قوله تعـالی(خلصوا)بمعنی الخلوص،و هو کنایه عن الابتعاد عن الآخرین و الاجتماع فی جلسه خاصّه،امّا قوله تعالی«نجیّا»فهو من مـادّه(المناجـاه) و أصـله من(نجـوه)بمعنی الربـوه و الأـرض المرتفعه،فباعتبـار انّ الربـوات منعزله عن اراضـیها المجـاوره،سـمّیت الجلسـات الخـاصّه البعیـده عن عیون الغربـاء و الحـدیث فی السـرّ قیاسا علیها ب(النجوی)فإذا کلمه(النجوی)تطلق علی الحـدیث السرّی و الخاص سواء کانت فی جلسه خصوصیه او فی محاوره خاصّه بین اثنین لا یتعدّی سمعهما.

ذهب کثیر من المفسّـرین الی انّ جمله خَلَصُوا نَجِيًّا تعدّ من افصح العبارات فی القرآن و أجملها حیث انّ اللّه سبحانه و تعالی قد بیّن فی کلمتین أمورا کثیره یحتاج بیانها الی عدّه جمل.

و فی ذلک الاجتماع الخاص خاطبهم الأخ الکبیر قائلا: قالَ كَبِيرُهُمْ أَ لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَباكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللّهِ بأن تردّوا الیه بنیـامین سالمـا، فالآـن بمـاذا تجیبونه؟و قـد سوّدنا صـفحتنا فی المرّه السابقه بما عاملنا به أخانا یوسف وَ مِنْ قَبْلُ ما فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ (۱) فالآـن و الحـاله هکـذا-فإنّنی لا اغادر ارض مصـر و سوف اعتصم فیها فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللّهُ لِي وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ و الظـاهر انّ قصـده بحکم اللّه،امّـا الموت الـذی هو حکم الهی،ای لاـ أبرح من هـذه الأـرض حتّی أموت فیها،و امّا ان یفتح اللّه سبحانه و تعالی له سبیلا للنجاه،او عذرا مقبولا عند أبیه.

۱- ۱) (فرّطتم)من مـادّه تفریـط و أصـله من(فروط)علی وزن شـروط،و معنـاه التقـدّم،و لکن حینما یکون من باب التفعیل یأخذ معنی القصور فی التقدّم،و حینما یکون من باب الأفعال(افراط)یأخذ معنی الإسراف فی التقدّم و التجاوز عنه.

ثمّ أمرهم الأخ الأكبر ان يرجعوا الى أبيهم و يخبروه بما جرى عليهم اِرْجِعُوا إِلى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يا أَبانا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ و هذه شهاده نشهدها بمقدار علمنا عن الواقعه حيث سمعنا بفقد صواع الملك،ثمّ عثر عليه عند أخينا،و ظهر للجميع انّه قد سرقها وَ ما شَهِدْنا إِلاّ بِما عَلِمْنا و لكن نحن لا نعلم الاّ ما شهدناه بأعيننا و هذا غايه معرفتنا وَ ما كُنّا لِلْغَيْبِ حافِظِينَ .

و قد يرد احتمال فى تفسير هذه الآيه،فلعلّهم بقولهم: وَ ما كُنّا لِلْغَيْبِ...

أرادوا ان يخاطبوا أباهم بأنّنا و ان قطعنا عند الايمان و العهود المغلّظه على ان نرجع أخانا سالما،لكنّنا لا نعرف من الأمور الاّ ظواهرها و من الحقائق الاّ بعضها،فغيب الأمور عند اللّه سبحانه و لم نكن نتصوّر ان يسرق أخونا.

ثمّ أرادوا ان يزيلوا الشكّ و الريبه عن قلب أبيهم فقالوا يمكنك ان تتحقّق و تسأل من المدينه التى كنّا فيها وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِى كُنّا فِيها (۱) و من القافله التى سافرنا معها الى مصر و رجعنا معها،حيث انّ فيها أناسا يعرفونك و تعرفهم، و بمقدورك ان تسألهم عن حقيقه الحال و واقعها وَ الْعِيرَ الَّتِى أَقْبَلْنا فِيها (۲) و فى كلّ الأحوال كن على ثقه بأنّنا صادقون و لم نقص عليك سوى الحقيقه و الواقع وَ إِنّا لَصادِقُونَ .

يستفاد من مجموع هذه الكلمات و الحوار الذى دار بين الأولاد و الأب انّ قضيّه سرقه بنيامين كانت قد شاعت فى مصر،و انّ جميع الناس علموا بأنّ احد افراد العير و القافله القادمه من كنعان حاول سرقه صواع الملك،لكن موظفى الملك تمكّنوا بيقظتهم من العثور عليها و القبض على سارقها،و لعلّ قول الاخوه

---

۱ – ۱) (القريه)لا تطلق عند العرب على القرى و الأرياف خاصّه،بل يشمل جميع الأرياف و المدن و القرى،الصغيره منها و الكبيره–و المقصود منها فى الآيه هى مصر.

۲ – ۲) «عير»كما يقول الراغب فى المفردات–تعنى الجماعه التى تصحب معها الإبل و الدواب المحمّله بالغذاء،اى يطلق على المجموع«عير»فعلى هذا يكون السؤال منهم ممكنا لانّ الكلمه تشمل الأشخاص ايضا و لا حاجه للتقدير،و لكن بعض المفسّرين ذهب الى انّ«العير»يطلق على الدواب فقط فلا بدّ من التقدير كما هو الحال فى«القريه».

لأبيهم وَ سْئَلِ الْقَرْيَهَ... اى اسأل ارض مصر،كنايه عن انّ القضيّه شاعت بحيث علم بها حتّى أراضى مصر و حيطانها.

بحوث

اشاره

۱-من هو اكبر الاخوه

؟ ذهب بعض المفسّرين الى انّه كان روبين(روبيل)و قال آخرون:انّه (شمعون)و احتمل البعض ان يكون أكبرهم هو(يهودا).

و حصل نقاش آخر بين المفسّرين فى انّه ما المقصود من الكبر،هل هو فى العمر ام فى العقل؟لكن المستفاد من ظاهر الآيه انّ المقصود به هو اكبر الاخوه فى العمر.

۲-الحكم وفق الدلائل الظاهره:

و يستفاد من مدلول الآيه الشريفه انّه يحقّ للقاضى و الحاكم ان يحكم فى الواقعه المرفوعه اليه على ما يستفيده من القرائن و الشواهد القطعيّه،و ان يقرّ المتّهم او يشهد الشهود عنده،لانّنا لاحظنا فى قضيّه اخوه يوسف انّه بمجرّد ان عثر على الصاع فى متاع بنيامين عدّ مذنبا و حكم عليه بالسرقه من دون شهاده او اقرار،لانّنا حينما نتحرّى عن القضيّه نرى انّ كلّ شخص كان مسئولا عن حمل متاعه من الحبوب بنفسه،او انّه كان حاضرا على الأقل عند تحميل العمال لمتاعه،و من جهه اخرى لم يكن يتصوّر احد انّ هناك خطّه فى البين،و هؤلاء الاخوه لم يعاديهم احد فى مصر،فجميع القرائن و الشواهد تورث اليقين بأنّ هذا الفعل(السرقه)قد صدر عمّن وجد عنده الصاع.

و هذا الموضوع بحاجه الى دراسه عميقه فى الفقه الاسلامى لتأثيره المهمّ

ص :۲۷۸

فی قضایانا المعاصره لانّ عالم الیوم یعتمد علیه کثیرا فی محاکماته،لکنّنا ترکنا هذا المبحث لانّ مجاله کتاب(القضاء).

۳-یستفاد من الآیات السابقه انّ اخوه یوسف کانت طبائعهم مختلفه،امّا الأخ الأکبر فإنّه کان وفیّا بمیثاقه و حافظا لوعده الذی واعد به أباه،امّا بقیّه الاخوه فإنّهم بعد ان شاهدوا فشل جمیع محاولاتهم فی اقناع العزیز،تراجعوا عن موقفهم و عدّوا أنفسهم معذورین،و من الطبیعی انّ ما قام به الأخ الأکبر کان هو الأسلوب المجدی و الصحیح،لانّه ببقائه فی مصر و الاعتصام بها و علی مقربه من بلاط العزیز و قصره کان باعثا للامل فی ان یترحّم العزیز علی الاخوه و علی أبیهم الشّیخ الکبیر،و یعفو عن هذا الغریب و لا یجازیه من اجل صاع سرقه ثمّ عثر علیه العمّال،فعلی هذا و املا فی استجداء عطف العزیز،بقی فی مصر و بعث بإخوته الی أبیهم فی کنعان لیبلغوه الخبر و یطلبوا منه ان یدلّهم علی الطریق الصحیح لانقاذ أخیهم.

ص :۲۷۹

الآیات [سوره یوسف (١٢)]: الآیات ٨٣ الی ٨٦

اشاره

قٰالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَکُمْ أَنْفُسُکُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِیلٌ عَسَی اَللّٰهُ أَنْ یَأْتِیَنِی بِهِمْ جَمِیعاً إِنَّهُ هُوَ اَلْعَلِیمُ اَلْحَکِیمُ (٨٣) وَ تَوَلّٰی عَنْهُمْ وَ قٰالَ یٰا أَسَفیٰ عَلیٰ یُوسُفَ وَ اِبْیَضَّتْ عَیْنٰاهُ مِنَ اَلْحُزْنِ فَهُوَ کَظِیمٌ (٨۴) قٰالُوا تَاللّٰهِ تَفْتَؤُا تَذْکُرُ یُوسُفَ حَتّٰی تَکُونَ حَرَضاً أَوْ تَکُونَ مِنَ اَلْهٰالِکِینَ (٨۵) قٰالَ إِنَّمٰا أَشْکُوا بَثِّی وَ حُزْنِی إِلَی اَللّٰهِ وَ أَعْلَمُ مِنَ اَللّٰهِ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ (٨۶)

التّفسیر

اشاره

یعقوب و الألطاف الالهیه:

و أخیرا غادروا مصر متّجهین الی کنعان فی حین تخلّف أخواهم الکبیر و الصغیر،و وصلوا الی بیتهم منهوکی القوی و ذهبوا لمقابله أبیهم،و حینما رای الأب الحزن و الألم مستولیا علی وجوههم(خلافا للسفره السابقه و التی کانوا فیها فی غایه الفرح)علم انّهم یحملون الیه اخبارا محزنه و خاصّه حینما افتقد بینهم بنیامین و أخاه الأکبر،و حینما اخبروه عن الواقعه بالتفصیل،استولی علیه

ص: ٢٨٠

الغضب و قـال مخاطبـا ايّاهم بنفس العباره التى خاطبهم بها حينما أرادوا ان يشـرحوا له خـديعتهم مع يوسف قٰالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً اى انّ أهواءكم الشيطانيه هى التى استولت عليكم و زيّنت لكم الأمر بهذه الصوره التى أنتم تصفونه.

السؤال الـذى يطرح نفسه هنـا،هو انّ يعقوب هـل اكتفى فى نسبه الكـذب و اتّبـاع الهوى لأولاـده اسـتنادا الى مـا فعلوه فى المرّه السـابقه مع يوسف من سوء الفعـل و الحنث بـاليمين و العهـد،مع انّ مثل هـذا الظنّ و القول و اتّهام الآخرين لمجرّد تجربه سابقه بعيـد عن سـيره عامّه الناس فضـلا عن يعقوب الذى هو نبى معصوم، و على الخصوص إذا اسـتند المدّعى فى دعواه على وثائق و مستندات تثبت دعواه،كما انّ طريق الفحص و التحقيق عن واقع الحال كان مفتوحا ليعقوب.

او كان يعقوب يقصد بقوله:(بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ ...الى آخر)الاشاره الى امور اخرى،منها:

١-لعلّه عتاب لأولاده لخضوعهم امام الأمر الواقع و تسـليمهم لحكم العزيز بمجرّد عثور الصاع عند أخيهم،مع انّ العثور بمفرده لا يعدّ دليلا منطقيّا على السرقه.

٢-و لعلّه عتـاب لأولاده لما بيّنوه للعزيز من انّ عقوبه السارق عنـدهم هو اسـتعباده مع انّ هـذه السـنّه السائره فى اهل كنعان سـنّه باطله و لا تعدّ قانونا سماويا(هذا ان قلنا انّ هذه السنّه لم تكن مأخوذه من شريعه يعقوب كما ذهب اليه بعض المفسّرين).

٣-و أخيرا لعلّه عتـاب لأولاـده على اسـتعجالهم فى الخضوع لأحكام العزيز و خلق المعاذير و المبرّرات و الرجوع مسـتعجلين الى كنعان دون الاقتداء بأخيهم الكبير فى البقاء بمصر برغم العهود و المواثيق المغلّظه التى قطعوها مع أبيهم (١) .

ص :٢٨١

١- ١) احتمل بعض المفسّرين انّ هذه الآيه لعلّها اشاره الى قصّه يوسف،لكنّه بعيد عن الواقع،لانّ الآيات السابقه لا

لكن بعد هذا العتاب الملىء بالحزن و الاسى رجع يعقوب الى قراره نفسه و قال: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ اى انّنى سوف امسك بزمام نفسى،و لا اسمح لها بأن تطغى علىّ بل اصبر صبرا جميلا على امل بأنّ اللّه سبحانه و تعالى سوف يعيد لى اولادى(يوسف و بنيامين و أخوهم الأكبر) عَسَى اللّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً فإنّه هو العالم بواقع الأمور و الخبير بحوادث العالم ما مضى منها و ما سوف يأتى،و لا يفعل الاّ عن حكمه و تدبير إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ .

ثمّ بعد هذه المحاورات بين يعقوب و أولاده،استولى عليه الحزن و الألم، و حينما رأى مكان بنيامين خاليا عادت ذكريات ولده العزيز يوسف إلى ذهنه، و تذكّر تلك الايّام الجميله التى كان يحتضن فيها ولده الجميل ذا الأخلاق الفاضله و الصفات الحسنه و الذكاء العالى فيشمّ رائحته الطيّبه و يستعيد نشاطه،امّا اليوم فلم يبق منه اثر و لا عن حياته خبر،كما أنّ خليفته(بنيامين)ايضا قد ابتلى مثل يوسف بحادث مؤلم و ذهب الى مصير مجهول لا تعرف عاقبته.

حينما تذكّر يعقوب هذه الأمور ابتعد عن أولاده و استعبر ليوسف وَ تَوَلّى عَنْهُمْ وَ قالَ يا أَسَفى عَلى يُوسُفَ امّا الاخوه فإنّهم حينما سمعوا باسم يوسف، ظهر على جبينهم عرق الندامه و ازداد خجلهم و استولى عليهم الحزن لمصير اخويهم بنيامين و يوسف،و اشتدّ حزن يعقوب و بكاؤه على المصائب المتكرّره و فقد اعزّ أولاده وَ ابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ لكن يعقوب كان-فى جميع الأحوال مسيطرا على حزنه و يخفّف من آلامه و يكظم غيظه و ان لا يتفوّه بما لا يرضى به اللّه سبحان و تعالى فَهُوَ كَظِيمٌ .

يفهم من هذه الآيات انّ يعقوب لم يكن فاقدا لبصره،لكنّ المصائب الاخيره و شدّه حزنه و دوام بكائه افقده بصره،و كما أشرنا سابقا فإنّ هذا الحزن و الألم و العمى كان خارجا عن قدرته و اختياره،فإذا لا يتنافى مع الصبر الجميل.

(۱)

تبحث عن قضيّه يوسف و فراقه عن أبويه.

امّا الاخوه فكانوا متألّمين من جميع ما جرى لهم،فمن جهه كان عذاب الوجدان لا يتركهم ممّا أحدثوه ليوسف،-و فی قضيّه بنيامين-شاهدوا أنفسهم فی وضع صعب و امتحان جديد،و من جهه ثالثه كان يصعب عليهم ان يشاهدوا أباهم يتجرّع غصص المراره و الألم و يواصل بكاؤه الليل بالنهار،توجّهوا الی أبيهم و خاطبوه معاتبين قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتّٰی تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهٰالِكِينَ (۱) ای انّک تردّد ذكر يوسف و تتأسّف عليه حتّی تتمرّض و تشرف علی الهلاک و تموت.

لكنّ شيخ كنعان هذا النّبی العظيم و المتيقّظ الضمير ردّ عليهم بقوله: إِنَّمٰا أَشْكُوا بَثِّی وَ حُزْنِی إِلَی اللّٰهِ (۲) لا إليكم،أنتم الذين تخونون الوعد و تنكثون العهد لانّنی وَ أَعْلَمُ مِنَ اللّٰهِ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ فهو اللطيف الكريم الذی لا اطلب سواه.

۱- ۱) (حرض)علی وزن مرض بمعنی الشیء الفاسد و المؤلم،و المقصود منه هنا هو المريض الذی ضعف جسمه و صار مشرفا علی الموت.

۲- ۲) (بثّ)بمعنی التفرقه و الشیء الذی لا يمكن إخفاؤه،و المقصود منه هنا هو الألم و الحزن الظاهر الذی لا يخفی علی احد.

الآیات [سوره یوسف (۱۲): الآیات ۸۷ الی ۹۳]

اشاره

یا بَنِیَّ اِذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ یُوسُفَ وَ أَخِیهِ وَ لاٰ تَیْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اَللّٰهِ إِنَّهُ لاٰ یَیْأَسُ مِنْ رَوْحِ اَللّٰهِ إِلاَّ اَلْقَوْمُ اَلْکٰافِرُونَ (۸۷) فَلَمّٰا دَخَلُوا عَلَیْهِ قٰالُوا یٰا أَیُّهَا اَلْعَزِیزُ مَسَّنٰا وَ أَهْلَنَا اَلضُّرُّ وَ جِئْنٰا بِبِضٰاعَهٍ مُزْجٰاهٍ فَأَوْفِ لَنَا اَلْکَیْلَ وَ تَصَدَّقْ عَلَیْنٰا إِنَّ اَللّٰهَ یَجْزِی اَلْمُتَصَدِّقِینَ (۸۸) قٰالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مٰا فَعَلْتُمْ بِیُوسُفَ وَ أَخِیهِ إِذْ أَنْتُمْ جٰاهِلُونَ (۸۹) قٰالُوا أَ إِنَّکَ لَأَنْتَ یُوسُفُ قٰالَ أَنَا یُوسُفُ وَ هٰذٰا أَخِی قَدْ مَنَّ اَللّٰهُ عَلَیْنٰا إِنَّهُ مَنْ یَتَّقِ وَ یَصْبِرْ فَإِنَّ اَللّٰهَ لاٰ یُضِیعُ أَجْرَ اَلْمُحْسِنِینَ (۹۰) قٰالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ آثَرَکَ اَللّٰهُ عَلَیْنٰا وَ إِنْ کُنّٰا لَخٰاطِئِینَ (۹۱) قٰالَ لاٰ تَثْرِیبَ عَلَیْکُمُ اَلْیَوْمَ یَغْفِرُ اَللّٰهُ لَکُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ اَلرّٰاحِمِینَ (۹۲) اِذْهَبُوا بِقَمِیصِی هٰذٰا فَأَلْقُوهُ عَلیٰ وَجْهِ أَبِی یَأْتِ بَصِیراً وَ أْتُونِی بِأَهْلِکُمْ أَجْمَعِینَ (۹۳)

التّفسیر

اشاره

الیأس علامه الکفر

! کان القحط و الغلاء و شحّه الطعام یشتدّ یوما بعد آخر فی مصر و ما حولها

ص :۲۸۴

و منهـا كنعان،و مرّه اخرى امر يعقوب أولاده بأن يتّجهوا صوب مصـر للحصول على الطعام،لكنّه هـذه المرّه طلب منهم بالـدرجه الاولى ان يبحثوا عن يوسف و أخيه بنيامين،حيث قال لهم: يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَ أَخِيهِ .

لكن بمـا انّ أولاـد يعقوب كـانوا مطمئنين الى هلاـك يوسف و عـدم بقاءه، تعجّبوا من توصـيه أبيهم و تأكيـده على ذلك،لكن يعقوب نهاهم عن اليأس و القنوط و وصّاهم بالاعتماد على اللّه سبحانه و الاتّكال عليه بقوله: وَ لاَ تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللّهِ فإنّه القادر على حلّ الصعاب و إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ .

(تحسّـس)أصله من(حس)بمعنى البحث عن الشىء المفقود بأحد الحواس، و هنا بحث بين اللغويين و المفسّرين فى الفرق بينه و بين(تجسّـس)و قد نقل عن ابن عبّاس انّ التحسّـس هو البحث عن الخير،و التجسّس هو البحث عن الشرّ، لكن ذهب آخرون الى انّ التحسّس هو السعى فى معرفه سيره الأشخاص و الأقوام دون التجسّس الذى هو البحث لمعرفه العيوب.

و هنـا رأى ثـالث فى انّهمـا متّحـدان فى المعنى،الاّـ انّ ملاـحظه الحـديث الوارد بقوله:«لاـ تجسّـسوا و لا تحسّـسوا»يثبت لنا انّهما مختلفان و انّ ما ذهب اليه ابن عبّاس فى الفرق بينهما هو الأوفق بسـياق الآيات المذكوره،و لعلّ المقصود منهما فى هذا الحديث الشريف:لا تبحثوا عن امور الناس و قضاياهم سواء كانت شرّا ام خيرا.

قوله تعالى«روح»بمعنى الرحمه و الراحه و الفرج و الخلاص من الشدّه.

يقول الراغب الاصفهانى فى مفرداته«الرّوح و الرّوح فى الأصل واحد

و جعل الروح اسما للنّفس...و الرّوح التنفّس و قد أراح الإنسان إذا تنفّس...).

و أخيرا جمع الاخوه متاعهم و توجّهوا صوب مصر،و هذه هی المرّه الثّالثه التی یدخلون فیها ارض مصر،هذه الأرض التی سبّبت لهم المشاکل و جرّت علیهم الویلات.

لکن فی هذه السفره-خلافا للسفرتین السابقتین-کانوا یشعرون بشیء من الخجل یعذّب ضمائرهم فإنّ سمعتهم عند اهل مصر او العزیز ملوّثه للوصمه التی لصقت بهم فی المرّه السابقه،و لعلّهم کانوا یرونهم بمثابه(مجموعه من لصوص کنعان)الذین جاؤوا للسرقه.و من جهه اخری لم یحملوا معهم هذه المرّه من المتاع ما یستحقّ ان یعاوضوه بالطعام و الحبوب،اضافه الی هذه الأمور فإنّ فقد أخیهم بنیامین و الآلام التی المّت بأبیهم کانت تزید من قلقهم و بتعبیر آخر فإنّ السکین قد وصلت الی العظم،کما یقول المثل الاّ انّ الذی کان یبعث فی نفوسهم الأمل و یعطیهم القدره علی تحمّل الصعاب هو وصیّه أبیهم لاٰ تَیْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللّٰهِ .

و أخیرا استطاعوا ان یقابلوا یوسف،فخاطبوه-و هم فی غایه الشدّه و الألم- بقولهم: فَلَمّٰا دَخَلُوا عَلَیْهِ قٰالُوا یٰا أَیُّهَا الْعَزِیزُ مَسَّنٰا وَ أَهْلَنَا الضُّرُّ ای انّ القحط و الغلاء و الشدّه قد المّت بنا و بعائلتنا و لم نحمل معنا من کنعان إلاّ متاعا رخیصا وَ جِئْنٰا بِبِضٰاعَهٍ مُزْجٰاهٍ (1) لا قیمه لها و لکن-فی کلّ الأحوال-نعتمد علی ما تبذل لنا من کرمک و نأمل فی معروفک فَأَوْفِ لَنَا الْکَیْلَ بمنّک الکریم و صدقاتک الوافره وَ تَصَدَّقْ عَلَیْنٰا و لا تطلب منّا الأجر،بل اطلبه من اللّه سبحانه و تعالی حیث إِنَّ اللّٰهَ یَجْزِی الْمُتَصَدِّقِینَ .

1- 1) (البضاعه)أصلها(البضع)علی وزن جزء،و هی بمعنی القطعه من اللحم المقطوعه من الجسم،کما یطلق علی جزء من المال الذی یقتطع منه ثمنا لشیء(مزجاه)من(الإزجاء)بمعنی الدفع،و بما انّ الشیء التافه و القلیل الثمن یدفعه الآخذ عن نفسه،اطلق علیه(مزجاه).

و الطريف انّ اخوه يوسف لم ينفـذوا وصيّه أبيهم فى البحث عن إخوتهم اوّلاـ بـل حـاولوا الحصول على الطعام،و لأجل ذلك قابلوا العزيز و طلبوا منه المؤن و الحبوب،و لعلّ السـبب فى ذلك ضـعف أملهم فى العثور على يوسف،او لعلّهم أرادوا ان يظهروا أنفسـهم امام العزيز و المصـريين و كأنّهم أناس جاؤوا لشراء الطعام و الحبوب فقط،فمن ثمّ يطرحوا مشكلتهم امام العزيز و يطلبوا منه المساعده،فعند ذاك يكون وقع الطلب أقوى و احتمال تنفيذه اكثر.

قال بعض المفسّـرين:انّ مقصود الاخوه من قولهم: تَصَدَّقْ عَلَيْنا كان طلب الإفراج عن أخيهم لانّهم لم يطلبوا من العزيز الطعام و الحبوب مجّانا دون عوض حتّى يطلبوا منه التصدّق عليهم،فإنّهم يدفعون ثمنه.

و نقرا فى روايـات وردت فى هـذا المقام،انّ الاخوه كانوا يحملون معهم رساله من أبيهم الى عزيز مصـر،حيث مـدح يعقوب فى تلك الرساله عزيز مصـر و اكبر عدالته و صـلاحه و شـكره على ما بذله له و لعائلته من الطعام و الحبوب،ثمّ عرّف نفسه و الأنبياء مـن اهـل بيتـه و أخـبره برزايـاه و مـا تحملـه من المصـائب و المصـاعب من فقـده اعزّ أولاـده و احبّهم الى نفسه يوسـف و أخيه بنيـامين،و مـا أصابهم من القحط و الغلاء،و فى ختام الرساله طلب من العزيز ان يمنّ عليه و يطلق سـراح ولـده بنيامين،و ذكّره انّ بنيامين سليل بيت النبوّه و الرساله و انّه لا يتلوّث بالسرقه و غيرها من الدناءات و المعاصى.

و حينمـا قـدّم الأولاـد رساله أبيهم الى العزيز شاهـدوا انّه فضّ الرساله باحترام و قبلها و وضـعها على عينيه و بـدا يبكى بحيث انّ الدموع بلّت ثيابه (۱) (و هذا ما حيّر الاخوه،و بداوا يفكّرون بعلاقه العزيز مع أبيهم بحيث جعله يبكى شوقا و شغفا حينما فتحها،و لعلّ فعل العزيز اثار عندهم احتمال ان يكون يوسف هو العزيز،و لعلّ هذه الرساله أثارت عواطف العزيز و شـعوره بحيث لم يطق صبرا

۱- ۱) مجمع البيان،ذيل الآيه الشريفه.

و عجز عن ان يخفى نفسه بغطاء السلطه و أجبره على كشف نفسه لإخوته).

و فى تلك اللحظه،و بعد ان مضت ايّام الامتحان الصعب-و كان قد اشتدت محنه الفراق على يوسف و ظهرت عليه آثار الكآبه و الهمّ،أراد ان يعرّف نفسه لإخوته فابتدرهم بقوله: هَلْ عَلِمْتُمْ مٰا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جٰاهِلُونَ .

لاحظوا عظمه يوسف و علوّ نفسه حيث يسألهم اوّلا عن ذنبهم لكن بهذه الكنايه اللطيفه يقول: مٰا فَعَلْتُمْ و ثانيا يبيّن لهم طريقه الاعتذار و انّ ما ارتكبوه فى حقّ إخوتهم انّما صدر عن جهلهم و غرورهم،و انّه قد مضى ايّام الصبى و الطفوله و هم الآن فى دور الكمال و العقل! كما انّه يفهم من الآيه الشريفه انّ يوسف لم يكن وحده الذى ابتلى بإخوته و معاملتهم السيّئه،بل انّ بنيامين ايضا كان يقاسى منهم ألوان العذاب،و لعلّه قد شرح لأخيه يوسف فى الفتره التى قضاها فى مصر،جانبا ممّا عاناه تحت أيديهم، و يستفاد من بعض الرّوايات انّ يوسف حينما استفسر عمّا فعلوه معه و مع أخيه ختم استفساره بابتسامه عريضه ليدفع عن أذهانهم احتمال انّه سوف ينتقم منهم فظهرت لإخوته أسنانه الجميله و لاحظوا و تذكّروا الشبه بينه و بين أسنان أخيهم يوسف (1) .

امّا هم،فإنّهم حينما لاحظوا هذه الأمور مجتمعه،و شاهدوا انّ العزيز يتحدّث معهم و يستفسرهم عمّا فعلوه بيوسف،تلك الأعمال التى لم يكن يعلمها احد غيرهم الاّ يوسف.

و من جهه اخرى ادهشهم يوسف و ما اصابه من الوجد و الهياج حينما استلم كتاب يعقوب،و احسّوا بعلاقه وثيقه بينه و بين صاحب الرساله.

و ثالثا كلّما أمعنوا النظر فى وجه العزيز و دقّقوا فى ملامحه،لاحظوا الشبه الكبير بينه و بين أخيهم يوسف..لكنّهم فى نفس الوقت لم يدر بخلدهم و لم

1- 1) مجمع البيان فى ذيل الآيه الشريفه.

یتصوّروا انّه یمکن ان یکون أخوهم یوسف قد ارتقی منصب الوزاره و صار عزیزا لمصر،این یوسف و این الوزاره و العزّه؟!لکنّهم تجرّأوا أخیرا و سألوه مستفسرین منه قالُوا أَ إِنَّکَ لَأَنْتَ یُوسُفُ .

کانت هذه الدقائق أصعب اللحظات علی الاخوه،حیث لم یکونوا یعرفون محتوی اجابه العزیز!و انّه هل یرفع الستار و یظهر لهم حقیقته،ام انّه سوف یعتقد بأنّهم مجانین حیث ظنّوا هذا الظنّ.

کانت اللحظات تمرّ بسرعه و الانتظار الطویل یثقل علی قلوبهم فیزید فی قلقهم،لکن یوسف لم یدع اخوته یطول بهم الانتظار و رفع الحجاب بینه و بینهم و اظهر لهم حقیقه نفسه و قالَ أَنَا یُوسُفُ وَ هذا أَخِی لکن لکی یشکر اللّه سبحانه و تعالی علی ما أنعمه من جمیع هذه المواهب و النعم،و لکی یعلّم اخوته درسا آخر من دروس المعرفه قال:إنّه قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَیْنا إِنَّهُ مَنْ یَتَّقِ وَ یَصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لا یُضِیعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِینَ .

لا یعرف احد کیف مرّت هذه اللحظات الحسّاسه علی الاخوه کما لا یعرف احد مدی انفعالهم و ما خامرهم من السرور و الفرح و کیف تعانقوا و احتضنوا أخاهم و الدموع الغزیره التی ذرفوها و ذلک حینما التقوا بأخیهم و بعد عشرات السنین من الفراق،لکنّهم فی کلّ الأحوال کانوا لا یطیقون النظر إلی وجه أخیهم یوسف لعلمهم بالذنب و الجریمه التی اقترفوها فی حقّه، فترقّبوا اجابه یوسف و انّه هل یغفر لهم إساءتهم الیه و یعفو عن جریمتهم ام لا؟فابتدءوا مستفسرین بقولهم: قالُوا تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَکَ اللّهُ عَلَیْنا (۱) ای انّ اللّه سبحانه و تعالی قد فضّلک علینا بالعلم و الحلم و الحکومه وَ إِنْ کُنّا لَخاطِئِینَ (۲) .

ص: ۲۸۹

۱- ۱) (آثرک)أصله من(الإیثار)و فی الأصل بمعنی البحث عن اثر الشیء،و بما انّه یقال للفضل و الخیر:اثر،فقد استعملت هذه الکلمه للدلاله علی الفضیله و العلو،فبناء علی هذا یکون معنی قوله آثَرَکَ اللّهُ عَلَیْنا ای انّ اللّه سبحانه و تعالی قد أکرمک و فضّلک علینا لما قمت به من الأعمال الخیّره.

۲- ۲) یری الفخر الرازی فی تفسیره انّ الفرق بین الخاطئ و المخطئ هو انّ الخاطئ یقال لمن تعمّد الخطأ،و المخطئ لمن

امّا يوسف الذى كانت نفسه تأبى ان يرى اخوته فى حال الخجل و النـدامه- خاصّه فى هـذه اللحظات الحسّاسه و بعد انتصاره عليهم-او لعلّه أراد ان يـدفع عن أذهانهم ما قـد يتبادر إليها من احتمال ان ينتقم منهم،فخاطبهم بقوله: قٰالَ لاٰ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ (۱) اى انّ العتاب و العقاب مرفوع عنكم اليوم،اطمئنوا و كونوا مرتاحى الضـمير و لا تجعلوا للآلام و المصائب السابقه منفـذا الى نفوسكم، ثمّ لكى يبيّن لهم انّه ليس وحده الذى أسقط حقّه و عفا عنهم،بل إنّ اللّه سبحانه و تعالى ايضا عفا عنهم حينما أظهروا النـدامه و الخجل قال لهم: يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرّٰاحِمِينَ اى انّ اللّه سبحانه و تعالى قـد قبل توبتكم و عفا عنكم لانّه ارحم الراحمين.

و هـذا دليـل على علو قـدر يوسف و غـايه فضـله حيث انّه لم يعف عن سيّئات اخوته فحسب،بـل رفض حتّى ان يوبّخ و يعاتب اخوته-فضلا عن ان يجازيهم و يعاقبهم-اضافه الى هـذا فإنّه طمأنهم على انّ اللّه سبحانه و تعالى رحيم غفور و انّه تعالى سوف يعفو عن سيّئاتهم،و استدلّ لهم على ذلك بأنّ اللّه سبحانه و تعالى هو ارحم الراحمين.

و هنا تذكر الاخوه مصيبه اخرى قد المّت بعائلتهم و الشاهد الحى على ما اقترفوه فى حقّ أخيهم الا و هو أبوهم حيث فقد الشيخ الكبير بصره حزنا و فراقا على يوسف،امّا يوسف فإنّه قد وجد لهذه المشكله حلا حيث خاطبهم بقوله:

اِذْهَبُوا بِقَمِيصِى هٰذٰا فَأَلْقُوهُ عَلىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيراً

ثمّ طلب منهم ان يجمعوا العائله و يأتوا بهم جميعا وَ أْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ .

۲)

اخطأ عن سهو.

۱- ۱) «تثريب»أصله من مادّه(ثرب)و هو شحمه رقيقه تغطّى المعده و الأمعاء،و التثريب بمعنى رفع هذا الغطاء،ثمّ بمعنى العتاب و الملامه فكان المعاقب قد رفع بعتابه غطاء الذنب عن وجه المذنب(راجع القاموس و مفردات الراغب و تفسير الرازى و روح المعانى).

بحوث

اشاره

۱-من الذی حمل قمیص یوسف

؟ ورد فی بعض الرّوایات انّ یوسف قال:انّ الذی یحمل قمیصی المشافی الی أبی لا بدّ و ان یکون هو نفسه الذی حمل قمیصی الملطّخ بالدماء الیه،لکی یدخل السرور علی قلبه بعد ان ملا قلبه حزنا و ألما من قبل!فأعطی ل(یهودا)قمیصه بعد ان اعترف له انّه هو الذی حمل قمیصه الملطّخ بالدماء الی أبیه و أخبره بأنّ الذئب قد أکل یوسف،و هذا التصرّف من یوسف ان لم یدلّ علی شیء فإنّه یدلّ علی انّه برغم اعماله الکثیره و متاعبه الیومیّه،فإنّه لم یغفل عن صغائر الأمور المتعلّقه بالسلوک الاخلاقی (۱) .

۲-یوسف و جلاله شأنه:

ورد فی بعض الرّوایات انّ اخوه یوسف-بعد هذه القضایا-کانوا یحسّون بالخجل الشدید فأرسلوا الیه من یقول له:یا یوسف انّک تستضیفنا کلّ یوم صباحا و مساء-علی مائدتک فنأکل من زادک و هذا ما یزید فی خجلنا حیث لا نطیق النظر الی وجهک بعد ان نتذکّر اساءتنا إلیک،فأجابهم بکلمه لطیفه لیبعد عنهم الخجل بأنّ الفضل یعود إلیهم،و انّ جلوسهم علی مائدته لهو مکرمه منهم و انّ الشعب المصری کانوا ینظرون الیّ نظره الحرّ الی العبد و یقولون فیما بینهم (سبحان من بلغ عبدا بیع بعشرین درهما ما بلغ!!)ای انظروا الی فعل اللّه سبحانه و تعالی بهذا العبد فإنّه قد بیع فی السوق بعشرین درهما و هو الآن وصل الی هذه المرتبه السامیه،لکنّهم الآن ینظرون الی مائدتی و أنتم جلوس حولها،فیعرفون قدری و تثبت لهم منزلتی و انّنی لست بعبد ذلیل بیع بعشرین درهما،و انّما انا سلیل بیت النبوّه و الرساله و من أولاد نبی اللّه ابراهیم الخلیل،و هذا ما أباهی

۱- ۱) مجمع البیان ذیل الآیه الشریفه.

و افتخر به امام الآخرين (۱) .

۳-الشكر على الانتصار:

انّ الآيات السابقه تعلّمنا بجلاء و وضوح درسا من دروس الأخلاق الاسلاميه،و هو انّه بعد الانتصار على العدو و كسر شوكته لا بدّ ان لا ننسى العفو و الرحمه،و ان لا نعامله بقساوه،فإنّ اخوه يوسف قد عاملوه اشدّ المعامله أشرفت به على نهايته و أوصلته الى أبواب الموت،و لو لم تشمله عنايه اللّه سبحانه و تعالى،لعجز عن الخلاص ممّا اوقعوه فيه،هذا اضافه الى المصائب و الآلام التى تحملها أبوه، لكنّهم الآن جميعا واقفون امّام يوسف و هو السيّد المطاع و بيده القوّه و القدره،لكنّه عاملهم بلطف و احسان.

كما انّه يفهم من خلال حديثه معهم انّه لم يحقد عليهم قطّ،بل الذى يقلقه هو تذكّر الاخوه ماضيهم الأسود و يحسّوا بالخجل!و لذا حاول جاهدا ان يريحهم من هذا القلق و يزيح هذا الكابوس عن صدورهم،بل اكثر من هذا فإنّه حاول ان يفهمهم انّ لهم عليه فضلا فى مجيئهم الى مصر و التعرّف عليهم،فإنّهم كانوا السبب فى كشف حقيقته امام الشعب فى هذا البلد،حيث عرف اهل مصر انّ عزيزهم هو سليل بيت النبوّه و الرساله و ليس عبدا بيع فى السوق بدراهم معدودات،و من هنا فإنّ يوسف كان يرى لهم فى ذلك فضلا و منّه! و من حسن الصدف انّنا نرى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يمتحن بمثل هذه المواقف الحرجه،فمثلا حينما فتح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مكّه و اذلّ المشركين و هزمهم و كسر أصنامهم و داس شوكتهم و كبرياءهم،جاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم(كما رواه ابن عبّاس) الى جوار الكعبه و أخذ بحلقه بابها و كان المشركون قد التجأوا إليها هم ينتظرون حكم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيهم،و

قال كلمته المشهوره: «الحمد للّه الذى صدق وعده

۱- ۱) تفسير فخر الرازى،ج ۱۸،ص ۲۰۶.

و نصر عبده و هزم الأحزاب وحده»ثمّ توجّه الى قريش و خاطبهم بقوله:«ماذا تظنّون يا معشر قريش؟قالوا:خيرا،أخ كريم و ابن أخ كريم،و قد قدرت!قال:و انا أقول كما قال اخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم».

اى انّ اليوم ليس يوم ملامه و انتقام و اظهار الحقد و الضغينه

«اذهبوا فأنتم الطلقاء».

فقال عمر بن الخطاب:ففضت عرقا من الحياء من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذلك انّى قد كنت قلت لهم حين دخلنا مكّه:اليوم ننتقم منكم و نفعل (۱) .

كما انّه وردت فى كثير من الرّوايات الاسلاميه انّ

«زكاه النصر هو العفو».

يقول على عليه السّلام: «إذا قدرت على عدوّك فاجعل العفو عنه شكرا للقدره عليه» (۲) .

ص :۲۹۳

۱- ۱) تفسير القرطبى،ج ۹،ص ۲۵۸.

۲- ۲) نهج البلاغه-الكلمات القصار-جمله ۱۱.

الآيات [سوره يوسف (١٢)]: الآيات ٩۴ الى ٩٨

اشاره

وَ لَمّا فَصَلَتِ اَلْعِيرُ قالَ أَبُوهُمْ إِنِّی لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ لا أَنْ تُفَنِّدُونِ (٩۴) قالُوا تَاللّهِ إِنَّکَ لَفِی ضَلالِکَ اَلْقَدِيمِ (٩۵) فَلَمّا أَنْ جاءَ اَلْبَشِيرُ أَلْقاهُ عَلی وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَکُمْ إِنِّی أَعْلَمُ مِنَ اَللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (٩۶) قالُوا يا أَبانَا اِسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنّا كُنّا خاطِئِينَ (٩٧) قالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَکُمْ رَبِّی إِنَّهُ هُوَ اَلْغَفُورُ اَلرَّحِيمُ (٩٨)

التّفسير

اشاره

و أخيرا شملتهم رعايه اللّه و لطفه:

امّا أولاد يعقوب فإنّهم بعد ان واجهوا يوسف و جرى لهم ما جرى حملوا معهم قميص يوسف فرحين و مستبشرين و توجّهوا مع القوافل القادمه من مصر، و فيما كان الاخوه يقضون اسعد لحظات حياتهم،كان هناک بيت فی بلاد الشام و ارض كنعان-الا و هو بيت يعقوب الطاعن فی السنّ حيث كان يقضی هو و عائلته احرج اللحظات و اشدّها حزنا و بؤسا.

لکن-مقارنا مع حرکه القافله من مصر-حدث فی بیت یعقوب حادث غریب بحیث اذهل الجمیع و صار مثارا للعجب و الحیره،حیث نشط یعقوب و تحرّک من مکانه و تحدّث کالمطمئن و الواثق بکلامه قال:لو لم تتحدّثوا عنّی بسوء و لم تنسبوا کلامی الی السفاهه و الجهل و الکذب لقلت لکم: إِنِّی لَأَجِدُ رِیحَ یُوسُفَ فإنّی احسّ بأنّ ایّام المحنه و الآلام سوف تنصرم فی القریب العاجل، و انّه قد حان وقت النصر و اللقاء مع الحبیب،و اری انّ آل یعقوب قد نزعوا ثوب العزاء و المصیبه و لبسوا لباس الفرح و السرور-لکن لا تصدّقون کلامی وَ لَمّا فَصَلَتِ الْعِیرُ قالَ أَبُوهُمْ إِنِّی لَأَجِدُ رِیحَ یُوسُفَ لَوْ لا أَنْ تُفَنِّدُونِ (۱) .

و المستفاد من قوله تعالی(فصلت)انّه بمجرّد ان تحرّکت القافله من مصر احسّ یعقوب بالأمر و تغیّرت أحواله.

امّا الذین کانوا مع یعقوب-و هم عاده أحفاده و ازواج أولاده و غیرهم من الأهل و العشیره-فقد استولی علیهم العجب و خاطبوه بوقاحه مستنکرین: قالُوا تَاللّهِ إِنَّکَ لَفِی ضَلالِکَ الْقَدِیمِ أ لیس هذا برهانا واضحا علی ضلالک حیث مضت سنین طویله علی موت یوسف لکنّک لا زلت تزعم انّه حی،و أخیرا تقول:انّک تشمّ رائحته من مصر؟!این مصر و این الشام و کنعان؟!و هذا دلیل علی بعدک عن عالم الواقع و انغماسک فی الأوهام و الخیالات لکنّک قد ضللت منذ مدّه طویله، الم تقل لاولادک قبل فتره اذهبوا الی مصر و تحسّسوا عن احوال یوسف! یظهر من هذه الآیه الشریفه انّ المقصود ب(الضلال)لیس الانحراف فی العقیده،بل الانحراف فی تشخیص حقیقه حال یوسف و القضایا المتعلّقه به،لکن یستفاد من هذه التعابیر انّهم کانوا یتعاملون مع هذا النّبی الکبیر و الشیخ المتیقّظ

۱- ۱) (تفنّدون)من مادّه(الفند)علی زنه(الرمد)و معناها العجز الفکری و السفاهه،و مضی بعض اللغویین الی انّ معناها الکذب و معناها فی الأصل الفساد.فبناء علی ذلک فإنّ جمله(لو لا ان تفنّدون)معناها إذا لم تتّهمونی بالسفاهه و فساد العقل.

الضـمير بخشونه و قسـاوه بالغين بحيث كانوا يقولون له مرّه: إِنَّ أَبٰانٰا لَفِی ضَـلاٰلٍ مُبِینٍ و هنا قالوا له: إِنَّکَ لَفِی ضَـلاٰلِکَ الْقَـدِیمِ لكنّهم كـانوا غـافلين عن الحقيقه الـتى كـان يتحلّى بهـا يعقـوب و عن صـفاء قلبه،و يتصـوّرون انّ قلب يعقوب كقلوبهم القاسـيه المظلمه و انّه لا يطّلع على حقائق الأمور ماضيها و مستقبلها.

و تمضـى الليالى و الايّام و يعقوب فى حاله الانتظار...الانتظار القاسـى الذى يسـتبطن السرور و الفرح و الهدوء و الاطمئنان،الاّ انّ المحيطين به كانوا مشغولين عن هذه الأمور لاعتقادهم بأنّ قضيّه يوسف مختومه و الى الأبد.

و بعـد عـدّه ايّـام من الانتظـار-و التى لاـ يعلم الاّ اللّه كيف قضاها يعقوب-ارتفع صوت المنادى معلنا عن وصول قافله كنعان من مصـر،لكن فى هـذه المرّه- و خلافـا للمرّات السابقه-دخل أولاد يعقوب الى المـدينه فرحين مستبشـرين، و توجّهوا مسـرعين الى بيت أبيهم،و قد سبقهم ال(بشير)الذى بشّر يعقوب بحياه يوسف و القى قميص يوسف على وجهه.

امّا يعقوب الذى أضعفت المصائب بصره و لم يكن قادرا على رؤيه القميص فبمجرّد ان احسّ بالرائحه المنبعثه من القميص شعر فى تلك اللحظه الذهبيه بأنّ نورا قد شعّ فى جميع ذرّات وجوده و انّ السّـماء و الأرض مسـروران و نسيم الرحمه يدغدغ فؤاده و يزيـل عنه الحزن و الأـلم،شاهـد الجـدران و كأنّها تضـحك معه، و احسّ يعقوب بتغيّر حالته،و فجأه راى النّور فى عينيه و احسّ بأنّهما قد فتحتا و مرّه اخرى راى جمال العالم،و القرآن الكريم يصف لنا هذه الحاله بقوله:

فَلَمّٰا أَنْ جٰاءَ الْبَشِيرُ أَلْقٰاهُ عَلىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً

.

هـذه الحـالِه التي حصـلت ليعقوب اسـالت دموع الفرح من عيون الاـخوه و الأهل،و عنـد ذلك خاطبهم بقوله: أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّی أَعْلَمُ مِنَ اللّٰهِ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ .

هـذه المعجزه الغريبه،جعلت الأولاـد يعـودون الى أنفسـهم و يتسـاءلون عنهـا و يفكّرون فى ماضـيهم الأـسود الملىء بالاخطـاء و الذنوب،و ما اعتورهم من

الحسد و غيره من الصفات الرذيله البعيده عن الانسانيه،لكن ما أجمل التوبه و العوده الى طريق الصواب حينما ينكشف للإنسان خطأ المسيره التى سار فيها..

و ما احلى تلك اللحظات التى يحاول المذنب ان يطلب العفو ممّن جنى عليه، ليطهّر به نفسه و يبعدها عن جادّه الخطأ و الانحراف،و هذا ما قام به الاخوه حيث وقعوا نادمين على يد أبيهم يقبّلونها و يطلبون منه العفو و الاستغفار قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ .

امّا يعقوب هذا الرجل العظيم الذى كانت روحه أوسع من المحيطات،فقد أجابهم دون ان يلومهم على تلك الأفعال التى اقترفوها فى حقّه و حقّ أخيهم..

أجابهم بقوله: سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى و املى معقود بأن يغفر اللّه سبحانه و تعالى ذنوبكم إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

ملاحظات

اشاره

١-كيف احسّ يعقوب برائحه قميص يوسف

؟! هذا سؤال اثاره كثير من المفسّرين،و اعتبروه معجزه خارقه للعاده من قبل يعقوب او يوسف.الّا انّه-مع الأخذ بنظر الاعتبار سكوت القرآن عن هذا الأمر- و لم يتناوله على انّه امر اعجازى او غير اعجازى فمن الهيّن ان نجد له توجيها علميّا ايضا.إذ انّ حقيقه«التليبائى»او انتقال الفكر من النقاط او الأماكن البعيده تعدّ مسأله علميّه قطعيّه مسلّما بها...و انّها تحدث عند من تكون لديهم علاقه قريبه تربط بعضهم ببعض،او تكون لديهم قدره روحيّه عاليه.

و لعلّ كثيرا منّا يواجه مثل هذه المسأله فى حياتنا اليوميّه،و ذلك ان يشعر شخص«من أب،او امّ،او أخ»مثلا بالكآبه و انقباض النفس دون سبب،ثمّ لا يمضى وقت-او فتره-حتّى يبلغه خبر بأنّ أخاه او ولده قد حدث له حادث ما

فى نقطه بعيده عنه.

فالعلماء يوجّهون هذا الاحساس على انّه جرى عن طريق انتقال الفكر.

و ما ورد فى قصّه يعقوب لعلّه من هذا القبيل ايضا،فعلاقته الشديده بيوسف و عظمه روحه،كلّ ذلك كان سببا لان يشعر بالحاله الحاصله للاخوه نتيجه حمل قميص يوسف من مسافه بعيده.

و من الممكن ان يتعلّق هذا الأمر بمسأله سعه دائره علم الأنبياء ايضا.

و قد وردت اشاره طريفه-فى بعض الرّوايات-الى مسأله انتقال الفكر، و هى انّ بعضهم سأل الامام أبا جعفر الباقر عليه السّلام:فقال:جعلت فداك،ربّما حزنت من دون مصيبه تصيبنى او امر ينزل بى،حتّى يعرف ذلك اهلى فى وجهى و صديقى.

فقال عليه السّلام: «نعم يا جابر،انّ اللّه خلق المؤمنين من طينه الجنان و اجرى فيهم من ريح روحه،فلذلك المؤمن أخو المؤمن لأبيه و امّه،فإذا أصاب روحا من تلك الأرواح فى بلد من البلدان حزن حزنت هذه لأنّها منها» (۱) .

و يستفاد من بعض الرّوايات ايضا انّ هذا القميص لم يكن قميصا مألوفا،بل كان ثوبا من ثياب الجنّه،و قد خلّفه ابراهيم الخليل عليه السّلام فى آل يعقوب و أسرته ليكون ذكرى له،و انّ رجلا كيعقوب عليه السّلام الذى كانت لديه شامّه من«الجنّه» احسّ برائحه هذا الثوب الذى هو من ثياب الجنّه من بعيد (۲) .

۲-اختلاف حالات الأنبياء:

الاشكال المعروف الآخر هنا هو ما اثاره بعضهم فى شأن يعقوب من سؤال و هو:

۱- ۱) اصول الكافى،ج ۲،ص ۱۲۳«و السائل هو جابر الجعفى».

۲- ۲) لمزيد الاطلاع على هذه الرّوايات يراجع المجلد الثّانى من تفسير نور الثقلين،ص ۴۶۴.

کیف یمکن ان یکون هذا النّبی العظیم قد احسّ بریح قمیص یوسف من مسافه قدّرها بعضـهم بثمانین فرسـخا،و قال بعضهم:من مسـافه عشـره ایّام،مع انّه لم یطّلع علی الحوادث القریبه منه الـتی مرّت علی یوسف عنـد مـا القی فی الجبّ فی ارض کنعـان؟ و الجواب علی هذا السؤال-مع الالتفات الی ما ذکرناه آنفا فی شأن علم الغیب،و حدود علم الأنبیاء و الائمّه-یسیر لا غبار علیه،لانّ علمهم بالأمور الغیبیّه یسـتند الی علم اللّه و ارادته،و ما یشاؤه اللّه لهم من العلم«او عـدمه»حتّی و لو کان ذلک فی اقرب نقطه من نقاط العالم.

فیمکن تشبیههم من هذا الوجه بالقافله التی تسیر فی لیل مظلم فی صـحراء تغشـیها الغیوم و بینا هی علی هذه الحال و إذا السّماء تومض بـالبرق اللاـمع فتضـیء الصـحراء الی منتهی أطرافهـا،فتری القـافله بـأمّ أعینهـا کلّ شـیء امامها،الاّ انّ البرق ینطفئ ثانیه و یستوعب الظلام کلّ مکان فلا یری احد شیئا.

و لعلّ الحدیث الوارد عن الامام الصادق علیه السّلام فی شأن علم الامام علیه السّلام اشاره الی هذا المعنی،إذ

جـاء عنه علیه السّـلام انّه قال: «جعل اللّه بینه و بین الامام عمودا من نور، ینظر اللّه به الی الامام،و ینظر الامام به الیه،فإذا أراد علم شیء نظر فی ذلک النّور فعرفه» (۱) .

و مع الالتفات الی هذه الحقیقه،فلا مجال للتعجّب بأن تقتضی مشیئه اللّه سبحانه-لابتلاء یعقوب و تمحیصه ان لا یعرف یوما شیئا عن الحوادث فی کنعان و هی تجری قریبا منه،و ان یحسّ برائحه قمیص ولـده یوسف و هو فی مصـر فی یوم آخر عند ما قدّر له ان تنتهی محنته و بلواه.

۱- ۱) شرح نهج البلاغه،للخوئی،ج ۵،ص ۲۰۰.

۳-کیف ردّ علی یعقوب بصره؟!

احتمل بعض المفسّرین انّ یعقوب علیه السّلام لم یفقد بصره بصوره کلیّه،و انّما ضعف بصره،و عند حصول مقدّمات الوصال تبدّل تبدّلا بحیث عاد ذلک البصر الی حالته الطبیعیّه الاولی،الاّ انّ ظاهر آیات القرآن یدلّ علی انّه فقد بصره تماما و ابیضّت عیناه من الحزن،و علی ذلک فإنّ بصره عاد الیه عن طریق الاعجاز، حیث یقول القرآن الکریم: فَارْتَدَّ بَصِیراً .

۴-الوعد بالاستغفار:

نقرا فی الآیات-محل البحث-انّ یوسف علیه السّلام قال لإخوته عند ما أظهروا له ندامتهم: یَغْفِرُ اللّهُ لَکُمْ الاّ انّ یعقوب علیه السّلام قال لهم عند ما اعترفوا عنده بالذنب و أظهروا الندامه: سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَکُمْ و کان هدفه-کما تقول الرّوایات-ان یؤخّر استجابه طلبهم الاستغفار الی السحر(من لیله الجمعه)الذی هو خیر وقت لاستجابه الدعاء و قبول التوبه (۱) .

و الآن ینقدح هذا السؤال و هو:کیف أجابهم یوسف بصوره قطعیّه،و أوکل أبوهم ذلک الی المستقبل؟! و لعلّ هذا الاختلاف ناشئ عن انّ یوسف علیه السّلام کان یتحدّث عن«إمکان المغفره»و انّ هذا الذنب من الممکن ان یعفو اللّه عنه،و یعقوب کان یتحدّث عن «فعلیّه المغفره»و انّه ما الذی ینبغی ان یفعل حتّی تتحقّق التوبه و المغفره «فلاحظوا بدقّه».

ص:۳۰۰

۱- ۱) نقرا فی تفسیر القرطبی انّ هدفه کان الاستغفار لهم فی لیله الجمعه الموافقه لیوم عاشوراء«لمزید الاطلاع یراجع تفسیر القرطبی،ج ۶،ص ۳۴۹۱».

۵-التوسّل جائز:

يستفاد من الآيات-آنفه الذكر-انّ طلب الاستغفار من الآخرين غير مناف للتوحيد،بل هو سبيل الى الوصول الى لطف اللّه سبحانه،و الاّ فكيف كان يمكن ليعقوب ان يستجيب لطلب ابنائه فى ان يستغفر لهم و ان يجيبهم بالإيجاب على توسّلهم به.

و هذا الأمر يدلّ على ان التوسّل بأولياء اللّه جائز على الإجمال، و الأشخاص الذين يرون ذلك مخالفا لاصل التوحيد غافلون عن نصوص القرآن،او انّ التعصّب المقيت يحجب ابصارهم عن تلك النصوص.

۶-نهايه الليله السوداء

انّ الدرس الكبير الذى نستلهمه من الآيات المتقدّمه هو انّه مهما كانت المشاكل و الحوادث صعبه و عسيره،و مهما كانت الأسباب و العلل الظاهريه غير تامّه و محدوده،و مهما كان النصر او الفرج بطيئا(او غير متحقّق فعلا)فإنّ ايّا من أولئك لا يمنع من الرجاء و الأمل بلطف اللّه،فاللّه الذى أعاد البصر برائحه القميص و نقل رائحه ذلك القميص من مسافه بعيده،و ردّ العزيز المفتقد بعد سنين طويله، قادر على ان يضمّد القلوب المجروحه من الفراق،و ان يشفى آلام النفوس.

اجل انّنا نجد الدرس التوحيدى الكبير ينطوى فى هذا القصص و التاريخ، و هو انّه لا شيء على اللّه بعزيز و لا عسير،بل يهون كلّ شيء بأمره و ارادته.

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ .

ص :۳۰۱

الآيات [سوره يوسف (۱۲): الآيات ۹۹ الی ۱۰۱]

اشاره

فَلَمّا دَخَلُوا عَلى يُوسُفَ آوى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَ قالَ اُدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اَللّهُ آمِنِينَ (۹۹) وَ رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى اَلْعَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَ
قالَ يا أَبَتِ هذا تَأْوِيلُ رُءْياىَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّى حَقًّا وَ قَدْ أَحْسَنَ بِى إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ اَلسِّجْنِ وَ جاءَ بِكُمْ مِنَ اَلْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ
نَزَغَ اَلشَّيْطانُ بَيْنِي وَ بَيْنَ إِخْوَتِى إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِما يَشاءُ إِنَّهُ هُوَ اَلْعَلِيمُ اَلْحَكِيمُ (۱۰۰) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِى مِنَ اَلْمُلْكِ وَ عَلَّمْتَنِى مِنْ
تَأْوِيلِ اَلْأَحادِيثِ فاطِرَ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّى فِى اَلدُّنْيا وَ اَلْآخِرَهِ تَوَفَّنِى مُسْلِماً وَ أَلْحِقْنِى بِالصّالِحِينَ (۱۰۱)

التّفسير

اشاره

عاقبه امر يوسف و أبيه و اخوته:

مع وصول القافله التى تحمل أعظم بشاره من مصر الى كنعان،و عوده البصر

ص :۳۰۲

الی یعقوب،ارتفعت اهازیج فی کنعان.فالبیت الذی لم یخلع اهله عنهم ثیاب الحزن و الاسی لسنین عدیده،أصبح غارقا فی السرور و الحبور،فلم یکتموا رضاهم عن هذه النعم الالهیّه ابدا.

و الآن ینبغی علی اهل هذا البیت-وفقا لوصیّه یوسف-ان یتحرّکوا و یتّجهوا نحو مصر،و تهیّأت مقدّمات السفر من جمیع النواحی،و رکب یعقوب راحلته و شفتاه رطبتان بذکر اللّه و تمجیده،و قد منحه عشق یوسف قوّه و عزما الی درجه و کأنّه عاد شابا من جدید.

و هذا السفر علی خلاف الاسفار السابقه-التی کانت مقرونه لدی اخوه یوسف بالقلق و الحزن-کان خالیا من ایّه شائبه من شوائب الهمّ و الغمّ.و حتّی لو کان السفر بنفسه متعبا،فهذا التعب لم یکن شیئا ذا بال قبال ما یهدفون الیه فی مسیرهم هذا.

کانوا یطوون اللیالی و الایّام ببطء،لانّ الشوق کان یحیل کلّ دقیقه الی یوم او سنه،و لکن انتهی کلّ شیء و لاحت معالم مصر و أبنیتها من بعید بمزارعها الخضر و أشجارها الباسقه السامقه و عماراتها الجمیله.

الّا انّ القرآن الکریم-کعادته دائما-حذف هذه المقدّمات التی یمکن ان تدرک بأدنی تفکّر و تأمّل،فقال فی هذا الشأن: فَلَمّا دَخَلُوا عَلی یُوسُفَ آوی إِلَیْهِ أَبَوَیْهِ .

و کلمه«آوی»-کما یقول الراغب فی مفرداته-تعنی فی الأصل انضمام شیء الی شیء آخر،و ضمّ یوسف أبویه الیه کنایه عن احتضانهما و معانقتهما.

و أخیرا تحقّقت احلی سویعات الحیاه لیعقوب،و فی هذا اللقاء و الوصال الذی تمّ بین یعقوب و یوسف بعد سنین من الفراق،مرّت علی یعقوب و یوسف لحظات لا یعلم اللّه عواطفها فی تلک اللحظات الحلوه،و ایّه دموع انسکبت من عینیهما من الفرح.

ص :٣٠٣

و عندها التفت یوسف الی اخوته و أبویه و قٰالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شٰاءَ اللّٰهُ آمِنِینَ لانّ مصر أصبحت تحت حکم یوسف فی امن و أمان و اطمئنان.

و یستشفّ من هذه الجمله انّ یوسف کان قد خرج الی خارج بوّابه المدینه لاستقبال والدیه و اخوته،و لعلّ التعبیر ب دَخَلُوا عَلیٰ یُوسُفَ یحتمل ان یکون یوسف قد أمر أن تنصب الخیام هناک«خارج المدینه»و ان تهیأ مقدّمات الاستقبال لأبویه و اخوته.

فلمّا دخلوا القصر أکرمهم یوسف علیه السّلام وَ رَفَعَ أَبَوَیْهِ عَلَی الْعَرْشِ .

و کانت هذه العظمه من النعمه الالهیّه و اللطف و الموهبه التی منّ اللّه بها علی یوسف قد ادهشت اخوه یوسف و أبویه فذهلوا جمیعا وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّداً .

و عندها التفت یوسف الی أبیه وَ قٰالَ یٰا أَبَتِ هٰذٰا تَأْوِیلُ رُءْیٰایَ مِنْ قَبْلُ .

الم یکن انّی رأیت احد عشر کوکبا و الشمس و القمر رایتهم لی ساجدین؟! فانظر یٰأبت کما کنت تتوقّع من عاقبه امری قَدْ جَعَلَهٰا رَبِّی حَقًّا .. وَ قَدْ أَحْسَنَ بِی إِذْ أَخْرَجَنِی مِنَ السِّجْنِ .

الطریف هنا انّ یوسف تکلّم هنا عن سجنه فی مصر من بین جمیع مشاکله و لم یتکلّم علی الجبّ مراعاه لإخوته.

ثمّ أضاف یوسف قائلا: وَ جٰاءَ بِکُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّیْطٰانُ بَیْنِی وَ بَیْنَ إِخْوَتِی .

و مرّه اخری یظهر هنا یوسف مثلا آخر من سعه صدره و عظمته،و دون ان یقول:من هو المقصّر،و انّما یقول بصوره مجمله انّ الشیطان تدخّل فنزغ بینی و بین اخوتی،فهو لا یرید ان یتشکّی من اخطاء اخوته السالفه.

و التعبیر عن ارض کنعان بالبدو تعبیر طریف و کاشف عن مدی الاختلاف بین تمدّن مصر و تخلّف کنعان«حضاریّا».

و أخیر یقول یوسف:انّ جمیع هذه المواهب هی من قبل اللّه،و لم لا تکون

كذلك ف إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِمٰا يَشٰاءُ .

فيتولّى امور عباده بالتيسير و التدبير..و هو يعلم من هو المحتاج و من هو الجدير بالاستجابه إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ .

ثمّ يلتفت يوسف نحو مالك الملك الحقيقى و ولى النعمه الدائمه فيقول شاكرا راجيا: رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وَ عَلَّمْتَنِى مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحٰادِيثِ .

و هذا العلم البسيط بحسب الظاهر«تأويل الأحاديث»كم كان له من اثر عظيم فى تغيير حياتى و حياه جماعه آخرين من عبادك،و ما أعظم بركه العلم! فأنت يا ربّ: فٰاطِرَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ .

و لذلك فقد خضعت و استسلمت قبال قدرتك جميع الأشياء.

ربّاه: أَنْتَ وَلِيِّى فِى الدُّنْيٰا وَ الْآخِرَهِ تَوَفَّنِى مُسْلِماً وَ أَلْحِقْنِى بِالصّٰالِحِينَ .

اى انّنى لا-اطلب دوام الملك و بقاء الحكم و الحياه الماديّه منك يا ربّ،لانّ هذه الأمور جميعها فانيه و ليس فيها سوى البريق الجذّاب.بل اطلب منك يا ربّ ان تكون عاقبه امرى على خير،و ان اقضى حياتى و أموت مؤمنا فى سبيلك مسلّما لارادتك،و ان أكون فى صفوف الصالحين.فهذه الأمور هى المهمّه لدىّ فحسب.

بحوث

اشاره

١-هل السجود لغير اللّه جائز

؟! كما بيّنا فى الجزء الاوّل من هذا التّفسير عند بحثنا فى شأن سجود الملائكه لآدم، فقلنا:انّ السجود بمعنى العباده يختص باللّه تعالى و لا تجوز العباده لاى احد فى ايّ مذهب الاّ للّه سبحانه و هذا هو المراد من توحيد العباده الذى هو قسم مهمّ من التوحيد الذى دعا اليه جميع الأنبياء.

ص:٣٠٥

فبناء على هـذا لم يكن يوسف و هو نبيّ اللّه يسـمح لأحد ان يسـجد له و يعبده من دون اللّه،و لا النّبى العظيم يعقوب كان يقدّم على مثل هذا الأمر،و لا القرآن الكريم كان يعبّر عنه بأنّه عمل جدير او على الأقل عمل مجاز.

فبنـاء على ذلـك فـإنّ السـجود المشار اليه فى الآيه-محلّ البحث-امّا انّه كان «سـجده الشـكر»للّه تعالى الـذى اولى يوسف هـذه المواهب و المقـام العظيم،و فرّج عن آل يعقوب كربهم و أزال عنهم همومهم،و هـذا السـجود فى الوقت الـذى كـان للّه، بما انّه كان من اجل عظمه موهبه يوسف،فإنّه كان يعتبر تعظيما و تكريما ليوسف ايضا،و من هذا المنطلق فإنّ الضمير فى(له)الذى يعود على يوسف قطعا ينسجم و هذا المعنى تماما.

او انّ المراد من السـجود هو مفهومه الواسع،اى الخضوع و التواضع،لانّ السـجده-او السـجود-لا يأتى اى منهما بمعناه المعروف دائما،بل ربّما يرد بمعنى الخضوع و التواضع أحيانا،فلـذا قال بعض المفسّرين:انّ التحيّه او التواضع المتـداول آنئذ كان الانحناء و التعظيم،و انّ المراد من السجود فى الآيه هو هذا المعنى.

الاّ انّه مع الالتفـات الى جمله«خرّوا»الـتى يعنى مفهومهـا الهـوىّ نحـو الأرض فـإنّه لا يسـتفاد من السـجود فى الآيه الانحنـاء و الخضوع(هنا).

و قـال بعض المفسّرين العظـام:انّ سـجود يعقوب و اخوه يوسف و امّهم كـان للّه سـبحانه،الاّ انّ يوسف كان-بمثابه الكعبه-قبله لهم،و لهذا جاء فى بعض تعابير العرب قولهم:فلان صلّى للقبله (۱) .

الاّ انّ المعنى الاوّل يبدو اقرب للنظر،و خاصّه

انّ بعض الرّوايات الوارده عن اهل البيت عليهم السّلام تقول: «كان سجودهم للّه،او عباده للّه» (۲) .

۱- ۱) راجع تفسير الميزان،و تفسير الفخر الرازى ذيل الآيه محل البحث.

۲- ۲) تفسير نور الثقلين،ج ۲،ص ۴۶۷.

كما جاء فى بعض الرّوايات انّ سجودهم كان طاعه للّه و تحيّه ليوسف (۱) .

كما انّ السـجود لآدم كان سـجودا للّه العظيم الذى خلق مثل هذا الخلق البديع،و هو فى الوقت الذى يعدّ عباده للّه فهو دليل على احترام آدم و عظمته.

و هذا الأمر يشـبه تماما ان يؤدّى رجل-مثلا-عملا مهمّا عظيما،فنسـجد نحن للّه الذى خلق مثل هذا الإنسان،فهذا السـجود هو للّه كما انّه فى الوقت ذاته يعدّ احتراما و تعظيما للرجل ايضا.

۲-وساوس الشيطان:

انّ جمله نَزَغَ الشَّيْطانُ بَيْنِي وَ بَيْنَ إِخْوَتِي مع ملاحظه انّ نزغ بمعنى الـدخول فى امرّ مـا بقصـد الفسـاد او الإفسـاد تـدلّ على انّ لوساوس الشـيطان فى مثل هذه الحوادث أثرا مهمّا دائما،الّا انّنا نوّهنا من قبل بأنّ هذه الوساوس لوحدها لا تعمل شـيئا،فالمصمّم الأخير هو الإنسان نفسه،بل هو الذى يفتح أبواب قلبه للشيطان و يسمح له بالدخول.

فبنـاء على ذلـك فليس فى الآـيه-محـلّ البحث-امر خلاف اصل حريّه الاراده أساسا.غايه ما فى الأمر انّ يوسف عليه السّـلام بما لـديه من حلم و سـعه صدر لم يرغب ان يحرج اخوته و يزيد فى خجلهم،فهم كانوا خجلين الى درجه كافيه، و لهذا لم يشـر الى المصمّم النهائى و انّما ذكر وساوس الشيطان التى تعدّ العالم الثانوى فحسب.

۳-الأمن نعمه اللّه الكبرى

؟ لقد أشار يوسف الى مسأله الأمن من بين جميع المواهب و النعم بمصر، و قال لأبويه و اخوته اُدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللّهُ آمِنِينَ و هذا الأمر يدلّ على انّ

۱- ۱) تفسير نور الثقلين،ج ۲،ص ۴۶۸.

نعمه الأـمن أسـاس جميع النعم،و الحقّ انّهـا كـذلك،لاـنّه متى ذهبت نعمه الأـمن، فـإنّ سـائر مسائـل الرفاه و المواهب الماديه و المعنويه يحدق بها الخطر.

ففى جوّ او محيـط غير آمن،ليس بالمقـدور اطـاعه اللّه فيه و لاـ الحيـاه الحرّه الكريمه،كما ليس بمقـدور الإنسان ان يفكّر تفكيرا مطمئنا هادئا،و لا السعى و الجدّ و الجهاد نحو تحقّق الاهداف الاجتماعيه ايضا.

و هـذه الجمله لعلّها اشاره الى هذه اللطيفه،و هى انّ يوسف يريد ان يقول:انّ ارض مصـر فى عهدى و حكومتى ليست هى تلك الأرض فى عهد الفراعنه و حكمهم،فأولئك الظالمون المسـتكبرون المسـتثمرون الانانيون ولّوا و مضوا كما مضى ذلك التعذيب و الأذى،فالجوّ جو آمن تماما.

۴-اهميّه مقام العلم:

و مرّه اخرى يعوّل يوسف عليه السّـلام فى انتهـاء عمله و امره على مسـأله علم تعبير الرؤيا،و يجعل هـذا العلم البسـيط-ظاهرا-الى جانب تلك الحكومه العظمى و من دون منازع،و هذا يكشف عن تأكيده على اهميّه العلم مهما كان بسيطا،فيقول:

رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَ عَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ

.

۵-حسن العاقبه:

قد يتقلّب الإنسان فى طول عمره فى اشـكال مختلفه متعدّده،الاّ انّ من المسلّم به انّ الصفحات الاخيره من حياته اهمّ من جميع ما مضـى عليه،لانّ سـجل عمره ينتهى بانتهائها و يتعلّق الحكم النهائى،لـذا فإنّ الرجال المؤمنين يطلبون من اللّه دائما ان تكون هـذه الصفحات من العمر مشرقه نيّره،و ان يختم لهم بالخير.

و نجد يوسف عليه السّلام يطلب من اللّه-هنا- هذا الأمر نفسه فيقول: تَوَفَّنِي مُسْلِماً

ص :۳۰۸

وَ أَلْحِقْنِی بِالصّٰالِحِینَ

.

و لیس معنی هـذا الکلام طلب الموت مـن اللّه،کما تصوّره ابـن عبّاس فقال:لـم یطلب احـد من الأنبیـاء المـوت من اللّه الاّ یوسف،فعند ما توفّرت له اسباب حکومته تأجّج العشق(و التعلّق باللّه)فی نفسه فتمنّی لقاء اللّه.

بـل طلب یوسف انّما کـان الشـرط و الحـاله فحسب،ای انّه طلب ان یکون عنـد الوفاه مؤمنا مسلما،و قـد کان ابراهیم و یعقوب یوصیان أبناءهما بهذه الوصیّه ایضا بقولهما لهم: فَلاٰ تَمُوتُنَّ إِلاّٰ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ . (۱)

و قد اختار کثیر من المفسّرین هذا المعنی.

۶-هل جاءت امّ یوسف الی مصر

یستفاد من ظاهر الآیات-آنفه الـذکر-بصوره جیّده انّ امّ یوسف کانت یومئـذ حیّه،و قد جاءت مع یعقوب و ابنائها الی مصـر،و سجدت شاکره هذه النعمه.الاّ انّ بعض المفسّرین یصرّون علی انّ امّ یوسف«راحیل»کانت قد انتقلت من الدنیا یومئذ،و انّما التی جاءت الی مصر خالته التی تعدّ بمثابه امّه.

و نقرا فی سـفر التکوین من التوراه-الفصـل ۳۵ الجمله ۱۸-انّ راحیـل بعـد ان ولـدت بنیامین رحلت عن الـدنیا.و جاء فی بعض الرّوایات عن(وهب بن منبه)و(کعب الأحبار)هذا المعنی ذاته ایضا،و یبدو انّه مأخوذ من التوراه.

و علی ای حال،فلیس بوسعنا ان نغضی عن ظاهر آیات القرآن التی تقول:

انّ امّ یوسف کانت حیّه آنئذ،و نؤول ذلک و نوجّهه دون ای دلیل.

۷-عدم ذکر القصّه للأب:

نقرا

فی روایه عن الامام الصادق علیه السّلام انّه قال علیه السّلام: «قال یعقوب لیوسف:

۱- ۱) البقره،۱۳۲.

يا بنى حدّثنى كيف صنع بك إخوتك؟! قال:يا أبت دعنى.

فقال:أقسمت عليك الاّ اخبرتنى! فقال له:اخذونى و اقعدونى على راس الجبّ،ثمّ قالوا لى:انزع قميصك، فقلت لهم انّى اسألكم بوجه أبى يعقوب ان لا تنزعوا قميصى و لا تبدوا عورتى، فرفع فلان السكّين علىّ،و قال:انزل.

فصاح يعقوب فسقط مغشيّا عليه ثمّ أفاق،فقال له:يا بنى كيف صنعوا بك؟! فقال يوسف:انّى اسألك بإله ابراهيم و إسماعيل و إسحاق الاّ اعفيتنى.

قال:فتركه»إلخ (۱) .

و هذا الأمر يدلّ على انّ يوسف لم يرغب بأىّ وجه ابدا ان يعيد فى ذهنه او فى ذهن أبيه الماضى المرير،بالرغم من انّ رغبه يعقوب فى التقصّى عن الأمر لم تدعه يستقرّ.

۱- ۱) مجمع البيان،ج ۵،ص ۲۶۵.

الآيات [سوره يوسف (١٢): الآيات ١٠٢ الى ١٠٧]

اشاره

ذٰلِكَ مِنْ أَنْبٰاءِ اَلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ مٰا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَ هُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢) وَ مٰا أَكْثَرُ اَلنّٰاسِ وَ لَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَ مٰا تَسْئَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاّٰ ذِكْرٌ لِلْعٰالَمِينَ (١٠٤) وَ كَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهٰا وَ هُمْ عَنْهٰا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَ مٰا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦) أَ فَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غٰاشِيَةٌ مِنْ عَذٰابِ اَللّٰهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ اَلسّٰاعَةُ بَغْتَةً وَ هُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ (١٠٧)

التّفسير

اشاره

الأدعياء مشركون غالبا

! بعد ما انتهت قصّه يوسف عليه السّلام بكلّ دروسها التربويه و نتائجها الغزيره و القيّمه و الخاليه من جزاف القول و الخرافات التاريخيّه..انتقل الكلام الى النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث يقول القرآن الكريم: ذٰلِكَ مِنْ أَنْبٰاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ مٰا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ.... .

ص: ٣١١

انّ هذه المعلومات الدقیقه لا یعلمها الاّ اللّه،او واحد من الذین کانوا حاضرین هناک،و بما انّک لم تکن حاضرا لدیهم فالوحی الالهی فقط هو الذی جاءک بهذه الاخبار.

و من هنا یتّضح انّ قصّه یوسف بما انّها وردت فی التوراه فأهل الحجاز عندهم معلومات تقریبیّه عنها،و لکن کلّ هذه الحوادث لم تطرح بهذه الدقّه فی جزئیاتها ابدا،و حتّی فی المحافل الخاصّه السابقه لم تکن تعرف بدون اضافه و خرافه.

و علی ای حال کان لزاما علی الناس ان یؤمنوا بعد مشاهدتهم لعلائم الوحی و سماعهم لهذه النصائح الالهیّه،و ان یتراجعوا عن طریق الغیّ،و لکن یا ایّها النّبی:

وَ مٰا أَکْثَرُ النّٰاسِ وَ لَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِینَ

.

انّ الوصف ب(الحرص)هنا دلیل علی شوق و لهفه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لانّ یؤمن الناس،و لکن ما الفائده،فإصراره و شوقه لم یکونا کافیین،فمن شرط الایمان الاستعداد و القابلیه فی نفس الشخص.

انّ أبناء یعقوب علیه السّلام کانوا یعیشون فی بیت الوحی و النبوّه،و مع ذلک نری کیف عصفت بهم الأهواء حتّی کادوا ان یقتلوا أخاهم،فکیف نتوقّع من جمیع الناس ان یتغلّبوا علی أهوائهم و شهواتهم مرّه واحده و بشکل جماعی و یؤمنوا باللّه؟ و هذه الآیه بالاضافه الی ما ذکرنا هی تسلیه لقلب النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حتّی لا ییأس ابدا من إصرارهم علی الکفر و الذنوب و لا یستوحش الطریق لقلّه أصحابه،کما نقرا فی آیات اخری من القرآن الکریم الکهف(۶): فَلَعَلَّکَ بٰاخِعٌ نَفْسَکَ عَلیٰ آثٰارِهِمْ إِنْ لَمْ یُؤْمِنُوا بِهٰذَا الْحَدِیثِ أَسَفاً و قوله تعالی: وَ مٰا تَسْئَلُهُمْ عَلَیْهِ مِنْ أَجْرٍ فهؤلاء فی الواقع لیس لهم ای عذر او مبرّر لعدم قبول الدعوه بالاضافه الی ما اتّضح من علامات الحقّ انّک لم تسألهم اجرا حتّی یکون مبرّرا لمخالفتک:

ص:۳۱۲

إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ

.

و هذه الدعوه عامّه للجميع،و مائده واسعه للعام و الخاص و كلّ البشريه.

وَ كَأَيِّنْ مِنْ آيَهٍ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْها وَ هُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ

.

فهذه الدلائل يرونها بأعينهم كلّ يوم!تشرق الشمس عند الصباح لتنشر أشعتها الذهبيه على الجبال و الوديان و الصحارى و البحار،و تغرب عند المساء و يعمّ الليل بستاره المظلم كلّ مكان.

انّ اسرار هذا النظام العجيب و هذا الشروق و الغروب و حياه النباتات و الحشرات و الإنسان،و هدير المياه،و حركه النسيم،و كلّ هذا الفن العجيب للوجود هو من الوضوح بحيث ان لم يتدبّر احد فيه و فى خالقه سيكون كالخشبه المسنّده.

كثيره هى الدلائل التى نعتبرها صغيره و غير مهمّه،فنحن نمرّ عليها كلّ يوم و لا نعير لها اهميّه،و فجأه يظهر عالم ذو بصيره فيكتشف بعد دراسه أشهر و سنين اسرار هذه الدلائل و يذهل العالم بها.

المهمّ ان نعلم انّ كلّ ما فى العالم ليس زخرفا و بدون فائده،لانّها من مخلوقات اللّه الذى لا نهايه لعلمه و لا حدّ لحكمته.و انّما الساذج و الزخرف فهم أولئک الذين يعتقدون بأنّ العالم وجود عبث و ليس له غايه و فائده.و لهذا فلا تعجب لعدم ايمانهم بالآيات المنزله عليک،لانّهم لم يؤمنوا بالآيات المحيطه بهم من كلّ مكان وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاّ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ .

قد يتصوّر هؤلاء انّهم من المؤمنين المخلصين و لكن غالبا ما توجد جذور الشرک فى افكارهم و أقوالهم و ضمائرهم.

ليس الايمان هو الاعتقاد بوجود اللّه فقط،فالمؤمن المخلص هو الذى لا يعتقد بأىّ معبود سوى اللّه،فتكون أقواله و اعماله و كلّ أفعاله خاضعه له.و لا يعترف بغير قانون اللّه،و لا يضع طوق العبوديّه فى رقبته لغيره،و يمتثل بقلبه

و روحه لكلّ الأوامر الالهيّه و لو كانت مخالفه لهواه،و يقدّم دائما الإله على الهوى،هذا هو الايمان الخالص من الشرك فى العقيده و القول و العمل،فلو حسبنا حسابا دقيقا فى هذا المجال لوجدنا انّ الموحّدين الصادقين و المخلصين قليلون جدّا.

و لهذا السبب نقرا

فى الرّوايات الاسلاميه ما جاء عن الامام الصادق عليه السّلام «الشرك أخفى من دبيب النحل» (۱) .

أو نقرا:

«انّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر،قالوا:و ما الشرك الأصغر يا رسول اللّه؟قال:الرياء،يقول اللّه تعالى يوم القيامه إذا جاء الناس بأعمالهم:

«اذهبوا الى الذين كنتم تراؤون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم من جزاء» (۲) .

و نقل

عن الامام الباقر عليه السّلام فى تفسير الآيه أعلاه حيث يقول «شرك طاعه و ليس شرك عباده،و المعاصى التى يرتكبون و هى شرك طاعه أطاعوا فيها الشيطان فأشركوا باللّه فى الطاعه لغيره» (۳) .

و فى بعض الرّوايات نقرا انّ المقصود من(شرك النعمه)بهذا المعنى انّ اللّه يهب الإنسان شيئا فيقول:انّ فلانا قد جاءنى به فلو لم يكن فلان لكنت من الهالكين!و كانت حياتى هباء منثورا،فهنا قد اعتبر الشريك مع اللّه الشخص الذى جرت على يده نعمه اللّه! الخلاصه:انّ ما يفهم من الشرك ليس الكفر و انكار الإله و عباده الأصنام فقط،كما

جاء فى حديث عن الامام الرضا عليه السّلام «شرك لا يبلغ به الكفر» و لكن الشرك بمعناه الواسع يشمل جميع هذه الأمور.

۱- ۱) سفينه البحار،المجلّد الاوّل،صفحه ۶۹۷.

۲- ۲) فى ظلال القرآن،المجلّد الخامس،صفحه ۵۳.

۳- ۳) نور الثقلين،ج ۲،صفحه ۲۷۵-اصول الكافى،المجلّد الثّانى،صفحه ۲۹۲.

و فی آخر آیه یحذّر القرآن الکریم أولئک الذین لم یؤمنوا بعد و یمرّوا علی الآیات الواضحه مرّ الکرام و یشرکون فی اعمالهم حیث یقول: أَ فَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِیَهُمْ غٰاشِیَهٌ مِنْ عَذٰابِ اللّٰهِ أَوْ تَأْتِیَهُمُ السّٰاعَهُ بَغْتَهً وَ هُمْ لاٰ یَشْعُرُونَ .

«الغاشیه»:الغطاء او الستار،و یقال للثوب الکبیر الذی یغطّی سرج الجواد.

و معناه هنا البلاء و الجزاء الذی یعمّ المفسدین (۱) .

«و الساعه»:القیامه،و قد وردت بهذا المعنی فی کثیر من الآیات.

و یحتمل ان تکون کنایه عن الوقائع العظیمه التی تحدث قبل یوم القیامه مثل الزلازل و العواصف و الصواعق،او اشاره الی ساعه الموت،و لکن التّفسیر الاوّل اقرب الی المعنی کما نری.

۱- ۱) غاشیه مؤنثه لانّها صفه«للعقوبه»التی هی مقدّره.

الآیات [سوره یوسف (١٢): الآیات ١٠٨ الی ١١١]

اشاره

قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِى أَدْعُوا إِلَى اَللّٰهِ عَلىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اِتَّبَعَنِى وَ سُبْحٰانَ اَللّٰهِ وَ مٰا أَنَا مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ (١٠٨) وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِكَ إِلاّٰ رِجٰالاً نُوحِى إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ اَلْقُرىٰ أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِى اَلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَدٰارُ اَلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اِتَّقَوْا أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ (١٠٩) حَتّٰى إِذَا اِسْتَيْأَسَ اَلرُّسُلُ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جٰاءَهُمْ نَصْرُنٰا فَنُجِّىَ مَنْ نَشٰاءُ وَ لاٰ يُرَدُّ بَأْسُنٰا عَنِ اَلْقَوْمِ اَلْمُجْرِمِينَ (١١٠) لَقَدْ كٰانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِى اَلْأَلْبٰابِ مٰا كٰانَ حَدِيثاً يُفْتَرىٰ وَ لٰكِنْ تَصْدِيقَ اَلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)

التّفسیر

اشاره

اصدق الدروس و العبر:

فی الآیه الاولی من هذه المجموعه یتلقّی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الأوامر لتحدید الطریق

ص: ٣١۶

و المنهج الذی یتّبعه،فیقول القرآن الکریم: قُلْ هٰذِهِ سَبِیلی أَدْعُوا إِلَی اللّٰهِ ثمّ یضیف: عَلیٰ بَصِیرَهٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِی .

و هذه الجمله توضّح انّ کلّ فرد مسلم مقتد بالرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم له نفس الدور فی الدعوه الی الحقّ،و لا بدّ من دعوه الآخرین الی اللّه،من خلال أفعالهم و أقوالهم، و کذلک تؤکّد هذه الجمله علی انّ القائد یجب ان تکون له بصیره و معرفه کافیه، و الاّ فإنّ دعوته لیست الی الحقّ،و للتأکید علی ذلک یضیف القرآن الکریم:

وَ سُبْحٰانَ اللّٰهِ وَ مٰا أَنَا مِنَ الْمُشْرِکِینَ

.

فهو یؤکّد علی نزاهه الخالق الذی یدعو الیه و کماله المطلق الخالی من النقصان و انّه لا یتّخذ معه شریکا.

هذه فی الواقع من خصائص القائد الصادق،ان یعلن بصراحه عن اهدافه و خططه،و ان یسیر هو و التابعین له علی منهج واضح و سلیم،لا ان تسودهم هاله من الإبهام فی الهدف و الطریقه.او ان یسیر کلّ واحد منهم فی جهه معیّنه.

فواحده من الطرق التی نتعرّف بها علی القیادات الصادقه من الکاذبه هو انّ القیاده الصادقه تتمیّز بصراحه القول و وضوح الطریق امّا الاخری فهی لکی تحاول التغطیه علی سلوکها و تلتجئ الی الحدیث المبهم و المتعدّد الجوانب.

انّ وقوع هذه الآیه بعد الآیات المتعلّقه بیوسف تشیر الی انّ طریقه و منهج النّبی لا یختلفان عن طریقه و منهج یوسف النّبی.فهو کان یدعو الی«اللّه الواحد القهّار»حتّی فی زوایا السجن،امّا غیره فکان یدعو الی اسماء انتقلت الیه بسبب التقلید من جاهل الی جاهل آخر.امّا سیره الأنبیاء و الرسل کلّها واحده.

و بما انّ الأقوام الضالّه و الجاهله کانت دائما تثیر هذا الاعتراض علی الأنبیاء و هو انّکم بشر؟!و لماذا لا تکلّف الملائکه لهذا الأمر؟و بما انّ الناس فی الجاهلیه کانوا یثیرون نفس الاعتراض بالنسبه الی الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و دعوته العامّه، فإنّ القرآن الکریم یجیب مرّه ثانیه علی هذا الاعتراض فیقول: وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ

قَبْلِکَ إِلاّ رِجالاً نُوحِی إِلَیْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُری

.

هؤلاء الرّسل هم کباقی الناس یعیشون فی المدن و القری،و یتجوّلون بین الناس و یشعرون بآلامهم و احتیاجاتهم و مشاکلهم.

فالوصف هنا ب مِنْ أَهْلِ الْقُری بالاضافه الی ما تشمله القریه فی اللغه من معنی المدینه او الرّیف فی مقابل«البدو»التی تطلق علی اهل الصحراء،فإنّها قد تشیر الی انّ أنبیاء اللّه لم ینهضوا من بین سکنه الصحراء-کما صرّح بذلک بعض المفسّرین-لانّ سکّان البادیه یتّصفون بالجهل و عدم المعرفه و قلوبهم قاسیه و یمتازون بقلّه معلوماتهم عن الحیاه و متطلّباتها.

صحیح انّ اکثر سکّان ارض الحجاز کانوا من البدو،و لکن الرّسول من اهل مکّه التی تعتبر مدینه کبیره نسبیّا،و صحیح ایضا انّ مدینه کنعان لو قیست بأرض مصر التی کان یوسف یحکم فیها لکانت صغیره و غیر مهمّه و لذلک کان یعبّر عنها بالبدو.و لکن نحن نعلم انّ یعقوب و أبناءه لم یکونوا من اهل البادیه ابدا،فهم کانوا یعیشون فی هذه المدینه الصغیره کنعان.

ثمّ یبیّن القرآن الکریم:إذا ما أراد هؤلاء ان یعلموا عاقبه مخالفتهم لدعوتک التی هی الدعوه الی اللّه فإنّ علیهم ان یسیروا لیروا آثار السابقین: أَ فَلَمْ یَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَیَنْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ .

انّ السیر و التجوال فی الأرض لمشاهده آثار الماضین و خراب دورهم و مدنهم بسبب العذاب الالهی،أفضل درس لهم،درس حی و ملموس للجمیع.

وَ لَدارُ الْآخِرَهِ خَیْرٌ لِلَّذِینَ اتَّقَوْا أَ فَلا تَعْقِلُونَ

.

لماذا؟لانّ الدنیا دار ملیئه بالمصائب و الآلام و غیر باقیه،امّا الآخره فدار خالده و خالیه من الآلام و العذاب.

حَتّی إِذَا اسْتَیْأَسَ الرُّسُلُ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ کُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا فَنُجِّیَ مَنْ نَشاءُ

.

تشير هذه الآيه الى ادقّ و أصعب لحظه فى حياه الأنبياء فنقول:انّ الأنبياء يواجهون دائما مقاومه عنيفه من قبل اقوامهم و طواغيت زمانهم حتّى يصل الحال بالأنبياء الى اليأس الى حدّ يظنّون انّ اتباعهم المؤمنين القليلين قد كذبوا عليهم و تركوهم وحدهم فى مسيرتهم فى الدعوه الى الحقّ،و فى هذه الأثناء حيث انقطع أملهم فى كلّ شيء أتاهم نصرنا.و فى نهايتها تشير الى عاقبه المجرمين وَ لاٰ يُرَدُّ بَأْسُنٰا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ .

فهذه سنّه اللّه فى الذين اصرّوا على اعمالهم و أغلقوا باب الهدايه على أنفسهم،فهم و بعد إتمام الحجّه عليهم ينالهم العذاب الالهى فلا تستطيع اى قوّه ان تردّه.

فى تفسير هذه الجمله من الآيه: ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا و من المقصود بها،هناك عدّه آراء للمفسّرين:

۱-انّ كثيرا من علماء التّفسير يرون ما قلناه سابقا،و خلاصته:انّ عمل الأنبياء يصل الى درجه يعتقدون فيها انّ كلّ الناس سوف يكذبوهم،حتّى تلك المجموعه التى تظهر ايمانها و لكنّها غير راسخه فى عقيدتها.

۲-و يحتمل فى تفسير الآيه انّ فاعل«ظنّوا»هم المؤمنون،و انّ المشاكل و الاضطرابات تصل الى حدّ بأن يسوء ظنّهم بما وعدهم الأنبياء من النصر و يخيل إليهم انّه خلاف الواقع؟و ليس بعيدا سوء الظنّ هذا من الافراد الذين آمنوا حديثا.

۳-و بعض آخر اعطى تفسيرا ثالثا للآيه،و خلاصته:انّ الأنبياء-بدون شكّ-كانوا بشرا،فحين يزلزلوا زلزالا شديدا و تبدوا جميع الأبواب امامهم موصده ظاهرا،و لا يرى فى الأفق فرج،و الحوادث المتتاليه تعصف بهم، و صرخات المؤمنين الذين نفذ صبرهم تصل الى اسماعهم،نعم فى هذه الحاله و بمقتضى الطبع البشرى قد يتبادر الى أذهانهم انّ الوعد بالنصر بعيد عن الصحّه! او انّ النصر الموعود له شروطه التى لم تتحقّق بعد،و لكن سرعان ما يتغلّبون

على هذه الأفكار و يبعدونها عن أذهانهم و يشع فى قلوبهم بصيص الأمل،و من ثمّ تتّضح لهم بشائر النصر.

و شاهدهم على هذا التّفسير الآيه(۲۱۴)سوره البقره: ...حَتّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللّهِ... .

و لكن مجموعه اخرى من المفسّرين أمثال العلاّمه«الطبرسى»فى مجمع البيان و«الرّازى»فى تفسيره الكبير،بعد ما ذكروا هذا الاحتمال قالوا ببطلانه لانّه حتّى هذا المقدار من التوهّم ليس من مقام الأنبياء،و على ايّه حال فالأصحّ هو التّفسير الاوّل.

و آخر آيه من هذه السوره ذات محتوى شامل و جامع لكلّ الأبحاث التى ذكرناها فى هذه السوره،و هى: لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ .

فهى مرآه يستطيعون من خلالها ان يروا عوامل النصر و الهزيمه،الهناء و الحرمان،السعاده و الشقاء،العزّ و الذلّه،و الخلاصه كلّ ما له قيمه فى حياه الإنسان و ما ليس له قيمه.و هى مرآه لكلّ تجارب المجتمعات السابقه و الرّجال العظام.و مرآه نشاهد فيها ذلك العمر القصير للإنسان كيف يطول بمقدار عمر كلّ البشر.و لكن اولى الألباب و ذوى البصائر فقط باستطاعتهم ان يشاهدوا العبر فى صفحه المرآه العجيبه هذه: ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ .

فهذه الآيات التى أنزلناها عليك و التى أزاحت الستار عن التأريخ الصحيح للأمم السابقه ليست من العلم البشرى الذى يمكن معرفته عن العلماء،بل انّ الكتب السّماويه السابقه تشهد على ذلك و تصدّقه و تؤيّده و بالاضافه الى ذلك ففى هذه الآيات كلّ ما يحتاجه الإنسان فى تأمين سعادته و تكامله: وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ .

و لهذا السبب فهى وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ فالظاهر من الآيه أعلاه

انّها تريد ان تشير الى هذه النقطه المهمّه و هی:انّ للقصص المصنوعه ذات الاثاره كثيره فی اوساط الأمم و هی من الأساطير الخياليه،و لكن لا يتوهّم احد بأنّ سيره يوسف او سير بقيّه الأنبياء التی ذكرها القرآن الكريم من ذلك القبيل.

المهمّ انّ هذه القصص المثيره و ذات العبر هی عين الواقع و لا تحتوی علی ادنی انحراف عن الواقع الموضوعی،و لهذا السبب يكون تأثيرها كبيرا جدّا، لأنّنا نعلم أنّ الأساطير مهما تكن شيّقه و مثيره فإنّ تأثيرها قليل إذا ما قورنت مع سيره واقعيّه لانّ:

١-عند ما يصل القارئ او المستمع للقصّه الی أقصی لحظات الاثاره يتبادر الی ذهنه فجأه انّ هذا وهم و خيال ليس اكثر! ٢-انّ هذه القصص فی الواقع هی من هندسه الإنسان،فهو يحاول ان يجسّم أفكاره فی سلوك بطل القصّه،و لذلك فهی ليست اكثر من فكر الإنسان،و هذه القصّه بالمقارنه مع السير الواقعيّه بينهما فرق شاسع و لا تستطيع القصّه البشريه ان تكون اكثر من موعظه لصاحب المقاله.و لكن التاريخ الواقعی للبشر ليس كذلك،فهو اكثر ثمرا و نفعا و اكثر بركه.

نهايه سوره يوسف اللهمّ!امنحنا البصر فی أعيننا و السمع فی آذاننا و العلم فی قلوبنا،حتّی نستطيع ان نحصل من سيره السابقين علی طرقا للنجاه من المشاكل التی نغوص الآن فيها.

ربّنا!ألهمنا بصرا حادّا حتّی نری عاقبه الذين اختلفوا و تشتّتوا فيما بينهم فكان عاقبتهم الهزيمه و الخسران،و حتّی لا نسير فی نفس الطريق الذی سلكوه.

اللهمّ!ارزقنا تلك النيّه الخالصه لكی نتغلّب بها علی نفوسنا،و تلك المعرفه

حتّى لا يصيبنا الغرور بالنصر،و تلك السّماحه و نكران الذات بحيث إذا رأينا من هو أفضل منّا على انجاز المسؤوليه تركناها و تنازلنا عنها اليه.

فإن منحتنا هذا فسوف نستطيع ان نتغلّب على جميع المشاكل،و ان نحفظ نور الإسلام و القرآن فى هذه الدنيا.

ص :۳۲۲

سوره الرّعد

اشاره

مکّیه و عدد آیاتها مائه و ثلاث و أربعون آیه

ص :۳۲۳

محتوى السّوره

كما قلنا سابقا،بما انّ السور المكيّه كان نزولها فى بدايه دعوه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أثناء محاربته للمشركين،فإنّها غالبا ما كانت تتحدّث عن المسائل العقائديه و خصوصا الدعوه الى التوحيد و المعاد و محاربه الشرك.فى الوقت الذى نرى فيه أنّ السور المدنيه نزلت بعد انتشار الإسلام و قيام الحكومه الاسلاميه،فقد تناولت الأحكام و المسائل المتعلّقه بالنظام الاجتماعى و احتياجات المجتمع.

فهذه السوره(سوره الرعد)التى هى من السور المكّيه لها نفس الخصائص السابقه،فبعد ما تشير الى احقّيه القرآن و عظمته،تتطرّق الى آيات التوحيد و اسرار الكون التى هى من دلائل ذات اللّه المقدّسه.فتاره تتحدّث عن رفع السّماوات بغير عمد،و اخرى عن تسخير الشمس و القمر،و مرّه عن مدّ الأرض و خلق الجبال و الأشجار و الثمار،و مرّه عن ستار الليل المظلم الذى يغشى النهار.

و مرّه اخرى تأخذ بأيدى الناس و تنقلهم الى جنّات النخيل و الأعناب و الزروع،و تحصى لهم عجائبها.

ثمّ تتطرّق الى المعاد و بعث الإنسان من جديد و محكمه العدل الالهى،و هذه المجموعه من اصول المبدإ و المعاد تكمل ما أوضح من مسئوليه و وظائف الناس و انّ اى تحوّل فى قضاياهم المصيريّه يجب ان يبدأ من داخل أنفسهم.

ثمّ تعود مرّه اخرى الى فكره التوحيد،و تسبيح الرعد و خوف الناس من البرق و الصاعقه،و سجود السّماوات و الأرضين فى مقابل عظمه الربّ.و لأجل

ان تتعقّل القلوب و الأسماع و توقظ الأفكار،و لإيضاح انّ الأوثان ليس لها اى ميزه او فائده،تدعوهم الى التفكّر و التعلّم،و تضرب لهم الأمثال لمعرفه الحقّ من الباطل.الأمثال الحيّه و القابله للإدراك.

و من هنا فالحصيله النهائيه للايمان بالتوحيد و المعاد هى تلك التطبيقات العمليه و الحيّه لها،فالقرآن فى هذه السوره يدعو الناس الى الوفاء بالعهد و صله الأرحام و الصبر و الاستقامه و الإنفاق فى السرّ و العلانيه و النهى عن الانتقام.

و يوضّح لهم انّ الدنيا فانيه،و الطمأنينه و الراحه لا تحصلان الّا فى ظلّ الايمان باللّه.

و فى النهايه يأخذ بأيدى الناس و يغور بهم فى اعماق التاريخ،و يريهم العواقب السيّئه للذين طغوا و عصوا و ابعدوا الناس عن الحقّ،و يختم السوره بتهديد الكفّار بعبارات و جمل لاذعه.

اذن فالسوره تبتدئ بالعقائد و الايمان و تنتهى بالبرامج التربويه للإنسان.

الآيات [سوره الرعد (۱۳): الآيات ۱ الی ۴]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ المر تِلْكَ آيٰاتُ اَلْكِتٰابِ وَ اَلَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ اَلْحَقُّ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ اَلنّٰاسِ لاٰ يُؤْمِنُونَ (۱) اَللّٰهُ اَلَّذِي رَفَعَ اَلسَّمٰاوٰاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهٰا ثُمَّ اِسْتَوىٰ عَلَى اَلْعَرْشِ وَ سَخَّرَ اَلشَّمْسَ وَ اَلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ اَلْأَمْرَ يُفَصِّلُ اَلْآيٰاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقٰاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (۲) وَ هُوَ اَلَّذِي مَدَّ اَلْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِيهٰا رَوٰاسِيَ وَ أَنْهٰاراً وَ مِنْ كُلِّ اَلثَّمَرٰاتِ جَعَلَ فِيهٰا زَوْجَيْنِ اِثْنَيْنِ يُغْشِي اَللَّيْلَ اَلنَّهٰارَ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (۳) وَ فِي اَلْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجٰاوِرٰاتٌ وَ جَنّٰاتٌ مِنْ أَعْنٰابٍ وَ زَرْعٌ وَ نَخِيلٌ صِنْوٰانٌ وَ غَيْرُ صِنْوٰانٍ يُسْقىٰ بِمٰاءٍ وٰاحِدٍ وَ نُفَضِّلُ بَعْضَهٰا عَلىٰ بَعْضٍ فِي اَلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (۴)

التّفسير

اشاره

آيات اللّه فی السّماء و الأرض و عالم النّبات:

مرّه اخری نواجه الحروف المقطّعه فی بدایه هذه السوره،و التی وردت فی

ص: ۳۲۷

(۲۹)سوره اخری،و لکن الحروف المقطّعه المذکوره هنا تتکوّن من الم التی وردت فی بدایه عدّه سور،و الر و التی وردت فی بدایه سور اخری،و فی الواقع انّ هذه السوره تنفرد عن غیرها من السور ب المر .

و من المعتقد فی تفسیر الحروف المقطّعه انّ لها ارتباطا مباشرا بمعانی نفس السوره،فمن المحتمل انّ هذا الترکیب فی بدایه سوره الرعد یشیر الی جمعها لمحتوی مجموعتین من السور التی تبتدئ ب الم و الر .

و إذا ما امعنا النظر فی محتوی هذه السور نجدها مطابقه لما قلناه، و بخصوص تفسیر الحروف المقطّعه کانت لنا شروح مفصّله عنها فی بدایه سوره البقره و آل عمران و الأعراف فلا ضروره فی التکرار.

و علی ایّه حال فالآیه الاولی من هذه السوره تتحدّث عن عظمه القرآن تِلْکَ آیاتُ الْکِتابِ وَ الَّذِی أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ الْحَقُّ . (۱)

و لا یوجد ای شک أو تردید فی هذه الآیات،لانّها تبیّن عین الحقیقه للکون و نظامه المرتبط بالإنسان.فهو حقّ لا یشوبه باطل،و لهذا السبب فإنّ علائم الحقّ واضحه فیه لا تحتاج الی براهین وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَ النّاسِ لا یُؤْمِنُونَ .

لانّ الناس إذا ما ترکوا و شأنهم و لم یتّبعوا معلما صادقا یهدیهم و یربیهم فی حیاتهم و کانوا أحرارا فی اتباع أهوائهم فانّهم سوف یتیهون فی الطریق و یضلّون عن الحقّ.

و امّا إذا کان الرسل و هداه الحقّ هم الائمّه و القاده حیث یضع الفرد نفسه فی تصرّفهم،فإنّ الاکثریه تسیر فی طریق الحقّ.

ثمّ تتطرّق السوره الی شرح القسم المهمّ من ادلّه التوحید و آیات اللّه فی الکون،و تتجوّل بالإنسان فی عرض السّماوات و تریه الکواکب العظیمه و اسرار هذا النظام و حرکته،حتّی یؤمن بالقدره المطلقه و الحکمه اللامتناهیه

ص :۳۲۸

۱- ۱) استخدام تلک للبعید-و کما قلنا سابقا-کنایه عن عظمه القرآن و اعجازه.

اَللّٰهُ الَّذِی رَفَعَ السَّمٰاوٰاتِ بِغَیْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهٰا

(١)

.

الجمله بِغَیْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهٰا لها تفسیران:

١-فکما ترون انّ السّماء مرفوعه بدون عمد(ای انّها فی الأصل بلا عمد کما ترونها فعلا).

٢-و الثانیه ان(ترونها)صفه للعمد فیکون المعنی:انّ السّماء مرفوعه بعمد و لکن لا ترونها لأنّها غیر مرئیه! و هذا هو الذی یراه الامام علی بن موسی الرضا علیه السّلام،

ففی حدیث رواه الحسین بن خالد قال: سألت الامام أبا الحسن الرضا علیه السّلام:ما المقصود فی قوله تعالی: وَ السَّمٰاءِ ذٰاتِ الْحُبُکِ قال:هذه السّماء لها طرق الی الأرض،فقلت له:

کیف تکون لها طرق الی الأرض فی الوقت الذی یقول سبحانه و تعالی: رَفَعَ السَّمٰاوٰاتِ بِغَیْرِ عَمَدٍ فأجابه الامام:«سبحان اللّه،أ لیس اللّه یقول بغیر عمد ترونها؟قلت بلی،فقال:ثمّ عمد و لکن لا ترونها» (٢) .

انّ هذه الآیه بالرغم من وجود هذا الحدیث الذی یفسّرها،فإنّها تکشف عن حقیقه علمیه لم تکن معروفه عند نزول الآیات الکریمه،لأنّه فی ذاک الوقت کانت نظریه«بطلیموس»فی الهیئه تتحکّم بکلّ قواها فی المحافل العلمیه فی العالم و علی أفکار الناس،و طبقا لهذه النظریه فإنّ السّماوات عباره عن اجرام متداخله تشبه قشور البصل،و انّها لم تکن معلّقه و بدون عمد،بل کلّ واحده منها تستند الی الاخری.

و لکن بعد نزول هذه الآیات بألف سنه تقریبا توصل علم الإنسان الی انّ هذه الفکره غیر صحیحه،فالحقیقه انّ الاجرام السّماویه لها مقرّ و مدار ثابت،و لا

١- ١) (عمد)علی وزن(صمد)«و عمد»علی وزن(زحل)و الاثنان جمع عمود،فالاوّل جمع،و الثّانی اسم الجمع(مجمع البیان ذیل الآیه).

٢- ٢) الحدیث فی تفسیر البرهان،عن علی بن ابراهیم عن العیاشی(البرهان،المجلّد الثّانی،ص ٢٧٨).

تستند الى شیء،فالشیء الوحید الذی یجعلها مستقرّه و ثابته فی مکانها هو تعادل قوّه التجاذب و التنافر،فالاولی تربط الاجرام فیما بینها،و الاخری لها علاقه بحرکتها.

هذا التعادل للقوّتین الذی یشکّل اعمده غیر مرئیّه یحفظ الاجرام السّماویه و یجعلها مستقرّه فی مکانها.

و

فی الحدیث عن الامام امیر المؤمنین علیه السّلام بخصوص هذا الموضوع قال:

«هذه النّجوم التی فی السّماء مدائن مثل المدائن التی فی الأرض مربوطه کلّ مدینه الی عمود من نور» (۱) .

و هل نجد أوضح من هذا الوصف«عمود غیر مرئی»او«عمود من نور»فی ادب ذلک العصر لبیان أمواج الجاذبیه و تعادل قوّتی الجذب و الدفع.و للاطلاع اکثر راجع کتاب[القرآن و آخر الرسل]

صفحه ۱۶۶ و ما بعدها.

ثُمَّ اسْتَویٰ عَلَی الْعَرْشِ

فی خصوص معنی العرش و الاستواء علیه هناک شرح واف عنه فی ذیل الآیه ۵۴ من سوره الأعراف.

و بعد ان بیّن خلق السّماوات و هیمنه الخالق علیها،تحدّث عن تسخیر الشمس و القمر وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ .

ما أعظم هذا التسخیر الذی یقع تحت اراده و مشیئه الخالق،و فی خدمه الوجود الانسانی و الکائنات الحیّه حیث یشعّ نورهما و تضیئان العالم،و تحافظان علی دفء الکائنات و تساعدانها علی النمو،و تخلقان ظاهره الجزر و المدّ فی البحار،و خلاصه القول انّهما منشأ لجمیع البرکات،و لکن هذا النظام المادّی لیس ابدیّا،بل کُلٌّ یَجْرِی لِأَجَلٍ مُسَمًّی .

ثمّ یضیف بعد ذلک:انّ هذه الحرکات و التغیّرات فی الأحوال لیست بدون حساب و کتاب،و بدون فائده و نتیجه،بل یُدَبِّرُ الْأَمْرَ یُفَصِّلُ الْآیٰاتِ لَعَلَّکُمْ بِلِقٰاءِ رَبِّکُمْ تُوقِنُونَ .

۱- ۱) سفینه البحار،المجلد الثانی،ص ۵۷۴ نقلا من تفسیر علی بن ابراهیم القمی.

و تعقیبا للآیات السّابقه التی نقلت الإنسان الی السّماء لتریه الآیات الالهیّه هناک،تنقله الآیه الثانیه من آیات التوحید الی کتاب الکون ای الأرض و الجبال و الأنهار و انواع الثمار و شروق الشمس و غروبها،حتّی یتفکّر فی محل استقراره فی البدایه ماذا کان؟و کیف أصبح الآن بهذه الصوره؟ قوله تعالی: وَ هُوَ الَّذِی مَدَّ الْأَرْضَ و بسطها بالشکل الذی تتهیّأ فیه لحیاه الإنسان و نمو النباتات و الحیوانات،و ملا الاودیه و المنحدرات الصعبه بالتراب من خلال تفتّت الصخور الجبلیّه،و جعل الأرض مسطّحه و قابله للسکن،بعد ان کانت التضاریس مانعه من سکن الإنسان علیها.

و قد یحتمل فی تفسیر هذه الجمله مَدَّ الْأَرْضَ الاشاره الی ما یقوله علماء الطبیعه من انّ الأرض کانت مغطاه بالماء.ثمّ استقرّت المیاه فی الودیان ظهرت الیابسه،و بمرور الوقت اتّسعت حتّی أصبحت علی ما نراه الیوم.

ثمّ یشیر القرآن الکریم الی ظهور الجبال وَ جَعَلَ فِیهٰا رَوٰاسِیَ فهی تلک الجبال التی عبّرت عنها فی آیات اخری ب(الأوتاد) و لعلّ ذلک اشاره الی انّها متشابکه فیما بینها من الأسفل مثلها مثل الدرع الواقی و تغطّی سطح الأرض، فهی تبطل الضغوط الداخلیه فی الأسفل و الضغط الخارجی المتمثّل بجاذبیه القمر و المدّ و الجزر.و کذلک تقضی علی الاضطرابات و الزلازل،و تجعل الأرض مستقرّه و ساکنه و صالحه لحیاه الإنسان.

انّ ذکر القرآن الکریم الجبال بعد مدّ الأرض یحتمل ان یکون المراد منه انّ الأرض لیست منبسطه بشکل تامّ بحیث تنعدم فیها المرتفعات،ففی هذه الصوره لا تستقرّ فیها الأمطار و المیاه،او تتحوّل الی مستنقعات و تجری فیها السیول و تتعرّض للطوفانات الدائمه،فخلق الجبال لتأمن البشریه من هذین الأمرین.

و لیست الأرض کلّها جبالا و ودیانا فتکون غیر قابله للسکن،بل تحتوی

على مناطق منبسطه و مناطق جبليه و وديان،و هذه أفضل صيغه لحياه الإنسان و الكائنات الحيّه.ثمّ تضيف الآيه بعد ذلك الأنهار وَ أَنْهٰاراً .

رائع جدّا نظام سقى الأرض بواسطه الجبال،و علاقه الأنهار بالجبال،لانّ كثيرا من الجبال تختزن المياه بشكل ثلوج على قممها و فى شقوق الوديان،ثمّ تذوب تدريجيّا،و طبقا لقانون الجاذبيه تأخذ طريقها من المناطق المرتفعه الى المناطق المنخفضه بدون ان تحتاج الى قوّه اخرى لمساعدتها،فهى تقوم بسقى كثير من المناطق و بشكل طبيعى على مدار السنه.

فلو لم يكن للأرض انحدار كاف و لم تختزن الجبال المياه بهذا الشكل،لكان سقى كثير من المناطق اليابسه صعبا،و فى حاله الإمكان كنّا نحتاج الى صرف مبالغ هائله لإيصال الماء إليها.

ثمّ يذكر القرآن بعد ذلك النّباتات و الأشجار التى تتكوّن من الأرض و المياه و اشعّه الشمس،و التى هى أفضل وسيله لإمرار الإنسان بالغذاء: وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرٰاتِ جَعَلَ فِيهٰا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ .

و الآيه تشير هنا الى انّ الفاكهه كائنات حيّه فيها الذكر و الأنثى،و بواسطه التلقيح تتكوّن الثمار.

فإذا كان العالم السّويدى«لينه»المختص بعلم النبات هو الذى توصّل الى هذه الحقيقه فى حوالى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى و هى انّ التزويج فى عالم النباتات يعتبر قانونا عامّا تقريبا كالحيوانات و لها نطف ذكريه و انثويه و انّ الثمره تتكوّن من التلقيح.فالقرآن الكريم قبل الف و مائه عام من ذلك كشف لنا عن هذه الحقيقه،و هذه واحده من معاجز القرآن العلميه التى تبيّن عظمه هذا الكتاب السّماوى الكبير.

و ليس من شكّ انّ ما قبل«لينه»كان كثير من العلماء يعتقدون بوجود الذكور و الإناث فى بعض الأشجار،حتّى الناس العاديين كانوا يعلمون بذلك،

و لكن لم يكن يعلم اى واحد انّ هذا القانون عام،حتّى كشفه«لينه»و من قبله القرآن الكريم.

و بما انّ حياه الإنسان و كلّ الكائنات-و خصوصا النباتات-لا يمكن لها الاستمرار الاّ بوجود نظام دقيق للّيل و النهار،فإنّ القرآن يشير الى ذلك فى القسم الآخر من الآيه يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ .

و لو لا ظلمه الليل و هدوؤه،لأحرقت الشمس بنورها المستمر كلّ النباتات، و لم تبق فاكهه و لا اى كائن حى على وجه الأرض،فسطح القمر ليس له نهار دائم و مع هذا نجد ان حتّى هذا المقدار من نهاره الذى يعادل خمسه عشر يوما من ايّام الأرض.نرى انّ درجه فيها مرتفعه جدّا بحيث لو وضعنا هناك ماءا او اى سائل آخر فسوف يغلى و يتبخّر،و لا يمكن لاى موجود حىّ فى الأرض ان يتحمّل هذه الحراره.

و تبيّن الآيه فى النهايه إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ أولئك الذين يتفكّرون فى هذا النظام الرائع،فى نظام النّور و الظلام،و حركه الاجرام السّماويه، و تسخير الشمس و القمر و جعلها فى خدمه الإنسان،و فى نظام مدّ الأرض و اسرار خلق الجبال و الأنهار و النّباتات،نعم!فهم يرون بوضوح فى هذه الآيات الحكمه المطلقه و القدره اللامتناهيه للخالق العلاّم.

و فى الآيه الاخيره من هذه المجموعه يشير القرآن الكريم الى عدّه نقاط حول علم الأرض و علم النّبات،و التى تعبّر عن النظام الدقيق للخلقه،يقول اوّلا وَ فِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ (1) فبالرغم من انّ هذه القطع متصله مع بعضها البعض،فإنّ لكلّ واحد منها بناءه و تركيبه الخاص به،فبعضها قوى و الآخر ضعيف،و بعضها مالح و الآخر حلو،و كلّ قطعه لها الاستعداد فى تربيه نوع خاص

١- ١) متجاور بمعنى الجار و ما يكون قريبا،فقوله: (قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ) يقصد منه انّ هذه القطع مختلفه و ليست متساويه، و الاّ لم يكن للجمله معنى.

من النباتات و أشجار الفاكهه و الزراعه،لانّ احتياجات الإنسان و الحيوان كثيره و متفاوته،و قد تكون لكلّ قطعه من الأرض المسؤوليه فى تلبيه احدى هذه الحاجات.و امّا إذا كانت فى مستوى واحد،او لم تكن استعداداتها مقسّمه بالشكل المطلوب،لكان الإنسان يمرّ بأزمه و نقص فى مواده الغذائيه و الطبيه و سائر الاحتياجات الاخرى،و لكن هذا التقسيم المناسب للمسؤوليه و توزيعها على القطعات المختلفه للأرض سوف يسدّ الاحتياجات اللازمه للإنسان.

قوله تعالى: وَ جَنّٰاتٌ مِنْ أَعْنٰابٍ وَ زَرْعٌ وَ نَخِيلٌ (۱) صِنْوٰانٌ وَ غَيْرُ صِنْوٰانٍ (۲) .

«صنوان»جمع«صنو»بمعنى الغصن الخارج من اصل الشجره،و عليه فالكلمه تعنى الاغصان المختلفه الخارجه من اصل الشجره.

و الملفت للنظر انّه يمكن ان يكون لكلّ واحد من هذه الاغصان نوع خاصّ من الثمر،و هذه قد تشير الى قابليه الأشجار للتركيب. ففى بعض الأحيان يتمّ تركيب عدّه أغصان مختلفه على ساق واحده،و بعد نمو هذه التراكيب تعطى كلّ واحده منها نوعا خاصا من الثمر،فالتربه واحده و الساق و الجذر واحد و لكن الثمر مختلف.

و الأعجب من ذلك انّها تسقى بماء واحد يُسْقىٰ بِمٰاءٍ وٰاحِدٍ وَ نُفَضِّلُ بَعْضَهٰا عَلىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ .

و قد نرى كثيرا انّه فى الشجره الواحده او فى غصن واحد توجد ثمار من نفس الصنف و لكن لها اطعمه و ألوان مختلفه،و فى العالم نشاهد اورادا كثيره، و قد يحمل الغصن الواحد اورادا مختلفه الألوان.

۱- ۱) «أعناب»جمع عنب و«النخيل»جمع نخله،و يحتمل انّهما ذكرتا بصيغه الجمع للدلاله على الأنواع المختلفه للعنب و التمر و التى قد تصل الى مئات الأنواع فى العالم.

۲- ۲) و قد ذكروا معنى آخر لصنو،و هو الشبيه،و لكن يحتمل انّ هذا المعنى مأخوذ من نفس المعنى الذى ذكرناه آنفا.

ای مختبر للأسرار هذا الذی یعمل فی أغصان الأشجار،و الذی ینتج من مواد قلیله متحده،ترکیبات مختلفه تؤمّن احتیاجات الإنسان.

أ لیست هذه الأسرار تدلّ علی وجود من یقود هذا النظام بالعلم و الحکمه.

و هنا فی آخر الآیه یقول تعالی: إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیٰاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ .

هناک عدّه نقاط:

اشاره

۱-ما هی وجه العلاقه بین التوحید و المعاد

؟ کان الحدیث فی بدایه الآیه عن التوحید و اسرار الکون،و لکن نقرا فی نهایتها یُفَصِّلُ الْآیٰاتِ لَعَلَّکُمْ بِلِقٰاءِ رَبِّکُمْ تُوقِنُونَ فما هی وجه العلاقه بین التوحید و المعاد حتّی تکون الواحده نتیجه للأخری؟ للاجابه علی هذا السؤال لا بدّ من ملاحظه ما یلی:

ا-انّ قدره اللّه علی إیجاد الکون دلیل علی قدرته فی إعادته کما نقرا فی الآیه(۲۹)من سوره الأعراف کَمٰا بَدَأَکُمْ تَعُودُونَ او نقرا فی أواخر سوره «یس»قوله تعالی: أَ وَ لَیْسَ الَّذِی خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ بِقٰادِرٍ عَلیٰ أَنْ یَخْلُقَ مِثْلَهُمْ .

ب-و کما قلنا فی بحثنا عن المعاد،فإنّه لا فائده من خلق العالم إذا لم تکن الآخره حقیقه،لانّه لا یمکن ان تکون هذه الحیاه هی الهدف من خلق هذا العالم الواسع.یقول القرآن الکریم ضمن آیاته المتعلّقه بالمعاد من سوره الواقعه آیه (۶۲): وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَهَ الْأُولیٰ فَلَوْ لاٰ تَذَکَّرُونَ (۱) .

۱- ۱) للمطالعه اکثر راجع کتاب[المعاد و العالم بعد الموت] .

۲-الاعجاز العلمی للقرآن

هنـاک آیـات کثیره فی القرآن المجیـد أزاحت السـتار عن مجموعه من الأسـرار العلمیه التی کـانت خافیه علی العلماء فی ذلک الوقت.و هذه واحده من دلائل اعجاز و عظمه القرآن،و غالبا ما کان یشیر إلیها کثیر من المحقّقین فی مسأله الاعجاز.

فمن جمله هـذه الآیـات مـا ذکرناه آنفا و هی الآیه التی تـذکر الزوجیه فی النباتات،فکما قلنا سابقا:انّ ظاهره الزوجیه فی النباتات کانت معروفه للناس منذ القدیم و لو بشکلها الجزئی،و لکن لم تکن تعرف بشکل قانون عام حتّی أواسط القرن الثامن عشر حین استطاع العالم«لینه»و الاوّل مرّه ان یکشف عن هذه الحقیقه،و لکن القرآن الکریم اخبر بذلک قبل اکثر من الف عام.

کما أشار القرآن الی هذا الموضوع فی سوره لقمان الآیه ۱۰ قوله تعالی:

وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا فِیها مِنْ کُلِّ زَوْجٍ کَرِیمٍ .

کما اشارت إلیها آیات اخری.

۳-تسخیر الشمس و القمر

قرانا فی الآیات السابقه انّ اللّه سخّر الشمس و القمر،کما نقرا فی آیات کثیره اخری عن تسخیر السّماء و الأرض و اللیل و النهار للإنسان.

فنقرا فی آیه وَ سَخَّرَ لَکُمُ الْأَنْهارَ (۱) و فی آیه اخری وَ سَخَّرَ لَکُمُ الْفُلْکَ (۲) سَخَّرَ لَکُمُ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ (۳) وَ سَخَّرَ لَکُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ (۴)

۱- ۱) ابراهیم،۳۲.

۲- ۲) ابراهیم،۳۲.

۳- ۳) النحل،۱۲.

۴- ۴) ابراهیم،۳۳.

وَ هُوَ الَّذِی سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْکُلُوا مِنْهُ لَحماً طَرِیًّا

(۱)

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ سَخَّرَ لَکُمْ مٰا فِی الْأَرْضِ

(۲)

وَ سَخَّرَ لَکُمْ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً مِنْهُ

(۳)

.

من مجموع هذه الآیات یمکن ان نستفید ما یلی:

اوّلا:انّ الإنسان أکمل من جمیع الموجودات فی هـذا العالم،فمن وجهه اسـلامیه نری انّ الشـریعه الاسـلامیه تعطی للإنسان القیمه الکـبیره بحیث تسـخّر له کـلّ مـا فی الکون،فهو خلیفه اللّه،و قلبه مسـتودع نوره! ثانیـا:و یتّضـح انّ التسـخیر لیس المقصود منه انّ جمیع هـذه الکائنـات هی تحت امره الإنسـان،بل هی بقـدر معیّن تـدخل ضـمن منافعه و خـدمته،و علی سبیل المثال فإنّ تسـخیر الکواکب السّماویه من اجل ان یستفید الإنسان من نورها او لفوائد اخری.

فلا یوجد ای مبدا یقیّم الإنسان بهذا الشـکل،و لا یوجد فی ایّه فلسفه هذا المقام لشخصیته،فهذه من خصائص المدرسه الاسلامیه التی ترفع من قیمه الإنسـان بهـذا الشـکل الکبیر،فـالمعرفه بهـا لهـا اثر عمیق علی تربیته،لاـنّه حینمـا یفکر الإنسان بتعظیم اللّه له،و تسـخیر السـحاب و الهواء و الشـمس و القمر و النّجوم و جعلهـا فی خـدمته،فمثـل هـذا الإنسـان لاـ تعتریه الغفله و لا یکون عبـدا للشهوات و أسیرا للمال و المقام،بل یحطّم القیود و یتطلّع الی آفاق السّماء.

کیـف یمکن القول:انّ الشـمس و القمر غیر مسـخّرین للإنسـان فی الوقت الـذی نری انّ فی اشـعّتها نور یضـیء حیـاه الإنسـان و یحافظ علی دفئه،و لولاـ اشـعّه الشـمس لما وجـدت ای حرکه او نشاط علی الکره الارضـیه،و من جهه اخری فإنّ جاذبیتها تنظم حرکه الأرض حول مدارها، و توجد ظاهره المدّ و الجزر فی

۱- ۱) النحل،۱۴.

۲- ۲) الحجّ،۶۵.

۳- ۳) الجاثیه،۱۳.

البحار بمساعده القمر و هی بالتالی منبع لکثیر من الفوائد و البرکات.

فالبحار و الأنهار،و اللیل و النهار،و الفلک،کلّ واحـده هی فی خـدمه الإنسان و مصالحه.و الـدقّه فی هـذا التسـخیر و النظام دلیل واضح علی عظمه و قدره و حکمه الخالق المتعال.

ص :۳۳۸

الآيتان [سوره الرعد (١٣): الآيات ۵ الی ۶]

اشاره

وَ إِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَ إِذٰا كُنّٰا تُرٰاباً أَ إِنّٰا لَفِی خَلْقٍ جَدِیدٍ أُولٰئِکَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَ أُولٰئِکَ اَلْأَغْلاٰلُ فِی أَعْنٰاقِهِمْ وَ أُولٰئِکَ أَصْحٰابُ اَلنّٰارِ هُمْ فِیهٰا خٰالِدُونَ (۵) وَ یَسْتَعْجِلُونَکَ بِالسَّیِّئَهِ قَبْلَ اَلْحَسَنَهِ وَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ اَلْمَثُلاٰتُ وَ إِنَّ رَبَّکَ لَذُو مَغْفِرَهٍ لِلنّٰاسِ عَلیٰ ظُلْمِهِمْ وَ إِنَّ رَبَّکَ لَشَدِیدُ اَلْعِقٰابِ (۶)

التّفسیر

اشاره

تعجّب الكفّار من المعاد:

بعد ما انتهینا من البحث السّابق عن عظمه اللّه و دلائله،تتطرّق الآیه الاولی من هذه المجموعه الی مسأله المعاد التی لها علاقه خاصّه بمسأله المبدإ،و یؤكّد القرآن الكریم هذا المعنی حیث یقول: وَ إِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَ إِذٰا كُنّٰا تُرٰاباً أَ إِنّٰا لَفِی خَلْقٍ جَدِیدٍ (۱) ای إذا أردت ان تتعجّب من قولهم هذا فتعجب لقولهم فی

۱- ۱) و یحتمل فی تفسیر جمله إِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ انّ المقصود منه ان تعجب من عبادتهم للأصنام فالأعجب ان ینكروا المعاد،و لكن هذا الاحتمال غیر وارد،و الصحیح ما هو ظاهر الآیه المذكور فی المتن.

المعاد.

هـذا التعجّب من المعاد كان موجودا عند جميع الأقوام الجاهله،فهم يظنّون انّ الحياه بعد الموت امر محال،و لكنّنا نرى انّ الآيات السابقه و آيات اخرى من القرآن الكريم تجيب على هـذا التساؤل،فما هو الفرق بين بـدء الخلق و البعث من جديد؟فالقادر الذى خلقهم اوّل مرّه باستطاعته ان يبعث الروح فيهم مرّه ثانيه، و هل نسى هؤلاء بدايه خلقهم حتّى يجادلوا فى بعثهم!؟ ثمّ يبيّن حالهم الحاضر و مصيرهم فى ثلاث جمل:

يقول اوّلا: أُولٰئِکَ الَّذِینَ کَفَرُوا بِرَبِّهِمْ لانّهم لو كانوا يعتقـدون بربوبيّه اللّه لما كانوا يتردّدون فى قـدره اللّه على بعث الإنسان من جديد،و على هذا فسوء ظنّهم بالمعاد هو نتيجه لسوء ظنّهم بالتوحيد و ربوبيه اللّه.

و الأمر الآخر انّه بكفرهم و عدم ايمانهم و خروجهم من ساحه التوحيد قيّدوا أنفسـهم بالاغلال،أغلال عباده الأصـنام و الأهواء و الماده و الجهل و الخرافه، و جعلوها فى أعناقهم وَ أُولٰئِکَ الْأَغْلاٰلُ فِی أَعْنٰاقِهِمْ .

و مثل هؤلاء الأشخاص ليس لهم عاقبه سوى دخول النّار وَ أُولٰئِکَ أَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِیهٰا خٰالِدُونَ .

و فى الآيه الثانيه يشير الى دعوى اخرى للمشركين حيث يقول:

وَ یَسْتَعْجِلُونَکَ بِالسَّیِّئَهِ قَبْلَ الْحَسَنَهِ

بدلا من طلب الرحمه ببركه وجودك بينهم.

لماذا يصرّ هؤلاء القوم على الجهل و العناد؟لماذا لم يقولوا:لو كنت صادقا لأنزلت علينا رحمه اللّه،او لرفعت العـذاب عنّا!؟ و هل يعتقدون بكذب العقوبات الالهيّه؟ وَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاٰتُ (۱) .

ثمّ تضيف الآيه وَ إِنَّ رَبَّکَ لَذُو مَغْفِرَهٍ لِلنّٰاسِ عَلیٰ ظُلْمِهِمْ وَ إِنَّ رَبَّکَ لَشَدِیدُ الْعِقٰابِ

۱- ۱) المثلات جمع«مثله»بفتح الميم و ضم الثاء و معناها العقوبات النازله على الأمم الماضيه.

.انّ العـذاب الشديـد غير مخـالف لرحمته الواسـعه،كمـا لا يتوهّم أحـدا انّ رحمته العامّه هى إعطاء الفرصه للظالمين ان يفعلوا ما يريـدون.لانّه فى هـذه الموارد يكون شديـد العقاب،و الحصول على نتائـج هذه الصـفتين للربّ يعنى لَذُو مَغْفِرَهٍ و لَشَدِيدُ الْعِقَابِ مرهون بسلوك الإنسان نفسه.

ملاحظتان

اشاره

١-لماذا التعجّب فى الخلق الجديد

؟ يستفاد من خلال آيـات متعـدّده فى القرآن الكريم انّ من جمله مشاكل الأنبياء مع المشـركين اثبات«المعاد الجسـمانى»لانّهم كانوا يتعجّبون دائما من هـذا الموضوع و هو:كيف يبعث الإنسان من جديـد بعد ان صار ترابا؟كما اشارت اليه الآيه السابقه أَ إِذا كُنّا تُراباً أَ إِنّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيـدٍ و هناك سبع آيات اخرى تشير الى هذا الموضوع(الآيه ٣۵ و ٨٢ من سوره المؤمنون ٧-٢ النمل ۶-١ و ۵٣ الصافات-٣ ق ٧-۴ الواقعه).

و مـن هنـا يتّضـح انّ هـذا التسـاؤل كـان مهمّـا بالنسبه إليهم حيث كـانوا يكرّرونه فى كـلّ فرصه،و لكن القرآن الكريم يجيبهم بعبارات قصـيره و قاطعه،فمثلا الآيه (٢٩)من سوره الأـعراف: كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ تتكوّن من كلمات قليله و لكنّها مفحمه لهم،و فى مكـان آخر يقول تعـالى: وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ لانّكم فى الخلق الاـوّل لم تكونوا شـيئا امّـا الآـن فتوجـد على الأقل عظام نخره مع التراب المتبقّى منكم.

و فى بعض الأحيان يأخذ بأيدى الناس و يدعوهم الى التفكّر و الإمعان فى عظمه و قدره الخالق أَ وَ لَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ .

۲-هل انّ اللّه یعفو عن الظالمین

؟ قرانا فی الآیات المتقـدّمه انّ اللّه یعفو و یغفر للـذین ظلموا،و هذا الغفران غیر لازم لمن یصـرّ علی ظلمه،و لکنّه من باب إعطاء الفرصه لهم لان یصلحوا أنفسهم، و الاّ فهو تعالی شدید العقاب.

و یمکن ان نسـتفید من هـذه الآـیه انّ الـذنوب الکبیره-و من جملتها الظلم- قابله للغفران(و لکن بتحقّق شـروطها)،و هو ردّ علی قول المعتزله بأنّ الذنوب الکبیره لا یغفرها اللّه ابدا.

و علی ایّه حال ف«المغفره الواسعه»و«العقاب الشدید»فی الواقع تجعل کل المعترفین بوجود اللّه بین«الخوف»و«الرجاء»الذی یعتبر من العوامل المهمّه لتربیه الإنسان،فلا ییأس من رحمه اللّه لکثره الذنوب،و لا یأمن من العذاب لقلّتها.

و لهذا

جاء فی الحدیث عن الرّسول الأعظم صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم «لو لا عفو اللّه و تجاوزه ما هنئ احد العیش،و لولا وعید اللّه و عقابه لاتّکل کلّ واحد» (۱) .

و من هنـا یتّضـح انّ الـذین یقولون-أثنـاء ارتکـابهم المعاصـی- انّ اللّه کریم، یکـذبون فی اتّکالهم علی کرم اللّه،فهم فی الواقع یستهزءون بعقاب اللّه.

۱- ۱) مجمع البیان،المجلد ۵ و ۶،ص ۲۷۸-تفسیر القرطبی،المجلّد السّادس،ص ۳۵۱۴.

الآيه [سوره الرعد (١٣): آيه ٧]

اشاره

وَ يَقُولُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لاٰ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَهٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمٰا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ (٧)

التّفسير

اشاره

ذريعه اخرى

! بعد ما أشرنا فى الآيات السّابقه الى مسأله«التوحيد»و«المعاد»،تتطرّق هذه الآيه الى واحده من اعتراضات المشركين المعاندين حول مسأله النبوّه:

وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لاٰ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَهٌ مِنْ رَبِّهِ

.

و من الواضح انّ احدى وظائف النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اظهار معاجزه لكى يدلّ على صدقه و صلته بالوحى الالهى،و الذى يبحث عن الحقيقه له الحقّ فى المطالبه بالمعجزه أثناء شكّه و تردّده فى تصديق الدعوه،او تتّضح له دلائل النبوّه عن طريق آخر.

و لكن يجب ان نلتفت الى هذه النقطه و هى:انّ اعداء الأنبياء لم يكن لديهم حسن نيّه او اتّباع للحقّ عند طلبهم المعجزه،بل لعنادهم و عدم تسليمهم للأمر الواقع و لذلك كانوا يقترحون بين فتره و اخرى معاجز عجيبه و غريبه.و هذه ما

یسمّی ب«المعجزات الاخلاقیه».

اقتراحهم للمعاجز لم یکن لکشف الحقیقه،و لهذا لم یستجب الأنبیاء لمطالیبهم،و فی الحقیقه کانت هذه الفئه من الکفّار المعاندین یعتقدون انّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یدّعی القدره علی انجاز ای عمل خارق للعاده،و ایّ واحد منهم یقترح علیه انجاز عمل ما سوف یلبّی مطالیبه.

و لکن الأنبیاء کانوا یقولون لهم الحقیقه و هی انّ المعاجز بید اللّه،و رسالتنا هدایه الناس.

و لذلک نقرا فی تکمله الآیه قوله تعالی: إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ .

بحثان

اشاره

هنا یرد سؤالان:

اشاره

۱-هل الآیه«انّما أنت منذر...»جواب للکفّار؟

کیف یمکن لجمله إِنَّمٰا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ ان تکون جوابا للکفّار عند طلبهم المعجزه؟ الجواب:بالاضافه الی ما قلناه سابقا فإنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لیست له القدره الغیبیه المطلقه کی یطلبوا منه الاعجاز،لانّ الوظیفه الاولی له هی إنذار أولئک الذین یسیرون فی طریق الضلال،و الدعوه الی الصراط المستقیم،و إذا ما احتاجت هذه الدعوه الی المعجزه فسوف یأتی بها النّبی،و لکن لا یأتی بها للمعاندین البعیدین عن هذه المسیره.

فمعنی الآیه:انّ الکفّار نسوا انّ هدف الأنبیاء الإنذار و الدعوه الی اللّه، و اعتقدوا انّ وظیفتهم القیام بالمعاجز.

۲–ما هو المقصود من جمله لِكُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ

؟ قال بعض المفسّرين:انّ هاتين الصفتين(منذر)و(هاد)صفتان للرسول، فأصل الجمله تكون(أنت منذر و هاد لكلّ قوم).

و لكن هـذا التّفسـير خلاف الظاهر،لانّ الواو فى جمله وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ تفصل بين جمله إِنَّمٰا أَنْتَ مُنْذِرٌ و لو كانت كلمه«هاد»قبل «لِكُلِّ قَوْمٍ» كان المعنى السّابق صحيحا.و لكن الأمر ليس كذلك.

و الشيء الآخر هو انّ هدف الآيه بيان انّ هناك قسمين من الدعوه الى اللّه:

أحدهما ان يكون عمل الداعى هو الإنذار فقط.و الآخر:ان يكون العمل هو الهدايه.

و سوف تسألون حتما:ما هو وجه التفاوت بين(الإنـذار)و(الهـدايه)؟نقول فى جواب هذا السؤال:انّ الإنذار للذين اضـلّوا الطريق و دعوتهم تكون الى الصراط المستقيم،و لكن الهدايه و الاستقامه للذين آمنوا.

و فى الحقيقه انّ المنـذر مثـل العلّه المحـدثه،امّـا الهـادى فبمنزله العلّه الباقيه و هـذه هى التى تعبّر عنها بالرّسول و الامام،فالرّسول يقوم بتأسـيس الشـريعه و الامام يقوم بحفظها و حراستها.(ليس من شكّ انّ الهدايه فى آيات اخرى مطلقه للرسول،و لكن بقرينه المنذر فى هذه الآيه نفهم انّ المقصود من الهادى هو الشخص الحافظ و الحامى للشريعه).

هناك روايات عديده تؤكّد ما قلناه سابقا،فقد

قال الرّسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

«انا المنذر و على الهادى».

و لا بأس ان نشير الى عدّه من هذه الرّوايات:

۱–فى ذيل هذه الآيه

من تفسير الفخر الرازى مرفوعا عن ابن عبّاس قال:

وضع رسول اللّه يـده على صدره فقال:«انا المنذر»ثمّ اومأ الى منكب على عليه السّـلام و قال:(أنت الهادى بك يهتدى المهتدون من بعدى) هذه الرّوايه ذكرها العلاّمه

«ابن کثیر»فی تفسیره،و العلاّمه«ابن الصبّاغ المالکی»فی الفصول المهمّه،و «الکنجی»الشافعی فی کفایه الطالب و«الطبری»فی تفسیره،و«ابو حیّان الاندلسی»فی تفسیره البحر المحیط،و کذلک«العلاّمه النیسابوری»فی تفسیره الکشّاف،و عدد آخر من المفسّرین.

۲-نقل«الحموینی»و هو من علماء اهل السنّه المعروفین فی کتابه فرائد السمطین عن ابو هریره قال«ان المراد بالهادی علی علیه السّلام».

۳-«میر غیاث الدین»مؤلّف کتاب(حبیب السیّد)کتب یقول فی المجلّد الثّانی صفحه ۱۲:«قد ثبت بطرق متعدّده انّه لمّا نزل قوله تعالی: إِنَّمٰا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ

قال لعلی: «انا المنذر و أنت الهادی بک یا علی یهتدی المهتدون من بعدی».

کما نقل هذا الحدیث«الآلوسی»فی(روح المعانی)و«الشبلنجی»فی(نور الأبصار)و الشیخ«سلیمان القندوزی»فی(ینابیع المودّه).

و بما انّ اکثر هذه الرّوایات مسنده الی ابن عبّاس فإنّه لم یکن الشخص الوحید الذی روی ذلک،فأبو هریره نقل ذلک فیما ذکره الحموینی،و حتّی علی نفسه-طبقا لما نقله الثعلبی-

قد قال: «المنذر النّبی و الهادی رجل من بنی هاشم» یعنی نفسه (۱) .

لا شکّ انّ هذه الأحادیث لا تصرّح بالخلافه،و لکن بالنظر الی ما تحتویه هذه الکلمه(الهدایه)من المعنی الواسع،فإنّها غیر منحصره بعلی علیه السّلام بل تشمل جمیع العلماء و اصحاب الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الذین کانوا یقومون بنفس المهمّه،فإنّه یتّضح لنا تخصیص علی بن أبی طالب علیه السّلام فی هذه الرّوایات بهذا العنوان یدلّ علی انّه المصداق البارز له،و ذلک لما یمتاز به من الخصوصیات،و هذا المطلب لا یکون منفصلا عن خلافه الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حتما.

۱- ۱) للمزید من الاطلاع راجع کتاب احقاق الحقّ،المجلّد الثّالث،ص ۸۷ و ما بعدها.

الآيات [سوره الرعد (١٣): الآيات ٨ الى ١٠]

اشاره

اَللّٰهُ يَعْلَمُ مٰا تَحمِلُ كُلُّ أُنْثىٰ وَ مٰا تَغِيضُ اَلْأَرْحٰامُ وَ مٰا تَزْدٰادُ وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدٰارٍ (٨) عٰالِمُ اَلْغَيْبِ وَ اَلشَّهٰادَهِ اَلْكَبِيرُ اَلْمُتَعٰالِ (٩) سَوٰاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ اَلْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سٰارِبٌ بِالنَّهٰارِ (١٠)

التّفسير

اشاره

علم اللّه المطلق:

نقرا فی هـذه الآیـات قسـما من صـفات الخـالق،و التی تکمـل بحث التوحیـد و المعـاد،فالحـدیث عن علمه الواسع و معرفته بکلّ شیء،هو ذاک العلم الـذی یقوم علیه نظـام التکوین و عجـائب الخلقه و آیـات التوحیـد،و هو العلم الـذی یکون أساسـا للمعاد و العداله الالهیّه یوم القیامه و هذه الآیات استندت الی هذین القسمین:(العلم بنظام التکوین،و العلم بأعمال العباد).

تقول الآیه اوّلا: اَللّٰهُ يَعْلَمُ مٰا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثىٰ فی رحمهـا،سواء من أنثی الإنسـان او الحیوان وَ مٰا تَغِيضُ الْأَرْحٰامُ ای تنقص قبل موعدها المقرّر وَ مٰا

ص: ٣۴٧

تَزْدادُ

(۱)

ای یعلم بما تزید عن موعدها المقرّر.

فی تفسیر هذه الجمل الثلاث هناک آراء مختلفه بین المفسّرین:

یعتقد البعض-انّها تشیر-کما ذکرنا آنفا-الی وقت الولاده،و هی علی ثلاثه انواع:فمرّه یولد المولود قبل موعده.و مرّه فی موعده،و اخری بعد الموعد المقرّر.فاللّه یعلم کلّ ذلک و یعلم لحظه الولاده بالتحدید،و هذه من الأمور التی لا یستطیع ای احد او جهاز ان یحدّد موعده،و هذا العلم خاص بذات اللّه المنزّهه، و سببه واضح لانّ استعدادات الأرحام و الاجنّه مختلفه،و لا احد یعلم بهذا التفاوت.

و قال بعض آخر:انّها تشیر الی ثلاث حالات مختلفه للرحم ایّام الحمل، فالجمله الاولی تشیر الی نفس الجنین الذی تحفظه،و الجمله الثانیه تشیر الی دم الحیض الذی ینصب فی الرحم و یمصّه الجنین،و الجمله الثالثه اشاره الی الدم الاضافی الذی یخرج أثناء الحمل أحیانا،او دم النفاس أثناء الولاده (۲) .

و هناک عدّه احتمالات اخری فی تفسیر هذه الآیه دون ان تکون متناقضه فیما بینها،و یمکن ان یکون مراد الآیه اشاره الی مجموع هذه التفاسیر،و لکن الظاهر انّ التّفسیر الاوّل اقرب،بدلیل جمله(تحمل)المقصود منها الجنین و الجمل(تغیض)و(تزداد)بقرینه الجمله السابقه تشیر الی الزیاده و النقصان فی فترات الحمل.

روی الشیخ الکلینی فی الکافی عن الامام الصادق علیه السّلام او الامام الباقر علیه السّلام

۱- ۱) «تغیض»أصلها الغیض بمعنی ابتلاع السائل و هبوط مستوی الماء.و تأتی بمعنی النقصان و الفساد،و«الغیضه» المکان الذی یقف فیه الماء فیبتلعه،و«لیله غائضه»ای مظلمه.

۲- ۲) یقول صاحب المیزان مؤیّدا هذا الرای:إنّ بعض روایات ائمّه اهل البیت یؤیّد هذا الرای.و ابن عبّاس ممّن یؤیّد هذا الرای ایضا،و لکن بالنظر الی الرّوایات المنقوله فی تفسیر نور الثقلین فی ذیل الآیه فإنّ أکثرها یؤیّد ما قلناه فی الرای الاوّل.

فی تفسیر الآیه انّ «الغیض کلّ حمل دون تسعه أشهر،و ما تزداد کلّ شیء حمل علی تسعه أشهر». و فی تکمله الحدیث

یقول: «کلّما رأت المراه الدم الخالص فی حملها فإنّها تزداد و بعدد الایّام التی زاد فیها فی حملها من الدم» (۱) .

وَ کُلُّ شَیْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدٰارٍ

و لکی لا یتصوّر احد انّ هذه الزیاده و النقصان بدون حساب و دلیل،بل انّ کلّ ساعه و ثانیه و لحظه لا تمرّ دون حساب،کما انّ للجنین و دم الرحم حساب و کتاب ایضا. فالآیه التی بعدها تؤکّد ما قلناه فی الآیه السابقه حیث تقول: عٰالِمُ الْغَیْبِ وَ الشَّهٰادَهِ فعلمه بالغیب و الشهاده لهذا السبب اَلْکَبِیرُ الْمُتَعٰالِ فهو یحیط بکلّ شیء،و لا یخفی عنه شیء.

و لتکمیل هذا البحث و تأکید علمه المطلق یضیف القرآن الکریم: سَوٰاءٌ مِنْکُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّیْلِ وَ سٰارِبٌ بِالنَّهٰارِ (۲) و هذا هو الحقّ فالذی یوجد فی کلّ مکان لا معنی للغیب و الشهاده او اللیل و النهار عنده،فهو محیط بها و عالم بأخبارها بشکل متساو.

بحوث

اشاره

۱-القرآن و علم الاجنّه

أشار القرآن المجید مرارا الی مسأله الجنین و عجائب تکوینه لیکون احد الادلّه علی التوحید و معرفه اللّه و علمه المطلق،و بالطبع فإنّ علم الاجنّه واحد من العلوم الحدیثه و کان سابقا عباره عن معلومات اوّلیّه محدوده ثمّ توسعت فی هذا العصر.و لکن بتقدّم العلم و المعرفه حدثت قفزه فی هذا المجال کشف عن

۱- ۱) نور الثقلین،ج ۲،صفحه ۴۸۵.

۲- ۲) «سارب»من سرب علی وزن ضرر،بمعنی الماء الجاری،و یقال للشخص الذاهب الی عمل ایضا.

کثیر من اسرار هـذا العـالم الساکن و الهادیء و عن کثیر من عجائبه بحیث نسـتطیع ان نقول:انّ اکبر درس للتوحیـد و معرفه اللّه کامن فی تکوین الجنین و مراحل تکامله.

فمن هـذا الذی یرعی هذا الکائن المخفی و بتعبیر القرآن واقع«فی ظلمات ثلاث»الذی یمتاز بالظرافه و دقّه التکوین و ان یوصـل له المقـدار اللازم من الغذاء و یرشده مراحل حیاته؟ و عند ما تقول الآیه السابقه: اَللّهُ یَعْلَمُ ما تَحْمِلُ کُلُّ أُنْثی فلیس المقصود من علمه بالذکر و الأنثی فقط،بل بکلّ خصائصه و الطاقه الکامنه فیه،هذه الأشیاء لا یستطیع احد و بأی وسیله ان یتعرّف علیها،و علی هذا فإنّ وجود هذا النظام الدقیق و المعقّد للجنین و مراحل تکامله لا یمکن ان یکون بدون صانع عالم و قدیر.

۲-کلّ شیء له مقدار

نحن نقرا فی آیـات مختلفه من القرآن الکریم انّ کـلّ شـیء له حـدّ محـدود و لاـ یتجاوزه،ففی الآیه(۳)من سوره الطلاـق یقول تعالی: قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِکُلِّ شَیْءٍ قَدْراً و فی الآیه ۲۱ سوره الحجر یقول تعالی: وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ و الآیه التی نحن بصددها وَ کُلُّ شَیْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ .

کلّ هذه تشیر الی انّه لیس هناک شـیء فی العالم بدون حساب،حتّی الموجودات فی الطبیعه التی نعتبرها فی بعض الأحیان غیر مهمّه،فـإنّ وجودهـا علی أسـاس حسـاب دقیق،علمنـا بـذلک ام لم نعلم،و أساسـا فـإنّ معنی حکمه اللّه هو ان یجعـل لکلّ ما فی الکون حدّا و مقدارا و نظاما.

و کـلّ ما حصـلناه الیوم من اسـرار الکون بواسـطه العلوم یؤکّـد هـذه الحقیقه، فمثلا نری انّ دم الإنسان-الـذی هو المادّه الحیاتیه لوجود الإنسان و الذی یقوم

بنقل المواد الضروريّه اللازمه لخلايا الجسم-يتركّب من عشرين مادّه او اكثر، و بنسب ثابته دقيقه بحيث لو تمّ اى تغيير فيها لتعرّضت سلامه الإنسان للخطر، و لهذا السبب و لمعرفه النقص الحاصل فى الجسم يقومون بتحليل الدم و قياس نسبه السكر و الدهن و سائر مركّبات الدم الاخرى،و يتمّ تشخيص العلّه بواسطه معرفه زياده او نقصان هذه النسب،و ليس دم الإنسان وحده له هذه الميزه،بل كلّ ما فى الوجود له نفس هذه الدقّه فى النظام.

و لا بدّ هنا من التنبيه على انّ ما يظهر لنا فى بعض الأحيان من عدم النظام فى عالم الوجود هو فى الواقع ناتج من قصور فى علومنا و معرفتنا،فالإنسان الذى يؤمن باللّه لا يمكن ان يتصوّر ذلك،و بتطوّر العلوم تتأكّد لنا هذه الحقيقه.

و كى نستطيع ان نتعلّم هذا الدرس و هو انّ المجتمع الانسانى الذى هو جزء من عالم الوجود إذا أراد له العيش بسلام،فعليه ان يجعل شعار كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ يسود جميع جوانبه،و يجتنب الإفراط و التفريط فى اعماله و تخضع جميع مؤسساته الاجتماعيه للحساب و الموازين.

۳-الغيب و الشهاده سواء عند اللّه

استندت هذه الآيات الى انّ الغيب و الشهاده معلومان عند اللّه،فهما مفهومان نسبيان و تستخدمان للكائن الذى علمه و وجوده محدود،و على سبيل المثال نحن نمتلك حواسا ذات مدى نسبى،فمتى ما كان الشىء داخلا فى هذا المدى فهو شاهد بالنسبه لنا،و ما كان خارجا عنه فهو غيب،فلو فرضنا انّ أبصارنا لها قدره غير محدوده و يمكنها النفوذ فى باطن الأشياء و إدراكها،فإنّ كلّ شىء يعتبر شاهد عندنا.

و بما انّ كلّ شىء له حدّ محدود غير الذات الالهيّه،فإنّ لغير اللّه تعالى غيب و شهاده،و لانّ ذات اللّه غير محدوده و وجوده عام و مطلق فإنّ كلّ شىء بالنسبه

اليه شهاده،و لا معنى للغيب بالنسبه اليه،و إذا ما قلنا-انّ اللّه عالم الغيب و الشهاده فهو ما نعتبره نحن غيب و شهاده،امّا هو فهما عنده سواء.لنفترض انّنا ننظر ما فى أيدينا فى النهار،فهل نجهل ما فيها؟!جميع الكون فى مقابل علم اللّه أوضح من هذا و اظهر.

۴-الآثار التربويه فى إدراكنا لعلم اللّه

أثناء قراءتنا للآيات الماضيه التى تقول:انّ اللّه يعلم السرّ و الجهر من القول و حركاتكم فى الليل و النهار و كلّها مشهوده عنده،هل نجد فى أنفسنا ايمانا بهذه الحقيقه؟..لو كنّا مؤمنين بذلك حقّا و نشعر بأنّ اللّه تعالى مطّلع علينا فإنّ هذا الايمان و الاحساس الباطنى يبعث على تغيير عميق فى روحنا و فكرنا و قولنا و ضمائرنا؟.

نقل عن الامام الصادق عليه السّلام فى جوابه لمن سأله عن طريقتهم فى الحياه قال:

«علمت انّ اللّه مطلع علىّ فاستحييت».

كما نشاهد كثيرا من المواقف من تأريخ المسلمين و حياتهم تتجلّى فيها هذه الحقيقه،يقال:دخل أب و ابنه فى بستان،فتسلّق الأب شجره ليقطف ثمارها دون اذن صاحبها،بينما بقى الابن أسفل الشجره لمراقبه الأوضاع.و فجأه صاح الابن الذى كان مؤمنا و متعلّما و نادى أباه بأن ينزل بسرعه،عندها خاف الأب و نزل فورا و سأل من الذى رآنى؟قال:الذى هو فوقنا،فنظر الأب الى الأعلى فلم يجد أحدا،و سأل من الذى رآنى؟قال:الذى هو فوقنا،فنظر الأب الى الأعلى فلم يجد أحدا،فقال الابن:كان قصدى هو اللّه المحيط بنا جميعا،كيف يمكن ان تخاف ان يراك الإنسان،و لا تخاف ان يراك اللّه؟!اين الايمان؟!

ص:۳۵۲

الآیه [سوره الرعد (١٣): آیه ١١]

اشاره

لَهُ مُعَقِّبٰاتٌ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ یَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اَللّٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ یُغَیِّرُ مٰا بِقَوْمٍ حَتّٰی یُغَیِّرُوا مٰا بِأَنْفُسِهِمْ وَ إِذٰا أَرٰادَ اَللّٰهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً فَلاٰ مَرَدَّ لَهُ وَ مٰا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وٰالٍ (١١)

التّفسیر

اشاره

المعقّبات الغیبیه

! علمنا فی الآیات السابقه انّ اللّه بما انّه عالم الغیب و الشهاده فإنّه یعلم أسرار الناس و خفایاهم،و تضیف هذه الآیه انّه مع حفظ و حراسه اللّه لعباده فإنّ لَهُ مُعَقِّبٰاتٌ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ یَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّٰهِ (١) .

و لکی لا یتصوّر احد انّ هذا الحفظ بدون شروط و ینغمس فی المزلّات،او یرتکب الذنوب الموجبه للعقاب،و مع کلّ ذلک ینتظر من اللّه او الملائکه ان یحفظوه،یعلّل القرآن ذلک بقوله: إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یُغَیِّرُ مٰا بِقَوْمٍ حَتّٰی یُغَیِّرُوا مٰا بِأَنْفُسِهِمْ

١- ١) هناک حدیث بین المفسرین فی ان الضمیر(له)لمن یعود،و کما تشیر الآیه فإنه یعود للإنسان کما تؤکد علیه الآیات السابقه،و لکن بعضهم قال:یعود للنبی او لله.و هذا یخالف ما جاء فی ذیل الآیه[فتأمل] .

.

و کی لا یتبادر الی الأذهان انّه مع وجود الملائکه الحافظه فأیّ معنی للعذاب او الجزاء؟هنا تضیف الآیه وَ إِذٰا أَرٰادَ اللّٰهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً فَلاٰ مَرَدَّ لَهُ وَ مٰا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وٰالٍ و لهـذا السبب فإنّه حین صدور العذاب الالهی علی قوم او امّه،فسوف ینتهی دور المعقّبات و یترکون الإنسان عرضه للحوادث

بحوث

اشاره

۱-ما هی المعقّبات

؟ «المعقّبـات»کمـا جـاء فی مجمع البیان للعلاّمه الطبرسـی و کما قاله بعض المفسّـرین جمع(معقبه)و هی بـدورها جمع(معقّب)و معنـاه المجموعه التی تعمـل بشـکل متنـاوب و مسـتمر.و الظـاهر من الآـیه انّ اللّه سـبحانه و تعـالی امر مجموعه من الملائکه بأن یحفظوا الإنسان فی اللیل و النهار و من بین یدیه و من خلفه.

انّ الإنسان-بدون شک-معرّض فی حیاته الی کثیر من الحوادث الروحیه و الجسـمیه،فالامراض و المتغیّرات فی السّماء و الأرض محیطه بالإنسان، و خصوصا فی مرحله الطفوله التی لا یـدرک فیها ما یجری حوله و یکون هـدفا سـهلا للإصابه بها،فقـد یتعجّب الإنسـان کیف ینجو الطفل و ینمو من بین جمیع هـذه الحوادث،و خصوصا فی العوائل التی لا تـدرک هـذه المسائل و تعانی من قلّه الامکانیات کأبناء الریف الذین یعانون من الحرمان و الفقر و هم معرضون للامراض اکثر من غیرهم.

و إذا ما امعنّا النظر فی هذه المسائل فسوف نجد انّ هناک قوی محافظه، تحفظ الإنسان فی مقابل هذه الحوادث کالدرع الواقی.

و کثیرا ما یتعرّض الإنسان الی حوادث خطره و یتخلّص منها بشکل

اعجازى تجعله يشعر انّ كلّ ذلك ليس صدفه و انّما هناك قوى محافظه تحميه.

و هناك كثير من الأحاديث المنقوله عن ائمّه المسلمين تؤكّد ذلك و من جملتها:

الحديث المروى عن الامام الباقر عليه السّلام فى تفسير هذه الآيه يقول: «يحفظ بأمر اللّه من ان يقع فى ركى او يقع عليه حائط او يصيبه شىء،حتّى إذا جاء القدر خلوا بينه و بينه يدفعونه الى المقادير،و هما ملكان يحفظانه بالليل و ملكان من نهار يتعاقبانه».

و

فى حديث آخر عن الامام الصادق عليه السّلام يقول: «ما من عبد الاّ و معه ملكان يحفظانه فإذا جاء الأمر من عند اللّه خليا بينه و بين امر اللّه».

و نقرا

فى نهج البلاغه عن امير المؤمنين عليه السّلام «انّ مع كلّ انسان ملكين يحفظانه فإذا جاء القدر خليا بينه و بينه».

كما نقرا فى نهج البلاغه فى وصف الملائكه من الخطبه الاولى

«و منهم الحفظه لعباده».

انّ عدم إدراكنا لوجود المعقّبات عن طريق الحسّ او التجربه العلميه ليس دليلا على عدم وجودهم،لانّه غير منحصر فى هذا المجال فقط،فالقرآن الكريم و المصادر المعرفيه الاخرى اشارت الى امور كثيره وراء الحسّ و التى لا يمكن إثباتها بالطرق العاديه.و اكثر من ذلك ما قلنا سابقا من انّنا نتعرّض فى حياتنا الى كثير من المخاطر و التى لا يمكن النجاه منها الاّ بوجود هذه القوى المحافظه (و رأيت فى حياتى بعض من هذه النماذج المحيّره،و التى كانت بالنسبه لى كشخص صعب التصديق دليلا على وجود هذا المعقّب اللامرئى).

٢-التغيير يبدأ من النفس(قانون عام)

تبيّن الجمله إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يُغَيِّرُ مٰا بِقَوْمٍ و التى جاءت فى موردين متفاوتين فى القرآن الكريم،انّها قانون عام،قانون حاسم و منذر!

هـذا القانون الـذى هو واحد من القوانين الاساسيّه لعلم الاجتماع فى الإسـلام،يقول لنا:انّ ما يصـيبكم هو من عند أنفسـكم،و ما أصاب القوم من السـعاده و الشقاء هو ممّا عملت أيديهم،و ما يقال من الحظّ و الصدفه و ما يحتمله المنجّمون ليس له أساس من الصـحّه،فالأسـاس و القاعـده هى اراده الامّه إذا أرادت العزّه و الافتخار و التقـدّم،او العكس ان أرادت هى الـذلّه و الهزيمه،حتّى اللطف الالهى او العقاب لا يكون الاّ بمقدّمه.فتلك اراده الأمم فى تغيير ما بأنفسهم حتّى يشملهم اللطف او العذاب الالهى.

و بتعبير آخر:انّ هـذا الأصـل القرآنى الـذى يبيّن واحـدا من اهمّ المسائـل الاجتماعيه فى الإسـلام،يؤكّـد لنا ان اى تغيير خارجى للأـمم مرتبـط بالتغيير الـداخلى لها،و اى نجاح او فشل يصـيب الامّه ناشـئ من هـذا الأمر،و الـذين يبحثون عن العوامل الخارجيه لتبرير اعمالهم و تصـرّفاتهم و يعتبرون القوى المسـتعمره و المتسـلّطه هى السبب فى شقائهم يقعون فى خطأ كبير،لانّ هذه القوى الجهنميّه لا تستطيع ان تفعل شيئا إذا لم تكن لديها قدره و مركز فى داخل المجتمع.

المهمّ ان نطهّر مجتمعاتنا من هذه المقرّات و المراكز للمسـتعمرين و لا نجعلها تنفذ فى داخل مجتمعنا،فهؤلاء بمنزله الشـياطين،و نحن نعلم انّ الشيطان ليس له سبيل على عباد اللّه المخلصين،فهو يتسلّط على الذى مهّد له السبيل فى داخله.

يقول هـذا الأصـل القرآنى:انّنـا يجب ان نثور من الـداخل كى ننهى حـاله الشـقاء و الحرمـان،ثوره فكريه و ثقـافيه،ثوره ايمانيّه و أخلاقيه،و أثناء وقوعنا فى مخالب الشـقاء يجب ان نبحث فورا عن نقاط الضعف فينا،و نطهّر أنفسنا منها بالتوبه و الرجوع الى اللّه و نبـدأ حياه جديـده مفعمه بالنّور و الحركه،كى نسـتطيع فى ظلّها ان نبدّل الهزيمه الى نصـر،لا ان نخفى نقاط الضـعف و عوامل الهزيمه هذه و نبحث عنها فى خارج المجتمع و نظلّ ندور فى الطرق الملتويه.

هناک کتب و مؤلّفات کثیره کتبت عن عوامل انتصار المسلمین الأوائل ثمّ تضعضع سلطانهم بعد حین،و کثیر من تلک الأبحاث ظلّت تتعثّر فی الطرق الملتویه،و لکن إذا ما أردنا ان نستلهم من الأصل أعلاه و الصادر من منبع الوحی فیجب ان نبحث عن ذاک النصر او تلک الهزیمه و عن عواملها الفکریه و العقائدیه و الاخلاقیه فی المسلمین.ففی الثورات المعاصره و من جملتها الثوره الاسلامیه فی ایران،او ثوره الجزائر او ثوره المسلمین الافغان،نشاهد بوضوح انطباق هذا الأصل القرآنی علیها.فقبل ان تغیّر الدول المستعمره و المستکبره طریقتها فی التعامل معنا،غیّرنا نحن ما بأنفسنا فتغیّر کلّ شیء.

و علی ایّه حال فهذا درس لیومنا و لغدنا و لمستقبلنا و لکلّ المسلمین و الأجیال القادمه.و نحن نری انّ القیادات المنتصره فقط هی التی استطاعت ان تقود و تغیّر شعوبها علی أساس هذا الأصل الخالد،و فی تاریخ المسلمین و الإسلام شواهد علی ذلک کثیره.

ص: ۳۵۷

الآيات [سوره الرعد (۱۳): الآيات ۱۲ الی ۱۵]

اشاره

هُوَ اَلَّذِی یُرِیکُمُ اَلْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ یُنْشِئُ اَلسَّحابَ اَلثِّقالَ (۱۲) وَ یُسَبِّحُ اَلرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ اَلْمَلائِکَهُ مِنْ خِیفَتِهِ وَ یُرْسِلُ اَلصَّواعِقَ فَیُصِیبُ بِها مَنْ یَشاءُ وَ هُمْ یُجادِلُونَ فِی اَللّهِ وَ هُوَ شَدِیدُ اَلْمِحالِ (۱۳) لَهُ دَعْوَهُ اَلْحَقِّ وَ اَلَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا یَسْتَجِیبُونَ لَهُمْ بِشَیْءٍ إِلاّ کَباسِطِ کَفَّیْهِ إِلَی اَلْماءِ لِیَبْلُغَ فاهُ وَ ما هُوَ بِبالِغِهِ وَ ما دُعاءُ اَلْکافِرِینَ إِلاّ فِی ضَلالٍ (۱۴) وَ لِلّهِ یَسْجُدُ مَنْ فِی اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ طَوْعاً وَ کَرْهاً وَ ظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ اَلْآصالِ (۱۵)

التّفسیر

اشاره

قسم آخر من دلائل عظمه اللّه:

یتطرّق القرآن الکریم مرّه ثانیه الی آیات التوحید و علائم العظمه و اسرار الخلقه.فهذه الآیات تحاول ان تقرّب العلاقه بین الإنسان و ربّه من خلال الاشاره الی بعض الظواهر الطبیعیّه بشکل موجز و عمیق المعنی لکی یشعّ نور الایمان فی

قلوب الناس،فتشير اوّلا الى البرق هُوَ الَّذِی یُرِیکُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً فالبرق بشعاعه یبهر العیون من جانب،و یحدث صوتا مخیفا و هو الرعد من جانب آخر،و قد یسبّب أحیانا الحرائق للناس و خصوصا فی المناطق الصحراویه فیبعث علی خوفهم و من جانب آخر فإنّه یسبّب هطول الأمطار و یروی ظمأ الصحراء و یسقی المزروعات فیطمع فیه الناس،و بین هذا الخوف و الرجاء تمرّ علیهم لحظات حسّاسه.ثمّ تضیف الآیه وَ یُنْشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ القادره علی ارواء ظمأ الاراضی الزراعیه.

برکات الرعد و البرق:

نحن نعلم انّ ظاهره البرق فی المفهوم العلمی هی اقتراب سحابتین إحداهما من الاخری،و هما تحملان شحنات سالبه و موجبه،فیتمّ تفریغ الشحنات بین السحابتین فتحدث شراره عظیمه،و یحدث مثل ذلک عند اقتراب سلکین أحدهما سالب و الآخر موجب،و إذا کنّا قریبین منهما فإنّنا نسمع صوتا خفیفا، و لکن لاحتواء الغیوم علی شحنات هائله من الالکترونات فانّهما تحدثان صوتا شدیدا یسمّی الرعد.

و إذا ما اقتربت سحابه تحمل الشحنه الموجبه من الأرض التی تحتوی علی شحنات سالبه فستحدث شراره تسمّی بالصاعقه،و خطورتها تکمن فی انّ الأرض و المناطق المرتفعه تعتبر راس السلک السالب،حتّی الإنسان فی الصحراء یمکن ان یمثّل هذا السلک فیحدث تفریغ للشحنات یحوّل الإنسان الی رماد فی لحظه واحده،و لهذا السبب عند وقوع البرق و الرعد فی الصحراء یجب ان یلجأ الإنسان الی شجره او حائط او الی الجبال او الی ای مرتفع آخر،او ان یستلقی فی ارض منخفضه.

و علی ایّه حال فإنّ للبرق-الذی یسمّی فی بعض الأحیان مزاح الطبیعه-

فوائد جمّه عرفت من خلال ما كشفه العلم الحديث.و نشير هنا الى ثلاثه منها:

۱-السقی:-من الطبیعی انّ البرق تتولّد منه حراره عالیه جدّا قد تصل بعض الأحیان الی(۱۵)الف درجه مئویه،و هذه الحراره کافیه لان تحرق الهواء المحیط بها،و فی النتیجه یقلّ الضغط الجوی،فیسبّب سقوط الأمطار.و لهذا السبب نری هطول الأمطار الغزیره بعد حدوث البرق.

و هذه فی الواقع واحده من وظائف البرق(السقی).

۲-التعقیم:-و نتیجه للحراره العالیه التی یسبّبها البرق فسوف یزداد مقدار الاوکسجین فی قطرات الماء،و یسمّی هذا الماء بالماء الثقیل او الماء المؤکسد (H_2O_2)و من آثاره قتل المکروبات،و لهذا السبب یستعمل لغسل الجروح،فعند نزول هذه القطرات الی الأرض سوف تبید بیوض الحشرات و الآفات الزراعیه، و لهذا السبب یقال انّ السنه الکثیره الآفات الزراعیه هی السنه القلیله البرق و الرعد.

۳-التغذیه و التسمید:-تتفاعل قطرات الماء مع الحراره العالیه للبرق لتنتج حامض الکاربون،و عند نزولها الی الأرض و ترکیبها مع محتویاتها تضع نوعا من السّماد النباتی،فتتمّ تغذیه النبات من هذا الطریق.

یقول بعض العلماء:انّ مقدار ما ینتجه البرق من الاسمده فی السنه یصل الی عشرات الملایین من الاطنان،و هذه کمیّه کبیره جدّا.

و علی ایّه حال نری من خلال ظاهره طبیعیّه صغیره کلّ هذه المنافع و البرکات،فهی تقوم بالسقی و رشّ السموم و التغذیه،فیمکن ان تکون دلیلا واضحا لمعرفه اللّه،کلّ ذلک من برکات البرق.کما انّه یمکن ان یکون البرق عاملا مهمّا فی إشعال الحرائق من خلال الصاعقه،و قد تحرق الإنسان او الأشجار، و مع انّها نادره الحدوث و یمکن الوقایه منها،فهی مع ذلک عامل خوف للناس، فمفهوم الخوف و الطمع للبرق قد یکون اشاره الی جمیع هذه الأمور.

و يمكن ان تكون الجمله وَ يُنْشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ لها علاقه بالبرق الذى يصنع هذه الغيوم المليئه بالمياه.

الآيه الاخرى تشير الى صوت الرعد الذى يتزامن مع البرق وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ (۱) .

نعم،فهذا الصوت المدوّى فى عالم الطبيعه يضرب به المثل،فهو مع البرق فى خدمه هدف واحد و لهما منافع متعدّده كما أشرنا إليها،و يقومان بعمليه التسبيح،و بعباره اخرى فالرعد لسان حال البرق يحكى عن عظمه الخالق و عن نظام التكوين.فهو كتاب معنوى،و قصيده غرّاء،و لوحه جميله و جذّابه،نظام محكم و منظّم و محسوب بدقّه،و بلسان حاله يتحدّث عن علم و مهاره و ذوق الكاتب و الرسام و المعمار و يحمده و يثنى عليه،كلّ ذرّات هذا العالم لها اسرار و نظام دقيق.و تحكى عن تنزيه اللّه و خلوّه من النقص و العيوب(و هل التسبيح غير ذلك؟!).

و تتحدّث عن قدرته و حكمته(و هل الحمد غير بيان صفات الكمال؟!).

و قد احتمل بعض الفلاسفه انّ لكلّ ذرّات هذا العالم نوعا من العقل و الشعور،فهى من خلال هذا العقل تسبّح اللّه و تقدّسه،ليس بلسان الحال فقط،بل بلسان المقال ايضا.

و ليس الرعد و سائر اجزاء العالم تسبّح بحمده تعالى،بل حتّى الملائكه وَ الْمَلائِكَهُ مِنْ خِيفَتِهِ (۲) فهم يخافون من تقصيرهم فى تنفيذ الأوامر الملقاه على عاتقهم،و بالتالى فهم يخشون العقاب الالهى،و نحن نعلم انّ الخوف يصيب أولئك الذين يحسّون بمسؤولياتهم و وظائفهم..خوف بنّاء يحثّ الشخص على

۱- ۱) للتوضيح اكثر فى معنيى التسبيح و التقديس للكائنات سيأتى فى ذيل الآيه وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لٰكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ الاسراء،۴۴.

۲- ۲) يقول الشيخ الطوسى رحمه اللّه فى تفسيره التبيان:الخيفه بيان لحاله الشخص امّا الخوف فمصدر.

السعی و الحرکه.

و للتوضیح اکثر فی مجال البرق و الرعد تشیر الآیه الی الصاعقه وَ یُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَیُصِیبُ بِها مَنْ یَشاءُ و مع کلّ ذلک-و بمشاهده آیات العظمه الالهیه فی عالم التکوین من السّماء و الأرض و النباتات و الأشجار و البرق و الرعد و أمثالها،و فی قدره الإنسان الحقیره تجاه هذه الحوادث،حتّی فی مقابل واحده منها مثل شراره البرق-نری انّ هناک جماعه جاهله تجادل فی اللّه وَ هُمْ یُجادِلُونَ فِی اللّهِ وَ هُوَ شَدِیدُ الْمِحالِ .

«المحال»فی الأصل«الحیله»بمعنی التدبیر السرّی و غیر الظاهر،فالذی له القدره علی هذا التدبیر یمتلک العلم و الحکمه العالیه،و لهذا السبب یستطیع ان ینتصر علی أعدائه و لا یمکن الفرار من حکومته.

و ذکر المفسّرون وجوها عدیده فی تفسیر شَدِیدُ الْمِحالِ فتاره بمعنی «شدید القوّه»،او«شدید العذاب»،او«شدید القدره»او«شدید الأخذ» (۱) .

الآیه الاخیره تشیر الی مطلبین:

الاوّل:قوله تعالی: لَهُ دَعْوَهُ الْحَقِّ فهو یستجیب لدعواتنا،و هو عالم بدعاء العباد و قادر علی قضاء حوائجهم،و لهذا السبب یکون دعاؤنا ایّاه و طلبنا منه حقّا،و لیس باطلا.

و لکن دعاء الأصنام باطل وَ الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا یَسْتَجِیبُونَ لَهُمْ بِشَیْءٍ نعم هکذا فی دعوه الباطل لیست اکثر من وهم،لانّ ما یقولونه من علم و قدره الأصنام ما هو الاّ أوهام و خیال،او لیس الحقّ هو عین الواقع و اصل الخیر و البرکه؟و الباطل هو الوهم و اصل الشرّ و الفساد؟و لتصویر هذا الموضوع یضرب لنا القرآن الکریم مثالا حیّا و رائعا یقول: إِلاّ کَباسِطِ کَفَّیْهِ إِلَی الْماءِ لِیَبْلُغَ فاهُ وَ ما هُوَ بِبالِغِهِ

ص: ۳۶۲

۱- ۱) فسر البعض«المحال»من«المحل،الماحل»بمعنی المکر و الجدال و التصمیم علی العقوبه،و لکن ما أشرنا الیه أعلاه هو الصحیح،و التفسیران قریبا المعنی.

.فهل يستطيع احد ان يجلس على بئر و يطلب الماء بإشاره يد ليبلغ الماء فاه؟هذا العمل لا يصدر الّا من انسان مجنون! و تحتمل الآيه تفسيرا آخر،فهى تشبّه المشركين كمن بسط كفّه فى الماء ليتجمع فوقها الماء،و عند خروجها من الماء لم يجد فيها شيئا منه لانّ الماء يتسرّب من بين أصابع الكفّ المفتوحه.

و هناك تفسير ثالث و هو انّ المشركين-لحلّ مشاكلهم-كانوا يلجأون الى الأصنام،فمثلهم مثل الذى يحتفظ بالماء فى يده،هل يحفظ الماء فى يد؟!و هناك مثل معروف بين العرب لمن يسعى بدون فائده يقال له:هو كقابض الماء باليد، و يقول الشاعر:

فأصبحت فيما كان بينى و بينها

من الودّ مثل القابض الماء باليد

و لكنّنا نعتقد انّ التّفسير الاوّل أوضح! و للتأكيد على هذا الحديث يأتى فى نهايه الآيه قوله تعالى: وَ مٰا دُعٰاءُ الْكٰافِرِينَ إِلاّٰ فِى ضَلاٰلٍ و ایّ ضلال اكبر من ان يسعى الإنسان و يجتهد فى السبيل الضالّ...و لكنّه لا يصل الى مقاصده.و لا يحصل على شىء نتيجه تعبه و جهده.

الآيه الأخيره من هذه المجموعه،و لكى تبرهن كيف انّ المشركين ضلّوا الطريق تقول: وَ لِلّٰهِ يَسْجُدُ مَنْ فِى السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ ظِلاٰلُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصٰالِ .

بحوث

اشاره

۱-ما هو المقصود من سجود الكائنات

؟ السجده فى هذه الموارد تعنى الخضوع و التسليم،فإنّ جميع الملائكه

و النـاس ذوی العقول و الأفكـار متواضـعين للّه و خاضـعين لأـوامره،و هنـاك نوعان من السـجود،سـجود تكوينی و هو انّ الكلّ خاضـعون و مسـلّمون للقوانين الطـبيعيّه مثـل الحيـاه و الممـات و المرض و..و..،و البعض منهم له سـجود تشـريعی بالاضـافه الی السجود التكوينی، فهم بميلهم و إرادتهم يسجدون للّه.

٢-ما هو معنی طَوْعاً وَ كَرْهاً

؟ عبـاره طَوْعـاً وَ كَرْهـاً يمكن ان تكون اشاره الی انّ المؤمنين خاضـعون للّه بميلهم و إرادتهم،و امّا غير المؤمنين فهم خاضـعون كذلك للقوانين الطبيعيّه التی تسير بأمر اللّه ان شاؤوا و ان أبوا.

و(الكره)بضمّ الكـاف تعنی الكراهيه فی داخـل الإنسـان،و(كره)بفتـح الكـاف مـا حمـل عليه الإنسـان من خـارج نفسه،و بمـا انّ الأشخاص غير المؤمنين مقهورون للعوامل الخارجيه و للقوانين الطبيعيّه،استعمل القرآن(كره)بفتح الكاف.

و يحتمـل فی تفسـير طَوْعاً وَ كَرْهـاً انّ المقصـود مـن«طوعـا»هـو التوافـق و الميـل الفطری و الطـبيعی بيـن الإنسـان و الأسـباب الطبيعيّه(مثل حبّ ای انسان للحياه)و المقصود من«كرها»هو ما فرض علی الإنسان من الخارج مثل موت أحـد الأشـخاص بسـبب المرض او ای عامل طبيعی آخر.

٣-ما هو معنی كلمه الظلال

؟ «الظّلال»جمع«ظـل»و اسـتعمال هـذه الكلمه فی الآـيه يشـير الی انّ المقصود فی السـجود ليس فقط السـجود التشـريعی،فظلال الكائنـات ليست خاضـعه لاـرادتهم و اختيـارهم،بل هو تسـليم لقانون الضوء،و علی هـذا يكون سـجودهم تكوينی،يعنی التسـليم لقوانين الطبيعيّه.

ص: ٣٦۴

و طبیعی لیس المقصود من«الظلال»انّ جمیع ما فی السّماوات و الأرض لها وجود مادّی کی یکون لها ظلال،و لکن الآیه تشیر الی تلک الأشیاء التی لها ظلال،فمثلا یقال:انّ جمعا من العلماء و أبنائهم شارکوا فی المجلس الکذائی، و لیس المقصود هنا انّ لکلّ العلماء أبناء«فتدبّر».

و علی ایّه حال فإنّ الظلّ امر عدمی،و هو لیس اکثر من فقدان النّور،و لکن له آثارا و وجودا بسبب النّور المحیط به،و لعلّ الآیه تشیر الی هذه النقطه،و هی انّه حتّی الظلال خاضعه للّه.

۴-ما هو معنی کلوه اَلْآصٰالِ ؟

«الآصال»جمع«اصل»و هی جمع«اصیل»و معناه آخر وقت من النهار، و لذلک یعتبر اوّل اللیل،و الغدو جمع غداه بمعنی اوّل النهار.

و رغم انّ السجود و الخضوع للأشیاء الکونیه فی مقابل الأوامر الالهیّه دائمه و مستمرّه فی کلّ وقت،و لکن ذکرها هنا فی موقعین(الصبح و العشاء)امّا انّه کنایه عن دوام الوقت،فمثلا تقول:انّ فلانا یطلب العلم صباحا و مساء، فالمقصود و هو انّه فی کلّ وقت یطلب العلم،و امّا ان یکون المقصود من الآیه ما جاء فی الکلام عن الظلال و التی تکون واضحه اکثر فی اوّل النهار و آخره.

ص: ۳۶۵

الآیه [سوره الرعد (١٣): آیه ١۶]

اشاره

قُلْ مَنْ رَبُّ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ قُلِ اَللّٰهُ قُلْ أَ فَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيٰاءَ لاٰ يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَ لاٰ ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي اَلْأَعْمىٰ وَ اَلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي اَلظُّلُمٰاتُ وَ اَلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكٰاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشٰابَهَ اَلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اَللّٰهُ خٰالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ اَلْوٰاحِدُ اَلْقَهّٰارُ (١۶)

التّفسیر

اشاره

لماذا عباده الأصنام

؟ كـان البيان فى الآيات السابقه عن معرفه اللّه و اثبات وجوده،و هـذه الآيه تبحث عن ضـلال المشـركين و الوثنيين و تتناوله من عدّه جهات،حيث تخاطب- اوّلا-النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم حيث تقول: قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ ثمّ تأمر النّبى ان يجيب على السؤال قبـل ان ينتظر جوابهم قُلِ اللّٰهُ ثمّ انّه يلومهم و يوبّخهم بهـذه الجمله قُلْ أَ فَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيٰاءَ لاٰ يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَ لاٰ ضَرًّا .

لقد بيّن-اوّلا-عن طريق ربوبيته انّه المدبّر و المالك لهذا العالم،و لكلّ خير

ص :٣۶۶

و نفع من جانبه،و قادر على دفع اى شرّ و ضرّ،و هذا يعنى انّكم بقبولكم لربوبيته يجب ان تطلبوا كلّ شىء من عنده لا- من الأصنام العاجزه عن حلّ ايّه مشكله لكم.ثمّ يذهب الى ابعد من ذلك حيث يقول:انّ هذه الأصنام لا تملك لنفسها نفعا و لا ضرّا فكيف يمكنها ان تنفعكم او تضرّكم؟و هم و الحال هذه لا يحلّون اى عقده لكم حتّى لو قمتم بعبادتهم،فهؤلاء لا يستطيعون تدبير أنفسهم فما ذا ينتظر منهم؟ ثمّ يذكر مثالين واضحين و صريحين يحدّد فيها وضع الافراد الموحّدين و المشركين،فيقول اوّلا: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمىٰ وَ الْبَصِيرُ فكما لا يستوى الأعمى و البصير لا يستوى المؤمن و الكافر،و لا يصحّ قياس الأصنام على الخالق جلّ و علا.

و يقول ثانيا: أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمٰاتُ وَ النُّورُ كيف يمكن ان نساوى بين الظلام الذى يعتبر قاعده الانحراف و الضلال،و بين النّور المرشد و الباعث للحياه، و كيف يمكن ان نجعل الأصنام التى هى الظّلمات المحضه الى جنب اللّه الذى هو النّور المطلق،و ما المناسبه بين الايمان و التوحيد اللذان هما نور القلب و الروح، و بين الشرك اصل الظلام؟! ثمّ يدلل على بطلان عقيده المشركين عن طريق آخر فيقول: أَمْ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكٰاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشٰابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ و الحال ليس كذلك،فإنّ المشركين أنفسهم لا يعتقدون بها،فهم يعلمون انّ اللّه خالق كلّ شىء،و عالم الوجود مرتبط به،و لذلك تقول الآيه: قُلِ اللّٰهُ خٰالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ الْوٰاحِدُ الْقَهّٰارُ .

بحوث

اشاره

۱-الخالقيه و الرّبوبيه يتطلّبان العباده

يمكن ان يستفاد من الآيه أعلاه انّ الخالق هو الربّ المدبّر،لانّ الخلقه امر مستمر و دائمى،و ليس من خلق الكائنات يتركهم و شأنهم،بل انّه تعالى يفيض بالوجود عليهم باستمرار و كلّ شىء يأخذ وجوده من ذاته المقدّسه،و على هذا فنظام الخلقه و تدبير العالم كلّها بيد اللّه،و لهذا السبب يكون هو النافع و الضارّ.

و غيره لا يملك شىء الاّ منه،فهل يوجد احد غير اللّه احقّ بالعباده؟

۲-كيف يسأل و يجيب بنفسه

؟ بالنظر الى الآيه أعلاه يطرح هذا السؤال:كيف امر اللّه نبيّه ان يسأل المشركين:من خلق السماوات و الأرض؟و بعدها بدون ان ينتظر منهم الجواب يأمر النّبى ان يجيب هو على السؤال...و بدون فاصله يوبّخ المشركين على عبادتهم الأصنام،اى طراز هذا فى السؤال و الجواب؟ و لكن مع الالتفات الى هذه النقطه يتّضح لنا الجواب و هو انّه فى بعض الأحيان يكون الجواب للسؤال واضح جدّا و لا يحتاج الى الانتظار.فمثلا نسأل أحدا:هل الوقت الآن ليل ام نهار؟و بلا فاصله نجيب نحن على السؤال فنقول:

الوقت بالتأكيد ليل.و هذه كنايه لطيفه،حيث انّ الموضوع واضح جدّا و لا يحتاج الى الانتظار للجواب،بالاضافه الى انّ المشركين يعتقدون بخلق اللّه للعالم و لم يقولوا ابدا انّ الأصنام خالقه السّماء و الأرض،بل كانوا يعتقدون بشفاعتهم و قدرتهم على نفع الإنسان و دفع الضرر عنه،و لهذا السبب كانوا يعبدوهم.و بما انّ الخالقيه غير منفصله عن الرّبوبيه يمكن ان نخاطب المشركين بهذا الحديث و نقول:أنتم الذين تقولون بأنّ اللّه خالق،يجب ان تعرفوا انّ الربوبيه للّه كذلك،

و يختصّ بالعباده ايضا لذلك.

۳-العين المبصره و نور الشمس شرطان ضروريان

يشير ظاهر المثالين(الأعمى و البصير)و(الظّلمات و النّور)الى هذه الحقيقه، و هى انّ النظر يحتاج الى شيئين:العين المبصره،و شعاع الشمس،بحيث لو انتفى واحد منهما فإنّ الرؤيه لا تتحقّق،و الآن يجب ان نفكّر: كيف حال الافراد المحرومين من البصر و النّور؟المشركون المصداق الواقعى لهذا،فقلوبهم عمى و محيطهم ملىء بالكفر و عباده الأصنام،و لهذا السبب فهم فى تيه و ضياع.و على العكس فالمؤمنون بنظرهم الى الحقّ،و استلهامهم من نور الوحى و ارشادات الأنبياء عرفوا مسيره حياتهم بوضوح.

۴-هل انّ خلق اللّه لكلّ شىء دليل على الجبر

؟ استدلّ جمع من اتباع مدرسه الجبر انّ جمله اَللّٰهُ خٰالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فى الآيه أعلاه لها من السعه بحيث تشمل حتّى عمل الافراد،فاللّه خالق اعمالنا و نحن غير مختارين.

يمكن ان نجيب على هذا القول بطريقين:

اوّلا:الجمل الاخرى للآيه تنفى هذا الكلام،لانّها تلوم المشركين بشكل اكيد فإذا كانت اعمالنا غير اختياريه،فلما ذا هذا التوبيخ؟!و إذا كانت اراده اللّه ان نكون مشركين فلما ذا يلومنا؟!و لماذا يسعى بالأدلّه العقليّه لتغيير مسيرتهم من الضلاله الى الهدايه؟كلّ هذا دليل على أنّ الناس أحرار فى انتخاب طريقهم.

ثانيا:انّ الخالقيه بالذات من مختصّات اللّه تعالى.و لا يتنافى مع اختيارنا فى الأفعال،لانّ ما نمتلكه من القدره و العقل و الشعور،و حتّى الاختيار و الحريه،كلّها

من عنـد اللّه،و على هـذا فمن جهه هو الخـالق(بالنسـبه لكـلّ شـىء و حتّى أفعالنا) و من جهه اخرى نحن نفعل باختيارنا،فهما فى طول واحد و ليس فى عرض و أفق واحد،فهو الخالق لكلّ وسائل الأفعال،و نحن نستفيد منها فى طريق الخير او الشرّ.

فمثلا الذى يؤسّـِس معملا لتوليد الكهرباء او لإنتاج أنابيب المياه، يصـنعها و يضـعها تحت تصـرّفنا،فلا يمكن ان نسـتفيد من هذه الأشـياء الاّ بمساعـدته،و لكن بالنتيجه يكون التصـميم النهائى لنا،فيمكن ان نسـتفيد من الكهرباء لامـداد غرفه عمليات جراحيه و انقـاذ مريض مشـرف على الموت،او نسـتخدمها فى مجـالس اللهو و الفسـاد،و يمكن ان نروى بالماء عطش انسان و نسـقى وردا جميلا،او نستخدم الماء فى إغراق دور الناس و تخريبها.

الآیه [سوره الرعد (١٣): آیه ١٧]

اشاره

أَنْزَلَ مِنَ اَلسَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِیَهٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ اَلسَّیْلُ زَبَداً رابِیاً وَ مِمّا یُوقِدُونَ عَلَیْهِ فِی اَلنّارِ اِبْتِغاءَ حِلْیَهٍ أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ کَذٰلِکَ یَضْرِبُ اَللّٰهُ اَلْحَقَّ وَ اَلْباطِلَ فَأَمَّا اَلزَّبَدُ فَیَذْهَبُ جُفاءً وَ أَمّا ما یَنْفَعُ اَلنّاسَ فَیَمْکُثُ فِی اَلْأَرْضِ کَذٰلِکَ یَضْرِبُ اَللّٰهُ اَلْأَمْثالَ (١٧)

التّفسیر

اشاره

وصف دقیق لمنظر الحقّ و الباطل:

یستند القرآن الکریم-الذی یعتبر کتاب هدایه و تربیه-فی طریقته الی الوقائع العینیّه لتقریب المفاهیم الصعبه الی أذهان الناس من خلال ضرب الأمثال الحسّیه الرائعه من حیاه الناس،و هنا-ایضا-لأجل ان یجسّم حقائق الآیات السابقه التی کانت تدور حول التوحید و الشرک،الایمان و الکفر،الحقّ و الباطل، یضرب مثلا واضحا جدّا لذلک..

یقول اوّلا: أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً الماء عماد الحیاه و اصل النمو و الحرکه،

فَسٰالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهٰا

تتقارب السواقى الصغيره فيما بينها،و تتكوّن الأنهار و تتّصل مع بعضها البعض،فتسيل المياه من سفوح الجبال العظيمه و الوديان و تجرف كلّ ما يقف امامها،و فى هذه الأثناء يظهر الزّبد و هو ما يرى على وجه الماء كرغوه الصابون من بين أمواج الماء حيث يقول القرآن الكريم: فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رٰابِياً .

«الرابى»من«الربو»بمعنى العالى او الطافى،و الربا بمعنى الفائده مأخوذ من نفس هذا الأصل.

و ليس ظهور الزبد منحصرا بهطول الأمطار،بل وَ مِمّٰا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النّٰارِ ابْتِغٰاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتٰاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ (1) اى الفلزات المذابه بالنّار لصناعه أدوات الزينه منها او صناعه الوسائل اللازمه فى الحياه.

بعد بيان هذا المثال بشكله الواسع لظهور الزبد ليس فقط فى الماء بل حتّى للفلزات و للمتاع،يستنتج القرآن الكريم كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْحَقَّ وَ الْبٰاطِلَ ثمّ يتطرّق الى شرحه فيقول: فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفٰاءً وَ أَمّٰا مٰا يَنْفَعُ النّٰاسَ فَيَمْكُثُ فِى الْأَرْضِ .

فأمّا الزبد الذى لا فائده فيه فيذهب جفاء و يصير باطلا متلاشيا،و امّا الماء الصافى النقى المفيد فيمكث فى الأرض او ينفذ الى الاعماق و تتكوّن منه العيون و الآبار تروى العطاش،و تروى الأشجار لتثمر،و الازهار لتتفتّح،و تمنح لكلّ شىء الحياه.

و فى آخر الآيه-للمزيد من التأكيد فى مطالعه هذه الأمثال-يقول تعالى:

كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْأَمْثٰالَ

.

١- ١) تشير هذه الآيه الى الافران التى تستعمل لصهر الفلزان،فهذه الافران تتميّز بوجود النّار من تحتها و من فوقها يعنى نار تحت الفلز و نار فوقه،و هذه من أفضل انواع الافران حيث تحيط بها النّار من كلّ جانب.

بحوث

اشاره

هـذا المثال البليغ الذى عبّر عنه القرآن الكريم بألفاظ موزونه و عبارات منظّمه.و صوّر فيها الحقّ و الباطل بأروع صوره،فيه حقائق مخفيّه كثيره و نشير هنا الى قسم منها:

۱-ما هى علائم معرفه الحقّ و الباطل

؟ يحتـاج الإنسان فى بعض الأحيان لمعرفه الحقّ و الباطل-إذا أشـكل عليه الأمر-الى علائم و أمثال حتّى يتعرّف من خلالها على الحقائق و الأوهام.و قد بيّن القرآن الكريم هذه العلامات من خلال المثال أعلاه:

الف:-الحقّ مفيـد و نـافع دائما،كالماء الصافى الـذى هو اصل الحياه.امّا الباطل فلا فائـده فيه و لا نفع،فلا الزبـد الطافى على الماء يروى ظمآنا أو يسـقى أشـجارا،و لا الزبد الظاهر من صـهر الفلزات يمكن ان يستفاد منه للزينه او للاستعمالات الحياتيه الاخرى،و إذا استخدمت لغرض فيكون استخدامها رديئا و لا يؤخذ بنظر الاعتبار..كما نستخدم نشاره الخشب للإحراق.

بـاء:-الباطـل هو المسـتكبر و المرفّه كـثير الصوت،كثير الأـقوال لكنّه فـارغ من المحتوى،امّـا الحقّ فمتواضع قليـل الصوت،و كبير المعنى،و ثقيل الوزن (۱) .

جيم-الحقّ يعتمد على ذاته دائما،امّا الباطل فيسـتمدّ اعتباره من الحقّ و يسـعى للتلبّس به،كما انّ(الكذب يتلبّس بضياء الصدق)و لو فقـد الكلام الصادق من العالم لما كان هناك من يصـدق الكـذب.و لو فقدت البضاعه السـليمه من العالم لما وجد من يخدع ببضاعه مغشوشه.و على هذا فوجود الباطل راجع الى شـعاعه الخاطف و اعتباره المؤقّت الذى سرقه من الحقّ،امّا الحقّ فهو مستند الى نفسه و اعتباره منه.

۱- ۱) يقول الامام على عليه السّلام فى وصـفه أصحابه يوم الجمل «و قد ارعدوا و ابرقوا و مع هذين الأمرين الفشل،و لسنا نرعد حتّى نوقع و لا نسيل حتّى نمطر».

۲-ما هو الزّبد

؟ «الزبـد»بمعنى الرغوه التى تطفوا على السائـل،و الماء الصافى اقلّ رغوه، لانّ الزبـد يتكوّن بسـبب اختلاط الأجسام الخارجيه مع الماء،و من هنا يتّضح انّ الحقّ لو بقى على صفائه و نقائه لم يظهر فيه الخبث ابدا،و لكن لامتزاجه بالمحيط الخارجى الملوّث فإنّه يكتسب منه شيئا،فتختلط الحقيقه مع الخرافه،و الحقّ بالباطل،و الصافى بالخابط.فيظهر الزبد الباطل الى جانب الحقّ.

و هذا هو الذى يؤكّده

الامـام على عليه السّـلام حيث يقـول: لو انّ الباطـل خلص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتـادين،و لو انّ الحقّ خلص من لبس الباطل انقطعت عنه السن المعاندين». (۱) .

يقـول بعض المفسّـرين انّ للآـيه أعلاـه ثلاـث امثله:«نزول آيـات القرآن» تشـبيه بنزول قطرات المطر للخير،«قلوب النـاس»شـبيهه بالأرض و الوديان و بقدر وسـعها يستفاد منها،«وساوس الشيطان»شبيهه بالزبد الطافى على الماء، فهذا الزبد ليس من الماء،بل نشأ من اختلاـط المـاء بمواد الأرض الاخرى،و لهـذا السـبب فوساوس النفس و الشـيطان ليست من التعاليم الالهيه،بل من تلوّث قلب الإنسان،و على ايّه حال فهذه الوساوس تزول عن قلوب المؤمنين و يبقى صفاء الوحى الموجب للهدايه و الإرشاد.

۳-الاستفاده تكون بقدر الاستعداد و اللياقه

! يسـتفاد من هـذه الآيه-ايضا-انّ مبـدا الفيض الالهى لا يقوم على البخل و الحدود الممنوعه،كما انّ السـحاب يسـقط امطاره فى كلّ مكان بدون قيد او

۱- ۱) نهج البلاغه،الخطبه ۵۰.

شرط،و تستفید الأرض و الودیان منها علی قدر وسعها،فالأرض الصغیره تستفید اقلّ و الأرض الواسعه تستفید اکثر،و هکذا قلوب الناس فی مقابل الفیض الالهی.

۴-الباطل و الأوضاع المضطربه

عند ما یصل الماء الی السهل او الصحراء و یستقرّ فیها،تبدا المواد المختلطه مع الماء بالترشّح و یذهب الزبد فیظهر الماء النقی مرّه ثانیه،و علی هذا النحو فالباطل یبحث عن سوق مضطربه حتّی یستفید منها،و لکن بعد استقرار السوق و جلوس کلّ تاجر فی مکانه المناسب و تحقق الالتزامات و الضوابط فی المجتمع،لا یجد الباطل له مکانا فینسحب بسرعه!

۵-الباطل یتشکّل بأشکال مختلفه

انّ واحده من خصائص الباطل هی انّه یغیّر لباسه من حین لآخر،حتّی إذا عرفوه بلباسه یستطیع ان یخفی وجهه بلباس آخر،و فی الآیه أعلاه اشاره لطیفه لهذه المسأله،حیث تقول:لا یظهر الزبد فی الماء فقط،بل یظهر حتّی فی الافران المخصوصه لصهر الفلزات بشکل و لباس آخر،و بعباره اخری فإنّ الحقّ و الباطل موجودان فی کلّ مکان کما یظهر الزبد فی السوائل بالشکل المناسب لها.و علی هذا یجب ان لا نخدع بتنوّع الوجوه و ان نعرف أوجه الباطل و نطرحه جانبا.

۶-ارتباط البقاء بالنفع

تقول الآیه: وَ أَمّٰا مٰا یَنْفَعُ النّٰاسَ فَیَمْکُثُ فِی الْأَرْضِ لیس الماء فقط یبقی و یذهب الزبد الطافی علیه،بل حتّی الفلزات تلک التی تستعمل للزینه او للمتاع

يبقى الخالص منها و يـذهب خبثه.و على هذا النحو فالناس و المدارس و المبادئ لهم حقّ الحياه على قدر منفعتهم،و إذا ما رأينا بقاء اصحاب المبادئ الباطله لفتره فإنّ ذلك بسبب وجود ذلك المقدار من الحقّ الذى اختلط فيه،و بهذا المقدار له حقّ الحياه.

۷-كيف يطرد الحقّ الباطل

؟ «الجفـاء»بمعنى الإلقـاء و الإخراج،و لهـذا نكته لطيفه و هى انّ الباطل يصل الى درجه لا يمكن فيها ان يحفظ نفسه،و فى هـذه اللحظه يلقى خارج المجتمع، و هذه العمليه تتمّ فى حاله هيجان الحقّ،فعند غليان الحقّ يظهر الزبد و يطفو على سطح ماء القدر و يقذف الى الخارج،و هذا دليل على انّ الحقّ يجب ان يكون فى حاله هيجان و غليان دائما حتّى يبعد الباطل عنه.

۸-الباطل مدين للحقّ ببقائه

كما قلنا فى تفسير الآيه،فلو لم يكن الماء لما وجد الزبد،و لا يمكن له ان يستمر،كما انّه لولا وجود الحقّ فإنّ الباطل لا معنى له و لو لم يكن هناك اشـخاص صادقون لما وقع احد تحت تأثير الافراد الخونه و لما صدّق بمكرهم، فالشـعاع الكاذب للباطل مدين فى بقائه لنور الحقّ.

۹-صراع الحقّ و الباطل مستمر

المثـال الـذى ضـربه لنـا القرآن الكريم فى تجسـيم الحقّ و الباطـل ليس مثالا محـدودا فى زمان و مكان معينين،فهـذا المنظر يراه الناس فى جميع مناطق العالم المختلفه،و هذا يبيّن انّ عمل الحقّ و الباطل ليس مؤقتا و آنيا.و جريان الماء

العذب و المالح مستمر الی نفخ الصور،الّا إذا تحوّل المجتمع الی مجتمع مثالی (کمجتمع عصر الظهور و قیام الامام المهدی علیه السّلام)فعنده ینتهی هذا الصراع، و ینتصر الحقّ و یطوی بساط الباطل،و تدخل البشریه مرحله جدیده من تاریخها،و الی ان نصل الی هذه المرحله فالصراع مستمر بین الحقّ و الباطل، و یجب ان نحدّد موقفنا فی هذا الصراع.

۱۰-تزامن الحیاه مع السعی و الجهاد

المثال الرائع أعلاه یوضّح هذا الأساس لحیاه الناس،و هو انّ الحیاه بدون جهاد غیر ممکنه،و العزّه بدون سعی غیر ممکنه ایضا،لانّه یقول:یجب ان یذهب الناس الی المناجم لتهیئه مستلزمات حیاتهم فی المتاع و الزینه اِبْتِغاءَ حِلْیَهٍ أَوْ مَتاعٍ .و للحصول علی هذین الشیئین یجب تنقیه المواد الخام من الشوائب بواسطه نیران الافران للحصول علی الفلز الخالص الصالح للاستعمال،و هذا لا یتمّ الّا من خلال السعی و المجاهده و العناء.

و هذه هی طبیعه الحیاه حیث یوجد الی جانب الورد الشوک،و الی جانب النصر توجد المصاعب و المشکلات،و قالوا فی القدیم:(الکنوز فی الخرائب و فوق کلّ کنز یوجد ثعبان نائم)،فإنّ هذه الخربه و الثعبان تمثّلان المشاکل و الصعوبات للحصول علی الموفّقیه فی الحیاه.

و یؤکّد القرآن الکریم هذه الحقیقه و هی انّ التوفیق لا یحصل الّا بتحمّل المصاعب و المحن،یقول جلّ و علا فی الآیه(۲۱۴)من سوره البقره: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّهَ وَ لَمّا یَأْتِکُمْ مَثَلُ الَّذِینَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِکُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَ الضَّرّاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتّی یَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ مَتی نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِیبٌ .

الأمثال فی القرآن:

اشاره

انّ دور المثـال فی توضـیح و تفسـیر الغایات له اهمیّه کبیره غیر قابله للإنکار، و لهـذا السـبب لا یوجـد ای علم یسـتغنی عن ذکر المثال لاثبات و توضیح الحقائق و تقریب معناها الی الأذهان،و تاره ینطبق المثال مع المقصود بشکل یجعل المعانی الصعبه تنزل من السّـماء الی الأـرض و تکون مفهومه للجمیع، فیمکن ان یقـال:انّ المثال له دور مؤثّر فی مختلف الأبحاث العلمیه و التربویه و الاجتماعیه و الاخلاقیه و غیرها،و من جمله تأثیراته:

۱-المثال یجعل المسائل محسوسه:

من المعلوم أنّ الإنسان یأنس بالمحسوسات أکثر،أمّا الحقائق العلمیه المعقّـده فهی بعیـده المنال.و الأمثال تقرّب هـذه الفواصل و تجعل الحقائق المعنویه محسوسه،و إدراکها یسیر و لذیذ.

۲-المثال یقرّب المعنی:

تـاره یحتـاج الإنسـان لاثبـات مسـأله منطقیه او عقلیه الی ادلّه مختلفه،و مع کلّ هـذه الادلّه تبقی هناک نقاط مبهمه محیطه بها،و لکن عند ذکر مثال واضح منسّق مع الغایه یقرّب المعنی و یعزّز الادلّه و یقلّل من کثرتها.

۳-المثال یعمّم المفاهیم

کثیر من البحوث العلمیه بشـکلها الاصلی یفهمها الخواص فقط،و لا یستفید منها عامّه الناس،و لکن عند ما یصحبها المثال تکون قابله للفهم،و یستفید منها الناس علی اختلاف مستویاتهم العلمیه،و لهذا فالمثال وسیله لتعمیم الفکر

ص :۳۷۸

و الثقافه.

۴-المثال،یزید فی درجه التصدیق:

مهما تکن الکلیّات العقلیه منطقیه،فإنّها لا تخلق حاله الیقین الکافیه فی ذهن الإنسان،لانّ الإنسان یبحث عن الیقین فی المحسوسات،فالمثال یجعل من المسأله الذهنیّه واقعا عینیّا،و یوضّحها فی العالم الخارجی،و لهذا السبب فإنّ له اثره فی زیاده درجه تصدیق المسائل و قبولها.

۵-المثال یخرس المعاندین:

کثیرا ما لا تنفع الادلّه العقلیّه و المنطقیّه لاسکات الشخص المعاند حیث یبقی مصرّا علی عناده و لکن عند ما نصب الحدیث فی قالب المثال نوصد الطریق علیه بحیث لا یبقی له مجال للتبریر و لا لاختلاق الاعذار.

و لا بأس ان نطرح هنا بعض الامثله حتّی نعرف مدی تأثیرها:

نقرا فی القرآن الکریم انّ اللّه سبحانه و تعالی یرد علی الذین اشکلوا علی ولاده السّید المسیح علیه السّلام کیف انّه ولد من امّ بغیر أب إِنَّ مَثَلَ عِیسیٰ عِنْدَ اللّٰهِ کَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرٰابٍ . (۱)

لاحظوا جیدا،فنحن مهما حاولنا ان نقول للمعاندین:انّ هذا العمل بالنسبه الی قدره اللّه المطلقه لا شیء،فمن الممکن ان یحتجّوا ایضا،و لکن عند ما نقول لهم هل تعتقدون انّ آدم خلقه اللّه من تراب؟فإنّ اللّه الذی له هذه القدره کیف لا یستطیع إیجاد شخص بدون أب؟!

۱- ۱) آل عمران،۵۹.

و بالنسبه الی المنافقین الذین یقضون فی ظلّ نفاقهم ایّاما مریحه ظاهرا، فإنّ القرآن الکریم یضرب مثالا رائعا عن حالهم،فیشبّههم بالمسافرین فی الصحراء فیقول یَکادُ الْبَرْقُ یَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ کُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِیهِ وَ إِذا أَظْلَمَ عَلَیْهِمْ قامُوا وَ لَوْ شاءَ اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَ أَبْصارِهِمْ إِنَّ اللّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ . (۱) .

فهل یوجد أوضح من هذا الوصف للمنافق التائه فی الطریق،لیستفید من نفاقه و عمله کی یستمرّ فی حیاته؟ و عند ما تقول للافراد:انّ الإنفاق یضاعفه لکم اللّه عدّه مرّات قد لا یستطیعون ان یفهموا هذا الحدیث،و لکن یقول القرآن الکریم: مَثَلُ الَّذِینَ یُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِی سَبِیلِ اللّهِ کَمَثَلِ حَبَّهٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِی کُلِّ سُنْبُلَهٍ مِائَهُ حَبَّهٍ (۲) ،و هذا المثال الواضح اقرب للإدراک.

و غالبا ما نقول:انّ الریاء لا ینفع الإنسان،فقد یکون هذا الحدیث ثقیلا علی البعض،کیف یمکن لهذا العمل ان یکون غیر مفید،فبناء مستشفی او مدرسه حتّی لو کان بقصد الریاء..لماذا لیست له قیمه عند اللّه؟!و لکن یضرب اللّه مثالا رائعا حیث یقول: فَمَثَلُهُ کَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَیْهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَکَهُ صَلْداً . (۳)

و لکی لا نبتعد کثیرا فالآیه التی نحن بصدد تفسیرها تبحث فی مجال الحقّ و الباطل و تجسّم هذه المسأله بشکل دقیق،المقدّمات و النتائج،و الصفات و الخصوصیات و الآثار،و تجعلها قابله الفهم للجمیع و تسکت المعاندین،و اکثر

۱- ۱) البقره،۲۰.

۲- ۲) البقره،۲۶۱.

۳- ۳) البقره،۲۶۴.

من ذلک تکفینا تعب البحوث المطوّله.

و

فی مناظره للإمام الصادق علیه السّلام مع احد الزنادقه حول قوله تعالی: کُلَّمٰا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنٰاهُمْ جُلُوداً غَیْرَهٰا لِیَذُوقُوا الْعَذٰابَ قال:فما بال الغیر؟ أجابه الامام:«ویحک هی هی و هی غیرها!»قال:فمثّل لی ذلک شیئا من امر الدنیا!قال:«نعم،أ رأیت لو انّ رجلا أخذ لبنه فکسرها ثمّ ردّها فی ملبنها،فهی هی و هی غیرها» (۱) .

و لا بدّ هنا من ملاحظه هذه اللفظه و هی انّ المثال و ما له من تأثیر کبیر و دور فعّال یجب ان یکون مطابقا و موافقا للمقصود،و الاّ یکون ضالا و منحرفا.

و لهذا السبب یستفید المنافقون من هذه الامثله المنحرفه لیضلّوا بها الناس البسطاء،فهم یستعینون بشعاع المثال لیصدق الناس اکاذیبهم،فیجب ان نحذر من هذه الامثله المنحرفه و نلاحظها بدقّه.

۱- ۱) الاحتجاج،ص ۳۵۴.

الآیه [سوره الرعد (۱۳): آیه ۱۸]

اشاره

لِلَّذِینَ اِسْتَجٰابُوا لِرَبِّهِمُ اَلْحُسْنیٰ وَ اَلَّذِینَ لَمْ یَسْتَجِیبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مٰا فِی اَلْأَرْضِ جَمِیعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْا بِهِ أُولٰئِکَ لَهُمْ سُوءُ اَلْحِسٰابِ وَ مَأْوٰاهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ اَلْمِهٰادُ (۱۸)

التّفسیر

اشاره

الذین استجابوا لدعوه الحقّ:

بعد ما کشفت الآیات السابقه عن وجهی الحقّ و الباطل من خلال مثال واضح و بلیغ،اشارت هذه الآیه الی مصیر الذین استجابوا لربّهم و الذین لم یستجیبوا لهذه الدعوه و اتّجهوا صوب الباطل.تقول اوّلا: لِلَّذِینَ اسْتَجٰابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنیٰ .

«الحسنی»فی معناها الواسع تشمل کلّ خیر و سعاده،بدءا من الخصال الحسنه و الفضائل الاخلاقیه الی الحیاه الاجتماعیه الطاهره و النصر علی الأعداء و جنّه الخلد.

ثمّ تضیف الآیه وَ الَّذِینَ لَمْ یَسْتَجِیبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مٰا فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً

ص: ۳۸۲

وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْا بِهِ

.

لا توجد صيغه أوضح من هذه الآيه فى بيان شدّه عذابهم و عقابهم،يمتلك الإنسان كلّ ما فى الأرض و ضعفه ايضا و يفتدى به للنجاه و لا يحصل النجاه.

تشير هذه الجمله فى الواقع الى آخر امنيه و التى لا يمكن ان يتصوّر اكثر منها، و هى ان يمتلك الإنسان كلّ ما فى الأرض،و لكن شدّه العذاب للظالمين و مخالفى الحقّ تصل بهم الى درجه ان يفتدوا بكلّ هذه الامنيه او أكثر منها لنجاتهم.و لنفرض انّها قبلت منهم فتكون نجاتهم من العذاب فقط،و لكن الثواب العظيم يكون من نصيب الذين استجابوا لدعوه الحقّ.

و من هنا يتّضح انّ العباره وَ مِثْلَهُ مَعَهُ ليس المقصود منها ان يكون لهم ضعف ما فى الأرض،بل انّهم مهما ملكوا اكثر من ذلك فانّهم مستعدّون للتنازل عنه مقابل نجاتهم من العذاب.و دليله واضح،لانّ الإنسان يطلب كلّ شىء لمنفعته،و لكن عند ما يجد نفسه غارقا فى العذاب فما فائده تملكه للدنيا كلّها؟ و على اثر هذا الشقاء(عدم قبول ما فى الأرض مقابل نجاتهم)يشير القرآن الكريم الى شقاء آخر أُولٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسٰابِ .

فما هو المقصود من سوء الحساب؟ للمفسّرين آراء مختلفه حيث يعتقد البعض انّه الحساب الدقيق بدون اى عفو او مسامحه،فسوء الحساب ليس بمفهوم الظلم،لانّ اللّه سبحانه و تعالى هو العدل المطلق،و يؤيّد هذا المعنى الحديث الوارد

عن الامام الصادق عليه السّلام انّه قال لرجل: «يا فلان مالك و لأخيك؟»قال:جعلت فداك كان لى عليه حقّ فأستقصيت منه حقّى الى آخره،و عنده سماع الامام لهذا الجواب غضب و جلس ثمّ قال:

«كأنّك إذا استقصيت حقّك لم تسىء اليه!أ رأيت ما حكى اللّه عزّ و جلّ وَ يَخٰافُونَ سُوءَ الْحِسٰابِ أ تراهم يخافون اللّه ان يجور عليهم؟!لا و اللّه ما خافوا الاّ الاستقصاء

ص:۳۸۳

فسمّاه اللّه عزّ و جلّ سوء الحساب،فمن استقصى فقد أساءه» (۱) .

و قال البعض:المقصود من سوء الحساب،انّه يلازم حسابهم التوبيخ و الملامه و غيرها،فبالاضافه الى خوفهم من العذاب يؤلمهم التوبيخ.

و يقول البعض الآخر:المقصود هو الجزاء الذى يسوؤهم،كما نقول:انّ فلان حسابه نقى،او لآخر:حسابه مظلم،و هذا يعنى نتيجه حسابهم جيده او سيّئه،او تقول:(ضع حسابه فى يده)يعنى حاسبه طبقا لعمله.

هذه التفاسير الثلاثه غير متضادّه فيما بينها،و يمكن ان يستفاد منها فى تفسير الآيه،و هذا يعنى انّ هؤلاء الافراد يحاسبون حسابا دقيقا،و أثناء حسابهم يوبّخون و يلامون و من ثمّ يستقصى منهم.

و فى نهايه الآيه اشاره الى الجزاء الثّالث او النتيجه النهائيه لجزائهم وَ مَأْوٰاهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمِهٰادُ .

«المهاد»جمع مهد،بمعنى التهيؤ،و يستفاد منها معنى السرير الذى يستخدم لراحه الإنسان،هذا السرير يهيّأ للاستراحه،و قد ذكر القرآن الكريم هذه الكلمه للاشاره الى انّ هؤلاء الطغاه بدلا من ان يستريحوا فى مهادهم يجب ان يحرقوا بلهيب النار.

بحث

يستفاد من الآيات القرآنيه انّ الناس فى يوم القيامه ينقسمون الى مجموعتين،فمجموعه يحاسبهم اللّه بيسر و سهوله و بغير تدقيق فَأَمّٰا مَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحٰاسَبُ حِسٰاباً يَسِيراً . (۲)

۱- ۱) تفسير البرهان،المجلّد الثّانى،صفحه ۲۸۸.

۲- ۲) الانشقاق،۸.

و على العكس من ذلك هناك مجموعه يحاسبون بشدّه حتّى الذرّه و المثقال من الأعمال يحاسبون عليه،كما حدث لبعض البلاد التى كان أهلها من العاصين، فَحاسَبْناها حِساباً شَدِيداً وَ عَذَّبْناها عَذاباً نُكْراً (١) .

انّ هذا الحساب الشديد هو نتيجه لما كان يقوم به هؤلاء فى حياتهم من استقصاء الآخرين حتّى الدينار الأخير،و إذا ما حدث خطأ من احد فإنّهم يعاقبون بأشدّ ما يمكن،و لم يسامحوا أحدا حتّى أبناءهم و إخوانهم و أصدقائهم، و بما انّ الآخره انعكاس لحياه الدنيا فإنّ اللّه سبحانه و تعالى يحاسبهم حسابا شديدا على اى عمل عملوه بدون ادنى سماح،و على العكس فهناك اشخاص سهلون و مسامحون و من اهل العفو،خصوصا فى مقابل أصدقائهم و اقربائهم و ذوى الحقوق عليهم او الضعفاء،و يغضّون النظر عنهم و عن كثير من زلّاتهم الشخصيّه،و فى مقابل ذلك فإنّ اللّه سبحانه و تعالى يشملهم بعفوه و رحمته الواسعه و يحاسبهم حسابا يسيرا.

و هذا درس كبير لكلّ الناس و خصوصا أولئك الذين يتصدّرون الأمور.

١- ١) الطلاق،٨.

الآیات [سوره الرعد (۱۳): الآیات ۱۹ الی ۲۴]

اشاره

أَ فَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ اَلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمىٰ إِنَّمٰا يَتَذَكَّرُ أُولُوا اَلْأَلْبٰابِ (۱۹) اَلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اَللّٰهِ وَ لاٰ يَنْقُضُونَ اَلْمِيثٰاقَ (۲۰) وَ اَلَّذِينَ يَصِلُونَ مٰا أَمَرَ اَللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَ يَخٰافُونَ سُوءَ اَلْحِسٰابِ (۲۱) وَ اَلَّذِينَ صَبَرُوا اِبْتِغٰاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَ أَقٰامُوا اَلصَّلاٰةَ وَ أَنْفَقُوا مِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ سِرًّا وَ عَلاٰنِيَةً وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ اَلسَّيِّئَةَ أُولٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى اَلدّٰارِ (۲۲) جَنّٰاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهٰا وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبٰائِهِمْ وَ أَزْوٰاجِهِمْ وَ ذُرِّيّٰاتِهِمْ وَ اَلْمَلاٰئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بٰابٍ (۲۳) سَلاٰمٌ عَلَيْكُمْ بِمٰا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى اَلدّٰارِ (۲۴)

التّفسیر

اشاره

الأبواب الثّمانیه للجنّه و صفات اولی الألباب:

تتحدّث هذه الآیات عن سیره اولی الألباب و صفاتهم الحسنه،و فیها تکمیل

ص:۳۸۶

للبحث السابق.

فی الآیه الاولی من هذه المجموعه استفهام انکاری: أَ فَمَنْ یَعْلَمُ أَنَّمٰا أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ الْحَقُّ کَمَنْ هُوَ أَعْمیٰ .

و هذا وصف رائع،فهو لم یقل:أ فمن یعلم انّ هذا القرآن علی الحقّ کمن لا یعلم؟بل قال:کمن هو أعمی؟و هذه اشاره لطیفه الی انّه من المحال ان لا یعلم احد بهذه الحقیقه الاّ ان یکون أعمی القلب،فکیف یمکن لإنسان یمتلک عینا سلیمه و لا یری نور الشمس،و هذا القرآن کالشمس.و لذلک یجیء فی نهایه الآیه قوله تعالی: إِنَّمٰا یَتَذَکَّرُ أُولُوا الْأَلْبٰابِ .

«الألباب»جمع لبّ بمعنی جوهر الشیء،و یقابل اولی الألباب اولوا الجهل و العمی.

انّ هذه الآیه-و کما یذهب الیه بعض المفسّرین-تحثّ الناس علی طلب العلم و محاربه الجهل،لانّها تعدّ الفرد الفاقد للعلم کمن هو أعمی. ثمّ بیّن سیره اولی الألباب من خلال ذکر صفاتهم الحمیده،و اوّل ما أشار القرآن الیه وفاؤهم بالعهد و عدم نقضهم له و اَلَّذِینَ یُوفُونَ بِعَهْدِ اللّٰهِ وَ لاٰ یَنْقُضُونَ الْمِیثٰاقَ .

انّ«عهد اللّه»له معنی واسع،و یشمل العهود الفطریه التی عاهدوا بها ربّهم کالفطره علی التوحید و حبّ الحقّ و العداله،و المواثیق العقلیّه التی یدرکها الإنسان من خلال التفکیر و التعقّل لعالم الوجود،و المبدإ و المعاد،و تشمل کذلک العهود الشرعیّه،و هی ما عاهدوا الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علیه من الطاعه للأوامر الالهیّه و ترک المعاصی و الذنوب.

و تشمل هذه المجموعه کذلک الوفاء بالعهد بین الافراد،لانّ اللّه سبحانه و تعالی اوصی بها،بل تدخل ضمن الوفاء الشرعی و المیثاق العقلی.

الصفه الثّانیه من صفات اولی الألباب هی وَ الَّذِینَ یَصِلُونَ مٰا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ .

لا نجد صيغه أوسع من هذه فى هذا المجال،فالإنسان له صلات و روابط كثيره،صله مع ربّه،و مع الأنبياء و القاده،و روابطه مع الأصدقاء و الجيران و الأقرباء و مع كلّ الناس،و الآيه تأمر ان تحترم هذه الصلات،و تنهى عن اى عمل يؤدّى الى قطع هذه الصلات و الروابط.

و الإنسان فى الحقيقه ليس منزويا او منفكّا من عالم الوجود،بل تحكم كلّ وجوده الصلات و الروابط،و من جمله هذه الصلات:

۱-صلته باللّه سبحانه و تعالى،و التى إذا ما قطعها الإنسان تؤدّى الى هلاكه كما فى انطفاء نور المصباح فى حاله قطع التيار الكهربائى عنه،و على هذا فإنّ هذه الصله التكوينيّه بين الإنسان و ربّه يجب ان تتبعها صله بأوامره و احكامه من حيث الطاعه و العبوديه.

۲-صلته بالأنبياء و الائمّه عليهم السّلام على أساس انّهم قاده للبشريه و قطعها يؤدّى بالإنسان الى الضلال و الانحراف.

۳-صلته بالمجتمع كافّه و خصوصا بذوى الحقوق عليه أمثال الأب و الامّ و الأقرباء.

۴-صلته بنفسه،من حيث انّه مأمور بحفظها و إصلاحها و تكاملها.

انّ اقامه اى صله من هذه الصلات،هى فى الواقع مصداق للآيه يَصِلُونَ مٰا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ و قطعها قطع لما امر اللّه به ان يوصل،لانّ اللّه سبحانه و تعالى امر بأن توصل و لا تقطع.

و بالاضافه الى ما قلناه،فهناك أحاديث وارده بخصوص هذه الآيه يتّضح منها انّ المراد القرابه مرّه،و مرّه الامامه او آل الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و مرّه اخرى كلّ المؤمنين!

فقد جاء عن الامام الصادق عليه السّلام فى تفسير الآيه قال: «قرابتک»و عنه ايضا عليه السّلام قال:«نزلت فى رحم آل محمّد و قد يكون فى قرابتک» (۱) و من الطريف

۱- ۱) نور الثقلين،ج ۲،صفحه ۴۹۴.

انّه علیه السّلام یقول فی نهایه الحدیث: «فلا تکونن ممّن یقول للشیء انّه فی شیء واحد» و هذه الجمله اشاره واضحه الی المعانی الواسعه للقرآن الکریم.

و

عن الامام الصادق علیه السّلام فی حدیث ثالث یقول: «هو صله الامام فی کلّ سنه (ای بالمال)بما قلّ او اکثر،ثمّ قال:و ما أرید بذلک الاّ تزکیتکم» (۱) .

الصفه الثّالثه و الرّابعه من سیره اولی الألباب هی قوله تعالی: وَ یَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَ یَخٰافُونَ سُوءَ الْحِسٰابِ .

لمعرفه الفرق بین«الخشیه»و«الخوف»المتقاربان فی المعنی یقول البعض:

«الخشیه»هی حاله الخوف مع احترام الطرف المقابل و مع العلم و الیقین،و لذلک عدّها القرآن الکریم من خصوصیات العلماء حیث یقول: إِنَّمٰا یَخْشَی اللّٰهَ مِنْ عِبٰادِهِ الْعُلَمٰاءُ .

و لکن بالنظر الی استخدام القرآن الکریم لکلمه الخشیه مرّات کثیره یتّضح لنا انّها تأتی بمعنی الخوف و تستعمل معها بشکل مترادف.

هنا یطرح هذا السؤال:إذا کان الخوف من الخالق هو نفس الخوف من حسابه،فما هو الفرق بین یَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ و یَخٰافُونَ سُوءَ الْحِسٰابِ ؟ الجواب:انّ الخوف من اللّه سبحانه و تعالی لیس ملزما دائما ان یکون خوفا من حسابه و عقابه،بل انّ العظمه الالهیّه و الاحساس بالعبودیّه له توجد حاله من الخوف فی قلوب المؤمنین(بغضّ النظر عن الجزاء و العقاب)،و الآیه(۲۸)من سوره فاطر قد تشیر الی هذا المعنی.

و هناک سؤال آخر یتعلّق بسوء الحساب،و هو:هل من الصحیح انّ هناک ظلم فی محاسبه الافراد؟ و قد تقدّم الجواب علی هذا السؤال قبل عدّه آیات من هذه الآیه و قلنا انّ المراد هو التدقیق الشدید فی الحساب من دون عفو او تسامح و ذکرنا ایضا

۱- ۱) المصدر السابق،صفحه ۴۹۵.

حديثا فى هذا الصدد.

الصّفه الخامسه من صفات اولى الألباب الاستقامه فى مقابل جميع المشاكل التى يواجهها الإنسان فى مسيره الطاعه و ترك المعصيه،و جهاد الأعداء و محاربه الظلم و الفساد (۱) ،و الصبر فى مرضاه الخالق،و لذلك يقول تعالى: وَ الَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ لقد أشرنا مرارا الى مفهوم الاستقامه التى هى المعنى الواسع للصبر.

امّا معنى العباره وَجْهِ رَبِّهِمْ فقد تشير الى احد معنيين:

اوّلا:كلمه الوجه فى هذه الموارد تعنى العظمه،كما نقول للرأى الصائب و المهمّ«هذا وجه الراى»باعتبار انّ الوجه يمثّل الشكل الظاهر و المهمّ للشىء، كما فى وجه الإنسان الذى يعتبر اهمّ جزء من جسده،و فيه يقع السمع و البصر و النطق.

ثانيا:الوجه هنا بمعنى رضا الخالق،فهم يصبرون على المحن و المشاكل لجلب مرضاه اللّه،فاستعمال الوجه بهذا المعنى بسبب انّ الإنسان عند ما يريد ان يجلب رضا شخص يمعن النظر فى وجهه(و على ذلك فهو يستعمل للكنايه عن الشىء).و على ايّه حال فإنّ هذه الجمله تبيّن انّ كلّ صبر و عمل خير تكون له قيمه عند ما يصبح لوجه اللّه،و ايّ عمل آخر يقع تحت تأثير الرياء و الغرور لا قيمه له مطلقا.

يقول بعض المفسّرين:انّ الإنسان يصبر مرّه لكى يقول عنه الناس:انّ هذا كثير الاستقامه.و اخرى لخشيته ان يقولوا عنه انّه قليل الصبر،او يصبر حتّى لا يشمت به الأعداء،او يعلم ان لا فائده من الجزع..كلّ هذه الأمور و النيّات لا تدخل ضمن الكمال الانسانى الّا إذا كانت خالصه لوجه اللّه.فهو يصبر و يستقيم لأنّه يعلم انّ ايّ فاجعه او مصيبه لها حكمه و دليل،و لا يقول ما يسخط الربّ،

۱- ۱) ليس الصبر على الطاعه و المعصيه و المصيبه فقط بل الصبر على النعم كذلك حتّى لا يصيب الإنسان الغرور.

فهذا الصبر هو المعنى بقوله تعالى: اِبْتِغٰاءَ وَجْهِ اللّٰهِ .

الصفه السّادسه من صفاتهم هى وَ أَقٰامُوا الصَّلاٰةَ .رغم انّ اقامه الصلاه هى مصداق للوفاء بعهد اللّه و كذلك المصداق البارز لحفظ ما امر اللّه به ان يوصل، و مصداق للصبر و الاستقامه،و لكن هناك بعض مصاديق تلك المفاهيم الكلّيه اكثر اهميّه فى مصير الإنسان،فهذه الجمله و الجمل التى ما بعدها تشير الى ذلك.

اى شىء اهمّ من هذا؟!انّ الإنسان يجدّد عهده و صلته باللّه سبحانه و تعالى صباحا و مساء،و يتفكّر بعظمه الخالق و يدعوه،و يطهّر نفسه من الذنوب، و يرتبط بالحقّ المطلق،نعم..فإنّ الصلاه لها كلّ هذه الآثار و البركات.

ثمّ يبيّن الصفه السّابعه لدعاه الحقّ حيث يقول تعالى: وَ أَنْفَقُوا مِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ سِرًّا وَ عَلاٰنِيَةً .

و هذه الآيه ليست الوحيده التى تشير الى مسأله الإنفاق او الزكاه بعد ذكر الصلاه،فكثير من الآيات تشير الى هذا الترادف،فواحده تحكم الصله بين العبد و ربّه و الثّانيه بين العباد.

و الجمله مِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ تشمل كلّ العطايا من الأموال و العلوم و القوّه و الجاه، و الإنفاق كذلك يشمل جميع هذه الابعاد.و العباره سِرًّا وَ عَلاٰنِيَةً اشاره اخرى الى هذه الحقيقه و هى انّ إنفاقهم يتمّ بشكل مدروس،فتاره يكون سرّا و يترتّب عليه اثر كبير،و ذلك فى الحالات التى توجب ان يحفظ فيها ماء الوجه للطرف الآخر او تصون الطرف المنفق من الرياء،و مرّه يكون الإنفاق العلنى اكثر تأثيرا و ذلك فى الحالات التى تدعو الآخرين لكى يتأسّوا بهذا العمل الخيّر و يقتدوا به، فيكون سببا لكثير من اعمال الخير.

و من هنا يتّضح انّ القرآن الكريم يدقّق فى اعمال الخير بشكل كبير،ليس فقط فى اصل العمل،بل حتّى فى كيفيّه تنفيذه.

الصفه الثّامنه و الاخيره هى قوله تعالى: وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَهِ السَّيِّئَهَ .

و معنى هـذه العباره انّهم لم يكتفوا بالتوبه و الاسـتغفار فقط عنـد ارتكابهم الـذنوب،بل يـدفعونها كذلك بالحسـنات على مقدار تلك الذنوب،حتّى يطهّروا أنفسهم و المجتمع بماء الحسنات.

«يدرءون»مضارع«درأ»على وزن«زرع»بمعنى دفع.

و يحتمل فى تفسـير الآيه انّهم لا يقابلون السـيء بالسـيء،بل يسـعون من خلال إحسانهم للمسيئين ان يجعلوهم يعيدون النظر فى مواقفهم،كما نقرا فى الآيه(۳۴)من سوره فصلت قوله تعالى: اِدْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِی بَیْنَکَ وَ بَیْنَهُ عَداوَهٌ کَأَنَّهُ وَلِیٌّ حَمِیمٌ .

و فى نفس الوقت ليس هناك مانع من انّ الآيه تشير الى هذين المعنيين،كما اشارت إليها الأحاديث الاسلاميه.

ففى الحديث عن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال لمعاذ بن جبل: «إذا عملت سيّئه فاعمل بجنبها حسنه تمحها» (۱) .

و

عن الامام على عليه السّلام قال «عاتب أخاك بالإحسان اليه و اردد شرّه بالانعام عليه» (۲) .

و لا بـدّ هنـا من الالتفات الى هـذه النقطه،و هى انّ هـذه الأحكام أخلاقيه تخصّ الحالات التى يحصل فيها تأثير على الآخرين،و هناك قوانين و احكام جزائيه وارده فى التشريع الاسلامى لمعاقبه المسيئين.

و بعـد ما ذكر القرآن الكريم الصـفات الثمانيه لاولى الألباب،أشار فى نهايه الآيه الى عاقبه أمرهم حيث يقول تعالى: أُولئِکَ لَهُمْ عُقْبَى الدّارِ (۳) .

الآيه الاخرى توضّح هذه العاقبه جَنّاتُ عَدْنٍ یَدْخُلُونَها وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَ أَزْواجِهِمْ وَ ذُرِّیّاتِهِمْ .

ص: ۳۹۲

۱- ۱) مجمع البيان ذيل الآيه أعلاه.

۲- ۲) الكلمات القصار فى نهج البلاغه،الكلمه ۱۵۸.

۳- ۳) «العقبى»بمعنى العـاقبه او نهـايه العمـل خيرا كـان او شـرّا،و لكن بـالنظر الى قرينه الحـال فى الآـيه أعلاـه تشير الى العاقبه الحسنه.

و الشیء الذی یکمل هذه النعم الکبیره و اللامتناهیه وَ الْمَلاٰئِکَهُ یَدْخُلُونَ عَلَیْهِمْ مِنْ کُلِّ بٰابٍ سَلاٰمٌ عَلَیْکَمْ بِمٰا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَی الدّٰارِ فهذه السلامه جاءت بعد ما صبرتم علی الشدائد و تحمّلتم المسؤولیات الجسام و المصائب، و لکم هنا کامل الطمأنینه و الامان،فلا حرب و لا نزاع، و کلّ شیء یبتسم لکم، و الراحه الخالیه من المتاعب-هنا-معدّه لکم.

بحوث

اشاره

۱-لماذا ذکر الصبر فقط

؟ جمله سَلاٰمٌ عَلَیْکُمْ بِمٰا صَبَرْتُمْ تشیر الی مسأله الصبر فقط،فی الوقت الذی نری فیه الآیات السابقه اشارت الی ثمانیه صفات لاولی الألباب،فما هو السرّ فی ذلک؟ للاجابه علی هذا الاستفهام نورد ما

جاء عن الامام علی علیه السّلام فی حدیث قیّم و ذی مغزی کبیر،حیث قال: «انّ الصبر من الایمان کالرأس من الجسد،و لا خیر فی جسد لا راس معه،و لا فی ایمان لا صبر معه».

فی الحقیقه انّ کلّ الأفعال الحیّه و الصفات الحمیده للافراد و المجتمعات تستند الی الصبر و الاستقامه،و بدونها لا یمکن ان نحصل علی ای شیء من هذه الصفات،لانّ فی مسیره عمل الخیر عقبات و موانع لا یمکن ان ننتصر علیها الّا بالاستقامه،فلا الوفاء بالعهد یمکن تنفیذه بدون الصبر و الاستقامه و لا الصلات الالهیّه،و لا الخوف من اللّه،و لا اقامه الصلاه و لا الإنفاق یمکن بلوغها بغیر الصبر و الاستقامه.

۲-أبواب الجنّه

يستفاد من آيات القرآن الكريم و الأحاديث الشريفه انّ للجنّه عدّه أبواب، و لكن هذا التعدّد للأبواب ليس لكثره الداخلين الى الجنّه فيضيق عليهم الباب الواحد،و ليس كذلك للتفاوت الطبقى حتّى تدخل كلّ مجموعه من باب،و لا لبعد المسافه او قربها،و لا لجمال الأبواب و كثرتها،فأبواب الجنّه ليست كأبواب القصور و البساتين فى الدنيا،بل تعدّدت هذه الأبواب بسبب الأعمال المختلفه للافراد.و لذا نقرا فى بعض الاخبار انّ للأبواب اسماء مختلفه،فهناك باب يسمّى باب المجاهدين،و المجاهدون يدخلون بسلاحهم من ذلك الباب الى الجنّه، و الملائكه تحييهم (۱) ! و

روى عن الامام الباقر عليه السّلام «و اعلموا انّ للجنّه ثمانيه أبواب،عرض كلّ باب مسيره أربعين سنه» (۲) .

و من الظريف انّ القرآن الكريم يذكر لجهنّم سبعه أبواب لَهٰا سَبْعَهُ أَبْوٰابٍ (۳) و طبقا للرّوايات فإنّ للجنّه ثمانيه أبواب،و هذه اشاره واضحه الى انّ طرق الوصول الى السعاده و جنّه الخلد اكثر من طرق الوصول الى الشقاء و الجحيم. و رحمه اللّه سبقت غضبه«يا من سبقت رحمته غضبه».

و من الطف ما فى الأمر انّ الآيات السابقه اشارت الى ثمان صفات من صفات اولى الألباب،و كلّ واحده منها-فى الواقع-هى باب من أبواب الجنّه و طريق للوصول الى السعاده الابديه.

۱- ۱) منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه،المجلّد الثّالث،ص ۹۹۵.

۲- ۲) الخصال للصدوق،الباب الثانى.

۳- ۳) الحجر،۴۴.

۳-یلحق بأهل الجنّه اقرباؤهم

الآیه أعلاه و آیات اخری من القرآن الکریم تصرّح انّ من بین اهل الجنّه آباؤهم و أزواجهم و أبناؤهم الصالحون،و هذا انّما هو لإتمام النعمه علیهم،و کی لا یشعروا بفراق احبّائهم،و بما انّ تلک الدار متکامله و کلّ شیء یتجدّد فیها،فإنّ أصحابها یدخلون فیها بوجوه جدیده و اکثر محبّه و الفه.المحبّه التی تضاعف من نعم الجنّه لهم.

لا شکّ انّ الآیه أعلاه اشارت الی الآباء و الأزواج و الأبناء،و لکن فی الواقع کلّ الأقرباء سیجتمعون هناک،لانّه من غیر الممکن وجود الأبناء و الآباء بدون إخوانهم و أخواتهم..و حتّی جمیع اقربائهم،فالأب الصالح یلحق به ابناؤه و اخوته،و علی هذا الأساس یکون حضور الأقرباء معهم بشکل طبیعی.

۴-ما هی جنّات عدن

؟ «العدن»الاستقرار،و هنا جاءت الکلمه بمعنی الخلود،و منه المعدن لمستقرّ العناصر الفلزیه.و یستفاد من مختلف آیات القرآن انّ الجنّه دار خلود لأهلها، و لکن-کما قلنا فی ذیل الآیه(۷۲)من سوره التوبه-جنّات عدن هی محلّ خاص فی الجنّه،و لها صفات و منازل عالیه،و لا یدخلها الاّ ثلاثه:الأنبیاء و الصدّیقون و الشهداء (۱) .

۵-التطهیر من آثار الذنوب

ممّا لا شکّ فیه انّ الحسنات و السیئات لها اثر متقابل فی النفس و نحن نری فی حیاتنا الیومیّه کثیرا من النماذج بخصوص هذا الموضوع،فمرّه یتحمّل الإنسان مشاق سنین کثیره و یسعی للحصول علی الثروه،و لکن یفقدها بعمل

۱- ۱) للتوضیح اکثر راجع ما ذکر ذیل الآیه(۷۲)من سوره التوبه.

بسیط ناتج عن اللامبالاه،او لیس هذا احباطا للحسنات المادیه.و مرّه اخری علی العکس حیث یرتکب الإنسان کثیرا من الاخطاء فی حیاته و یتحمّل الخساره الکبیره، و لکن یسترجعها من خلال عمل شجاع و محسوب.

و الآیه وَ یَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَهِ السَّیِّئَهَ اشاره الی هذا الموضوع،لانّ الإنسان غیر معصوم،و هو معرّض للخطأ و المعصیه،فعلیه ان یفکّر بإصلاح ما فسد، فأعمال الخیر لا تمحو الآثار الاجتماعیه للذنوب،بل کذلک تمحو من قلبه الظلمه و تعیده الی النّور و الصفاء الفطری.و هذه الحاله تسمّی فی القرآن الکریم ب«التکفیر»(کما تقدّم فی ذیل الآیه ۲۱۷ من تفسیر سوره البقره إشارات کثیره فی هذا المجال).

و لکن کما قلنا-فی تفسیر الآیه أعلاه-یمکن ان تکون اشاره الی الفضیله الاخلاقیه لاولی الألباب،و ذلک انّهم لا یواجهون السیّئه بالسیّئه،بل العکس یقابلون الانتقام بالإحسان و السیّئه بالحسنه.

ص :۳۹۶

الآیتان [سوره الرعد (۱۳): الآیات ۲۵ الی ۲۶]

اشاره

وَ اَلَّذِینَ یَنْقُضُونَ عَهْدَ اَللّٰهِ مِنْ بَعْدِ مِیثٰاقِهِ وَ یَقْطَعُونَ مٰا أَمَرَ اَللّٰهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ وَ یُفْسِدُونَ فِی اَلْأَرْضِ أُولٰئِکَ لَهُمُ اَللَّعْنَهُ وَ لَهُمْ سُوءُ اَلدّٰارِ (۲۵) اَللّٰهُ یَبْسُطُ اَلرِّزْقَ لِمَنْ یَشٰاءُ وَ یَقْدِرُ وَ فَرِحُوا بِالْحَیٰاهِ اَلدُّنْیٰا وَ مَا اَلْحَیٰاهُ اَلدُّنْیٰا فِی اَلْآخِرَهِ إِلاّٰ مَتٰاعٌ (۲۶)

التّفسیر

اشاره

المفسدون فی الأرض

! بعد ما ذکرت الآیات السابقه صفات اولی الألباب و دعاه الحقّ،اشارت هذه الآیات الی قسم من الصفات الاصلیّه للمفسدین الذین فقدوا حظّهم من العلم و المعرفه حیث یقول جلّ و علا: وَ الَّذِینَ یَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّٰهِ مِنْ بَعْدِ مِیثٰاقِهِ وَ یَقْطَعُونَ مٰا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ وَ یُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ أُولٰئِکَ لَهُمُ اللَّعْنَهُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدّٰارِ .

فی الحقیقه یتلخّص فساد عقیدتهم فی الجمل الثلاث الآتیه:

ص: ۳۹۷

۱-نقض العهود الالهيّه:و تشمل المواثيق الفطريه و العقليّه و التشريعيّه.

۲-قطع الصلات:و تشمل الصله مع اللّه و الرسل و الناس و مع أنفسهم.

۳-الإفساد فى الأرض:و هو نتيجه حتميه لنقض العهود و قطع الصلات.

او ليس المفسد هو الذى ينقض عهد اللّه و يقطع الصلات؟! فهذا السعى من قبل هذه المجموعه من الافراد بهدف الوصول الى الأغراض المادّيه،و عوضا ان تصل بهم هذه الجهود المبذوله الى الاهداف النّبيله تبعدهم عنها،لانّ اللعن هو عباره عن الابتعاد من رحمه اللّه (۱) .

و من الظريف انّ الدار هنا و فى الآيه السابقه جاءت بصيغه مطلقه،و هذه اشاره الى انّ الدار الحقيقيّه هى الدار الآخره،و اى دار ما عداها فانيه و زائله.

قوله تعالى: اَللّٰهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ يَقْدِرُ و هذه اشاره لأولئك الذين يسعون للحصول على دخل اكثر فهم يفسدون فى الأرض و ينقضون عهد اللّه و يقطعون ما امر اللّه به ان يوصل لكى يزيدوا من دخلهم المادّى،و هم غافلون عن هذه الحقيقه و هى انّ الرزق-فى زيادته و نقصه-بيد اللّه سبحانه و تعالى.

و بالاضافه الى ذلك يمكن ان تكون هذه الجمله جوابا على سؤال مقدّر، و هو:كيف انّ اللّه سبحانه و تعالى يرزق كلّ هؤلاء الناس الصالح منهم و الطالح من فيض كرمه.

و الآيه تجيب على هذا السؤال و تقول: اَللّٰهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشٰاءُ و مع ذلك فهو متاع قليل و زائل،و ما ينبغى السعى اليه هو الآخره و السعاده الابديّه.

و على ايّه حال فإنّ المشيئه الالهيّه فى مجال الرزق هى انّ اللّه سبحانه و تعالى لا يبسط الرزق لأحد بدون الاستفاده من الأسباب الطبيعيّه له«ابى اللّه ان يجرى الأمور الاّ بأسبابها».

ص:۳۹۸

۱- ۱) يقول الراغب فى مفرداته:اللعن بمعنى الطرد مع الغضب،و اللعن فى الآخره تشير الى العقوبه و فى الدنيا الابتعاد من رحمه اللّه،و إذا كان من قبل الناس فمعناه دعاء السوء.

ثمّ تضيف الآيه وَ فَرِحُوا بِالْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا وَ مَا الْحَيٰاهُ الدُّنْيٰا فِی الْآخِرَهِ إِلاّٰ مَتٰاعٌ .

و قد ذکر«متاع»بصیغه النکره لبیان تفاهه الدنیا بالمقارنه مع الآخره.

بحثان

اشاره

١-من هو المفسد فی الأرض

؟ الفساد یقابله الإصلاح،و یطلق علی کلّ عمل تخریبی،و یقول الراغب فی مفرداته:«الفساد خروج الشیء عن الاعتدال قلیلا کان او کثیرا،و یضادّه الصلاح، و یستعمل ذلک فی النفس و البدن و الأشیاء الخارجه عن الاستقامه»و علی ذلک فکلّ عمل فیه نقص،و کلّ افراط و تفریط فی المسائل الفردیه و الاجتماعیه هو مصداق للفساد! و فی کثیر من موارد القرآن الکریم ذکر الفساد فی مقابل الإصلاح اَلَّذِینَ یُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ وَ لاٰ یُصْلِحُونَ (١) ،و قوله تعالی: وَ اللّٰهُ یَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ، (٢) و قوله تعالی: وَ أَصْلِحْ وَ لاٰ تَتَّبِعْ سَبِیلَ الْمُفْسِدِینَ (٣) .

کما ذکر الایمان و العمل الصالح فی مقابل الفساد،و حیث یقول جلّ و علا- أَمْ نَجْعَلُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ کَالْمُفْسِدِینَ فِی الْأَرْضِ . (۴)

و من جانب آخر ذکر الفساد،مع کلمه«فی الأرض»فی کثیر من آیات القرآن الکریم نحو عشرین آیه و نیّف،و هی توضّح الجوانب الاجتماعیه للمسأله.

١- ١) الشعراء،١۵٢.

٢- ٢) البقره،٢٢٠.

٣- ٣) الأعراف،١۴٢.

۴- ۴) سوره ص،٢٨.

و من جانب ثالث ذكر الفساد و الإفساد مع ذنوب اخرى،و يحتمل ان يكون مصداقا لها،و بعض هذه الذنوب كبيره و بعضها الآخر أصغر فمثلا قوله تعالى:

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً ، (١) و قوله تعالى وَ إِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ (٢) النَّسْلَ ،و قوله تعالى: اَلَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ، (٣) و قوله تعالى: تِلْكَ الدّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لاَ فَسَاداً . (۴)

و مرّه يعتبر فرعون من المفسدين،و أثناء توبته عند غرقه فى النيل يقول:

آلْآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ . (۵)

و قد استعمل«الفساد فى الأرض»تعبيرا عن السرقه كما فى قصّه يوسف عليه السّلام تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَ مَا كُنَّا سَارِقِينَ . (۶)

و مرّه اخرى كنايه عن قلّه البيع،كما فى قصّه شعيب حيث نقرا قوله تعالى:

وَ لاَ تَبْخَسُوا النّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَ لاَ تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ . (٧)

و أخيرا استخدم القرآن الكريم الفساد فى التعبير عن اضطراب النظام الكونى لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللّهُ لَفَسَدَتَا . (٨)

نستفيد من مجموع هذه الآيات انّ الفساد-بشكل عام-او الفساد فى الأرض،له معنى واسع جدّا،بحيث يشمل اكبر الجرائم مثل جرائم فرعون و سائر

ص:۴۰۰

١- ١) المائده،٣٣.

٢- ٢) البقره،٢٠۵.

٣- ٣) البقره،٢٧.

۴- ۴) القصص،٨٣.

۵- ۵) يونس،٩١.

۶- ۶) يوسف،٧٣.

٧- ٧) هود،٨۵.

٨- ٨) الأنبياء،٢٢.

الطواغيت،كما يشمل الأعمال الأقل اجراما منها مثل بخس الناس أشياءهم، و يشمل كذلك اى خروج عن حاله الاعتدال كما أشرنا اليه سابقا.و بالنظر الى انّ العقوبه يجب ان تكون مطابقه للجريمه يتّضح لنا انّ كلّ مجموعه من هؤلاء المفسدين لها عقوبه معيّنه و جزاء خاص.

و نرى فى الآيه(۳۳)من سوره المائده التى ذكرت«الفساد فى الأرض مع محاربه اللّه و رسوله»انّ هناك اربع عقوبات و يجب على الحاكم الشرعى ان يختار العقوبه المناسبه على مقدار الجريمه(القتل-الصلب-قطع الايدى و الأرجل-النفى)كما بيّن فقهاؤنا فى كتبهم شروط و حدود المفسد فى الأرض و عقوباته (۱) .

و لأجل ان نجتثّ هذه المفاسد،يجب ان نستخدم الوسائل الكافيه فى كلّ مرحله من مراحلها، ففى المرحله الاولى نستخدم أسلوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر عن طريق النصائح و التذكير،و لكن إذا ما استوجب الأمر نستعمل الشدّه حتّى لو ادّى ذلك الى القتال.

و بالاضافه الى ما أشرنا اليه،فإنّ الجمله وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ترشدنا الى هذه الحقيقه فى حياه المجتمع الانسانى،و هى انّ الفساد الاجتماعى لا يبقى فى مكان معيّن و لا يمكن حصره فى منطقه معيّنه،بل ينتشر بين اوساط المجتمع و فى كافّه بقاع الأرض و يسرى من مجموعه الى اخرى.

و يستفاد من الآيات القرآنيه انّ واحده من اهداف بعثه الأنبياء هو إنهاء حاله الفساد فى الأرض(فى معناه الواسع)كما نقرا فى سوره هود الآيه(۸۸)قول النّبى شعيب عليه السّلام إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ .

ص:۴۰۱

۱- ۱) و نحن أشرنا اليه بشكل مفصّل فى ذيل الآيه(۳۳)من سوره المائده.

۲-الرزق بيد اللّه سبحانه و تعالى و لكن...

! لا ـ نستفيد من الآيه أعلاه فقط أنّ الرزق فى زيادته و نقصانه بيد اللّه،بل نستفيد من آيات أخر انّ اللّه سبحانه و تعالى يبسط الرزق لمن يشاء و ينقصه لمن يشاء،و لكن ليس كما يعتقده بعض الجهلاء من عدم الكسب و الجلوس فى زاويه البيت حتّى يبعث اللّه لهم الرزق،ان هؤلاء الافراد-الذين يعتبر تفكيرهم السلبى ذريعه لمن يقول بأنّ الدين افيون الشعوب-قد غفلوا عن نقطتين اساسيتين هما:

اوّلا:انّ الاراده و المشيئه الالهيّه التى اشارت إليها الآيات القرآنيه ليست مسأله اعتباطيه و غير محسوبه،بل-و كما قلنا سابقا- انّ المشيئه الالهيّه غير منفصله عن حكمته جلّ و علا و تدخل فيها الاستعدادات و التوفيقات.

ثانيا:انّ هذه المسأله لا تعنى نفى الأسباب،لانّ عالم الأسباب هو عالم الوجود،و هذه العوالم وجدت بإراده اللّه و هى غير منفصله عن المشيئه التشريعيّه.

و بعباره اخرى:انّ اراده اللّه فى مجال بسط الرزق نقصه مشروطه بشرائط تتحكّم فى حياه الناس،فالسعى و الإخلاص و الإيثار،و بعكس ذلك الكسل و البخل و سوء النيّه،لها دور فعّال و كبير،و لهذا السبب نرى القرآن الكريم يشير مرارا الى انّ الإنسان رهين بسعيه و ارادته و عمله،و ما يستفيده من حياته انّما هو بمقدار هذا السعى و الاجتهاد لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاّ ما سَعى .

و لهذا فإنّ هناك بابا فى السعى لتحصيل الرزق يذكره المحدّثون فى موسوعاتهم الحديثه«كوسائل الشيعه»فى باب التجاره،و يوردون أحاديث كثيره فى هذا المجال،كما انّ هناك أبوابا اخرى تذمّ البطاله و الكسل،و من جملتها

الحديث المروىّ عن الامام على عليه السّلام حيث يقول: «انّ الأشياء لمّا ازدوجت ازدوج الكسل و العجز فنتجا بينهما الفقر» (۱)

.

و

عن الامام الصادق عليه السّلام «لا تكسلوا فى طلب معايشكم فإنّ آباءنا كانوا

ص:۴۰۲

۱- ۱) وسائل الشيعه،المجلّد ۱۲،صفحه ۳۷.

یرکضون فیها و یطلبونها» (۱) .

و

عن الامام الباقر علیه السّلام قال: «انّی لابغض الرجل ان یکون کسلانا عن امر دنیاه،و من کسل عن امر دنیاه فهو عن امر آخرته أکسل» (۲) .

و

عن الامام موسی بن جعفر علیه السّلام «انّ اللّه تعالی لیبغض العبد النوّام،انّ اللّه لیبغض العبد الفارغ» (۳) .

۱- ۱) وسائل الشیعه المجلّد ۱۲ صفحه ۳۷ و ۳۸.

۲- ۲) وسائل الشیعه المجلّد ۱۲ صفحه ۳۸.

۳- ۳) وسائل الشیعه المجلّد ۱۲ صفحه ۳۷ و ۳۸.

الآيات [سوره الرعد (١٣): الآيات ٢٧ الى ٢٩]

اشاره

وَ يَقُولُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لاٰ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اَللّٰهَ يُضِلُّ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ أَنٰابَ (٢٧) اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اَللّٰهِ أَلاٰ بِذِكْرِ اَللّٰهِ تَطْمَئِنُّ اَلْقُلُوبُ (٢٨) اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ طُوبىٰ لَهُمْ وَ حُسْنُ مَآبٍ (٢٩)

التّفسير

اشاره

الا بذكر اللّه تطمئنّ القلوب:

فى سوره الرعد-كما أشرنا سابقا-بحوث كثيره حول التوحيد و المعاد و النبوّه،فالآيه الاولى من هذه المجموعه تبحث مرّه اخرى فى دعوه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تبيّن واحدا من اعذار المشركين المعاندين حيث يقول تعالى:

وَ يَقُولُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لاٰ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ

.

جمله«يقول»فعل مضارع للدلاله على انّ هذا العذر كان يجرى على ألسنتهم كثيرا،رغم ما يرونه من معجزات الرّسول(فعلى كلّ نبى ان يظهر المعجزه كدليل على صدقه)و مع ذلك كانوا يحتجّون عليه و لا يؤمنون بالمعاجز

ص: ۴۰۴

السابقه،و يطلبون منه معاجز جديده تلائم افكارهم.

و بعباره اخرى إنّ هؤلاء و جميع المنكرين لدعوه الحقّ كانوا دائما يطلبون «المعاجز الاقتراحيه»،و يتوقّعون من النّبى ان يجلس فى زاويه الدار و يظهر لكلّ واحد منهم المعجزه التى يقترحها،فإن لم تعجبهم لم يؤمنوا بها!.

فى الوقت الذى نرى فيه انّ الوظيفه الرئيسيّه للأنبياء هى التبليغ و الإرشاد و الإنذار و هدايه الناس،و امّا المعجزه فهى امر استثنائى و تكون بأمر من اللّه لا من الرّسول،و لكن نحن نقرا فى كثير من الآيات القرآنيه انّ هذه المجموعه المعانده لا تأخذ هذه الحقيقه بنظر الاعتبار،و كانت تؤذى الأنبياء دائما بهذه الطلبات.

و يجيبهم القرآن الكريم حيث يقول: قُلْ إِنَّ اللّٰهَ يُضِلُّ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنٰابَ .

و هذه اشاره الى انّ العيب ليس من ناحيه الاعجاز،لانّ الأنبياء قد أظهروا كثيرا من المعاجز،و لكن النقص من داخل أنفسهم.و هو العناد و التعصّب و الجهل و الذنوب التى تصدّ عن الايمان.

و لأجل ذلك يجب ان ترجعوا الى اللّه و تنيبوا اليه و ترفعوا عن عيونكم و افكاركم ستار الجهل و الغرور كى يتّضح لكم نور الحقّ المبين.

تشير الآيه الثانيه بشكل رائع الى تفسير مَنْ أَنٰابَ حيث يقول تعالى:

اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللّٰهِ

.ثمّ يذكر القاعده العامّه و الأصل الثابت حيث يقول تعالى: أَلاٰ بِذِكْرِ اللّٰهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ .

و تبحث الآيه الاخيره مصير الذين آمنوا حيث تقول: اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ طُوبىٰ لَهُمْ وَ حُسْنُ مَآبٍ .

كثير من المفسّرين قالوا:انّ كلمه«طوبى»مؤنّث«أطيب»،و بما انّ المتعلّق محذوف فإنّ للكلمه مفهوما واسعا و غير محدود،و نتيجه طوبى لهم هو ان تكون لهم أفضل الأشياء:أفضل الحياه و المعيشه،و أفضل النعم و الراحه،و أفضل

الألطاف الالهيّه،و كلّ ذلك نتيجه الايمان و العمل الصالح لأولئك الراسخين فى عقيدتهم و المخلصين فى عملهم.

و ما ذكره جمع من المفسّرين فى معنى هذه الكلمه و أوصلها صاحب مجمع البيان الى عشره معانى،فانّها فى الحقيقه تصبّ كلّها فى هذا المعنى الواسع و الشامل الذى ذكرناه.

و نقرا فى روايات متعدّده انّ«طوبى»شجره أصلها فى بيت النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم او الامام على عليه السّلام فى الجنّه،و تنتشر أغصانها على رؤوس جميع المؤمنين و على دورهم،و لعلّ هذا تجسيما لقيادتهم و إمامتهم و الصلات القويّه التى تربط بين هؤلاء القاده و أصحابهم،و تكون ثمرتها كلّ هذه النعم المختلفه.

(و إذا ما رأينا انّ طوبى جاءت مؤنثّه لاطيب الذى هو مذكّر،فإنّ ذلك بسبب انّها صفه للحياه و المعيشه او النعمه و كلّ هذه مؤنثه).

بحوث

اشاره

۱-كيف يطمئن القلب بذكر اللّه

؟ انّ الاضطراب و القلق من اكبر المصاعب فى حياه الناس،و النتائج الحاصله منهما فى حياه الفرد و المجتمع واضحه للعيان،و الاطمئنان واحد من اهمّ اهتمامات البشر،و إذا حاولنا ان نجمع سعى و جهاد الانسانيه على طول التاريخ فى بحثهم للحصول على الاطمئنان بالطرق الصحيحه غير الصحيحه،فسوف تتكوّن لدينا كتب كثيره و مختلفه تعرض تلك الجهود.

يقول بعض العلماء:عند ظهور بعض الأمراض المعديه-كالطاعون-فإنّ من بين العشره الافراد الذين يموتون بسبب المرض-ظاهرا-أكثرهم يموت بسبب القلق و الخوف،و عدّه قليله منهم تموت بسبب المرض حقيقه. و بشكل

عام«الاطمئنان»و«الاضطراب»لهما دور مهمّ فى سلامه و مرض الفرد و المجتمع و سعاده و شقاء الانسانيه،و هذه مسأله لا يمكن التغافل عنها،و لهذا السبب الّفت كتب كثيره فى موضوع القلق و طرق التخلّص منه،و كيفيّه الحصول على الراحه،و التاريخ الانسانى مليء بالمواقف مؤسفه لتحصيل الراحه،و كيف انّ الإنسان يتشبّث بكلّ وسيله غير مشروعه كأنواع الاعتياد على المواد المخدّره لنيل الاطمئنان النفسى.

و لكن القرآن الكريم يبيّن اقصر الطرق من خلال جمله قصيره و لكنّها كبيره المعنى حيث يقول: أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ! و لتوضيح هذا المعنى و معرفه عوامل القلق و الاضطراب لا بدّ من ملاحظه ما يلى:

اوّلا:يحدث الاضطراب مرّه بسبب ما يجول فى فكر الإنسان عن المستقبل المظلم،فيحتمل زوال النعمه،او الأسر على يد الأعداء،او الضعف و المرض، فكلّ هذه تؤلم الإنسان،لكن الايمان باللّه القادر المتعال الرحمن الرحيم،اللّه الذى تكفّل برحمه عباده..هذا الايمان يستطيع ان يمحو آثار القلق و الاضطراب و يمنحه الاطمئنان فى مقابل هذه الاحداث و يؤكّد له انّك لست وحيدا،بل لك ربّ قادر رحيم.

ثانيا:و مرّه يشغل فكر الإنسان ماضيه الأسود فيمسى قلقا بسبب الذنوب التى ارتكبها و بسبب التقصير و الزلّات،و لكن بالنظر الى انّ اللّه غفّار الذنوب و قابل التوبه و غفور رحيم،فإنّ هذه الصفات تمنح الإنسان الثقه و تجعله اكثر اطمئنانا و تقول له:اعتذر الى اللّه من سوالف أعمالك السيّئه و اتّجه اليه بالنيّه الصادقه.

ثالثا:ضعف الإنسان فى مقابل العوامل الطبيعيّه،او مقابل كثره الأعداء يؤكّد فى نفسه حاله القلق و انّه كيف يمكن مواجهه هؤلاء القوم فى ساحه الجهاد او فى

المیادین الاخری؟ و لکنّه إذا تـذکّر اللّه،و استند الی قدرته و رحمته..هذه القدره المطلقه التی لا یمکن ان تقف امامها ایّه قدره اخری،سوف یطمئنّ قلبه،و یقول فی نفسه:نعم انّنی لست وحیدا،بل فی ظلّ القدره الالهیّه المطلقه! فالمواقف البطولیه للمجاهدین فی ساحات القتال،فی الماضی او الحاضر، و شجاعتهم النادره حتّی فی المنازله الفردیه لهم،کلّها تبیّن حاله الاطمئنان التی تنشأ فی ظلّ الایمان.

نحن نشاهد او نسمع انّ احد الضبّاط المؤمنین فقد بصره مثلا او اصابته جراحات کثیره بعد قتال شدید مع اعداء الإسلام و لکن عند ما یتحدّث کأنّه لم یکن به شیء،و هذه نتیجه الاستقرار و الطمأنینه فی ظلّ الایمان باللّه.

رابعا:و من جانب آخر یمکن ان یکون اصل المشقّه هی التی تؤذی الإنسان، کالاحساس بتفاهه الحیاه او اللاهدفیه فی الحیاه،و لکن المؤمن باللّه الذی یعتقد انّ الهدف من الحیاه هو السیر نحو التکامل المعنوی و المادّی،و یری انّ کلّ الحوادث تصبّ فی هذا الإطار،سوف لا یحسّ باللاهدفیّه و لا یضطرب فی المسیره.

خامسا:و من العوامل الاخری انّ الإنسان مرّه یتحمّل کثیرا من المتاعب للوصول الی الهدف،و لکن لا یری من یقیّم اعماله و یشکر له هذا السعی،و هذه العملیه تؤلمه کثیرا فیعیش حاله من الاضطراب و القلق،و امّا إذا علم انّ هناک من یعلم بهذا السعی و یشکره علیه و یثیبه،فلیس للاضطراب و القلق هنا محل من الاعراب.

سادسا:سوء الظنّ عامل آخر من عوامل الاضطراب و الذی یصبّ کثیرا من الناس فی حیاتهم و یبعث فیهم الألم و الهمّ،و لکنّ الایمان باللّه و لطفه المطلق و حسن الظنّ به التی هی من وظائف الفرد المؤمن سوف تزیل عنه حاله العذاب

و القلق و تحلّ محلّها حاله الاطمئنان و الاستقرار.

سابعا:الهوى و حبّ الـدنيا من اهمّ عوامل القلق و الاضـطراب،و قد تصل الحاله فى عدم الحصول على لون خاص فى الملبس،او اى شيء آخر من مظاهر الحياه البرّاقه ان يعيش الإنسان حاله من القلق قد تستمر ايّاما و شهورا.

و لكن الايمـان بـاللّه و التزام المؤمن بالزهـد و الاقتصـاد و عـدم الاستئسار فى مخالب الحياه الماديه و مظاهرها البرّاقه ينهى حاله الاضطراب هذه،و كما

قـال الامـام على عليه السّـلام: «دنيـاكم هـذه أهون عنـدى من ورقه فى فمّ جراده تقضـمها» فمن كانت له مثل هـذه الرؤيه كيف يمكن ان تحـدث عنـده حـاله الخوف و القلق نتيجه لعـدم الحصول على شـىء من وسائـل الحيـاه المـاديّه او فقـدانها؟! ثامنا:من العوامـل المهمّه الاـخرى الخوف من الموت،و بمـا انّ الموت لاـ يحصل فقط فى السنّ المتأخّره،بل فى كافّه السـنين و خصوصـا أثنـاء المرض و الحروب،و العوامـل الاـخرى فـالقلق يسـتوعب كـافّه الافراد.و لكن إذا اعتقـدنا انّ الموت يعنى الفناء و نهايه كلّ شيء(كمـا يعتقـده المادّيون)فإنّ الاضـطراب و القلق فى محلّه،و لا بـدّ ان يخاف الإنسان من هـذا الموت الـذى ينهى عنـده كلّ الآمـال و الامـانى و الطموحـات.و لكن الايمان باللّه يمنحنا الثقه بأنّ الموت هو باب لحياه أوسع و أفضل من هـذه الحياه،و برزخ يمرّ منه الإنسـان الى دار فضاؤهـا رحب،فلاـ معنى للقلق حينئـذ،بـل انّ مثل هـذا الموت-إذا ما كان فى سبيل اللّه يكون محبوبا و مطلوبا.

انّ عوامل الاضطراب لا تنحصر بهذه العوامل،فهناك عوامل كثيره اخرى، و لكن كلّ مصادرها تعود الى ما ذكرناه أعلاه.

و عند ما رأينا انّ كلّ هذه العوامل تذوب و تضمحلّ فى مقابل الايمان باللّه سوف نصدّق انّه أَلاٰ بِذِكْرِ اللّٰهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (۱) .

۱- ۱) للاستفاده اكثر راجع كتاب(طرق التغلّب على الاضطراب و القلق).

٢-الطمأنينه و الخوف من اللّه

طرح بعض المفسّرين هنا هذا السؤال،و خلاصته: نحن قرانا في الآيه أعلاه أَلا بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ و من جانب آخر فإنّ الآيه ٢ من سوره الأنفال تقول: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ فهل انّ هاتين الآيتين متناقضتين؟ الجواب:انّ الطمأنينه المحموده هى ما كانت فى مقابل العوامل الماديه التى تقلق الإنسان-كما أشرنا اليه سابقا-و لكن المؤمنين لا بدّ و ان يكونوا قلقين فى مقابل مسئولياتهم،و بعباره اخرى:انّ المؤمنين لا يشكون من الاضطراب المدمّر الذى يشكّل غالبيه أشكال القلق و الاضطرابات،و لكن القلق البنّاء الذى يحسّ به الإنسان تجاه مسئولياته امام اللّه فهو المطلوب و لا بدّ منه،و هذا هو الخوف من اللّه (١) .

٣-ما هو ذكر اللّه،و كيف يتمّ

؟ «الذكر»كما يقول الراغب فى مفرداته:حفظ المعانى و العلوم،و يستعمل الحفظ للبدء به،بينما الذكر للاستمرار فيه،و يأتى فى معنى آخر هو ذكر الشيء باللسان او القلب،لذلك قالوا:انّ الذكر نوعين«ذكر القلب»و«ذكر اللسان»و كلّ واحد منها على نوعين:بعد النسيان او بدونه.

و على ايّه حال ليس المقصود من الذكر-فى الآيه أعلاه-هو ذكره باللسان فقط فنقوم بتسبيحه و تهليله و تكبيره،بل المقصود هو التوجّه القلبى له و ادراك علمه و بأنّه الحاضر و الناظر،و هذا التوجّه هو مبدا الحركه و العمل و الجهاد و السعى نحو الخير،و هو سدّ منيع عن الذنوب،فهذا هو الذكر الذى له كلّ هذه الآثار و البركات كما اشارت اليه عدّه من الرّوايات.

١- ١) و قد أشرنا الى هذه المسأله من تفسير الأمثل ذيل الآيه(٢)من سوره الأنفال.

فمن وصایا النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم للإمام علی علیه السّلام

یقول له: «یا علی،ثلاث لا تطیقها هذه الامّه:المواساه للأخ فی ماله،و انصاف الناس من نفسه،و ذکر اللّه علی کلّ حال، و لیس هو سبحان اللّه و الحمد للّه و لا اله الاّ اللّه و اللّه اکبر،و لکن إذا ورد علی ما یحرم علیه خاف اللّه عزّ و جلّ عنده و ترکه» (۱) .

و

قال الامام علی علیه السّلام: «الذکر ذکران:ذکر اللّه عزّ و جلّ عند المصیبه،و أفضل من ذلک ذکر اللّه عند ما حرّم اللّه علیک فیکون حاجزا» (۲) .

و لهذا السبب اعتبرت بعض الرّوایات الذکر وقایه و وسیله دفاعیه،کما

ورد عن الامام الصادق علیه السّلام قال: «انّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم خاطب أصحابه یوما فقال لهم:اتّخذوا جننا،فقالوا یا رسول اللّه امن عدو و قد أظلنا؟قال:لا،و لکن من النار،قولوا:

سبحان اللّه و الحمد للّه و لا اله الاّ اللّه و اللّه اکبر» (۳) .

و إذا ما رأینا انّ بعض الرّوایات تتحدّث عن«ذکر اللّه»انّه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فذلک لانّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یذکّر الناس باللّه تعالی،و

قد روی عن الامام الصادق علیه السّلام فی تفسیر الآیه أَلاٰ بِذِکْرِ اللّٰهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ قال:«بمحمّد تطمئن القلوب و هو ذکر اللّه و حجابه».

۱- ۱) سفینه البحار،المجلّد الاوّل،صفحه ۴۸۴.

۲- ۲) المصدر السّابق.

۳- ۳) المصدر السّابق.

الآیات [سوره الرعد (۱۳): الآیات ۳۰ الی ۳۲]

اشاره

كَذٰلِكَ أَرْسَلْنٰاكَ فِی أُمَّهٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهٰا أُمَمٌ لِتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ اَلَّذِی أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ وَ هُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّی لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ مَتٰابِ (۳۰) وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ اَلْجِبٰالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ اَلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ اَلْمَوْتىٰ بَلْ لِلّٰهِ اَلْأَمْرُ جَمِيعاً أَ فَلَمْ يَيْأَسِ اَلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشٰاءُ اَللّٰهُ لَهَدَی اَلنّٰاسَ جَمِيعاً وَ لاٰ يَزٰالُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمٰا صَنَعُوا قٰارِعَهٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دٰارِهِمْ حَتّٰى يَأْتِيَ وَعْدُ اَللّٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يُخْلِفُ اَلْمِيعٰادَ (۳۱) وَ لَقَدِ اُسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كٰانَ عِقٰابِ (۳۲)

اسباب النّزول

قال بعض المفسّرین:انّ الآیه الاولی نزلت فی صلح الحدیبیّه فی السنه السادسه للهجره،و ذلک عند ما أرادوا کتابه معاهده الصلح،

قال النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لعلی

عليه السّلام: «اكتب:بسم اللّه الرّحمن الرّحيم...» قال سهيل بن عمرو و معه المشركون:

نحن لا ـ نعرف الرّحمان!و انّما هناک رحمان واحد فی اليمامه«و کان قصدهم مسيلمه الکذّاب»بل اکتب«باسمک اللّهم»کما کانوا يکتبونه فی الجاهليه،ثمّ

قال النّبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم لعلی عليه السّلام: «اکتب:هذا ما اتّفق عليه محمّد رسول اللّه...» فقال المشرکون:إذا کنت رسول اللّه فإنّه لظلم کبير ان نقاتلک و نمنعک من الحجّ،و لکن اکتب:هذا ما اتّفق عليه محمّد بن عبد اللّه!...

و فی هذه الأثناء غضب صحابه الرّسول صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و قالوا:دعنا نقاتل هؤلاء المشرکين،و لکنّ رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم قال:«لا،اکتب کما يشاءون»و فی هذه الأثناء نزلت الآيه أعلاه،و هی توبّخ المشرکين علی عنادهم و مخالفتهم فی اسم الرّحمن الذی هو واحد من صفات اللّه جلّ و علا.

هذا السبب فی النّزول يمکن ان يکون صحيحا فی حاله اعتقادنا بأنّ السوره مدنيّه حتّی توافق حادثه صلح الحديبيّه،و لکنّ المشهور انّها مکيّه.الاّ إذا اعتبرنا انّ سبب النّزول هو ردّ علی المشرکين کما فی الآيه(۶۰)من سوره الفرقان اُسْجُدُوا لِلرَّحْمٰنِ قٰالُوا وَ مَا الرَّحْمٰنُ .

و علی ايّه حال،و بغضّ النظر عن سبب النزول،فإنّ الآيه لها مفهوم واضح سوف نتطرّق اليه فی تفسيرنا لها.

و قال بعض المفسّرين فی سبب نزول الآيه الثّانيه:انّها جواب لمجموعه من مشرکی مکّه،حيث کانوا جالسين خلف الکعبه و طلبوا النّبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم، فجاءهم صلّی اللّه عليه و آله و سلّم«علی امل هدايتهم»قالوا:إذا کنت تحبّ ان نکون من أصحابک فأبعد هذه الجبال قليلا الی الوراء حتّی تتّسع لنا الأرض!و شقّ الأرض لکی تتفجّر العيون و الأنهار حتّی نغرس الأشجار و نقوم بالزراعه!الم تعتقد بأنّک لا تقلّ عن داود الذی سخّر اللّه له الجبال تسبح معه؟او انّ تسخّر لنا الرّيح حتّی نسافر عليها الی الشام و نحلّ مشاکلنا التجاريه و ما نحتاج اليه ثمّ نعود فی نفس

ذلک الیوم!کما کانت مسخّره لسلیمان علیه السّلام،الم تعتقد انّک لا تقلّ عن سلیمان،أو احیی لنا جدّک«قصی»او ای واحد من موتانا کی نسأله هل انّ ما تقوله حقّ ام باطل،او لیس عیسی کان یحیی الموتی! و فی هذه الأثناء نزلت الآیه الثانیه تذکرهم بأنّ کلّ ما یقولونه سببه الخصومه و العناد لا لکی یؤمنوا،و الاّ فهناک معاجز کثیره حصلت لهم.

التّفسیر

اشاره

لا امل فی ایمان اهل العناد:

تبحث هذه الآیات مرّه ثانیه مسأله النّبوه،و الآیات أعلاه تکشف عن قسم آخر من جدال المشرکین فی النبوّه و جواب القرآن علیهم فیقول الآیه:کما انّنا أرسلنا رسلا الی الأقوام السالفه لهدایتهم: کَذٰلِکَ أَرْسَلْنٰاکَ فِی أُمَّهٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهٰا أُمَمٌ و الهدف من ذلک لِتَتْلُوَا عَلَیْهِمُ الَّذِی أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ .فی الوقت الذی وَ هُمْ یَکْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ یکفرون باللّه الذی عمّت رحمته کلّ مکان،و شمل فیضه المؤمن و الکافر.

ثمّ قل لهم:انّ الرّحمن الذی عمّ فضله هو ربّی قُلْ هُوَ رَبِّی لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ عَلَیْهِ تَوَکَّلْتُ وَ إِلَیْهِ مَتٰابِ .

ثمّ یجیب أولئک الذین یتشبّثون دائما بالحجج الواهیه فیقول:لو انّ الجبال تحرّکت من مکانها بواسطه القرآن: وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُیِّرَتْ بِهِ الْجِبٰالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ کُلِّمَ بِهِ الْمَوْتیٰ .فمع ذلک لا یؤمنون به.

و لکنّ کلّ هذه الأفعال بید اللّه و یفعل ما یرید متی یشاء بَلْ لِلّٰهِ الْأَمْرُ جَمِیعاً .

و لکنّکم لا تطلبون الحقّ،و إذا کنتم تطلبونه فهذا المقدار من المعجزه التی صدرت من الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کاف لایمانکم.

ثمّ یضیف القرآن الکریم أَ فَلَمْ یَیْأَسِ الَّذِینَ آمَنُوا أَنْ لَوْ یَشٰاءُ اللّٰهُ لَهَدَی

النّاسَ جَمِيعاً

(۱)

و هذه اشاره الی انّ اللّه سبحانه و تعالی یستطیع ان یجبر الناس و حتّی المعاندین علی ان یؤمنوا،لانّه القادر علی کلّ شیء،و لکنّه لا یفعل ذلک ابدا،لانّ هذا الایمان الاجباری لا قیمه له و هو فاقد للمعنی و التکامل الذی یحتاجه الإنسان فی حیاته.

ثمّ تضیف الآیه وَ لا یَزالُ الَّذِینَ کَفَرُوا تُصِیبُهُمْ بِما صَنَعُوا قارِعَهٌ و هذه مصائب تنزل علیهم بشکل ابتلاءات مختلفه او علی شکل هجوم المسلمین علیهم.و هذه المصائب انّ لم تنزل فی دارهم فهی أَوْ تَحُلُّ قَرِیباً مِنْ دارِهِمْ لکی یعتبروا بها و یرجعوا الی اللّه جلّ و علا.

و هذا الإنذار مستمر حَتّی یَأْتِیَ وَعْدُ اللّهِ .

و هذا الوعد الأخیر قد یشیر الی الموت،او الی یوم القیامه،او علی قول البعض الی فتح مکّه التی سحقت آخر معقل للعدو.

و علی ایّه حال فالوعد الالهی اکید: إِنَّ اللّهَ لا یُخْلِفُ الْمِیعادَ .

الآیه الاخیره من هذه المجموعه تخاطب النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فتقول له:لست الوحید من بین الأنبیاء تعرّض لطلب المعاجز الاقتراحیه و الاستهزاء من الکفّار،بل وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِکَ .و لکن لم نعاقب هؤلاء الکفّار فورا،بل فَأَمْلَیْتُ لِلَّذِینَ کَفَرُوا لکی یستیقظوا و یعودوا الی طریق الحقّ،او نلقی علیهم الحجّه الکافیه علی الأقل.لانّ هؤلاء إذا کانوا مذنبین فإنّ لطف اللّه و کرمه و حکمته لا تتأثّر بأفعال هؤلاء.

۱- ۱) «ییأس»مأخوذه من مادّه الیأس،و لکن یقول جمهور من المفسّرین:انّها جاءت هنا بمعنی العلم،و امّا ما یقوله البعض[طبقا لما نقله الفخر الرّازی] ان«یئست»لا تأتی بمعنی«علمت»إطلاقا،و یری الرّاغب فی مفرداته انّ الیأس هنا هو نفس معناه،و لکن یحتاج لتحقّقه الی العلم بعدم تحقّق الموضوع،و علی هذا یکون ثبوت یأسهم یتوقّف علی علمهم و تکون نتیجته انّ الیأس هنا لیس العلم بالوجود،بل العلم بالعدم،و هو مخالف لمفهوم الآیه،و علی ذلک فالحقّ ما قاله جمهور المفسّرین،و ما ذکروه من شواهد فی قول العرب علی ذلک،و قد ذکر الفخر الرّازی فی تفسیره امثله من هذه الشواهد[دقّقوا النظر] .

و على ايّه حال فهـذا التأخير ليس بمعنى نسـيان العقاب،بل ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كٰانَ عِقٰابِ و هذا المصـير ينتظر قومک المعاندين ايضا.

بحوث

اشاره

۱-لماذا التركيز على كلمه«الرّحمان»

؟ توضّـح الآـيه أعلاـه،و ما ذكرناه فى اسـباب النّزول،انّ كفّار قريش لم يوافقوا على وصف اللّه بالرحمن،و بما انّ ذلک لم يكن سائدا لديهم،فانّهم كانوا يسـتهزئون به،فى الوقت الذى نرى فيه الآيات السابقه تصـرّ و تؤكّد على ذلک،لانّ فى هذه الكلمه لطفا خاصّـا،و نحن نعلم انّ صـفه الرّحمانيه تعمّ و تشـمل المؤمن و الكافر،الصـديق و العـدو،فى الوقت نفسه فانّ صـفه الرّحيم خاصّـه بعباده المؤمنين.

فكيف لا تؤمنون باللّه الذى هو اصل اللطف و الكرم حتّى شمل أعداءه بلطفه و رحمته،فهذا منتهى الجهل.

۲-لماذا لم يستجب النّبى لمطاليبهم

و مرّه اخرى نـواجه هنـا مـا يقـوله البعض مـن انّ النّبى صـلّى اللّـه عليـه و آله و سـلّم لم تكن لـديه معجزه غير القرآن الكريم،و يسـتندون فى ذلک الى الآيه أعلاه و أمثالها،لانّ ظاهر هذه الآيات انّ النّبى لم يستجب الى طلبهم فى اظهار المعاجز المختلفه من قبيل تسيير الجبال او شقّ الأرض و اظهار العيون و احياء الموتى و التكلّم معهم.

و لكن-كمـا قلنا مرارا-الاعجاز يتمّ لإظهار الحقيقه فقط،و لأولئک الـذين يطلبون الحقّ،فليس النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم رجل سحر حتّى ينفّذ لهم كلّ ما يطلبونه منه او

يقترحونه عليه ثمّ بعد ذلك لا يقبلون منه.

إنّ مثل هذا الطلب للمعاجز(المعاجز الاقتراحيه)كان يصدر-فقط-من الافراد المعاندين و الجاهليين الذين لم يستجيبوا لایّ حقّ.و الآيات أعلاه تشير الى ذلك بوضوح،ففى الآيه الاخيره تتحدّث عن استهزائهم بالنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و هذا يعنى انّهم لم يطلبوا المعجزه من اجل الحقّ،بل كان طلبهم استهزاء بالرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و بالاضافه الى ما ذكرناه من اسباب النّزول فى بدايه التّفسير لهذه الآيات، يمكن ان نستفيد من خلال طلبهم من النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم احياء واحد من أجدادهم لكى يسألوه:هل انّ ما تقوله حقّ ام باطل؟ فلو استجاب لهم النّبى هذا الطلب فما معنى سؤالهم انّ النّبى على حقّ ام باطل؟و هذا يوضّح انّ هؤلاء هم افراد متعصّبون و معاندون و هدفهم ليس البحث عن الحقيقه،(و لنا توضيح آخر من هذا الموضوع فى ذيل الآيه ۹۰ من سوره الاسراء).

۳-ما هى القارعه

؟ «القارعه»مأخوذه من مادّه«قرع»بمعنى طرق،و على ذلك تكون القارعه بمعنى الطارقه،و تشير هنا الى الاحداث التى تقرع الإنسان و تنذره و إذا كان مستعدّا للنهوض أيقظته.

و فى الحقيقه انّ للقارعه معنى واسعا،فهى تشمل كلّ مصيبه و مشكله و حادثه تحيط بالإنسان.

و لذلك يعتقد بعض المفسّرين انّها تعنى الحروب و الجفاف و القتل و الأسر، و يرى آخرون انّها تشير الى الحروب التى كانت تقع فى صدر الإسلام تحت

عنوان«السريه»التى لم يكن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يشترك فيها،بل كان يأمر أصحابه بها، و لكن معنى القارعه يشمل جميع هذه الاحداث.

و من الطريف انّ الآيات أعلاه تشير الى انّ الحوادث هذه امّا ان تنزّل عليهم او تقع قريبا من دارهم،و هذا يعنى:إذا لم تصيبهم هذه الحوادث فى دارهم،فانّها سوف تقع قريبه منهم،فهل لا تكفى هذه الحوادث لايقاظهم؟

ص: ۴۱۸

الآیتان [سوره الرعد (۱۳): الآیات ۳۳ الی ۳۴]

اشاره

أَ فَمَنْ هُوَ قٰائِمٌ عَلیٰ کُلِّ نَفْسٍ بِمٰا کَسَبَتْ وَ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَکٰاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمٰا لاٰ یَعْلَمُ فِی اَلْأَرْضِ أَمْ بِظٰاهِرٍ مِنَ اَلْقَوْلِ بَلْ زُیِّنَ لِلَّذِینَ کَفَرُوا مَکْرُهُمْ وَ صُدُّوا عَنِ اَلسَّبِیلِ وَ مَنْ یُضْلِلِ اَللّٰهُ فَمٰا لَهُ مِنْ هٰادٍ (۳۳) لَهُمْ عَذٰابٌ فِی اَلْحَیٰاهِ اَلدُّنْیٰا وَ لَعَذٰابُ اَلْآخِرَهِ أَشَقُّ وَ مٰا لَهُمْ مِنَ اَللّٰهِ مِنْ وٰاقٍ (۳۴)

التّفسیر

اشاره

کیف تجعلون الأصنام شرکاء مع اللّه

؟! نعود مرّه اخری فی هذه الآیات الی البحث حول التوحید و الشرک،و هی تخاطب الناس من خلال دلیل واضح حیث یقول تعالی: أَ فَمَنْ هُوَ قٰائِمٌ عَلیٰ کُلِّ نَفْسٍ بِمٰا کَسَبَتْ (۱) و هذه الجمله ترید ان تقول بوضوح انّ اللّه سبحانه و تعالی و کأنّه واقف علی راس کلّ شخص و یعلم بما یفعلونه و یجازی علیه و بیده تدبیر الأمور،و لذلک فإنّ کلمه«قائم»لها معنی واسع یشمل کلّ هذه الأمور،مع انّ

۱- ۱) الجمله أعلاه مبتدا لخبر محذوف تقدیره أَ فَمَنْ هُوَ قٰائِمٌ عَلیٰ کُلِّ نَفْسٍ بِمٰا کَسَبَتْ کمن لیس کذلک.

مجموعه من المفسّرین یری لها ابعادا خاصّه.

و لإتمام البحث السابق،و مقدّمه للبحث الآتی،یقول تعالی: وَ جَعَلُوا لِلّهِ شُرَکاءَ .

ثمّ یجیبهم بلا فاصله و بعدّه طرق:

یقول اوّلا: قُلْ سَمُّوهُمْ .

و المقصود من تسمیتهم هو امّا ان یکونوا لیست لهم ایّه قیمه بحیث لا تستطیعون تسمیتهم،فکیف تجعلون هذه الموجودات التی لا-تستحق حتّی الأسماء و التی لا-قیمه لها،فی عداد الخالق القادر المتعال؟ او یکون المقصود:بیّنوا صفاتهم لکی نری هل یستحقّون العباده،فنحن نقول فی صفات اللّه جلّ و علا-بأنّه الخالق،و الرازق،و المحیی و العالم و القادر، فهل تستطیعون ان تمنحوا هذه الصفات للأصنام؟!او بالعکس إذا أردنا تسمیتها نقول بأنّها أحجار و أخشاب ساکنه و فاقده للعقل و الشعور،و محتاجه لمن یعبدها،و خلاصه القول انّها فاقده لکلّ شیء!فکیف نجعلها سواء مع اللّه؟أ فلا تعقلون؟! او یکون المقصود:عدّوا لنا اعمالهم،فهل کشفوا الضرّ لأحد او منحوا الخیر لأحد؟و هل حلّوا العقد و المشاکل؟!و مع هذا الوضع فأی عقل یجیز لکم ان تجعلوهم قرناء مع اللّه جلّ و علا و هو مصدر الخیر و البرکه و النافع و الضارّ و المثیب و المعاقب!.

طبعا لا مانع من ان تجتمع کلّ هذه المعانی فی جمله سَمُّوهُمْ ! و یقول ثانیا: أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِما لا یَعْلَمُ فِی الْأَرْضِ .

و هذا التعبیر فی الحقیقه أفضل أسلوب للجواب علی حدیثهم الواهی، و کمثال علی ذلک یقول لک احد الأشخاص:انّ فلانا کان ضیفا عندکم البارحه، فتقول له:هل تخبرنی عن ضیف لا علم لی به؟!یعنی هل من الممکن ان أحدا

یکون ضیفی و لا۔اعلم به و أنت تعلم بـذلک؟! ثالثـا:حتّی أنتم فی الواقع لا تؤمنون بـذلک فی قراره أنفسـکم،بل أَمْ بِظّاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ .

و لهذا السبب نری المشرکین عند ما تضیق بهم المشاکل الحیاتیه یلوذون باللّه،لانّهم یعلمون فی قلوبهم انّ الأصنام لا یمکن ان تعمل لهم شیئا،کما بیّن القرآن الکریم حالهم فی الآیه(۶۵)من سوره العنکبوت حیث یقول تعالی: فَإِذا رَکِبُوا فِی الْفُلْکِ دَعَوُا اللّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ فَلَمّا نَجّاهُمْ إِلَی الْبَرِّ إِذا هُمْ یُشْرِکُونَ .

رابعا:انّ المشرکین لیس لهم ادراک صحیح،و بما انّهم تابعین لاهوائهم و تقلیدهم الأعمی،فإنّهم غیر قادرین علی ان یقضوا بالحقّ و بشکل صحیح، و لهذا السبب ضلّوا الطریق،یقول تعالی: بَلْ زُیِّنَ لِلَّذِینَ کَفَرُوا مَکْرُهُمْ وَ صُدُّوا عَنِ السَّبِیلِ وَ مَنْ یُضْلِلِ اللّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ .

و قد قلنا مرارا:انّ هذا الضلال لیس جبرا،و لا هو اعتباطا و بدون حساب، بل الإضلال الالهی انعکاس لما یقوم به الإنسان من الأعمال السیّئه التی تجرّه الی الضیاع،و بما انّ هذه الخاصیّه قد جعلها اللّه سبحانه و تعالی لمثل هذه الأعمال فلذلک نسب هذا العمل الیه.

و یشیر القرآن الکریم فی الآیه الاخیره من هذه المجموعه الی العقاب الألیم الذی یشملهم فی الدنیا و الآخره،الشقاء و الهزیمه و الحرمان و غیرها،حیث تقول: لَهُمْ عَذابٌ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ لَعَذابُ الْآخِرَهِ أَشَقُّ لانّها دائمه و مستمره، جسدیه و روحیه،و فیها انواع الآلام.

و إذا اعتقدوا بأنّ لهم طریقا للفرار او سبیلا للدفاع فی مقابل ذلک،فإنّهم فی اشتباه کبیر،لان وَ ما لَهُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ واقٍ .

الآيه [سوره الرعد (١٣): آيه ٣٥]

اشاره

مَثَلُ اَلْجَنَّهِ اَلَّتِی وُعِدَ اَلْمُتَّقُونَ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ أُكُلُهٰا دٰائِمٌ وَ ظِلُّهٰا تِلْكَ عُقْبَى اَلَّذِينَ اِتَّقَوْا وَ عُقْبَى اَلْكٰافِرِينَ اَلنّٰارُ (٣٥)

التّفسير

بالنظر الى تناوب آيات هـذه السوره فى بيان التوحيـد و المعاد و سائر المعارف الاسـلاميه الاخرى،تحـدّثت هذه الآيه مرّه اخرى حول المعاد و خصوصا نعم الجنّه و عذاب الجحيم.يقول تعالى اوّلا: مَثَلُ الْجَنَّهِ الَّتِی وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ (١) .

قـد يكون التعبير ب«مثـل»اشاره الى هـذه النكته،و هى انّ الجنّه و سائر النعم الاخرويه غير قابله للوصف بالنسـبه الى الساكنين فى هـذا العالم المحـدود الـذى هو فى مقابل عالم بعـد الموت يعتبر صـغيرا جدّا،و لذلك نسـتطيع ان نضـرب لهم مثلا او صوره عن ذلك،كما انّ الجنين فى بطن امّه لو كان يعقل لا يمكن ان نصوّر له كلّ نعم الدنيا،الّا من خلال أمثال ناقصه و شاحبه!

---

١ – ١) هنـاک نقـاش بيـن المفسّـِرين حـول تركيب هـذه الجمله فقـال البعض:انّ«مثـل»مبتـدا و«تجرى»خبرهـا،و قـال بعض آخر: انّ«مثل»مبتدا و خبره محذوف تقديره«فيما نقص عليكم مثل الجنّه».

الوصف الثّانی للجنّه هو أُكُلُها دٰائِمٌ .

فهی لیست كفاكهه الدنیا فصلیه و تظهر فی وقت معیّن من السنه،بل فی بعض الأحیان و بسبب الآفات الزراعیه تنقطع تماما،لكن ثمار الجنّه لیست فصلیه و لا موسمیه و غیر مصابه بآفه،بل كإیمان المؤمنین المخلصین دائمه و ثابته.

و كذلك وَ ظِلُّها لیس كظلّ أشجار الدنیا التی یظهر ظلّها إذا كانت الشمس افقیه و یزول او یقل إذا صارت عمودیه،او یظهر فی الربیع و الصیف عند ما تكون الأشجار مورقه،و یزول فی الخریف و الشتاء عند تساقط الأوراق،(بالطبع هناك أشجار قلیله تعطی ثمارا و ازهارا علی مدار السنه،و هذه تكون فی المناطق المعتدله التی لیس فیها شتاء).

الخلاصه:ظلال الجنّه كبقیّه النعم الاخری خالده،و دائمه،و من هذا یتّضح ان لیس فی الجنّه فصل لتساقط الأوراق،و نعلم من ذلك-ایضا-انّ شعاع الشمس موجود فی الجنّه،و الاّ كان التعبیر بالظل هناك بدون شعاع الشمس لیس له ای مفهوم،و امّا ما جاء فی الآیه(۱۳)من سوره الدهر لاٰ یَرَوْنَ فِیهٰا شَمْساً وَ لاٰ زَمْهَرِیراً قد تكون اشاره الی اعتدال الهواء،فلا الشمس محرقه و لا البرد قارس،و هذا لا یعنی ان لا تكون هناك شمس أصلا.

انّ انطفاء الشمس لیس دلیلا علی زوالها ابدا،لانّ القرآن الكریم یقول:

یَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَیْرَ الْأَرْضِ وَ السَّمٰاوٰاتُ

(۱)

تكون أوسع و بهیئه جدیده.

و إذا قیل:ان كانت شمس الجنّه غیر محرقه،فعلام الظلّ؟ نقول فی جوابهم:انّ الظلّ لیس مانعا لحراره الشمس فقط،بل انّ الرطوبه المعتدله الصادره من الأوراق باتّحادها مع الاوكسجین تعطی نشاطا و لطافه خاصّه للظلّ،و لذلك كان ظلّ الأشجار مختلفا عن ظلّ السقوف الجافّه.

۱- ۱) ابراهیم،۴۸.

و بعد بیان هذه الصفات الثلاث قال تعالی فی آخر الآیه: تِلْکَ عُقْبَی الَّذِینَ اتَّقَوْا وَ عُقْبَی الْکافِرِینَ النّارُ .

لقد بیّن و فصّل فی هذه العباره نعم الجنّه،و لکن بالنسبه الی اصحاب النّار ذکر جمله قصیره و بعنف حیث ذکر انّ عاقبه أمرهم الی النار!

ص: ۴۲۴

الآیه [سوره الرعد (۱۳): آیه ۳۶]

اشاره

وَ اَلَّذِینَ آتَیْنٰاهُمُ اَلْکِتٰابَ یَفْرَحُونَ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَیْکَ وَ مِنَ اَلْأَحْزٰابِ مَنْ یُنْکِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمٰا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اَللّٰهَ وَ لاٰ أُشْرِکَ بِهِ إِلَیْهِ أَدْعُوا وَ إِلَیْهِ مَآبِ (۳۶)

التّفسیر

اشاره

المؤمنون و الأحزاب

! اشارت هـذه الآیه الی ردّ الفعل المتفاوت للناس فی مقابل نزول الآیات القرآنیه،فالأفراد الذین یبحثون عن الحقیقه یفرحون بما انزل علی الرّسول، بینما المعاندون یخالفون ذلک.

یقول تعالی اوّلا: وَ الَّذِینَ آتَیْنٰاهُمُ الْکِتٰابَ یَفْرَحُونَ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَیْکَ .

انّ الوصف ب آتَیْنٰاهُمُ الْکِتٰابَ اشاره الی الیهود و النصاری و أمثالهم ممّن لهم کتاب سـماوی و قـد ذکرهم القرآن فی مواطن کثیره،فکـان الأشـخاص الطالبون للحقّ من الیهود و النصاری و أمثالهم یفرحون عنـد نزول الآیات علی الرّسول صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم،لانّهم کانوا من جهه یرونها مطابقه لما فی أیدیهم من العلامات، و من جهه اخری کان سببا لحریتهم و نجاتهم من شرّ الخرافات و من علماء الیهود

ص :۴۲۵

و المسیحیّه الذین کانوا یستعبدونهم،و کانوا محرومین من حریه الفکر و التکامل الانسانی.

و امّا ما قاله بعض المفسّرین الکبار من انّ المقصود من اَلَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ هم اصحاب النّبی محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فبعید جدّا،لانّ هذا الوصف لیس معهودا بالنسبه للمسلمین،بالاضافه الی ذلک فإنّها غیر موافقه مع جمله بِما أُنْزِلَ إِلَیْکَ (۱)

.

و بما انّ سوره الرّعد مکیه فهی غیر منافیه لما قلناه آنفا،مع انّ المرکز الاصلی للیهود فی الجزیره العربیه کان المدینه و خیبر،و المرکز الاصلی للمسیحیین هو نجران و أمثالها،و لکنّهم کانوا یتردّدون علی مکّه و یعکسون افکارهم و معتقداتهم فیها،و لهذا السبب کان اهل مکّه یعرفون علامات آخر نبی مرسل و کانوا ینتظرونه(قصّه ورقه بن نوفل و أمثالها معروفه).

و هناک شواهد لهذا الموضوع فی آیات اخری من القرآن الکریم و التی کان یفرح المؤمنین من اهل الکتاب عند نزول الآیات علی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،فمثلا الآیه (۵۲)من سوره القصص تقول: اَلَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ یُؤْمِنُونَ .

ثمّ تضیف الآیه وَ مِنَ الْأَحْزابِ مَنْ یُنْکِرُ بَعْضَهُ المقصود من هذه المجموعه هی نفس جماعه الیهود و النصاری الذین غلبهم التعصّب الطائفی و أمثاله،و لذلک لم یعبّر القرآن الکریم عنهم بأهل الکتاب،لانّهم لم یتّبعوا کتبهم السّماویه.بل کانوا فی الحقیقه أحزابا و کتلا تابعین لخطّهم الحزبی،و هذه المجموعه کانت تنکر کلّ ما خالف میلهم و لم یطابق أهواءهم.

و یحتمل ایضا انّ کلمه«الأحزاب»اشاره الی المشرکین،لانّ سوره

۱- ۱) لأنّه یلازم هذا الحدیث ان یکون ما انزل إلیک هو نفس«الکتاب»فالاثنان یشیران الی القرآن،فی الوقت الذی نری فیه من قرینه المقابله انّ المقصود من«الکتاب»غیر ما انزل إلیک.

الأحزاب ذکرتهم بهذا التعبیر،و هؤلاء فی الحقیقه لیس لهم دین و لا مذهب بل کانوا علی شکل احزاب و کتل متفرّقه اتّحدوا فی مخالفتهم للقرآن و الإسلام.

و نقل العلاّمه الطبرسی و بعض آخر من المفسّرین الکبار عن ابن عبّاس،انّ هذه الآیه اشاره الی المشرکین الذین کانوا یخالفون وصف اللّه بالرحمن،و اهل الکتاب-خصوصا الیهود-یفرحون بهذا الوصف«الرحمان»فی الآیات القرآنیه،و مشرکی مکّه کانوا یسخرون منه بسبب عدم معرفتهم به.

و فی آخر الآیه یأمر اللّه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ان لا یعتنی بهذا و ذلک من المخالفین،بل یدعوه الی الثبات علی الخطّ الأصیل و الصراط المستقیم حیث یقول تعالی: قُلْ إِنَّمٰا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللّٰهَ وَ لاٰ أُشْرِکَ بِهِ إِلَیْهِ أَدْعُوا وَ إِلَیْهِ مَآبِ و تلک دعوه للموحّدین الصادقین و المؤمنین الرّسالیین ان یسلّموا امام الأوامر الالهیّه، فالرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کان خاضعا لکلّ ما انزل علیه،فلا یأخذ ما کان یوافق میله و یترک غیره.

بحث

اشاره

الایمان و الائتلاف الحزبی:

رأینا فی الآیه کیف انّ اللّه سبحانه و تعالی عبّر عن المؤمنین من الیهود و النصاری بأهل الکتاب،و عبّر عن أولئک التابعین للعصبیه و الأهواء بالأحزاب، و هذا غیر منحصر فی تاریخ صدر الإسلام،بل انّ هذا التفاوت موجود دائما بین المؤمنین الحقیقیین و الذین یدّعون الایمان،فالمؤمنون الحقیقیون یقولون بالتسلیم المطلق لکلّ الأوامر الالهیه،و لا یقولون بالتبعیض،و یجعلون میلهم تحت ذاک الشعاع،فهم اهل لان یسمّیهم القرآن اهل الکتاب و الایمان.

بینما أولئک فهم مصداق الآیه نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَکْفُرُ بِبَعْضٍ و معناه کلّ ما

طابق خطّهم الفکری و میلهم الشخصی و أهواءهم یقبلونه،و کلّ ما خالف منافعهم الشخصیّه ینکرونه،فهؤلاء لیسوا بمسلمین و لا مؤمنین،بل احزاب و کتل یبحثون عن مصالحهم فی الدین،و لذلک کانوا یقولون بالتبعیض فی التعالیم الاسلامیه.

ص :۴۲۸

الآيات [سوره الرعد (١٣): الآيات ٣٧ الی ٤٠]

اشاره

وَ كَذٰلِكَ أَنْزَلْنٰاهُ حُكْماً عَرَبِيًّا وَ لَئِنِ اِتَّبَعْتَ أَهْوٰاءَهُمْ بَعْدَ مٰا جٰاءَكَ مِنَ اَلْعِلْمِ مٰا لَكَ مِنَ اَللّٰهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لاٰ وٰاقٍ (٣٧) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنٰا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَ جَعَلْنٰا لَهُمْ أَزْوٰاجاً وَ ذُرِّيَّةً وَ مٰا كٰانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاّٰ بِإِذْنِ اَللّٰهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتٰابٌ (٣٨) يَمْحُوا اَللّٰهُ مٰا يَشٰاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ اَلْكِتٰابِ (٣٩) وَ إِنْ مٰا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ اَلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمٰا عَلَيْكَ اَلْبَلاٰغُ وَ عَلَيْنَا اَلْحِسٰابُ (٤٠)

التّفسير

اشاره

الحوادث«الثّابته»و«المتغيّره»:

تتابع هذه الآيات المسائل المتعلّقه بالنبوّه،ففی الآيه الاولی يقول تعالی:

وَ كَذٰلِكَ أَنْزَلْنٰاهُ حُكْماً عَرَبِيًّا

.

«العربی»كما يقول الرّاغب فی مفرداته«الفصيح البيّن من الكلام»و لذلك يقال للمراه العفيفه و الشريفه:انّها«امراه عروبه»ثمّ تضيف الآيه حُكْماً عَرَبِيًّا

قیل معناه مفصحا یحقّ الحقّ و یبطل الباطل.

و یحتمل فی«العربی»انّ معناه«الشریف»لانّها جاءت فی اللغه بهذا المعنی.و علی هذا فوصف القرآن بالعربی لانّ احکامه واضحه و بیّنه.و لـذلک وردت فی عـدّه آیات اخری بعـد«عربیـا»مسأله الاستقامه و عـدم الاعوجاج او العلم،منها فی الآیه(۲۸)من سوره الزمر قوله تعالی قُرْآناً عَرَبِیًّا غَیْرَ ذِی عِوَجٍ و فی الآیه(۳)من سوره فصلت یقول تعالی: کِتٰابٌ فُصِّلَتْ آیٰاتُهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ .و علی هـذا فما قبل هـذه الآیه و ما بعـدها یؤیّدان انّ المراد من«عربیا»هو الفصاحه و الوضوح فی البیان و خلوّه من الاعوجاج و الالتواء.

و هـذه العبـاره وردت فی سـبع سور من القرآن الکریم،و لکن ذکرت فی عـدّه موارد بشـکل لِسٰانٌ عَرَبِیٌّ مُبِینٌ و التی یمکن ان یکون لهـا نفس المعنی.و یمکن ان یکون هـذا الموضع الخـاص اشاره الی اللسان العربی،لانّ اللّه سبحانه و تعالی بعث کلّ نبی بلسان قومه،حتّی یهدی قومه اوّلا،ثمّ تنتشر دعوته فی المناطق الاخری.

ثمّ یخاطب القرآن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بلحن التهدید و بشکل قاطع حیث یقول:

وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوٰاءَهُمْ بَعْدَ مٰا جٰاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ مٰا لَکَ مِنَ اللّٰهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لاٰ وٰاقٍ

و بمـا انّ احتمـال الانحراف غیر موجود إطلاقا فی شخصـیّه الرّسول صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم لما یتمیّز به من مقام العصـمه و المعرفه،فهذا التعبیر-اوّلا-یوضّح انّ اللّه سبحانه و تعالی لیس له ارتباط خاص مع ای احد حتّی لو کان نبیّا،فمقام الأنبیاء الشامخ انّما هو بسبب عبودیتهم و تسلیمهم و استقامتهم.

و ثانیا:تأکید و إنذار للآخرین،لانّ النّبی صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم إذا لم یکن مصونا من العقوبات الالهیّه فی حاله انحرافه عن مسیره الحقّ و اتّجاهه صوب الباطل،فما بال الآخرین؟ و لا بدّ من ذکر هذه النقطه،و هی انّ«ولی»و«واق»مع انّهما متشابهان فی

المعنی،و لکن هناک تفاوت بینهما و هو انّ أحدهما یبیّن جانب الإثبات و الآخر جانب النفی،فواحد بمعنی النصره و الدعم، و الآخر بمعنی الدفاع و الحفظ.

الآیه الاخری-فی الواقع-جواب لما کان یستشکله اعداء الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و من جمله هذه الإشکالات:

اوّلا:کان البعض یقول:هل من الممکن ان یکون الرّسول من جنس البشر، یتزوّج و تکون له ذرّیه؟فالآیه تجیبهم و تقول لیس هذا بالأمر الغریب: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنٰا رُسُلاً مِنْ قَبْلِکَ وَ جَعَلْنٰا لَهُمْ أَزْوٰاجاً وَ ذُرِّیَّهً (۱) .

و یتبیّن من اشکالهم انّهم امّا ان یکونوا غیر عالمین بتاریخ الأنبیاء،او انّهم یتجاهلون ذلک و الّا لم یوردوا هذا الاشکال.

ثانیا:کان ینتظر هؤلاء من الرّسول ان یجیبهم علی کلّ معجزه یقترحونها علیه بما تقتضیه اهواؤهم،سواء آمنوا او لم یؤمنوا،و لکن یجب ان یعلم هؤلاء انّ وَ مٰا کٰانَ لِرَسُولٍ أَنْ یَأْتِیَ بِآیَهٍ إِلاّٰ بِإِذْنِ اللّٰهِ .

ثالثا:لماذا جاء نبی الإسلام صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و غیّر احکام التوراه و الإنجیل،ا و لیست هذه کتب سماویه؟و هل من الممکن ان ینقض اللّه أوامره؟(هذا الاشکال کان یطابق ما یقوله الیهود من عدم نسخ الأحکام).

و تجیب الجمله الاخیره من الآیه فتقول: لِکُلِّ أَجَلٍ کِتٰابٌ کیما تبلغ البشریه المرحله النهائیه من الرّشد و التکامل فلیس من العجیب ان ینزّل یوما التوراه،و یوما آخر الإنجیل،ثمّ القرآن،لانّ البشریه فی تحوّلها و تکاملها بحاجه الی البرامج المتغیّره و المتفاوته.

و یحتمل انّ جمله لِکُلِّ أَجَلٍ کِتٰابٌ جواب لمن کان یقول:إذا کان الرّسول صادقا،لماذا لا ینزل اللّه عذابه و سخطه علی المخالفین و المعاندین؟فیجیبهم

۱- ۱) یقول بعض المفسّرین فی سبب نزول هذه الآیه:انّها جواب لما کان یورده البعض من تعدّد ازواج الرّسول،فی الوقت الذی نری انّ سوره الرّعد مکّیه و تعدّد الزوجات لم یکن حینذاک.

القرآن بأنّ لِكَلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ و ليس بدون حساب و كتاب،و سوف يصل الوقت المعلوم للعقاب (١) .

الآيه الاخرى بمنزله التأكيد و الاستدلال لما ورد فى ذيل الآيه السابقه،و هو انّ لكلّ حدث و حكم زمن معيّن كما يقال:انّ الأمور مرهونه بأوقاتها،و إذا رأيت انّ بعض الكتب السّماويه تأخذ مكان البعض الآخر و ذلك بسبب يَمْحُوا اللّهُ مٰا يَشٰاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتٰابِ فيحذف بعض الأمور بمقتضى حكمته و ارادته و يثبت أمورا اخرى،و لكن الكتاب الأصل عنده.

و فى النّهايه و للتأكيد اكثر بالنسبه للعقوبات التى كان يوعدهم النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بها و كانوا ينتظرونها حتّى انّهم يقولون:لماذا لا تصبح هذه الوعود عمليه؟يقول تعالى وَ إِنْ مٰا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ (من انتصارك عليهم و هزيمتهم و تحرير اتباعك و أسر اتباعهم فى حياتك) أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمٰا عَلَيْكَ الْبَلاٰغُ وَ عَلَيْنَا الْحِسٰابُ .

نقطتان

اشاره

يجب الانتباه الى هاتين النقطتين:

١-لوح المحو و الإثبات و امّ الكتاب

مع انّ جمله يَمْحُوا اللّهُ مٰا يَشٰاءُ... نزلت فى مجال المعاجز و الكتب السّماويه الى الأنبياء،لكنّها تبيّن قانونا عامّا و شاملا و قد أشير اليه فى مختلف المصادر الاسلاميه،و هو انّ تحقّق و صيروره الحوادث المختلفه للعالم لها مرحلتين:الاولى المرحله القطعيّه او الثابته،و لا سبيل للتغيير فيها(و التى

ص:۴۳۲

۱- ١) و لتطابق هذا المعنى يجب ان يكون هناك تقديم و تأخير فى الجمله أعلاه،و يقال فى تقديره لكل كتاب اجل كما قاله بعض المفسّرين.

اشـارت إليهـا الآـيه أعلاه بأمّ الكتاب)و الاخرى المرحله المتغيّره او بعباره اخرى «المشـروطه»و التى يجـد التغيير سبيلا إليها،و قد عبّر عنها بالمحو و الإثبات.

و أحيانـا يقـال عن المرحلتين:«اللوح المحفوظ»و«لوح المحو و الإثبـات»كـأنّ مـا كتب فى اللوح الاوّل محفوظ لا يتغيّر،امّا الثّانى فمن الممكن محو ما كتب فيه و تغييره.

و امّا حقيقه الأمر فإنّنا-أحيانا-ننظر الى الحوادث بأسـباب و علل ناقصه، فمثلا إذا أخـذنا بنظر الاعتبار السّمّ الـذى بمقتضـى طبعه يؤدّى الى قتل الإنسان و كلّ من يتناوله سوف يموت،بدون علم مسبق انّ لهذا السّمّ ترياق آخر ضدّه لو شربناه بعده سوف يبطل مفعول الاـوّل(و قـد نكون على علم به لكن لاـ نريـد ان نتحـدّث لسـبب او لآخر عن الترياق)لاحظوا هنا انّ هـذه الحادثه(الموت بسـبب اسـتعمال السّمّ)ليس لهـا جانب قطعى،و ببيان آخر انّ مكانها فى(لوح المحو و الإثبات)و يجـد التغيير سبيلا اليه بالنظر الى الأسباب الاخرى المرتبطه به.

و لكن لو نظرنـا الى الحـادثه من خلاـل العلّه التامّه لها،يعنى توفّر الشـروط اللازمه و ازاله الموانع(اسـتعمال السّمّ بـدون اسـتعمال الترياق)تكون الحادثه هنا قطعيّه و ببيان آخر:انّ مكانها فى[اللوح المحفوظ و امّ الكتاب]

و لا سبيل للتغيير فيها.

و يمكن ان نوضّـح هـذا الحـديث بشـكل آخر،و هو:انّ للعلم الاـلهى مرحلتين (علم بالمقتضـيات و العلـل النـاقصّه)و(علم بالعلل التامّه)فما ارتبط بالمرحله الثانيه نعبّر عنها ب(امّ الكتاب و اللوح المحفوظ)و ما ارتبط بالمرحله الاولى نعبّر عنها ب(لوح المحو و الإثبات)و الاّ فليس اللوح موضوعا فى زاويه من السّماء حتى يكتبوا او يمحوا فيه شيئا و يثبتوا بدله شيئا آخر.

و من هنـا تتضـح الاجـابه على كثير من الاسـئله فى ضوء مـا ورد فى المصـادر الاصـليّه فى الإسـلام،لأنّنا نقرا مرّه فى الرّوايات او بعض الآيات القرآنيه،انّ

العمـل الفلانـى له الأثر الكـذائى،لكنّنا فى بعض الأحيان لا نرى هـذه النتيجه، و ذلک بسـبب انّ تحقّق تلک النتيجه يعتمـد على شرائط او موانع لم تتحقّق.

و هنـاک روايـات کـثيره فى بـاب(اللوح المحفوظ)و(لوح المحو و الإثبـات) و علم الأنبيـاء و الاـئمّه عليهم السّـلام،و على سـبيل المثال نذكر قسما منها:

۱-

اخرج ابن مردويه و ابن عساكر عن على عليه السّـلام انّه سأل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن هذه الآيه فقال له:«لاقرنّ عينيک بتفسيرها و لاقرّنّ عين امّتى بعدى بتفسيرها، الصدقه على وجهها،و برّ الوالدين،و اصطناع المعروف،يحول الشقاء سعاده و يزيد فى العمر و يقى مصارع السّوء» (۱) .

و هذه اشاره الى انّ الشـقاء و السّـعاده ليست أمورا حتميه،حتّى إذا ارتكب الإنسان إثما و عدّ من الأشـقياء فإنّ باستطاعته ان يغيّر من سـلوكه و يتّجه صوب الخير،و خصوصـا مساعـده و خـدمه عبـاد اللّه،لاـنّ هـذه الأمور مكانها فى(لوح المحو و الإثبات)لا(امّ الكتاب).

و يجب الالتفات الى انّ ما جاء فى هذا الحديث يبيّن قسما من مفهوم الآيه.

۲-

عن الفضـيل بن يسـار قـال:سـمعت أبا جعفر عليه السّـلام يقول: «من الأمور امور محتومه كائنه لا محاله،و من الأمور امور موقوفه عند اللّه يقدّم فيها ما يشاء و يمحو ما يشاء و يثبت ما يشاء (۲) .

و

عن الامـام على بن الحسـين عليه السـلام قـال: «لولا آيه فى كتاب اللّه لحـدّثتكم بما كان و ما يكون الى يوم القيامه،فقلت له:ايّه آيه؟فقال:قال اللّه يَمْحُوا اللّهُ مٰا يَشٰاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتٰابِ (۳) .

و هذا الحديث دليل على انّ اللوح المحفوظ و لوح المحو و الإثبات بكلّ

۱- ۱) تفسير الميزان،المجلّد ۱۱،ص ۴۱۹.

۲- ۲) المصدر السّابق.

۳- ۳) نور الثقلين،ج ۲،صفحه ۵۱۲.

خصوصیاتها مختصّه باللّه جلّ و علا،و هناک قسم منها یعلم بها الخواص من عباده إذا اقتضت الضروره.

و نقرا فی ادعیه لیالی شهر رمضان المبارک:

«و ان کنت من الأشقیاء فاکتبنی عندک من السعداء».

و علی ایّه حال فالمحو و الإثبات بهذا الشکل الذی قلناه له معنی جامع یشمل کلّ تغییر فی الحال بسبب تغییر الشروط و حدوث الموانع،و امّا ما قاله بعض المفسّرین من انّ هذه الجمله اشاره الی مسأله محو الذنوب بسبب التوبه، او زیاده و نقصان الرزق علی اثر تغییر الشروط،لیس صحیحا،الاّ إذا اعتبروها واحدا من مصادیقها.

۲-ما هو البداء

؟ «البداء»احد البحوث العویصه بین الشیعه و السنّه.

یقول الرازی فی تفسیره الکبیر فی ذیل الآیه-محلّ البحث-:«یعتقد الشیعه انّ البداء جائز علی اللّه،و حقیقه البداء عندهم انّ الشخص یعتقد بشیء ثمّ یظهر له خلاف ذلک الاعتقاد،و لاثبات ذلک یتمسکون بالآیه یَمْحُوا اللّهُ مٰا یَشٰاءُ وَ یُثْبِتُ ثمّ یضیف الرازی:انّ هذه العقیده باطله،لانّ علم اللّه من لوازم ذاته،و محال التغییر و التبدیل فیه».

و ممّا یؤسف له حقّا عدم المعرفه بعقیده الشیعه فی مسأله البداء ادّت الی ان ینسب کثیرون تهما غیر صحیحه الی الشیعه الامامیّه.

و لتوضیح ذلک نقول:

«البداء»فی اللغه بمعنی الظهور و الوضوح الکامل،و له معنی آخر هو الندم، لانّ الشخص النادم قد ظهرت له-حتما-امور جدیده.

لا شکّ،انّ هذا المعنی الأخیر بالنسبه الی اللّه تعالی مستحیل،و لا یمکن لای

عاقل و عارف ان یحتمل انّ هناک أمورا خافیه علی اللّه ثمّ تظهر له بمرور الایّام، فهذا القول هو الکفر بعینه،و لازمه نسبه الجهل و عدم المعرفه الی ذاته المقدّسه، و انّ ذاته محلاّ للتغییر و الحوادث.

و حاشا للشیعه الامامیّه ان یحتملوا ذلک بالنسبه لذات اللّه المقدّسه!انّ ما یعتقده الشیعه من معنی البداء و یصرّون علیه،هو طبقا لما

جاء فی روایات اهل البیت علیهم السّلام: ما عرف اللّه حقّ معرفته من لم یعرفه بالبداء.

کثیرا ما یکون-و طبقا لظواهر العلل و الأسباب-ان نشعر انّ حادثه ما سوف تقع او انّ وقوع مثل هذه الحادثه قد اخبر عنه النّبی،فی الوقت الذی نری انّ هذه الحادثه لم تقع،فنقول حینها:انّ«البداء»قد حصل،و هذا یعنی انّ الذی کنّا نراه بحسب الظاهر سوف یقع و اعتقدنا تحقّقه بشکل قاطع قد ظهر خلافه.

و الأصل فی هذا المعنی هو ما قلناه فی بحثنا السابق،و هو انّ معرفتنا مرّه تکون فقط بالعلل الناقصه،و لا نری الشروط و الموانع و نقضی طبقا لذلک،و لکن بعد ان نواجه فقدان الشرط او وجود المانع و یتحقّق خلاف ما کنّا نتوقّعه سوف ننتبه الی هذه المسائل.و کذلک قد یعلم النّبی او الامام بأمور مکتوبه فی لوح المحو و الإثبات القابل للتغییر طبعا،فقد لا تتحقّق أحیانا لمواجهتها بالموانع و فقدان الشروط.

و لکی تتّضح هذه الحقیقه لا بدّ من مقایسه بین«النسخ»و«البداء»:نحن نعلم انّ النسخ جائز عند جمیع المسلمین،یعنی من الممکن ان ینزل حکم فی الشریعه فیتصوّر الناس انّ هذا الحکم دائمی،لکی بعد مدّه یعلن الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عن تغییر هذا الحکم و ینسخه،و یحلّ محلّه حکما آخر(کما قرانا فی حادثه تغییر القبله).

انّ هذا فی الحقیقه نوع من«البداء»و لکن فی القضایا التشریعیّه و القوانین و الأحکام یسمّونه ب«النسخ»و فی الأمور التکوینیّه یسمّی ب«البداء» و یقال

ص:۴۳۶

أحيانا:(النسخ فی الأحكام نوع من البداء،و البداء فی الأمور التكوینیّه نوع من النسخ).

فهل یستطیع احد ان ینكر هذا الأمر المنطقی؟الاّ إذا كان لا یفرّق بین العلّه التامّه و العلل الناقصه،او كان واقعا تحت تأثیر الدعایات المغرضه ضدّ شیعه اهل البیت علیهم السّلام،و لا یجیز له تعصّبه الأعمی ان یطالع عقائد الشیعه من نفس كتبهم،و العجیب انّ الرازی قد ذكر مسأله«البداء»عند الشیعه فی ذیل الآیه یَمْحُوا اللّهُ ما یَشاءُ وَ یُثْبِتُ بدون ان یلتفت الی انّ البداء لیس اكثر من المحو و الإثبات،و هجم علی الشیعه بعصبیته المعروفه و استنكر علیهم قولهم بالبداء.

اسمحوا لنا هنا ان نذكر امثله مقبوله عند الجمیع:

۱-نقرا فی قصّه«یونس»انّ عدم طاعه قومه ادّت الی ان ینزل العذاب الالهی علیهم،و قد تركهم النّبی لعدم هدایتهم و استحقاقهم العذاب،لكن فجأه وقع البداء حیث رای احد علمائهم آثار العذاب،فجمعهم و دعاهم الی التوبه،فقبل الجمیع و رفع العذاب فَلَوْ لا كانَتْ قَرْیَهٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِیمانُها إِلاّ قَوْمَ یُونُسَ لَمّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْیِ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ مَتَّعْناهُمْ إِلی حِینٍ (۱) .

۲-و جاء فی التأریخ الاسلامی انّ السیّد المسیح علیه السّلام اخبر عن عروس انّها سوف تموت فی لیله زفافها،لكنّها بقیت سالمه!و عند ما سألوه عن الحادثه قال:

هل تصدّقتم فی هذا الیوم؟قالوا:نعم.قال:الصدقه تدفع البلاء المبرم (۲) !.

لقد اخبر السیّد المسیح علیه السّلام عن هذه الحادثه بسبب ارتباطه بلوح المحو و الإثبات،فی الوقت الذی كانت هذه الحادثه مشروطه(مشروطه بأن لا یكون هناك مانع مثل الصدقه)و بما انّها واجهت المانع أصبحت النتیجه شیئا آخر.

۳-و نقرا فی قصّه ابراهیم علیه السّلام-محطّم الأصنام-فی القرآن الكریم انّه امر

۱- ۱) یونس،۹۸.

۲- ۲) بحار الأنوار الطبعه القدیمه المجلّد الثّانی صفحه ۱۳۱-عن امالی الصدوق.

بذبح إسماعیل،و ذهب بابنه الی المذبح و تلّه للجبین،فعند ما اظهر إسماعیل استعداده للذبح ظهر البداء الالهی و ظهر انّ هذا الأمر امتحان لکی یری اللّه تعالی مستوی الطاعه و التسلیم عند ابراهیم علیه السّلام.

۴-و نقرا فی سیره موسی علیه السّلام انّه امر ان یترک قومه اوّلا ثلاثین یوما و یذهب الی مکان الوعد الالهی لاستلام احکام التوراه،لکن المدّه زادت علیها عشره ایّام اخری(و ذلک امتحانا لبنی إسرائیل).

هنا یأتی هذا السؤال:ما هی الفائده من هذه البداءات؟ الجواب علی هذا السؤال لیس صعبا بالنظر الی ما قلناه سابقا،لأنّه تحدث مسائل مهمّه-أحیانا-مثل امتحان شخص مع قومه،او تأثیر التوبه و الرجوع الی اللّه(کما فی قصّه یونس)او تأثیر الصدقه و مساعده المحتاجین و عمل الخیر، کلّ ذلک یؤدّی الی دفع الحوادث المفجعه و أمثالها،و هذا یعنی انّ الحوادث المستقبلیه قد نظّمت بشکل خاص ثمّ تغیّرت الشرائط فأصبحت شیئا آخر، حتّی یعلم الناس انّ مصیرهم بأیدیهم،و هم قادرون ان یغیّروا مصیرهم من خلال تغییر سیرتهم و سلوکهم،و هذه اکبر فائده نلمسها من البداء«فتدبّر».

فما ورد من انّ أحدا إذا لم یعرف اللّه بالبداء لم یعرفه معرفه کامله،فهی اشاره لتلک الحقائق.

عن الامام الصادق علیه السّلام قال: «ما بعث اللّه عزّ و جلّ نبیّا حتّی یأخذ علیه ثلاث خصال:الإقرار بالعبودیه،و خلع الأنداد،و انّ اللّه یقدّم ما یشاء و یؤخّر ما یشاء» (۱) .

و فی الحقیقه انّ اوّل عهد مرتبط بالطاعه و التسلیم للّه.و ثانی عهد محاربه الشرک،و الثّالث مرتبط بمسأله البداء،و نتیجته انّ مصیره بیده،فیستطیع ان یغیّر الشروط فیشمله اللطف او العذاب الالهی.

الملاحظه الاخیره فی هذا المجال..یقول علماء الشیعه:انّنا حینما ننسب

۱- ۱) اصول الکافی،المجلّد الاوّل،صفحه ۱۱۴-سفینه البحار،المجلّد الاوّل،صفحه ۶۱.

البداء الی اللّه جلّ و علا فإنّه یکون بمعنی«الإبداء»بمعنی اظهار الشیء الذی لم یکن ظاهرا لنا من قبل و لم یکن متوقّعا.

و انّ ما ینسب الی الشیعه بأنّهم یعتقدون انّ اللّه یندم علی عمله أحیانا،او یخبر عن شیء لم یعلمه سابقا،فهذه من اکبر التّهم و لا یمکن الصفح عنها ابدا.

لذلک

نقل عن الائمّه علیهم السّلام انّهم قالوا: «من زعم ان اللّه عزّ و جلّ یبدو له فی شیء لم یعلمه أمس فابرءوا منه» (1) .

1- 1) سفینه البحار،المجلّد الاوّل،صفحه 61.

الآيات [سوره الرعد (١٣): الآيات ۴١ الى ۴٣]

اشاره

أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنّٰا نَأْتِی اَلْأَرْضَ نَنْقُصُهٰا مِنْ أَطْرٰافِهٰا وَ اَللّٰهُ يَحْكُمُ لاٰ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَ هُوَ سَرِيعُ اَلْحِسٰابِ (۴١) وَ قَدْ مَكَرَ اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلّٰهِ اَلْمَكْرُ جَمِيعاً يَعْلَمُ مٰا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَ سَيَعْلَمُ اَلْكُفّٰارُ لِمَنْ عُقْبَى اَلدّٰارِ (۴٢) وَ يَقُولُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفىٰ بِاللّٰهِ شَهِيداً بَيْنِی وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلْكِتٰابِ (۴٣)

التّفسير

اشاره

البشريه فانيه و وجه اللّه باق:

بما انّ الآيات السابقه كانت تتحدّث مع منكرى رساله النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،فقد تابعت هذه الآيات كذلك نفس البحث.و الهدف هو دعوتهم الى التفكّر،ثمّ الإصلاح عن طريق الإنذار و الاستدلال و غيرها.

يقول تعالى اوّلا: أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنّٰا نَأْتِی الْأَرْضَ نَنْقُصُهٰا مِنْ أَطْرٰافِهٰا من الواضح انّ المقصود من الأرض هنا هم اهل الأرض،يعنى انّ هؤلاء لا ينظرون الى هذا الواقع من انّ الأقوام و الحضارات و الحكومات فى حال الزوال و الاباده،

الأقوام الـذين كانوا اكثر منهم قوّه و آثارا قـد ألحدوا تحت الثرى حتّى العلماء و العظماء-الذين هم قوام الأرض-التحقوا بالرفيق الأعلى.

فهـل انّ هـذا القـانون العامّ للحياه الـذى يسـرى على جميع الافراد و كلّ المجتمع البشـرى صـغيره و كبيره،غير كاف لايقاظهم و تفهيمهم انّ هذه الايّام القلائل للحياه ليست ابديه؟! ثمّ يضـيف: وَ اللّٰهُ يَحْكُمُ لاٰ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَ هُوَ سَرِيعُ الْحِسٰابِ و لذلك فإنّ قـانون الفنـاء مكتوب على جبين كلّ الافراد و الأمم من جهه،و من جهه اخرى لا يسـتطيع احـد ان يغيّر هـذا الحكم و لا الأحكام الاخرى،و من جهه ثالثه انّ حساب العباد سريع جدّا،و بهذا الترتيب يكون جزاؤه قاطعا.

و قد جاءت فى روايات متعدّده فى تفسير«البرهان»و«نور الثقلين»و سائر منابع الحديث،انّ تفسير الآيه أعلاه هو«فقدان العلماء»لانّ فقدهم نقصان الأرض و نقص المجتمع الانسانى.

و

نقل المفسّر الكبير الطبرسى عن الامام الصادق عليه السّلام فى تفسير هذه الآيه قال: «ننقصها بذهاب علمائها و فقهائها و خيارها» .(۱)

و نقرا فى حديث آخر انّ«عبد اللّه بن عمر»تلا هذه الآيه حين استشـهد امير المؤمنين على عليه السّلام أَنّٰا نَأْتِى الْأَرْضَ نَنْقُصُهٰا مِنْ أَطْرٰافِهٰا .

ثمّ قال:«يا امير المؤمنين،لقد كنت الطرف الأكبر فى العلم،اليوم نقص علم الإسلام و مضى ركن الايمان».

انّ للآيه-بـدون شـكّ-معنى واسـعا كمـا قلنـا،و هى تشـمل كلّ نقص فى ذهاب الافراد و المجتمع و اهل الأرض،و إنـذار لكلّ الناس،الصالـح منهم و الطالح،حتّى العلماء الذين يشـكّلون اركان المجتمع البشـرى يكون موت أحدهم أحيانا نقصانا للدنيا،فهذا إنذار بليغ و ساطع.

۱- ۱) تفسير البرهان،المجلّد الثّانى،صفحه ۳۰۱.

و امّا ما احتمله بعض المفسّرين من انّ المقصود بالنقصان هو نقض ارض الكفّار و اضافتها الى ارض المسلمين،فلا نراه صحيحا إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار انّ السوره مكّيه،لانّ الفتوحات فى ذلك الوقت لم تكن موجوده حتّى يراها الكفّار او يشير إليها القرآن الكريم.

و امّا ما قاله بعض المفسّرين الذين غرقوا فى العلوم الطبيعيّه،من انّ الآيه أعلاه تشير الى نقص الأرض من ناحيه القطبين و استواؤها فى خطّ الاستواء، فهذا كذلك نراه بعيدا عن الواقع،لانّ القرآن الكريم ليس فى مقام الاشاره الى ذلك.

ثمّ يستمرّ البحث فى الآيه الثانيه و يقول:ليست هذه الفئه فقط نهضت بمكرها و محاربتها لك،بل وَ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ .لكن خططهم كشفت، و أجهضت مؤامرتهم بأمر من اللّه،لانّه اعلم الموجودات بهذه المسائل فَلِلّٰهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً ذاك هو العالم بكلّ شىء و يَعْلَمُ مٰا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ .ثمّ يحذرهم بصيغه التهديد من عاقبه عملهم و يقول: وَ سَيَعْلَمُ الْكُفّٰارُ لِمَنْ عُقْبَى الدّٰارِ .

الآيه الاخيره من هذا البحث(كما بدأت هذه السوره بكتاب اللّه و القرآن) تنهى سوره الرعد فى التأكيد اكثر على معجزه القرآن يقول تعالى: وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً .

فهم يصطنعون كلّ يوم عذرا،و يطلبون فى كلّ وقت المعاجز،ثمّ آخر الأمر يقولون:لست بنبى!قل فى جوابهم قُلْ كَفىٰ بِاللّٰهِ شَهِيداً بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتٰابِ فاللّه سبحانه و تعالى يعلم بأنّى رسوله،و كذلك هؤلاء لهم المعرفه الكافيه بأنّ القرآن هو كتاب سماوى،فهم يعلمون جيّدا انّ هذا الكتاب ليس من صنع البشر،و لا يمكن نزوله الاّ من قبل اللّه.

و هذا تأكيد جديد على اعجاز القرآن بمختلف جوانبه و قد ذكرنا ذلك فى أماكن اخرى.

ص :۴۴۲

و بناء علی ما قلناه أعلاه فإنّ المقصود ب مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتٰابِ هم العالمون بمحتوی القرآن الكریم.

و احتمل بعض المفسّرین انّها تشیر الی علماء اهل الكتاب الذین قرءوا علائم نبی الإسلام صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی كتبهم السّماویه،و من جهه حبّهم و معرفتهم آمنوا به.

لكن التّفسیر الاوّل نراه اقرب الی الصحّه.

و قد ذكرت كثیر من الرّوایات انّ المقصود ب مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتٰابِ هو علی بن أبی طالب علیه السّلام و ائمّه الهدی،و هذه الرّوایات جمعت فی تفسیر نور الثقلین و البرهان.

و هذه الرّوایات غیر دالّه علی الحصر،و كما قلنا مرارا فإنّها تشیر الی مصداق او مصادیق تامّه و كامله،و علی ایّه حال فالتّفسیر الاوّل الذی ذكرناه یؤیّد ذلك.

و من المناسب ان ننهی حدیثنا هنا بهذه الرّوایه

عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

عن أبی سعید الخدری قال: سألت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عن قول اللّه جلّ ثناؤه:

قٰالَ الَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتٰابِ قال:«ذاك وصی اخی سلیمان بن داود» فقلت له:یا رسول اللّه: قُلْ كَفیٰ بِاللّٰهِ شَهِیداً بَیْنِی وَ بَیْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتٰابِ قال:«ذاك علی بن أبی طالب» (۱) .

اللهمّ افتح لنا أبواب رحمتك و ألهمنا من علم الكتاب.

ربّنا أنر قلوبنا بمعرفه القرآن و احبس افكارنا علی الحاجه إلیك حتّی لا نتوجّه لغیرك فی مسائلنا،انّك موضع الحاجات.

۱- ۱) المیزان،المجلّد ۱۱،الصفحه ۴۲۷.

سوره ابراهیم

اشاره

مکّیّه و عدد آیاتها اثنان و خمسون آیه

ص :۴۴۵

سوره ابراهيم تحتوى على(۵۲)آيه،السوره مكّيه باستثناء الآيات(۲۸)و(۲۹)طبقا لما قاله كثير من المفسّرين انّها نزلت بالمدينه فى قتلى المشركين فى بدر.

محتوى السوره

المعلوم من اسم السوره انّ قسما منها نازل بشأن بطل التوحيد و محطّم الأصنام سيّدنا ابراهيم عليه السّلام(قسم من ادعيته).

و القسم الآخر من هذه السوره يشير الى تاريخ الأنبياء السابقين أمثال نوح و موسى،و قوم عاد و ثمود،و ما تحتوى من دروس و عبر فيها.

و تكمل هذه المجموعه من البحوث فى السوره آيات الموعظه و النصيحه و البشاره و الإنذار.

كما نقرا فى اغلب السور المكّيه انّ قسما كبيرا منها ايضا يبحث مواضيع «المبدإ»و«المعاد»و التى تعمّق الايمان فى قلب الإنسان و فى روحه و نفسه ثمّ فى قوله و فعله،فيظهر له نور آخر فى مسيره الحقّ و الدعوه الى اللّه.

و خلاصه هذه السوره انّها تبيّن عقائد و نصائح و مواعظ سيره الأقوام الماضيه،و الهدف من رساله الأنبياء و نزول الكتب السّماويه.

ص: ۴۴۷

فضیله السوره

روی عن النّبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «من قرا سوره ابراهیم و الحجر اعطی من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام و بعدد من لم یعبدها» (۱) .

و کما أسلفنا مرارا فإنّ ما ورد من الثواب حول قراءه السور القرآنیه یلازمه التفکّر و من ثمّ العمل،و لمّا کانت هذه السوره و سوره الحجر تبحثان موضوع التوحید و الشرک و أصولهما و فروعهما،فإنّ من البدیهی انّ العمل بمضمونهما له نفس الفضیله،أی انّهما تصیغان الإنسان بصیاغتهما حتّی توصلاه الی مثل هذا الثواب.

۱- ۱) مجمع البیان،و نور الثقلین،فی بدایه السوره.

الآيات [سوره إبراهيم (۱۴): الآيات ۱ الی ۳]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ الر كِتٰابٌ أَنْزَلْنٰاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ اَلنّٰاسَ مِنَ اَلظُّلُمٰاتِ إِلَى اَلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلىٰ صِرٰاطِ اَلْعَزِيزِ اَلْحَمِيدِ (۱) اَللّٰهِ اَلَّذِي لَهُ مٰا فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي اَلْأَرْضِ وَ وَيْلٌ لِلْكٰافِرِينَ مِنْ عَذٰابٍ شَدِيدٍ (۲) اَلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ اَلْحَيٰاةَ اَلدُّنْيٰا عَلَى اَلْآخِرَةِ وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اَللّٰهِ وَ يَبْغُونَهٰا عِوَجاً أُولٰئِكَ فِي ضَلاٰلٍ بَعِيدٍ (۳)

التّفسير

اشاره

الخروج من الظّلمات الى النّور

! شرعت هذه السوره-كبعض السور القرآنيه الاخرى-بالحروف المقطّعه، التى ذكرنا تفسيرها فى بدايه سوره البقره و آل عمران،و النقطه التى يجب ملاحظتها هنا انّ من بين ۲۹ موردا لسور القرآن التى ابتدأت بالحروف المقطّعه هناك ۲۴ مورد ذكر بعدها مباشره القرآن الكريم،و التى تبيّن انّ هناك علاقه بين

الاثنين،ای بین الحروف المقطّعه و القرآن،و لعلّ هذه العلاقه هی نفسها التی ذکرناها فی بدایه سوره البقره،فاللّه سبحانه و تعالی یرید ان یوضّح من خلال هذا البیان انّ هذا الکتاب السّماوی العظیم المتعهّد لقیاده الانسانیّه یتکوّن من مواد بسیطه تسمّی بحروف الالفباء،و هذه تشیر الی اهمیّه هذا الاعجاز،حیث یوجد اصدق بیان من ابسط بیان.

و علی ایّه حال فبعد ذکر الحروف(الف لام راء)یقول تعالی: کِتٰابٌ أَنْزَلْنٰاهُ إِلَیْکَ لِتُخْرِجَ النّٰاسَ مِنَ الظُّلُمٰاتِ إِلَی النُّورِ .

فی الواقع انّ جمیع الاهداف التربویه و الانسانیه،المعنویه و المادیه من نزول القرآن قد جمعت فی هذه الجمله(الخروج من الظّلمات الی النّور)ای الخروج من ظلام الجهل الی نور المعرفه،و من ظلام الکفر الی نور الایمان،من ظلم الظالمین الی نور العداله،و من الفساد الی الصلاح،و من الذنوب الی الطهاره و التقوی،و من التفرقه و النفاق الی نور الوحده.

و من الطریف انّ«الظّلمات»هنا(کما فی بعض السور الاخری) جاءت بصیغه الجمع و«النّور»بصیغه المفرد،و هذه اشاره الی انّ کلّ الحسنات و الطیّبات و الایمان و التقوی لها حاله واحده فی ظلّ التوحید و نوره،فهی مترابطه و متّحده فیما بینها،فتصنع مجتمعا واحدا متّحدا و طاهرا من کلّ جهه.

بینما الظّلمات تعنی التشتّت و تفرقه الصفوف،و حتّی الطواغیت و المذنبین و المفسدین و المنحرفین فی مسیرتهم الانحرافیه نراهم غیر متوحّدین غالبا، و فی حاله حرب فیما بینهم.

و من هنا لمّا کان مصدر کلّ الخیر هی الذات الالهیّه المقدّسه،و الشرط الأساس لدرک التوحید هو الالتفات الی هذه الحقیقه،فإنّه یضیف بلا فاصله بِإِذْنِ رَبِّهِمْ .

و لکی یبیّن اکثر ما هو النّور یقول تعالی: إِلیٰ صِرٰاطِ الْعَزِیزِ الْحَمِیدِ (۱) فعزّته دالّه علی قدرته،لانّه لا یستطیع احد ان یغلبه،و الحمید دالّه علی نعمه و مواهبه غیر المتناهیه،لانّ الحمد و الثناء دائما تکون فی مقابل النعم و المواهب.

الآیه الثانیه و لکی تعرّف اللّه بصفاته،تبیّن درسا من دروس التوحید حیث تقول: اَللّٰهِ الَّذِی لَهُ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ (۲) فله کلّ شیء،لانّه خالق جمیع الموجودات،و لهذا السبب هو القادر و العزیز و واهب النعم و الحمید.

ثمّ یتطرّق فی نهایه الآیه الی مسأله المعاد(بعد ان ذکر المبدإ)فتقول الآیه:

وَ وَیْلٌ لِلْکٰافِرِینَ مِنْ عَذٰابٍ شَدِیدٍ

.

ثمّ یعرّف القرآن الکریم الکفّار فی الآیه الاخری،و یذکر لهم ثلاث صفات کیما نستطیع ان نعرّفهم من اوّل وهله،یقول تعالی اوّلا: اَلَّذِینَ یَسْتَحِبُّونَ الْحَیٰاهَ الدُّنْیٰا عَلَی الْآخِرَهِ (۳) فهم یضحّون بالایمان و الحقّ و العداله و الشرف التی هی من خصائص محبّی الآخره،من اجل منافعهم الشخصیّه و شهواتهم.

ثمّ یبیّن تعالی انّ هؤلاء غیر قانعین بهذا المقدار من الضلال،بل یسعون فی ان یضلّوا الآخرین وَ یَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللّٰهِ فهم فی الواقع یوجدون الموانع المختلفه فی طریق الفطره الالهیّه فیزیّنون الهوی،و یدعون الناس الی الذنوب، و یخوّفونهم من الصدق و الإخلاص.

و لا یقتصر عملهم علی ذلک فحسب،بل وَ یَبْغُونَهٰا عِوَجاً ثمّ یحاولون ان یصبغوا الآخرین بصبغتهم،و یسعون فی ان یحرفوا السبیل للوصول الی هدفهم من خلال نشر الخرافات و ابتداع السنن الخبیثه أُولٰئِکَ فِی ضَلاٰلٍ بَعِیدٍ .

۱- ۱) «الی صراط اللّه»فی الواقع بدل من«الی النّور»فالمقصود من الهدایه الی النّور هو الهدایه الی صراط العزیز الحمید،و«کتاب أنزلناه»خبر لمبتدأ محذوف تقدیره:هذا کتاب أنزلناه.

۲- ۲) (اللّه):بالکسر لانّه بدل من (الْعَزِیزِ الْحَمِیدِ) .

۳- ۳) یقول الراغب فی مفرداته:استحبّ الکفر علی الایمان،و الاستحباب هو سعی الإنسان لان یحبّ شیئا،و إذا ما تعدّی ب(علی)فسوف یصرف عنه المعنی المتقدّم کما فی أَمّٰا ثَمُودُ فَهَدَیْنٰاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمیٰ عَلَی الْهُدیٰ .

و هـذا الضـلال قـد أوجـد بعـد المسافه بينهم و بين الحقّ فكان من العسـير جدّا عودتهم الى طريق الحقّ،و لكن ذلك كان نتيجه لاعمالهم.

ملاحظات

اشاره

١-مثل الإيمان و طريق اللّه مثل النّور

بالنظر الى انّ النّور الطف الموجودات الماديّه فى العالم،و سـرعه مسـيره أعلى سـرعه،و بركته من اكبر البركات،و يمكن ان يقال انّه اصل لكلّ المواهب و البركات،فإنّه يتّضح الى اى مدى يشتمل النّور على معنى كبير بحيث انّ القرآن شبّه الايمان و السير فى طريق اللّه بالنّور.

و النّور اصل التجمّع بينما الظلمه عامل للتفرّق،النّور علامه الحياه و الظلمه علامه الموت.

و لهذا السبب شبّه القرآن الكريم كثيرا من الأمور القيّمه بالنّور،و من جملتها العمل الصالح يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ يَسْعىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمٰانِهِمْ (١) .

و كذلك الايمان و التوحيد،قال تعالى: اَللّٰهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمٰاتِ إِلَى النُّورِ (٢) .

و قـد شـبّه القرآن الكريـم بـالنّور فى قـوله تعـالى: فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣) .

و كذلك الذين يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللّٰهِ بِأَفْوٰاهِهِمْ . (۴)

١- ١) الحديد،١٢.

٢- ٢) البقره،٢۵٧.

٣- ٣) الأعراف،١۵٧.

۴- ۴) التوبه،٣٢.

بل اکثر من ذلک عبّر عن ذاته المقدّسه التی هی أفضل و اسمی ما فی الوجود بالنّور اَللّٰهُ نُورُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ . (۱)

و مع انّ کلّ هذه الأمور تعود الی تلک الحقیقه،لانّها من اللّه،و من الایمان به، فإنّها وردت بصیغه المفرد،و علی عکس الظّلمات التی هی عامل التشتّت لذلک وردت بصیغه الجمع التی تبیّن الکثره و التعدّد.

و بما انّ الایمان باللّه و السیر فی طریقه باعث علی الحرکه و موجبا للیقظه، و عامل للاجتماع و الوحده،و وسیله للتقدّم و الکمال،فإنّ هذا التشبیه علی کلّ حال اکثر محتوی و دلاله تربویه.

۲-التعبیر ب«لتخرج»فی الآیه الاولی تشیر الی نقطتین:

الاولی:بما انّ القرآن الکریم کتاب هدایه و نجاه للبشر،لکنّه بحاجه الی من یطبقه و یجریه،فیجب ان یکون هناک قائد کالرّسول لکی یستطیع ان یخرج الضالّین عن الحقیقه من ظلمات الشقاء و هدایتهم الی نور السعاده،و لهذا فالقرآن الکریم بعظمته لا یمکن له ان یحلّ جمیع المشاکل بدون وجود القائد و المنفّذ لهذه الأحکام.

الثانیه:انّ صیغه الإخراج فی الواقع دلیل علی التحرّک المشفوع بالتغیّر و التحوّل،و کأنّ غیر المؤمنین موجودون فی محیط مغلق و مظلم،و الرّسول-او القائد-یأخذ بأیدیهم و یدخلهم الی جوّ واسع و منیر.

۳-الملفت للنظر انّ بدایه هذه السوره شرعت بمسأله هدایه الناس من الظّلمات الی النّور،و نهایتها ختمت بمسأله إبلاغ و إنذار الناس،و هذه توضّح انّ الهدف الاصلی فی کلّ الأحوال هو الناس و مصیرهم و هدایتهم،فإنزال الکتب السّماویه و بعث الأنبیاء فی الواقع هو للوصول الی هذا الهدف.

۱- ۱) النّور،۳۵.

الآيات [سوره إبراهيم (۱۴): الآيات ۴ الی ۷]

اشاره

وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ بِلِسٰانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اَللّٰهُ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشٰاءُ وَ هُوَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ (۴) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنٰا مُوسىٰ بِآيٰاتِنٰا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ اَلظُّلُمٰاتِ إِلَى اَلنُّورِ وَ ذَكِّرْهُمْ بِأَيّٰامِ اَللّٰهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِكُلِّ صَبّٰارٍ شَكُورٍ (۵) وَ إِذْ قٰالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ اُذْكُرُوا نِعْمَةَ اَللّٰهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجٰاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ اَلْعَذٰابِ وَ يُذَبِّحُونَ أَبْنٰاءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِسٰاءَكُمْ وَ فِي ذٰلِكُمْ بَلاٰءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (۶) وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذٰابِي لَشَدِيدٌ (۷)

التّفسير

اشاره

الايّام الحسّاسه فی الحياه:

كان الحديث فی الآيات السابقه عن القرآن الكريم و آثاره الروحيه،و تتابع

ص :۴۵۴

الآیه الاولی من هذه المجموعه نفس الموضوع،لکن فی بعد خاص و هو انّ دعوه الأنبیاء و کتبهم السّماویه نزلت بلسان اوّل قوم بعثوا إلیهم.یقول تعالی:

وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ بِلِسٰانِ قَوْمِهِ

.

لانّ الأنبیاء یرتبطون فی الدرجه الاولی مع قومهم،و اوّل نور الوحی یشعّ من بینهم،و اوّل الصحابه و الأنصار ینتخبون منهم،لذلک فإنّ الرّسول یجب ان یحدّثهم بلغتهم و بلسانهم لِیُبَیِّنَ لَهُمْ .

و فی الحقیقه فإنّ هذه الجمله تشیر الی انّ دعوه الأنبیاء لا تنعکس فی قلوب اتباعهم بأسلوب مرموز و غیر معروف،بل کانت توضّح لهم من خلال التبیین و التعلیم و التربیه و بلسانهم الرائج.

ثمّ یضیف القرآن الکریم بعد ان بیّن لهم الدعوه الالهیّه فَیُضِلُّ اللّٰهُ مَنْ یَشٰاءُ وَ یَهْدِی مَنْ یَشٰاءُ فلیست الهدایه و الضلال من عمل الأنبیاء،بل عملهم الإبلاغ و التبیین،اللّه سبحانه و تعالی هو الموجّه و الهادی الحقیقی لعباده.

و لکی لا یتصوّر احد انّ هذا القول بمعنی الجبر و سلب الحریّات،فیضیف القرآن مباشره وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ و بمقتضی عزّته و قدرته فإنّه قادر علی کلّ شیء،و لا احد له قدره علی المقاومه فی مقابل ارادته تعالی،و لکن بمقتضی حکمته لا یهدی و لا یضلّ أحدا بدون سبب و دلیل،بل الخطوه الاولی تبدا من قبل العباد و بکامل الحریه فی السیر الی اللّه،ثمّ یشعّ نور الهدایه و فیض الحقّ فی قلوبهم،کما فی سوره العنکبوت الآیه(۶۹) وَ الَّذِینَ جٰاهَدُوا فِینٰا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنٰا .

و کذلک حال الذین تاهوا فی وادی الضلاله و حرموا من فیض الهدایه،فهو نتیجه لتعصّبهم الأعمی و محاربتهم للحقّ،و غرقهم فی الشّهوات،و تلوّثهم بالظلم و الجور.کما یقول تعالی: کَذٰلِکَ یُضِلُّ اللّٰهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتٰابٌ ، (۱) و یقول

۱- ۱) غافر،۳۴.

ایضا: وَ مٰا یُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفٰاسِقِینَ ، (۱) و قوله تعالی: وَ یُضِلُّ اللّٰهُ الظّٰالِمِینَ (۲) .

و علی هذا النحو فإنّ محور الهدایه و الضلال فی ایدی الناس أنفسهم.

تشیر الآیه الأخری الی واحده من نماذج إرسال الأنبیاء فی مقابل طواغیت عصرهم،لیخرجوهم من الظّلمات الی النّور: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنٰا مُوسیٰ بِآیٰاتِنٰا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَکَ مِنَ الظُّلُمٰاتِ إِلَی النُّورِ (۳) .

و کما قرانا فی الآیه الاولی من هذه السوره فإنّ خلاصه دعوه رسول الإسلام صلّی اللّه علیه و آله و سلّم هی إخراج الناس من الظّلمات الی النّور،فهذه دعوه کلّ الأنبیاء، بل جمیع القاده الروحیین للبشر،فهل الظلم غیر الضلال و الانحراف و الذلّ و العبودیّه و الفساد و الظلم؟!و هل النّور غیر الایمان و التقوی و الحریه و الاستقلال و العزّه و الشرف؟!لذلک فإنّها تمثّل الخطّ المشترک و الجامع بین کلّ دعوات القاده الإلهیین.

ثمّ یشیر القرآن الکریم الی واحده من اکبر مسئولیات موسی علیه السّلام حیث یقول تعالی: وَ ذَکِّرْهُمْ بِأَیّٰامِ اللّٰهِ .

من المتیقّن انّ کلّ الایّام هی ایّام اللّه،کما انّ کلّ الأماکن متعلّقه باللّه جلّ و علا،و إذا کانت هناک نقطه خاصّه تسمّی(بیت اللّه)فذلک بدلیل میزاتها،کذلک ایّام اللّه تشیر الی ایّام ممیّزه لها خصائص منقطعه النظیر.

و لهذا السبب اختلف المفسّرون فی تفسیرها:

قال البعض:انّها تشیر الی ایّام النصر للأنبیاء السابقین و أممهم و الایّام التی شملتهم النعم الالهیّه فیها علی اثر استحقاقهم لها.

و قال البعض الآخر:انّها تشیر الی العذاب الالهی الذی شمل الأقوام الطاغین

۱- ۱) البقره،۲۶.

۲- ۲) ابراهیم،۲۷.

۳- ۳) المعجزات التی ظهرت من موسی بن عمران اشارت إلیها الآیه أعلاه بلفظ الآیات،و هی ۹ معاجز مهمّه طبقا للآیه (۱۰۱)من سوره الاسراء،و التی سوف تأتی ان شاء اللّه فی تفسیر تلک الآیه.

و العاصين لأمر اللّه.

و قال آخرون:انّها تشير الى المعنيين السابقين معا.

لكنّنا-حقّا-لا نستطيع ان نجعل هذه العباره البليغه و الواضحه محدوده، فأيّام اللّه هى جميع الايّام العظيمه فى تاريخ الانسانيّه.فكلّ يوم سطعت فيه الأوامر الالهيّه و جعلت بقيّه الأمور تابعه لها،هى من ايّام اللّه،و كلّ يوم يفتح فيه فصل جديد من حياه الناس فيه درس و عبره،او ظهور نبى فيه،او سقوط جبّار و فرعون-او كلّ طاغ-و محوه من الوجود.خلاصه القول:كلّ يوم يعمل فيه بالحقّ و العداله و يقع فى الظلم و تطفأ فيه بدعه،هو من ايّام اللّه.

و كما سوف نرى انّ روايات الائمّه عليهم السّلام فى تفسير هذه الآيه تشير الى هذه الايّام الحسّاسه.

و فى آخر الآيه يقول تعالى: إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبّٰارٍ شَكُورٍ .

«صبّار»و«شكور»صيغه مبالغه فأحدهما تشير الى شدّه الصبر،و الاخرى الى زياده الشكر،و تعنى انّ المؤمنين كما لا يستسلمون للحوادث و المشاكل التى تصيبهم فى حياتهم،كذلك لا يغترّون و لا يغفلون فى ايّام النصر و النعم،و ذكر هاتين الصفتين بعد الاشاره الى ايّام اللّه دليل على ما قلناه.

تشير الآيه الاخرى الى احد هذه الايّام التى كانت ساطعه و مثمره فى تاريخ بنى إسرائيل،و ذكرها تذكره للمسلمين حيث يقول تعالى: وَ إِذْ قٰالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجٰاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ هؤلاء الفراعنه الذين كانوا يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذٰابِ وَ يُذَبِّحُونَ أَبْنٰاءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِسٰاءَكُمْ وَ فِي ذٰلِكُمْ بَلاٰءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ .

اى يوم اكثر بركه من ذلك اليوم حيث أزال اللّه عنكم فيه شرّ المتكبّرين و المستعمرين،الذين كانوا يرتكبون أفظع الجرائم بحقّكم،و اى جريمه أعظم من ذبح أبنائكم كالحيوانات(انتبه الى انّ القرآن عبّر بالذبح لا بالقتل)و اهمّ من ذلك

فإنّ نواميسكم كانت خدما فی ايدی الطامعين.

و ليس هذا المورد خاصّ ببنی إسرائيل،بل فی جميع الأمم و الأقوام.فإنّ يوم الوصول الی الاستقلال و الحريه و قطع ايدی الطواغيت يوم من ايّام اللّه الذی يجب ان نتذكّره دوما حتّی لا نعود الی ما كنّا عليه فی الايّام الماضيه.

«يسومونكم»من مادّه(سوم)علی وزن(صوم)بمعنی البحث عن الشیء، و تأتی بمعنی فرض عمل علی الآخرين (۱) ،و لهذا فإنّ معنی جمله يسومونكم سوء العذاب:انّ أولئک كانوا يفرضون عليكم اسوا الأعمال و أكثرها تعذيبا.و هل انّ تجميد و اباده الكتله الفعّاله فی المجتمع و استخدام نسائهم و اذلالهنّ علی يد فئه ظالمه و طاغيه يعتبر امرا هيّنا؟! ثمّ انّ التعبير بفعل المضارع«يسومون»اشاره الی انّ هذا العمل كان مستمرّا لمدّه طويله.

و جمله يُذَبِّحُونَ أَبْنٰاءَكُمْ... معطوفه علی «سُوءَ الْعَذٰابِ» و فی عين الوقت هی من مصاديق سوء العذاب،و ذلک بسبب اهميّه هذين العذابين،و هذا توضيح انّ فرعون و قومه الظالمين فرضوا علی بنی إسرائيل احكاما جائره اخری،الاّ انّ هذين العذابين كانا اشدّ و أصعب.

ثمّ يضيف القرآن الكريم وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذٰابِی لَشَدِيدٌ (۲) يمكن ان تكون هذه الآيه من كلام موسی لبنی إسرائيل التی دعاهم فيها الی الشكر فی مقابل ذلک النجاه و النصر و النعم الكثيره، و وعدهم بزياده النعم،و فی حاله كفرهم هدّدهم بالعذاب،و يمكن ان تكون جمله مستقلّه و خطابا للمسلمين،و لكن علی ايّه حال فالنتيجه واحده،لانّه حتّی إذا كان الخطاب موجّها لبنی إسرائيل وروده فی القرآن الكريم ليكون درسا بنّاء لنا.

۱- ۱) راجع المفردات للراغب،و تفسير المنار،[المجلّد الاوّل،ص ۳۰۸] و تفسير الرازی[المجلّد السابع،ص ۷] .

۲- ۲) «تأذّن»من باب«تفعّل»بمعنی الاعلام للتأكيد،لانّ ماده افعال من(إيذان)بمعنی أعلام،و لمّا يصبح من باب تفعّل يستفاد منه الاضافه و التأكيد.

و من الطریف انّه فی حاله الشکر یقول بصراحه لَأَزِیدَنَّکُمْ امّا فی حاله کفران النعم فلا یقول(اعذّبکم)بل یقول: إِنَّ عَذٰابِی لَشَدِیدٌ و هذا التفاوت دلیل علی سموّ اللطف الالهی.

بحوث

اشاره

١-التذکّر لایام اللّه

کما قلنا فی تفسیر الآیه أعلاه،فإنّ اضافه«ایّام»الی«اللّه»اشاره الی الایّام المصیریه و المهمّه فی حیاه الناس،فإنّها بسبب عظمتها أضیفت إلیها کلمه«اللّه»، و کذلک لانّ واحده من النعم الالهیّه الکبیره شملت حال قوم او امّه،او احدی العقوبات الکبری أصابت قوما طاغین بالعذاب الالهی،و قد أراد اللّه تعالی ان یجعل هذه الایّام تذکره باقیه للناس.

الرّوایات الوارده من اهل البیت علیهم السّلام تشیر انّهم فسّروا«ایّام اللّه»بأیّام مختلفه،

فعن الامام الباقر علیه السّلام قال «ایّام اللّه،یوم یقوم القائم علیه السّلام و یوم الکرّه (١) ، و یوم القیامه» (٢) .

و

جاء فی تفسیر علی بن ابراهیم «ایّام اللّه ثلاثه ایّام،یوم قیام المهدی علیه السّلام و یوم الموت،و یوم القیامه».

و

عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال «ایّام اللّه نعماؤه و بلاؤه ببلائه سبحانه» (٣) .

و کما قلنا سابقا فإنّ مثل هذه الأحادیث غیر دالّه علی الحصر إطلاقا،بل هی بیان لقسم من مصادیقها.

١- ١) یوم الکرّه-ای یوم الرجعه.

٢- ٢) نور الثقلین،ج ٢،۵٢۶.

٣- ٣) المصدر السّابق.

و على ايّه حال فتذكر الايّام العظيمه(من ايّام النصر او من ايّام الشدّه)له دور مؤثّر فى يقظه الشعوب،و بالإلهام من هذا النداء السّماوى سوف نحيى الايّام العظيمه فى التاريخ الاسلامى،و نخصّص لها ايّاما معيّنه فى السنه لتجديد ذكراها،لكى نتعلّم منها الدروس التى لها اثر مهمّ فى يومنا هذا.

و فى تاريخنا المعاصر-خصوصا فى تأريخ الثوره الاسلاميه فى ايران- توجد ايّام مثيره جدّا و التى هى بحقّ مصداق ل«ايّام اللّه»و يجب ان نذكرها فى كلّ سنه،و هى التى امتزجت بذكرى الشهداء،المقاتلين،المجاهدين الكبار،و من ثمّ نستلهم منها و نحفظ ميراثهم الكبير.

و على هذا الأساس يجب ان ندخل هذه الايّام العظام ضمن برامج الكتب الدراسيّه فى مدارسنا،و ضمن التعليم و التربيه لأبنائنا،و لكى نعلم مسئوليتنا «و ذكّرهم»فى مقابل الأجيال القادمه.

لقد أشار القرآن الكريم مرارا الى«ايّام اللّه»فنسبها لبنى إسرائيل مرّه، و اخرى للمسلمين،و ذكّرهم بأيّام النعم و العذاب.

۲-طريقه الجبّارين فى التعامل

نقرا مرارا فى آيات القرآن الكريم انّ الفراعنه كانوا يذبحون أبناء بنى إسرائيل و يحتفظون بنسائهم،و هذا العمل لا يقتصر على فرعون،بل كان على طول التاريخ طريقه كلّ المستعمرين حيث كانوا يبيدون قسما من القوى الفاعله و المقاومه،و يضعفون قسما آخر منها و يستخدمونها فى منافعهم الخاصّه،و بدون هذا العمل لا يمكنهم الاستمرار فى استعمارهم.

و المهمّ يجب ان نعلم انّهم كانوا يذبحون الأبناء مباشره مرّه(كالفراعنه) و أحيانا يبيدوهم بالادمان على المخدّرات و المشروبات الكحوليه،و إغراقهم فى دوّاهه الفحشاء لذلک يجب ان ينتبه المسلمون الى هذه المسأله،فإذا سلک

جیل الشباب هذه المسالک المهلکه و فقد سلاح الایمان و مقدرته الجسدیه، فیجب ان یعلم عبودیته للأجانب حتمیه.

۳-الحریه من أفضل النعم

من الطریف انّ الآیه أعلاه بعد ان ذکرت«ایّام اللّه»اشارت بصراحه الی یوم واحد منها،و هو یوم نجاه بنی إسرائیل من قبضه الفراعنه إِذْ أَنْجاکُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ انّ تاریخ بنی إسرائیل ملیء بالایّام العظیمه التی وهبهم اللّه فیها النعم الکبیره تحت ظلّ هدایه موسی،و لکن ذکر(یوم النجاه)فی الآیه أعلاه دلیل علی اهمیّه الحریه و الاستقلال فی مصیر الأمم.

نعم لا تستطیع ای امّه ان تظهر نبوغها و استعدادها الاّ من خلال قطع التبعیه للاجنبی و التحرّر من قبضه الاستعمار و اسره. و لا یمکن ان ترفع قدما فی سبیل اللّه الاّ من خلال محاربه الشرک و الظلم.

و لهذا السبب کان العمل الاوّل للقاده الإلهیین هو تحریر الشعوب من التبعیّه الفکریه و الثقافیه و السیاسیّه و الاقتصادیه،ثمّ العمل فی إیجاد البرامج التوحیدیّه و الانسانیّه لهم.

۴-الشکر سبب لزیاده النعم و الکفر سبب للفناء

ممّا لا شکّ فیه انّ اللّه سبحانه و تعالی لیس بحاجه الی شکرنا فی مقابل نعمه علینا،و إذا أمرنا بالشکر فذاک لنستوجب نعمه اخری و هی واحده من المبادئ السامیه فی التربیه.

المهمّ ان نعرف ما هی حقیقه الشکر؟لکی یتّضح علاقته فی زیاده النعمه من این؟و کیف تستطیع ان تکون عاملا مهمّا للتربیه؟ انّ حقیقه الشکر لیس فقط ما یقوله الإنسان(الحمد للّه)او الشکر اللفظی،بل

هناک ثلاث مراحل للشکر:

الاولی:یجب ان نعلم من هو الواهب للنعم؟هذا العلم و الایمان الرکن الاوّل للشکر.

و الثّانیه:الشکر باللسان.

و الثّالثه:و هی الاهمّ الشکر العملی،ای ان نعلم الهدف من منحنا للنعمه،و فی ایّ مورد نصرفها،و الاّ کفرنا بها،کما قال العظماء:(الشکر صرف العبد جمیع ما أنعمه اللّه تعالی فیما خلق لأجله).

لماذا أعطانا اللّه تعالی العین؟و لماذا وهبنا السمع و النطق؟فهل کان السبب غیر ان نری عظمته فی هذا العالم،و نتعرّف علی الحیاه؟ و بهذه الوسائل نخطو الی التکامل،ندرک الحقّ و ندافع عنه و نحارب الباطل، فإذا صرفنا النعم الالهیّه فی هذا المسیر کان ذلک هو الشکر العملی له،و إذا أصبحت هذه الأدوات وسیله للطغیان و الغرور و الغفله و الابتعاد عن اللّه فهذا هو عین الکفران!

یروی عن الامام الصادق علیه السّلام انّه قال: «ادنی الشکر رؤیه النعمه من اللّه من غیر علّه یتعلّق القلب بها دون اللّه،و الرضا بما أعطاه،و انّ لا تعصیه بنعمه و تخالفه بشیء من امره و نهیه بسبب من نعمته» (1) .

و هنا یتّضح انّ شکر العلم و المعرفه و الفکر و المال و السلامه،کلّ واحد منها من ای طریق یتمّ؟و کیف یکون کفرانها؟

الحدیث الوارد عن الامام الصادق علیه السّلام دلیل واضح علی هذه التّفسیرات حیث یقول:«شکر النعمه اجتناب المحارم» (2) .

و تتّضح ایضا هذه العلاقه بین الشکر و زیاده النعمه،لانّ الناس لو صرفوا

1- 1) سفینه البحار،المجلّد الاوّل،710.

2- 2) نور الثقلین،ج 2،529.

النعم الالهيّه فی هدفها الحقیقی،فسوف یثبتون عملیّا استحقاقهم لها و تکون سببا فی زیاده الفیوضات الالهیّه علیهم.

من الثابت انّ هناک نوعین من الشکر،(شکر تکوینی)و(شکر تشریعی).

«الشکر التکوینی»هو ان یستفید الکائن الحی من مواهبه فی نموّه و رشده،فمثلا یری المزارع انّ القسم الفلانی من مزرعته تنمو فیه الأشجار بشکل جید،و کلّما یخدمها اکثر تنتج اکثر،فهذا الأمر سوف یؤدّی الی ان یقوم المزارع علی خدمه و تربیه ذلک القسم بشکل اکبر،و یوصی مساعدیه بها،لانّ الأشجار تنادیه بلسان حالها:ایّها المزارع،نحن لائقون مناسبون،افض علینا من النعم،و هو یجیبهم بالاثبات.

امّا إذا رای فی قسم آخر أشجارا ذابله و یابسه و لیس لها ثمر،فکفران النعمه من قبلها بهذه الصوره یسبّب عدم اعتناء المزارع بها،و إذا استمرّ الوضع بهذا الحال سوف یقوم بقلعها.

و هذه الحاله موجوده فی عالم الانسانیّه بهذا التفاوت،و هو انّ الأشجار لیس لها الاختیار،بل هی خاضعه للقوانین التکوینیّه،امّا الإنسان فباستفادته فی ارادته و اختیاره و تربیته التشریعیّه یستطیع ان یخطو فی هذا المجال خطوات واثقه.

و لذلک فمن یستخدم نعمه القوّه فی الظلم،ینادی بلسان حاله:الهی،انا غیر لائق لهذه النعمه،و من یستخدمها لاقامه الحقّ و العداله یقول بلسان حاله:الهی، انا مناسب و لائق فزد نعمتک علیّ! و هناک حقیقه غیر قابله-ایضا-للتردید،و هی انّنا فی کلّ مرحله من مراحل الشکر الالهی-ان کان باللسان او العمل-سوف نحتاج الی شکر جدید لمواهب و عطایا جدیده،و لذلک فلسنا قادرین ان نؤدّی حقّ الشکر،کما نقرا

فی مناجاه الشاکرین للإمام زین العابدین علی بن الحسین علیه السّلام: «کیف لی بتحصیل

الشکر و شکری ایّاک یفتقر الی شکر،فکلّما قلت لک الحمد وجب علیّ لذلک ان أقول لک الحمد»! و لهذا فإنّ أعلی مراحل الشکر ان یظهر الإنسان عجزه امام شکر نعمائه تعالی،کما

جاء فی الحدیث عن الامام الصادق علیه السّلام قال: «فیما اوحی اللّه عزّ و جلّ الی موسی:اشکرنی حقّ شکری،فقال:یا ربّ،و کیف أشکرک حقّ شکرک،و لیس من شکر أشکرک به الاّ و أنت أنعمت به علیّ؟قال:یا موسی،الآن شکرتنی حین علمت انّ ذلک منی» (۱) .

هناک عدّه نقاط فی مجال شکر النعمه:

-۱

قال الامام علی علیه السّلام فی احدی حکمه: «إذا وصلت إلیکم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلّه الشکر» (۲) .

۲-یجب الالتفات الی هذا الموضوع،و هو انّ الشکر و الحمد لیس کافیا فی مقابل نعمائه تعالی،بل یجب ان نشکر-کذلک-الأشخاص الذین کانوا وسیله لهذه المواهب و نؤدّی حقوقهم من هذا الطریق،و نشوّقهم اکثر بالخدمه فی هذا السبیل،کما نقرا

فی الحدیث عن الامام علی بن الحسین علیه السّلام قال: «و انّ اللّه یحبّ کلّ قلب حزین و یحبّ کلّ عبد شکور،یقول اللّه تبارک و تعالی لعبد من عبیده یوم القیامه:أ شکرت فلانا؟فیقول:بل شکرتک یا ربّ،فیقول:لم تشکرنی إذ لم تشکره،ثمّ قال:أشکرکم للّه أشکرکم للناس» (۳) .

۳-انّ الوعد فی زیاده نعم الشاکرین لا ینحصر فی النعم المادیه فقط،بل الشکر نفسه مصحوبا بالتوجّه الخاص للّه و الحبّ لساحته المقدّسه هو واحد من النعم الالهیّه الروحیّه الکبیره،و التی لها تأثیر کبیر فی تربیه نفوس الناس،

۱- ۱) اصول الکافی،المجلّد الرابع،صفحه ۸۰ باب الشکر.

۲- ۲) نهج البلاغه الکلمات القصار،رقم ۱۳.

۳- ۳) اصول الکافی،الجزء الثّانی-ص ۹۹-ح ۳۰.

و دعوتهم لطاعه الأوامر الالهيّه،بل الشكر ذاته طريق الى معرفه اللّه،و لهذا السبب ورد عن علماء العقائد فى علم الكلام انّ وجوب شكر المنعم طريق الى اثبات وجوب معرفه اللّه.

۴-انّ احياء روح الشكر فى المجتمع و تقديمه الى مستحقّيه و تقديرهم و حمدهم و ثنائهم على خدمتهم فى طريق تحقيق الاهداف الاجتماعيه بعلمهم و معرفتهم و إيثارهم و استشهادهم،هو عامل مهمّ فى حركه و رقيّ المجتمع.

ففى المجتمع الفاقد للشكر و التقدير نجد القليل جدّا ممّن يريد الخدمه، و على العكس فالمجتمع الذى يقيّم و يثنى على خدمات الأشخاص،يكون اكثر نشاطا و حيويه.

و الالتفات الى هذه الحقيقه ادّى الى ان تقام فى عصرنا مراسيم احتفال لتقدير و شكر الأساطين فى الذكرى المئويه،او الذكرى الالفيه،و ضمن هذا الشكر لخدماتهم يدعى الناس الى الحركه و السعى بشكل اكبر.

احياء هذه الذكريات يساعد على ترشيد الإيثار و التفانى لدى الآخرين، فيرتفع المستوى الثقافى و الاخلاقى لدى الناس،و بتعبير القرآن فإنّ شكر هذه النعمه سوف يبعث على الزياده،و من دم شهيد واحد يبعث آلاف المجاهدين، و يكون مصداقا حيّا ل لَأَزِيدَنَّكُمْ .

الآیات [سوره إبراهيم (١۴): الآیات ٨ الی ١٠]

اشاره

وَ قالَ مُوسی إِنْ تَکْفُرُوا أَنْتُمْ وَ مَنْ فِی اَلْأَرْضِ جَمِیعاً فَإِنَّ اَللّهَ لَغَنِیٌّ حَمِیدٌ (٨) أَ لَمْ یَأْتِکُمْ نَبَؤُا اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِکُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَ عادٍ وَ
ثَمُودَ وَ اَلَّذِینَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا یَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اَللّهُ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَیِّناتِ فَرَدُّوا أَیْدِیَهُمْ فِی أَفْواهِهِمْ وَ قالُوا إِنّا کَفَرْنا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَ إِنّا
لَفِی شَکٍّ مِمّا تَدْعُونَنا إِلَیْهِ مُرِیبٍ (٩) قالَتْ رُسُلُهُمْ أَ فِی اَللّهِ شَکٌّ فاطِرِ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ یَدْعُوکُمْ لِیَغْفِرَ لَکُمْ مِنْ ذُنُوبِکُمْ وَ
یُؤَخِّرَکُمْ إِلی أَجَلٍ مُسَمًّی قالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا تُرِیدُونَ أَنْ تَصُدُّونا عَمّا کانَ یَعْبُدُ آباؤُنا فَأْتُونا بِسُلْطانٍ مُبِینٍ (١٠)

التّفسير

اشاره

أ فی اللّه شکّ

؟ الآیه الاولی من هذه المجموعه تؤیّد و تکمل البحث السابق فی الشکر

ص: ۴۶۶

و الكفران،و ذلك ضمن الكلام الذى نقل عن لسان موسى عليه السّلام وَ قٰالَ مُوسىٰ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللّٰهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (۱) .

انّ الشكر و الايمان باللّه-فى الواقع-سبب فى زياده النعم و التكامل الانسانى،و الاّ فاللّه عزّ و جلّ ليس بحاجه الى اى شىء،و لو كفرت جميع الكائنات و لم تحمده لا تمسّ كبرياءه بأدنى ضرر،لانّه حميد فى ذاته.

و لو كان محتاجا لم يكن واجب الوجود،و على هذا فمفهوم الغنى هو اشتماله لجميع الكمالات،و إذا كان كذلك فهو محمود فى ذاته،لانّ«الحميد»من استحقّ الحمد.

ثمّ يشرح مصير الفئات من الأقوام السابقه ضمن عدّه آيات،الفئات التى كفرت بأنعم اللّه و خالفت الدعوه الالهيّه،و هى تأكيد للآيه السابقه يقول تعالى:

أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

.

يمكن ان تكون هذه الجمله تعقيبا على كلام موسى،او بيان مستقلّ يخاطب به المسلمين،لكن النتيجه غير متفاوته كثيرا،ثمّ يضيف تعالى: قَوْمِ نُوحٍ وَ عٰادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ فهؤلاء لم يطّلع على اخبارهم الاّ اللّه لاٰ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللّٰهُ (۲) .

ممّا لا شكّ فيه انّ قسما من اخبار قوم نوح و عاد و ثمود و الذين من بعدهم قد وصلتنا،و لكن لم يصلنا القسم الأكبر منها و لا يعلمها الاّ اللّه،فتاريخ الأقوام الماضيه مليء بالاسرار و الخصوصيّات بحيث لم يصل إلينا منها الاّ القليل.و لكى يوضّح القرآن الكريم مصيرهم يقول: جٰاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوٰاهِهِمْ اى وضعوا أيديهم على أفواههم من التعجّب و الإنكار وَ قٰالُوا إِنّٰا كَفَرْنٰا بِمٰا أُرْسِلْتُمْ بِهِ

۱- ۱) «إِنْ تَكْفُرُوا» جمله شرطيّه تقديرها محذوف،و جمله«انّ اللّه لغنى حميد»تدلّ على ذلك و كان التقدير«ان تكفروا ...لا تضرّوا اللّه شيئا».

۲- ۲) -جمله لاٰ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللّٰهُ قد تكون معطوفه على ما قبلها و الواو محذوفه،و قد تكون جمله وصفيه للجمله السابقه.

. لمـاذا؟بسـبب وَ إِنّٰا لَفِی شَکٍّ مِمّٰا تَـدْعُونٰا إِلَیْهِ مُرِیبٍ .و معه کیف یمکننا ان نؤمن بما تـدعونا الیه؟ و یرد هنا سؤال،و هو انّهم أظهروا الکفر و عـدم الایمـان بـالرّسول فی البـدایه، و لکن بعـد ذلـک أظهروا الشکّ و الریب،فکیف ینطبق الاثنان؟ الجواب:انّ بیان الشکّ و الترديد-فی الحقیقه-علّه لعدم الایمان،لانّ الایمان بحاجه الی الیقین،و الشکّ مانع لذلک.

و بما انّ الآیه السابقه بیّنت قول المشرکین و الکفّار فی عدم ایمانهم بسبب شکّهم و تردیدهم،فالآیه بعدها تنفی هذا الشکّ من خلال دلیل واضح و عباره قصیره حیث یقول تعالی: قٰالَتْ رُسُلُهُمْ أَ فِی اللّٰهِ شَکٌّ فٰاطِرِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ .

مع انّ«فـاطر»من«فطر»و هی فی الأصل بمعنی«شقّ»الاّ انّه هنا کنایه عن «الخلق»فالخالق هو الموجـد للأشیاء علی أساس نظام دقیق ثمّ یحفظها و یحمیها،کأنّ ظلمه العدم شقّت بنور الوجود،و کما یطلع الفجر من عتمه اللیل، و کما یتشقّق التمر من غلافه.

و لعـلّ«فـاطر»تشیر الی تشـقّق المـادّه الاـوّلیه للعالم.کما نقرأ فی العلوم الحـدیثه انّ مجموع مادّه العالم کانت واحـده مترابطه ثمّ انشقّت الی کراه مختلفه.

و علی ایّه حال،فالقرآن الکریم هنا-کما فی اغلب الموارد الاخری- یستند لاثبات وجود الخالق و صفاته الی نظام الوجود و خلق السّماوات و الأرض،و نحن نعلم انّه لیس هناک أوضح من هذا الدلیل لمعرفه اللّه،لانّ هذا النظام العجیب ملیء بالاسرار فی کلّ زوایاه،و ینادی بلسان حاله:لیس هناک من له القـدره علی هـذه الهنـدسه الاّ القادر الحکیم و العالم المطلق،و لهذا السـبب فکلّما تقدّمت العلوم ظهرت اسرار تدلّ علی الخالق اکثر من السابق و تقرّبنا من اللّه فی کلّ لحظه.

و ما اکثر العجائب فی القرآن؟فکلّ بحوث معرفه اللّه و التوحید-و التی

وردت بصيغه الاستفهام الانكارى-اشارت إليها هذه العباره: أَ فِي اللّهِ شَكٌّ فٰاطِرِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ و هذه العباره إذا أردنا تجزئتها و تحليلها بشكل موسّع لا تكفيها آلاف الكتب.

انّ مطالعتنا لاسرار الوجود و نظام الخلقه لا تهدينا الى وجود اللّه فحسب،بل الى صفاته الكماليه ايضا كعلمه و قدرته و حكمته.

ثمّ يجيب القرآن الكريم على ثانى اعتراض للمخالفين،و هو اعتراضهم على مسأله الرساله(لانّ شكّهم كان فى اللّه و فى دعوه الرّسول)و يقول انّ من المسلّم انّ اللّه القادر و الحكيم لا يترك عباده بدون قائد،بل انّه بإرسال الرسل: يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ (1) .

و زياده على ذلك فإنّه وَ يُؤَخِّرَكُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى كيما تسلكوا سبيل التكامل و تستفيدوا من موهبه الحياه بأقصى ما يمكنكم.

انّ غايه دعوه الأنبياء أمران:أحدهما غفران الذنوب،بمعنى تطهير الروح و الجسم و المحيط الانسانى،و الثّانى استمرار الحياه الى الوقت المعلوم،و الاثنان علّه و معلول،فالمجتمع الذى يستمرّ فى وجوده هو المجتمع النقى من الظلم و الذنوب.

ففى طول التاريخ أبيدت مجتمعات كثيره بسبب الظلم و الذنوب و اتّباع الهوى،و بتعبير القرآن لم يصلوا إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى .

روى فى حديث جامع عن الامام الصادق عليه السّلام قال: «من يموت بالذّنوب اكثر ممّن يموت بالآجال،و من يعيش بالإحسان اكثر ممّن يعيش بالأعمال» (2) .

ص:469

1- 1) هناك جدل بين المفسّرين فى معنى«من»،فقال بعضهم بالتبعيض،اى يغفر قسما من ذنوبكم،و هذا الاحتمال ضعيف لانّ الايمان يؤدّى الى غفران الذنوب كلّها(الإسلام يجب ما قبله)و احتمل البعض الآخر انّ«من»بدل،فيكون معنى الجمله يدعوكم ليغفر ذنوبكم بدل الايمان،و قال آخرون:انّ«من»هنا زائده للتأكيد،و معناه:انّ اللّه تعالى يدعوكم للايمان ليغفر لكم ذنوبكم،و هذا التّفسير نراه اقرب الى الصحّه.

2- 2) سفينه البحار،المجلّد الاوّل،ص 488.

و

عن الامام الصادق ايضا: «انّ الرجل يذنب فيحرم صلاه الليل،و انّ العمل السىء اسرع فى صاحبه من السكّين فى اللحم» (۱) .

و نستفيد من هذه الآيه-ضمنيا-انّ الايمان بدعوه الأنبياء و العمل بأحكامها يأخذ طابع الأجل المعلّق،و تستمرّ حياه الإنسان الى«اجل مسمّى» (لأنّنا نعلم انّ للإنسان نوعين من الآجال،اجل محتوم و يكون بانتهاء الحياه فى جسم الإنسان،و أجل معلّق و يكون بفناء الإنسان على اثر عوامل و موانع فى وسط العمر،و هذا غالبا ما يكون بسبب اللامبالاه و ارتكاب الذنوب،و قد بحثنا هذا الموضوع فى ذيل الآيه(۲)من سوره الانعام).

و مع كلّ ذلك لم يقبل الكفّار المعاندون دعوه الحقّ المصحوبه بوضوح منطق التوحيد،و من خلال بيانهم المشوب بالعناد و عدم التسليم كانوا يجيبون الأنبياء بهذا القول: قٰالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُنٰا علاوه على ذلك تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونٰا عَمّٰا كٰانَ يَعْبُدُ آبٰاؤُنٰا و اكثر من ذلك فَأْتُونٰا بِسُلْطٰانٍ مُبِينٍ .

و قد ذكرنا مرارا(كما صرّح القرآن بذلك)انّ كون الأنبياء بشرا ليس مانعا لنبوّتهم،بل هو مكمّل لها،و لكن أولئك الأقوام يوردون هذه الحجّه دليلا لانكار الرساله،و الهدف-غالبا-هو التبرير و العناد.

و كذلك الحال فى الاستنان بسنّه الأجداد،فإنّها و بالنظر الى هذه الحقيقه و هى انّ معرفه الأجيال القادمه اكثر من الماضين،لا تعدو سوى خرافه و جهل.

و يتّضح من هنا انّ طلبهم لم يكن لاقامه البرهان الواضح،بل لهروبهم من الحقيقه،لانّ القرآن الكريم-كما قرانا مرارا-انّ هؤلاء المعاندين أنكروا الآيات الواضحه و الدلائل البيّنه،و كانوا يقترحون فى كلّ مرّه معجزه و دليلا للتهرّب من الأمر الواقع.

و على كلّ حال نقرا فى الآيات القادمه كيف أجابهم الأنبياء.

۱- ۱) سفينه البحار،المجلّد الاوّل،ص ۴۸۸.

الآيتان [سوره إبراهيم (۱۴): الآيات ۱۱ الی ۱۲]

اشاره

قالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَ لكِنَّ اَللّهَ يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ ما كانَ لَنا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطانٍ إِلاّ بِإِذْنِ اَللّهِ وَ عَلَى اَللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ اَلْمُؤْمِنُونَ (۱۱) وَ ما لَنا أَلاّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اَللّهِ وَ قَدْ هَدانا سُبُلَنا وَ لَنَصْبِرَنَّ عَلى ما آذَيْتُمُونا وَ عَلَى اَللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ اَلْمُتَوَكِّلُونَ (۱۲)

التّفسير

اشاره

التوكّل على اللّه وحده:

نقرا فی هاتین الآیتین جواب الرسل علی حجج المخالفین المعاندین، و اعتراضهم علی بشریه الرسل،فکان جوابهم: قالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَ لكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ یعنی لو افترضنا انّ اللّه تعالی أرسل لکم ملائکه بدل البشر،فهی لا تمتلک شیئا لذاتها،فکلّ المواهب و من جملتها موهبه الرساله و القیاده هی من عند اللّه،فالذی یستطیع ان یهب الملائکه هذا المقام قادر ان یعطیها للإنسان.

و بدیهی انّ هذه المنح من قبل اللّه لیست بدون حساب،و قد قلنا مرارا:انّ

ص: ۴۷۱

المشیئه الالهیّه تسایر حکمته تعالی،فعند ما نسمع قول القائل:«انّ اللّه إذا أراد بعبد خیرا...»یکون المراد العبد المستعدّ لهذه الموهبه.و من المعلوم انّ مقام الرساله موهبه الهیّه،و نحن نری انّ الأنبیاء بالاضافه الی الرساله الالهیّه لهم استعداد و اهلیه لتحمّلها.

ثمّ یجیب علی السؤال الثّالث دون ان یجیب علی الثانی،و کأنّ الاعتراض الثّانی الذی هو الاستنان بسنّه الأجداد لیس له ای اهمیّه و فارغ من المحتوی بحیث انّ ایّ انسان عاقل-بأقلّ تأمّل-یفهم جوابه،بالاضافه الی انّ القرآن الکریم قد أجاب عنه فی آیات أخر.

و جواب السؤال الثّالث هو انّ عملنا لیس الإتیان بالمعاجز،فنحن لا نجلس فی مکان و نلبّی لکم المعاجز الاقتراحیه و کلّ ما سوّلت لکم أنفسکم،بل مٰا کٰانَ لَنٰا أَنْ نَأْتِیَکُمْ بِسُلْطٰانٍ إِلاّٰ بِإِذْنِ اللّٰهِ .

و مع ذلک فإنّ کلّ نبی کان یظهر لقومه المعاجز بمقدار کاف بدون ان یطلبها الناس منه،و ذلک لکی یثبت الأنبیاء احقّیتهم و لتکون المعاجز سندا لصدقهم،مع انّ مطالعه دعوتهم وحدها اکبر اعجاز لهم،و لکن المعترضین غالبا لم یصغوا لذلک، و هم یقترحون کلّ یوم شیئا جدیدا،فإن لم یستجب لهم الرّسول،یقیموا الدنیا و یقعدوها.و لکی یردّ الرسل علی تهدیداتهم المختلفه یقولون: وَ عَلَی اللّٰهِ فَلْیَتَوَکَّلِ الْمُؤْمِنُونَ .

و بعد ذلک استدلّ الأنبیاء علی مسأله التوکّل حیث قالوا: وَ مٰا لَنٰا أَلاّٰ نَتَوَکَّلَ عَلَی اللّٰهِ وَ قَدْ هَدٰانٰا سُبُلَنٰا فالذی منحنا أفضل المواهب،یعنی موهبه الهدایه الی طرق السعاده،سوف یقوم بحمایتنا فی مقابل ای هجوم او مشکله تعترضنا.

ثمّ أضافوا:انّ ملاذنا هو اللّه،ملاذ لا یقهر و هو فوق کلّ شیء: وَ لَنَصْبِرَنَّ عَلیٰ مٰا آذَیْتُمُونٰا و أخیرا انهوا کلامهم بهذه الجمله: وَ عَلَی اللّٰهِ فَلْیَتَوَکَّلِ الْمُتَوَکِّلُونَ .

ملاحظات

اشاره

١-ما هو معنى التوكّل

؟ قرانا فى الآيه الاولى فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ و فى الآيه الثانيه فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ و كأنّ الجمله الثانيه تشير الى مرحله أوسع و اعمّ من الجمله الاولى، يعنى انّ توكّل المؤمنون ممّا لا شكّ فيه-لانّ الايمان باللّه غير منفصل عن الايمان بقدرته و حمايته و التوكّل عليه-بل حتّى غير المؤمنين ملجأهم الى اللّه و لا يجدون سبيلا غيره،لانّ غيره فاقد للأشياء،و كلّ ما فى الوجود ملك لذاته المقدّسه،و لذلك يجب ان يجعلوه وليّا لهم،و يطلبوا منه ان يهديهم توكّلهم هذا للايمان باللّه.

٢-المعاجز بيد اللّه تعالى

أجابت الآيات أعلاه-بشكل واضح-الأشخاص الذين كانوا ينكرون اعجاز الرسل.او ينكرون معاجز رسول الإسلام غير القرآن،و تعلّمنا هذه الآيات انّ الرسل لم يقولوا ابدا:نحن لا نأتى بالمعاجز،بل انّ الأوامر الالهيّه كانت تمنعهم من ذلك،لانّ الاعجاز بيده و فى اختياره،و كلّ ما يراه مصلحه يأمرنا به.

٣-ما هى حقيقه و فلسفه التوكّل

؟ «التوكّل»فى الأصل من«الوكاله»و كما قال الراغب:التوكيل ان تعتمد على غيرك و تجعله نائبا عنك.و نحن نعلم انّ الوكيل الصالح له اربع خصال رئيسيّه:

العلم الكافى،و الامانه،و القدره،و المبالغه فى رعايه مصلحه موكّله.فانتخاب الوكيل المحامى يتمّ فى الأعمال التى لا يستطيع الإنسان نفسه ان يدافع عنها، فيستفيد من مساعده قوّه الآخرين فى حلّ مشاكله.

و على ذلك فالتوكّل على اللّه يتمّ فى حاله عدم استطاعه الإنسان من حلّ

المشاكل الحياتيه و فى مقابل الأعداء و إصرار المخالفين،و أحيانا فى الطرق المسدوده التى تواجهه فى مسيره اهدافه.و لذلك فهو يستند الى اللّه جلّ و علا-و يستمر فى سعيه،بل حتّى لو كان مستطيعا فى أداء اعماله،فيجب ان يعلم انّ اللّه هو المؤثّر الاصلى، لانّ اللّه تعالى فى نظر المؤمن هو منبع لكلّ القدرات.

و النقطه التى تقابل التوكّل على اللّه هى التوكّل على غيره،يعنى الاتّكاليه فى الحياه و التبعيه للآخرين،و عدم الاستقلاليّه،يقول علماء الأخلاق:التوكّل الثمره المباشره لتوحيد افعال اللّه،لانّه-و كما قلنا-من وجهه نظر المؤمن يرتبط كلّ ما فى الكون بالنهايه بذات اللّه المقدّسه،و لذلك فالموحّد يرى انّ جميع اسباب القدره و النصر من عند اللّه.

فلسفه التوكّل

نستفيد ممّا ذكرناه انّه:

اوّلا:انّ الإنسان سوف تزداد مقاومته للمشاكل الصعبه لتوكّله على اللّه الذى هو منبع جميع القدرات و الاستطاعات.

و لهذا السبب فعند ما انهزم المسلمون فى«احد»يقول تعالى: اَلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النّٰاسُ إِنَّ النّٰاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزٰادَهُمْ إِيمٰاناً وَ قٰالُوا حَسْبُنَا اللّٰهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ . (1) .

و هناك نماذج اخرى للمقاومه و الثبات فى ظلّ التوكّل،و من جملتها الآيه ١٢٢ من آل عمران يقول تعالى: إِذْ هَمَّتْ طٰائِفَتٰانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلاٰ وَ اللّٰهُ وَلِيُّهُمٰا وَ عَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ .

و فى الآيه(١٢)من سوره ابراهيم يقول تعالى: وَ لَنَصْبِرَنَّ عَلىٰ مٰا آذَيْتُمُونٰا .

ص:۴۷۴

۱- ۱) آل عمران،۱۷۳.

و فی الآیه(۱۵۹)آل عمران فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شٰاوِرْهُمْ فِی الْأَمْرِ فَإِذٰا عَزَمْتَ فَتَوَکَّلْ عَلَی اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ یُحِبُّ الْمُتَوَکِّلِینَ .

و کذلک یقول القرآن الکریم: إِنَّهُ لَیْسَ لَهُ سُلْطٰانٌ عَلَی الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَلیٰ رَبِّهِمْ یَتَوَکَّلُونَ . (۱)

نستفید من مجموع هذه الآیات انّ القصد من التوکّل ان لا یحسّ الإنسان بالضعف فی مقابل المشکلات العظیمه،بل بتوکّله علی قدره اللّه المطلقه یری نفسه فاتحا و منتصرا،و بهذا الترتیب فالتوکّل عامل من عوامل القوّه و استمداد الطاقه و سبب فی زیاده المقاومه و الثبات.و إذا کان التوکّل یعنی الجلوس فی زاویه و وضع احدی الیدین علی الاخری،فلا معنی لأن یذکره القرآن بالنسبه للمجاهدین و أمثالهم.

و إذا اعتقد البعض انّ التوکّل لا ینسجم مع التوجه الی العلل و الأسباب و العوامل الطبیعیّه،فهو فی خطأ کبیر،لانّ فصل العوامل الطبیعیّه عن الاراده الالهیّه یعتبر شرکا باللّه،او لیست هذه العوامل تسیر بأوامر و مشیئه اللّه؟ نعم إذا اعتقدنا انّ العوامل مستقلّه عن ارادته فهی لا تتناسب مع روح التوکّل.فهل من الصحیح ان نفسّر التوکّل بهذا التّفسیر،مع انّ الرّسول الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الذی هو راس المتوکّلین لم یغفل من استخدام الخطط الصحیحه و الاستفاده من الفرص المتاحه و انواع الوسائل و الأسباب الظاهریه لتحقیق اهدافه،انّ هذا یثبت انّ التوکّل لیس له مفهوم سلبی.

ثانیا:انّ التوکّل ینجّی الإنسان من التبعیه التی هی اصل الذلّ و العبودیه، و یمنحه الحریه و الاعتماد علی النفس.

«التوکّل»و«القناعه»لهما جذور مشترکه،و فلسفتهما متشابهه،و فی نفس الوقت متفاوته،و لا بأس هنا ان نذکر عدّه روایات فی مجال التوکّل و أصله

۱- ۱) النحل،۹۹.

و جذوره:

عن الامام الصادق عليه السّلام قال: «انّ الغنا و العزّ يجولان،فإذا ظفرا بموضع التوكّل أوطنا» (1) و قد عرّف الامام التوكّل بأنّه موطن العزّه و عدم الحاجه للآخرين.

و

عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: سألت جبرئيل:ما هو التوكّل؟قال:(العلم بأنّ المخلوق لا يضرّ و لا ينفع،و لا يعطى و لا يمنع،و استعمال اليأس من الخلق فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوى اللّه و لم يطمع فى احد سوى اللّه فهذا هو التوكّل) (2) .

و

سئل الامام الرضا عليه السّلام:ما حدّ التوكّل؟فقال:«ان لا تخاف مع اللّه أحدا» (3) .

ص:476

1- 1) اصول الكافى،المجلّد الثّانى،باب التفويض الى اللّه و التوكّل عليه حديث-3.

2- 2) بحار الأنوار،ج 15 القسم الثّانى فى الأخلاق،ص 14 الطبعه القديمه.

3- 3) سفينه البحار،المجلد الثّانى،ص 682.

الآيات [سوره إبراهيم (۱۴): الآيات ۱۳ الى ۱۷]

اشاره

وَ قٰالَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنٰا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنٰا فَأَوْحىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ اَلظّٰالِمِينَ (۱۳) وَ لَنُسْكِنَنَّكُمُ اَلْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذٰلِكَ لِمَنْ خٰافَ مَقٰامِي وَ خٰافَ وَعِيدِ (۱۴) وَ اِسْتَفْتَحُوا وَ خٰابَ كُلُّ جَبّٰارٍ عَنِيدٍ (۱۵) مِنْ وَرٰائِهِ جَهَنَّمُ وَ يُسْقىٰ مِنْ مٰاءٍ صَدِيدٍ (۱۶) يَتَجَرَّعُهُ وَ لاٰ يَكٰادُ يُسِيغُهُ وَ يَأْتِيهِ اَلْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكٰانٍ وَ مٰا هُوَ بِمَيِّتٍ وَ مِنْ وَرٰائِهِ عَذٰابٌ غَلِيظٌ (۱۷)

التّفسير

اشاره

خطط الجبّارين المعاندين و مصيرهم

! عند ما يعلم الظالمون بضعف منطقهم و عقيدتهم،يتركون الاستدلال، و يلجأون الى القوّه و العنف،و نقرا هنا انّ الأقوام الكافره العنيده عند ما سمعوا منطق الأنبياء المتين و الواضح قالوا لرسلهم: وَ قٰالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنٰا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنٰا و كأنّ هؤلاء القوم يعتبرون جميع ما

فی الأرض ملکهم،حتّی انّهم لم یمنحوا لرسلهم حقوق المواطنه،و لذلک یقولون «أرضنا».و فی الحقیقه فإنّ اللّه سبحانه و تعالی خلق الأرض و کلّ مواهبها للصالحین،و هؤلاء الجبابره فی الواقع لیس لهم ای حقّ فیها.

و قد یتوهّم البعض انّ جمله لَتَعُودُنَّ فِی مِلَّتِنٰا اشاره الی انّ الأنبیاء السابقین کانوا من أنصار عباده الأصنام،مع انّ الحقیقه لیست کذلک،لأنّهم- و بصرف النظر عن کونهم معصومین حتّی قبل نبوّتهم-فعقلهم و درایتهم کان اکبر من ان یفعلوا هذا العمل غیر الحکیم،فیسجدوا امام الأحجار و الأخشاب.

و یمکن ان یکون هذا التعبیر بسبب انّ الأنبیاء قبل بعثهم لم یؤمروا بالتبلیغ، فسکوتهم أوجد هذا الوهم بأنّهم من المشرکین.

بالاضافه الی انّ الخطاب و ان کان موجّها للرسل،الاّ انّه فی الواقع یشمل حتّی الاصحاب،و نعلم انّهم کانوا مع المشرکین من قبل،فنظر المشرکین کان منصرفا الی الاصحاب فقط،و تعبیر«لتعودنّ»من باب التغلیب(یعنی حکم الاکثریه یسری علی العموم).

و هناک جواب آخر لهذا الوهم و هو انّ«عود»إذا عدّیت ب«الی»یکون معناها الرجوع،و إذا عدیت ب«فی»فتفید تغییر الحال..لذلک فمعنی الآیه لَتَعُودُنَّ فِی مِلَّتِنٰا یکون مفهومها ان تغیّروا من حالکم و تدخلوا فی ملّتنا،و قد اختار هذا المعنی العلاّمه الطباطبائی فی المیزان،و لکن عند مراجعتنا لبعض الآیات و منها کُلَّمٰا أَرٰادُوا أَنْ یَخْرُجُوا مِنْهٰا أُعِیدُوا فِیهٰا تبیّن ان«عود»حتّی لو عدّیت ب«فی»فمعناها الرجوع ایضا(فتدبّر).

ثمّ یضیف القرآن الکریم لتسلیه قلوب الأنبیاء فَأَوْحیٰ إِلَیْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِکَنَّ الظّٰالِمِینَ فلا تخافوا من وعیدهم،و لا تظهروا الضعف فی ارادتکم.

و بما انّ الظالمین کانوا یهدّدون الأنبیاء بالتبعید عن أرضهم،فإنّ اللّه فی مقابل ذلک کان یعد الأنبیاء وَ لَنُسْکِنَنَّکُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ و لکن هذا النصر

ص :۴۷۸

و التوفيق لا ـ ينـاله الاّ ـ ذٰلِكَ لِمَنْ خٰافَ مَقٰامِي وَ خٰافَ وَعِيدِ فلطفه و منّه ليس بـدون حسـاب و دليـل،و لا ـ يناله الاّ من احسّ بمسؤوليته فى مقابل العدل الالهى، لا الظالمين و المعاندين لطريق الحقّ.

و حين انقطعت الأسـباب بالأنبيـاء من كـلّ جـانب،و ادّوا جميع وظـائفهم فى قـومهم،فـآمن منهم من آمن،و بقى على الكفر من بقى،و بلـغ ظلـم الظـالمين مـداه، فى هـذه الأثنـاء طلبـوا النصـر من اللّه تعـالى وَ اسْتَفْتَحُوا... و قـد اسـتجاب اللّه عزّ و جـلّ دعـاء المجاهدين المخلصين وَ خٰابَ كُلُّ جَبّٰارٍ عَنِيدٍ .

«خاب»من الخيبه بمعنى فقدان المطلوب.

و«جبّار»بمعنى المتكبّر هنا،

ورد فى الحديث انّ امراه جاءت النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأمرها بشىء،فلم تطعه فقال النّبى:دعوها فإنّها جبّاره (1) .

و تطلـق هــذه الكلمـه أحيانــا على اللّه جـلّ و علا ـ فتعطى معنى آخر،و هـو(جـبر و إصــلاح مـن هـو بحـاجه الى الإصــلاح)او بمعنى(المتسلّط على كلّ شىء) (2) .

و«العنيد»فى الأصل من«العند»على وزن(رند)بمعنى الاتّجاه،و جاءت هنا بمعنى الانحراف عن طريق الحقّ.

و لذلك نقرا

فى روايه عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «كلّ جبّار عنيد من ابى ان يقول لا اله الاّ اللّه». (3)

و

عن الامام الباقر عليه السّلام قال: «العنيد المعرض عن الحقّ». (4)

و من الطريف انّ«جبّار»تشـير الى صـفه نفسانيه بمعنى روح العصـيان،و «عنيد»تشـير الى آثار تلك الصفه فى افعال الإنسان حيث تصرفه عن طريق الحقّ. ثمّ يبيّن نتيجه عمل الجبّارين فى الآخره ضمن آيتين فى خمسه مواضع:

۱- ۱) تفسير الفخر الرازى ذيل الآيه.

۲- ۲) للتوضيح اكثر راجع تفسير الآيه(۴۳)من سوره المائده من تفسيرنا هذا.

۳- ۳) نور الثقلين،ج ۲،ص ۵۳۲.

۴- ۴) المصدر السابق.

۱-على اثر هذه الخيبه،او انّ مثل هذا الشخص: مِنْ وَرٰائِهِ جَهَنَّمُ .

مع انّ كلمه«وراء»بمعنى«الخلف»فى مقابل امام،الاّ انّها فى هذه الموارد تعنى نتيجه و عاقبه العمل.

۲-امّا فى جهنّم فإنّه وَ يُسْقىٰ مِنْ مٰاءٍ صَدِيدٍ .

«الصديد»القيح المتجمّع بين اللحم و الجلد،و هو بيان للماء المتعفّن الكريه الذى يسقونه.

۳-فهذا المجرم المذنب عند ما يرى نفسه فى مقابل هذا الشراب يَتَجَرَّعُهُ وَ لاٰ يَكٰادُ يُسِيغُهُ يسيغه:من اساغه،و هى وضع الشراب فى الحلق.

۴-و وسائل التعذيب كثيره بحيث وَ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكٰانٍ وَ مٰا هُوَ بِمَيِّتٍ .حتّى يذوق وبال عمله و سيّئاته.

۵-و قد يتصوّر ان ليس هناك عقابا اكثر من ذلك،و لكن وَ مِنْ وَرٰائِهِ عَذٰابٌ غَلِيظٌ .

و بهذا الترتيب فإنّ كلّ ما يخطر فى ذهن الإنسان و ما لا يخطر من شدّه العقاب هو فى انتظار هؤلاء الظالمين و الجبّارين و المذنبين،أسوؤها الشراب المتعفّن الكريه،و العقوبات المختلفه من كلّ طرف،و فى نفس الوقت عدم الموت،بل الاستمرار فى الحياه و ادامه العذاب.

و لكن لا يتصوّر انّ هذا العقاب غير عادل،لانّه-و كما قلنا مرارا-النتيجه الطبيعيّه لعمل الإنسان،بل تجسيم أفعالهم فى الآخره،فكلّ عمل يجسّم بشكل مناسب،و إذا ما شاهدنا جنايات بعض المجرمين فى عصرنا او فى التاريخ القديم لقلنا:حتّى هذه العقوبات قليله.

بحوث

اشاره

۱-ماذا یعنی مقام الربّ

؟ قرانا فی الآیات أعلاه انّ النصر علی الظالمین و اسکان الأرض للذین یخافون مقام ربّهم،فما هو المقصود من«المقام»؟هناک عدّه احتمالات:

الف:-المقصود هو مقام الربّ عند الحساب،کما ذکرت بعض الآیات الاخری وَ أَمّٰا مَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ وَ نَهَی النَّفْسَ عَنِ الْهَویٰ... ، (۱) وَ لِمَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ جَنَّتٰانِ (۲) .

باء:-المقام بمعنی القیام ای المراقبه،و معناه الشخص الذی یخاف من مراقبه اللّه له،و یحسّ بالمسؤولیه.

ج:-و المقام بمعنی«القیام لإجراء العداله و احقاق الحقّ».

و علی ایّه حال،فلا مانع ان تکون الآیه الشریفه متضمّنه لکلّ هذه المفاهیم، فالذین یرون مراقبه اللّه لهم،یخافون من حسابه و اجراء عدالته،خوفا بنّاء یجعلهم یحسّون بمسؤولیاتهم فی کلّ عمل یقومون به،و یبعدهم عن الظلم و الذنوب،فالغلبه و حکومه الأرض من نصیبهم.

۲-هناک جدل بین المفسّرین حول جمله«و استفتحوا»حیث اعتقد البعض بأنّها بمعنی طلب الفتح و النصر،کما ذکرناه سابقا،و شاهدهم الآیه(۱۹)من سوره الأنفال إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جٰاءَکُمُ الْفَتْحُ .

و قال بعض آخر:انّها بمعنی القضاء و الحکومه،یعنی انّ الأنبیاء طلبوا من اللّه ان یحکم بینهم و بین الکفّار،و شاهدهم الآیه(۸۹)من سوره الأعراف رَبَّنَا افْتَحْ بَیْنَنٰا وَ بَیْنَ قَوْمِنٰا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَیْرُ الْفٰاتِحِینَ .

۳-جاء فی التأریخ و التّفسیر انّ الولید بن یزید بن عبد الملک الحاکم الاموی

۱- ۱) النازعات،۴۰.

۲- ۲) الرحمان،۴۶.

الجبّار تفأل بالقرآن يوما لكى يرى حظّه فى المستقبل،فظهرت قوله تعالى وَ اسْتَفْتَحُوا وَ خابَ كُلُّ جَبّارٍ عَنِيدٍ فى بدايه الصفحه،فاستوحش و أخذته العصبيه بحيث مزّق القرآن الكريم ثمّ انشد:

اتوعد كلّ جبّار عنيد؟

فها انا ذاك جبّار عنيد؟

إذا ما جئت ربّك يوم حشر

فقل يا ربّ مزّقنى الوليد

و لكن لم يمض وقت طويل حتّى قتل اسوا قتله من قبل أعدائه،و قطعوا رأسه و علّقوه فوق سطح قصره،و من ثمّ نقلوه الى باب المدينه (1) .

1- 1) تفسير القرطبى،ص 3579.

الآيه [سوره إبراهيم (۱۴): آيه ۱۸]

اشاره

مَثَلُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اِشْتَدَّتْ بِهِ اَلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلىٰ شَيْءٍ ذٰلِكَ هُوَ اَلضَّلاٰلُ اَلْبَعِيدُ (۱۸)

التّفسير

اشاره

رماد اشتدّت به الريح:

ضربت هذه الآيه مثالا واضحا و بليغا لاعمال الكفّار،و بذلك تكمل بحث الآيات السابقه فى مجال عاقبه أمرهم.

يقول تعالى: مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِى يَوْمٍ عاصِفٍ فيتناثر الرماد فى الريح العاصف بحيث لا يستطيع احد جمعه، كذلك منكرو الحقّ ليست باستطاعتهم ان يجمعوا ما كسبوا لاٰ يَقْدِرُونَ مِمّٰا كَسَبُوا عَلىٰ شَيْءٍ ذٰلِكَ هُوَ الضَّلاٰلُ الْبَعِيدُ .

ص :۴۸۳

بحوث

اشاره

۱–لماذا شبّهت اعمالهم كرماد اشتدّت به الريح؟ الجواب:

۱–التشبيه بالرماد(مع إمكان الاستفاده من التراب و الغبار فى ذلك)لانّه عباره عن بقايا الاحتراق،و الآيه توضّح انّ اعمالهم ظاهريه فقط و ليس لها اى محتوى،فيمكن ان تنمو ورده جميله فى حفنه من التراب،و لكن لا يمكن ان ينمو فى الرماد حتّى العلف الرّدىء.

۲–ان ذرّات الرماد غير متلاصقه،و حتّى بمساعده الماء لا يمكن ترابطها فالذرّات تنفصل عن بعضها البعض بسرعه،و كأنّ ذلك يشير الى انّ اعمال الكفّار غير منسجمه و لا موحّده،على العكس من اعمال المؤمنين حيث نراها منسجمه و موحّده و مترابطه و كلّ عمل يكمل العمل الآخر،فروح التوحيد و الوحده لا تقتصر على توحيد الجماعه المؤمنه فى ما بينهم بل تنعكس حتّى فى اعمال الفرد المسلم.

۳–بالرغم من تناثر الرماد فى اشتداد الريح،الّا انّه يؤكّده فى يوم عاصف، لانّ الرياح إذا كانت محدوده و آنيّه فمن الممكن ان ينتقل الرماد من مكان الى مكان ليس بالبعيد،و لكن إذا كان يوم عاصف فمن البديهى ان يتناثر الرماد بشكل واسع،و تنتشر ذرّاته و لا يمكن لايّه قدره جمعها.

۴–إذا كانت العاصفه تهبّ على التبن و أوراق الشجر و تنثرها فى أماكن بعيده الّا انّه يمكن تشخيصها،و لكن ذرّات الرماد من الصغر بحيث لو انتشرت لا يبقى لها اى اثر و كأنّ ليس لها وجود سابق.

۵–انّ الرياح و حتّى العواصف لها فوائد جمّه فى الطبيعه بغضّ النظر عن آثارها المدمّره فى بعض الأحيان،و فوائدها هى:

الف:–تقوم بنشر بذور النباتات فى كلّ مكان من الكره الارضيّه،كالمزارع

و الفلاح.

ب:-تلقّح الأشجار بنقل حبوب اللقاح من الذكور الى الإناث.

ج:-تقوم بتحريك السحاب من المحيطات الى الاراضى اليابسه.

د:-تحكّ الجبال العاليه و تحوّلها الى تراب ناعم و مفيد.

ه:-تنقل الهواء من المناطق القطبيه الى المناطق الاستوائيه و بالعكس، حيث تقوم بدور فعّال فى تعديل درجات الحراره.

و:-انّ حركه الرياح تثير البحار فتجعلها متلاطمه و موّاجه كى يدخل فيها الهواء،لأنّها إذا ركدت سوف تتعفّن،و هكذا نجد انّ كلّ ما فى الوجود من الأشجار و الكائنات الحيّه قد استفاد من هبوب الرياح كلّ على قدره.

و لكن«الرماد»الخفيف الوزن و التافه و عديم الفائده و الذى لا يمكن لاى موجود ان يعيش فيه،هذا الرماد المتناثر يتلاشى بسرعه حينما تهبّ الريح عليه، و يزول حتّى ظاهره غير المفيد.

۲-لماذا فرغت اعمالهم من المحتوى

؟ يجب ان نرى لماذا كانت اعمال الكفّار غير ذات قيمه و غير ثابته؟و لماذا لا يستطيع الكفّار الاستفاده من نتائج اعمالهم؟ و يتّضح الجواب على هذا السؤال لو درسنا المسأله من ناحيه النظره التوحيديّه للعالم،لانّ النيّه و الهدف و المنهجيه هى التى تعطى للعمل شكله و مضمونه،فإذا كانت الخطّه و النيّه و الغايه سالمه و جديره بالاهتمام فسوف يكون العمل كذلك،و لكن لو قمنا بأحسن الأعمال بنيّه غير صادقه و خطّه سقيمه و هدف شيطانى،فإنّ ذلك العمل يكون ممسوخا و يفقد محتواه و يزول كليّا كالرماد إذا اشتدّت به الريح! و لا بأس هنا ان نذكر مثالا حيّا لذلك،نشاهد الآن برامجا تحت عنوان

حقوق الإنسان فی العالم الغربی و من قبل القوی المستکبره،هذه البرامج نفسها کانت تجری من قبل الأنبیاء ایضا،و لکن حصیله الاثنین متفاوته کما بین الأرض و السّماء.فالقوی الاستکباریه عند ما تنادی بحقوق الإنسان فمن المسلّم انّ اهدافها غیر انسانیه و غیر أخلاقیه،بل التغطیه علی جرائمهم و استعمارهم بشکل اکثر،لذلک و علی سبیل المثال لو اعتقل احد جواسیسهم فی مکان ما، فسوف یملأ عویلهم و صراخهم الدنیا بالدفاع،عن حقوق الإنسان،و لکن عند ما تلطّخت أیدیهم بدماء آلاف الناس فی فیتنام،و ارتکبوا الفجائع فی الدول الاسلامیه،و نسیت فیه حقوق الإنسان،بل انّهم استغلّوا حقوق الإنسان لمساعده الانظمه الجائره و العمیله! و لکن الأنبیاء علیهم السّلام او أوصیاءهم ینادون بحقوق البشر لتحریر الإنسان من القیود و الأغلال و الظلم،و عند ما یرون إنسانا مظلوما نراهم یهبون للدفاع عنه بالقول و العمل.

و بهذا النحو یکون الاوّل رماد اشتدّت به الریح،و الثّانی ارض مبارکه طیّبه لنمو النباتات و الثمار و الأوراد.

و یتّضح من هنا ما دار بین المفسّرین من المقصود من العمل فی الآیه أعلاه، و هو انّ مراد الآیه جمیع اعمال الکفّار حتّی اعمالهم الحسنه فی الظاهر،الاّ انّها مبطّنه بالشرک و الإلحاد.

٣-مسأله الإحباط

هناک جدل کبیر بین علماء المسلمین فی مسأله«حبط الأعمال»فهل معناه ذهاب عمل الخیر بسبب عمل الشرّ،او بسبب الکفر و عدم الایمان،و لکن الحقّ ما قلناه فی ذیل الآیه(٢١٧)من سوره البقره،من انّ الإصرار علی الکفر و العناد و ایضا بعض الأعمال الاخری کالحسد و الغیبه و قتل النفس لها آثار سیّئه کبیره

ص:۴۸۶

بحيث تذهب بأعمال الخير و الحسنات.

و الآيه أعلاه دليل آخر فى إمكان حبط الأعمال (۱) .

۴-هل للمخترعين و المكتشفين ثواب الهى

؟ بالنظر للبحوث الآنفه الذكر يرد سؤال مهمّ،و هو انّنا من خلال مطالعتنا فى تأريخ العلوم و الاختراعات و الاكتشافات نرى انّ هناك مجموعه من العلماء استطاعوا ان يقدّموا خدمات جليله للبشريه و تحمّلوا فى سبيل خدمه البشريه منتهى الشدّه و الصعوبه ليقدّموا اختراعاتهم و اكتشافاتهم للناس،فعلى سبيل المثال مخترع الكهرباء«اديسون»تحمّل الصعاب و يقال فقد حياته فى هذا الطريق لكنّه أضاء العالم،و حرّك المعامل،و ببركه اختراعه وجدت الآبار العميقه حيث اخضّرت الأرض و تغيّرت الدنيا.و«باستور»الذى اكتشف المكروب، و أنقذ ملايين الناس من الموت المحتوم..فهؤلاء و عشرات مثلهم كيف يجعلهم اللّه فى جهنّم لكونهم غير مؤمنين؟مع انّ هناك افرادا لم يقدّموا ايّه خدمه للانسانيه طول حياتهم،و يدخلون الجنّه! الجواب:انّ العمل فى حدّ ذاته ليس كافيا من وجهه نظر العقيده الاسلاميه، بل قيمته فى النّيه و القوى المحرّكه له،فكثيرا ما نشاهد من اعمال الخير كبناء مدرسه او مستشفى او اى عمل آخر و هدف صاحبه فى الظاهر هو خدمه المجتمع الانسانى،الاّ انّه تحت هذا الغطاء شىء آخر و ذاك هو حفظ جاهه او ماله او جلب انظار الناس اليه،و تحكيم منافعه الماديه،او حتّى ستر خيانته بعيدا عن انظار الآخرين! و على العكس،فمن الممكن ان يعمل شخص عملا صغيرا،الاّ انّه مخلص فى نيّته صادق،و الآن يجب ان نحقّق فى ملفات هؤلاء الرجال العظام من وجهه

۱- ۱) للاطلاع اكثر راجع تفسير الآيه(۲۱۷)من سوره البقره من تفسيرنا هذا.

نظر عملهم و كذلك الأسباب و الدوافع،و هى لا تخرج من احد امور:

الف:-يكون الهدف من الاختراع أحيانا عملا تخريبيّا(كما فى اكتشاف الطاقه النوويه حيث كان الهدف الاوّل منها صناعه القنابل النوويه)و يمكن الاستفاده منها لخدمه الإنسان،الاّ انّه لم يكن الهدف الاصلى من اختراعها، فقيمه عمل هذه المجموعه من المخترعين واضح تماما.

ب:-و قد يكون هدف المخترع او المكتشف الربح المادّى او الشهره، فحكمه-فى الحقيقه-حكم التاجر الذى يقوم بتأسيس الخدمات العامّه لكى يحصل على أرباح اكثر،و يقوم بتشغيل العمّال و انتاج المحاصيل الزراعيه للبلد، فالهدف من كلّ ذلك هو الحصول على اكبر وارد ممكن،و لو كان هناك عمل اكثر ربحا لركض وراءه.

بالطبع فإنّ هذه التجاره لو كانت طبقا للموازين الشرعيّه،فإنّها ليست حراما،الاّ انّها لا تحتسب عملا مقدّسا و مهمّا.

و مثل هؤلاء المخترعين و المكتشفين ليسوا قليلين على طول التاريخ، فطريقه تفكيرهم ان يقدّموا العمل الأكثر ربحا-حتّى لو كان مضرّا بالمجتمع- (فمثلا صناعه الادويه لها من الفوائد ۲۰٪بينما فى صناعه الهيروئين ۵۰٪فهم يرجّحون الثّانى على الاوّل)فحكم هذه المجموعه واضح ايضا،حيث لم يطلبوا من اللّه و لا من الناس اى شىء و جزاؤهم الربح و الشهره فقط.

ج:-هناك مجموعه ثالثه لا شكّ فى انّ دوافعها انسانيه،او الهيّه إذا كانت الجماعه مؤمنه،و أحيانا يمضون سنين طويله فى زوايا المختبرات بكامل الفاقه و الحرمان على امل ان يقدّموا خدمه لبنى جنسهم،او هديّه للعالم،ليحلّوا أغلال المتعبين،و يمسحوا التراب من وجوب المعذّبين.فإذا كان هؤلاء الافراد مؤمنين و دوافعهم الهيّه فمصيرهم واضح.

و امّا إذا كانوا غير مؤمنين و دوافعهم انسانيّه،فسوف يحصلون على الجزاء

المناسب من اللّه بلا ادنی شک،هذا الجزاء یمکن ان یکون فی الدنیا او الآخره، فاللّه عزّ و جلّ عالم و عادل لا یحرمهم من ذلک،و لکن کیف؟تفاصیله غیر واضحه لنا،و یمکن ان نقول:(انّ اللّه لا یضیع اجر هؤلاء المحسنین فیما إذا کانوا غیر مقصّرین لعدم ایمانهم).

و لیس عندنا ای دلیل من انّ الآیه إِنَّ اللّهَ لاٰ یُضِیعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِینَ لا تشمل هؤلاء الافراد،فإطلاق المحسنین فی القرآن لیس خاصّا بالمؤمنین فقط،و لذلک نری انّ اخوه یوسف لما حضروا عنده و هم لا یعرفوه و یظنّون انّه عزیز مصر قالوا: إِنّٰا نَرٰاکَ مِنَ الْمُحْسِنِینَ . (۱)

و کذلک الآیه فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ خَیْراً یَرَهُ وَ مَنْ یَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ شَرًّا یَرَهُ تشمل هؤلاء الافراد.

عن علی بن یقطین عن الامام الکاظم علیه السّلام قال: «کان فی بنی إسرائیل رجل مؤمن و جاره کافر،و کان هذا الجار الکافر یحسن الی جاره المؤمن،فعند ما ارتحل من الدنیا بنی له اللّه بیتا یمنعه من نار جهنّم.و قیل له:انّ هذا بسبب حسن سیرتک مع جارک المؤمن» (۲) .

و

عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «انّ ابن جدعان اقلّ اهل جهنّم عذابا»قالوا:لماذا یا رسول اللّه؟قال«انّه کان یطعم الطعام» و عبد اللّه بن جدعان احد مشرکی مکّه المعروفین و من زعماء قریش (۳) .

و

عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال لعدی بن حاتم الطائی «رفع عن أبیک العذاب الشدید بسخاء نفسه» (۴) .

و

عن الامام الصادق علیه السّلام قال: «أتی رسول اللّه وفد من الیمن و کان فیهم رجل

۱- ۱) یوسف،۹۰.

۲- ۲) البحار،ج ۳،مطبعه کمبانی ص ۳۷۷.

۳- ۳) المصدر السابق،ص ۳۸۲.

۴- ۴) البحار،ج ۲،ص ۶۰۷.

أعظمهم كلاما و اشدّهم فى محاجه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،فغضب النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتّى التوى عرق الغضب بين عينيه،و تغيّر وجهه و اطرق الى الأرض فأتاه جبرئيل فقال:

ربّك يقرئك السّلام و يقول لك:هذا رجل سخى يطعم الطعام،فسكن عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الغضب و رفع رأسه و قال:لولا ـ انّ جبرئيل اخبرنى عن اللّه عزّ و جلّ انّك سخى تطعم الطعام،لشدوت بك و جعلتك حديثا لمن خلفك،فقال له الرجل:و انّ ربّك ليحبّ السخاء؟فقال:نعم،قال:انّى اشهد ان لا اله الاّ اللّه و انّك رسول اللّه و الذى بعثك بالحقّ لا رددت عن مالى أحدا» (۱) .

و هنا يأتى هذا السؤال و الذى يمكن ان نستفيده من بعض الآيات و كثير من الرّوايات،و هو:هل انّ الايمان و الولايه شرط لقبول الأعمال و الدخول الى الجنّه؟فإذا كان كذلك فإنّ أفضل اعمال الكفّار ليس مقبولا عند اللّه.

و يمكن ان نجيب على هذا السؤال بأنّ مسأله«قبول الأعمال»شىء،و «الجزاء المناسب»شىء آخر،فمثلا ـ المشهور بين علماء المسلمين انّ الصلاه بدون حضور القلب او مع ارتكاب بعض الذنوب كالغيبه غير مقبوله عند اللّه، و نحن نعلم انّ مثل هذه الصلوات صحيحه شرعا،و تحتسب طاعه لاوامر اللّه و تفرغ بها ذمّه المصلّى و الطاعه لا تكون بدون اجر.و لذلك فقبول العمل هو الدرجه العاليه للعمل،و نحن نقول هذا ايضا:إذا كانت الخدمات الانسانيه مصاحبه للايمان فلها أعلى المضامين،و لكن فى غير هذه الصوره لا تكون بدون مضمون و جزاء،و جزاء العمل لا ينحصر بدخول الجنّه. (هذه عصاره الفكره بما يتناسب و هذا التّفسير،و تفصيل ذلك فى الأبحاث الفقهيّه).

۱- ۱) البحار،ج ۲.

الآیتان [سوره إبراهيم (۱۴): الآيات ۱۹ الى ۲۰]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اَللّٰهَ خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩) وَ مٰا ذٰلِكَ عَلَى اَللّٰهِ بِعَزِيزٍ (٢٠)

التّفسير

اشاره

الخلق على أساس الحقّ:

بعد ما بحثنا عن الباطل و انّه كالرماد المتناثر إذا اشتدّت به الريح،نبحث فى هذه الآيه عن الحقّ و استقراره.يقول اللّه تعالى مخاطبا النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم باعتباره الاسوه لكلّ دعاه الحقّ أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ .

«الحقّ»كما يقول الراغب فى مفرداته«المطابقه و التنسيق»و له استعمالات اخرى:فتاره يستعمل الحقّ فى العمل الصادر وفقا للحكمه و النظام كما فى قوله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيٰاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً ... مٰا خَلَقَ اللّٰهُ ذٰلِكَ إِلاّٰ بِالْحَقِّ . (۱)

و تاره يطلق على الشخص الذى قام بهذا العمل المحكم،كما نطلقها على اللّه

۱- ۱) يونس،۵.

عزّ و جلّ فَذٰلِکُمُ اللّهُ رَبُّکُمُ الْحَقُّ . (۱)

و تاره اخری یطلق علی الاعتقاد الذی یطابق الواقع کما فی قوله تعالی:

فَهَدَی اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِیهِ مِنَ الْحَقِّ . (۲)

و مرّه یقال للقول و العمل الذی یتحقّق فی الوقت المناسب کما فی قوله تعالی: حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّی لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ . (۳)

و علی ایّه الحال فمقابل«الحقّ»الباطل و الضلال و اللعب و أمثالهما.

لکنّ الآیه التی نحن بصددها تشیر الی المعنی الاوّل،و هو إنشاء عالم الخلق.

حیث توضّح السّماء و الأرض انّ فی الهدف من خلقها الحکمه و النظام و الحساب.فاللّه تعالی لیس محتاجا فی خلقها و لا ناقصا لکی یسدّ نقصه بها،بل هو الغنی عن کلّ شیء،و هذا العالم الواسع دار لنمو المخلوقات و تکاملها.

ثمّ یضیف:انّ الدلیل فی عدم الحاجه إلیکم و لا الی ایمانکم هو: إِنْ یَشَأْ یُذْهِبْکُمْ وَ یَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِیدٍ .

و هذا العمل لیس صعبا عند اللّه وَ مٰا ذٰلِکَ عَلَی اللّهِ بِعَزِیزٍ .

و الشاهد علی هذا القول فی سوره النساء وَ إِنْ تَکْفُرُوا فَإِنَّ لِلّهِ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ وَ کٰانَ اللّهُ غَنِیًّا حَمِیداً ... إِنْ یَشَأْ یُذْهِبْکُمْ أَیُّهَا النّٰاسُ وَ یَأْتِ بِآخَرِینَ وَ کٰانَ اللّهُ عَلیٰ ذٰلِکَ قَدِیراً . (۴) و هذا التّفسیر بخصوص الآیه أعلاه منقول عن ابن عبّاس.

و هناک احتمال آخر،و هو انّ الجمله أعلاه تشیر الی مسأله المعاد و انّ اللّه قادرا علی ان یفنی جمیع الناس و یأت بخلق آخر،فهل تشکّون فی مسأله المعاد و بعثکم من جدید؟

۱- ۱) یونس،۳۲.

۲- ۲) البقره،۲۱۳.

۳- ۳) السجده،۱۳.

۴- ۴) النساء،۱۳۱ الی ۱۳۳.

الآيات [سوره إبراهيم (۱۴): الآيات ۲۱ الی ۲۳]

اشاره

وَ بَرَزُوا لِلّٰهِ جَمِيعاً فَقٰالَ اَلضُّعَفٰاءُ لِلَّذِينَ اِسْتَكْبَرُوا إِنّٰا كُنّٰا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنّٰا مِنْ عَذٰابِ اَللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ قٰالُوا لَوْ هَدٰانَا اَللّٰهُ
لَهَدَيْنٰاكُمْ سَوٰاءٌ عَلَيْنٰا أَ جَزِعْنٰا أَمْ صَبَرْنٰا مٰا لَنٰا مِنْ مَحِيصٍ (۲۱) وَ قٰالَ اَلشَّيْطٰانُ لَمّٰا قُضِيَ اَلْأَمْرُ إِنَّ اَللّٰهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ اَلْحَقِّ وَ وَعَدْتُكُمْ
فَأَخْلَفْتُكُمْ وَ مٰا كٰانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطٰانٍ إِلاّٰ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاٰ تَلُومُونِي وَ لُومُوا أَنْفُسَكُمْ مٰا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَ مٰا أَنْتُمْ
بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمٰا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ اَلظّٰالِمِينَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ (۲۲) وَ أُدْخِلَ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ جَنّٰاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهٰا سَلاٰمٌ (۲۳)

التّفسير

اشاره

المحادثه الصريحه بين الشيطان و اتباعه:

اشارت الآيات السابقه الى العقاب الشديد للمخالفين و المعاندين

ص: ۴۹۳

و الكافرين،و هذه الآيات تكمل ذاك البحث.

يقول تعالى اوّلا: وَ بَرَزُوا لِلّهِ جَمِيعاً (۱) .

و فى هـذه الأثنـاء يقول الضـعفاء الـذين تـاهوا فى وادى الضـلاله للمسـتكبرين الـذين كانوا سـبب ضـلالهم فَقالَ الضُّعَفاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنّا كُنّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنّا مِنْ عَذابِ اللّهِ مِنْ شَيْءٍ فيجيبونهم بدون توقّف قالُوا لَوْ هَدانَا اللّهُ لَهَدَيْناكُمْ .

و لكن للأسف فالمسأله منتهيه سَواءٌ عَلَيْنا أَ جَزِعْنا أَمْ صَبَرْنا ما لَنا مِنْ مَحِيصٍ .

ملاحظات

اشاره

۱–ما هو المراد من وَ بَرَزُوا لِلّهِ جَمِيعاً

؟ أوّل سؤال يطرح بخصوص هـذه الآـيه هو:هـل أنّ النـاس فى هـذه الـدنيا غير ظاهرين فى علم اللّه لكى تقول الآيه: وَ بَرَزُوا لِلّهِ جَمِيعاً ؟ فى الجواب على هـذا السؤال قال كثير من المفسّـرين:انّ المقصود عدم احساس الناس بهذا الظهور و البروز امام اللّه فى هذه الدنيا،فيكون احساسهم ظاهرا لهم فى الآخره.

و قال بعض ايضا:المقصود هو البروز و الظهور من القبور فى ساحه العدل الالهى للحساب.

هذان التّفسيران جيدان و ليس هناك مانع من ان تجمعا فى مفهوم الآيه.

ص: ۴۹۴

---

۱ – ۱) يجب الانتباه الى انّ«برزوا»فعـل ماضـى،الاّـ انّه جـاء هنـا بصـيغه المسـتقبل،لانّ المسائل المتعلّقه بالقيامه قطعيّه و غير قابله للنقاش،و لذلک وردت فى كثير من الآيات بصيغه الماضى.

۲-ما هو المقصود من جمله لَوْ هَدانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ

؟ يعتقد كثير من المفسّرين انّ المقصود الهدايه عن طريق النجاه من العقاب الالهى فى ذلك العالم،لانّ هذا الحديث قاله المستكبرون لاتباعهم حينما طلبوا منهم ان يغنوا عنهم قسما من العذاب،فالسؤال و الجواب متناسبان و يوحيان انّ المقصود هو هدايتهم للنجاه من العذاب.

و قد استخدم القرآن هذه الكلمه«الهدايه»بخصوص الوصول الى نعم الجنّه، كما يقول اهل الجنّه: وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى هَدانا لِهذا وَ ما كُنّا لِنَهْتَدِىَ لَوْ لا أَنْ هَدانَا اللّهُ . (۱)

و هناك احتمال انّ«قاده الضلاله»حينما يرون أنفسهم امام طلب اتباعهم، و لكى يتنصّلوا من الذنب و يلقوا باللائمه على الغير،كما هى طريقه كلّ المستكبرين-يقولون بكلّ وقاحه:ماذا نعمل؟فلو كان اللّه قد هدانا الى الطريق الصحيح لهديناكم اليه!و معناه انّنا مجبورون على ذلك و ليست لنا اراده حرّه.

و هذا هو منطق الشيطان بعينه،او ليس هو القائل فَبِما أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ؟و لكن يجب ان يعلم المستكبرون انّهم يتحمّلون مسئوليه ذنوب اتباعهم شاؤوا ام أبوا،طبقا لصريح القرآن و الرّوايات،لانّهم المؤسّسون للانحراف و الضلال دون ان ينقص اى شيء من عذاب اتباعهم.

۳-أوضح بيان فى ذمّ التقليد الأعمى

يتّضح لنا من الآيه أعلاه ما يلى:

اوّلا:الأشخاص الذين يضعون زمام أمورهم بيد الآخرين هم ضعفاء الشخصيّه،و قد عبّر عنهم القرآن الكريم ب اَلضُّعَفاءُ .

ثانيا:انّ مصيرهم و مصير قادتهم واحد،و هؤلاء البؤساء لا يستطيعون حتّى فى احلك الظروف ان يستفيدوا من حمايه قادتهم المضلّين،او ان يخفّفوا عنهم

۱- ۱) الأعراف،۴۳.

قلیلا من العذاب،بل یسخرون منهم و یقولون لهم:لا تجزعوا و لا تفزعوا فلا طریق للخلاص و النجاه من العذاب! ثالثا:«برزوا»فی الأصل من مادّه«البروز»ای الظهور او الخروج من الصفّ فی مقابل الخصم فی ساحه القتال،و تأتی ایضا بمعنی المقاتله.

«المحیص»من«المحص»بمعنی التخلّص من العیوب او الألم.

ثمّ یشیر القرآن الکریم الی موقف آخر من مواقف القیامه و العقاب النفسی للجبّارین و المذنبین و اتباعهم الشیاطین،حیث یقول تعالی: وَ قٰالَ الشَّیْطٰانُ لَمّٰا قُضِیَ الْأَمْرُ إِنَّ اللّٰهَ وَعَدَکُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَ وَعَدْتُکُمْ فَأَخْلَفْتُکُمْ و بهذا الترتیب فالشیطان و جمیع المستکبرین الذین هم قاده طرق الضلال،أصبحوا یلومون و یوبّخون تابعیهم البؤساء.

ثمّ یضیف وَ مٰا کٰانَ لِی عَلَیْکُمْ مِنْ سُلْطٰانٍ إِلاّٰ أَنْ دَعَوْتُکُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِی و یستمرّ فی القول فَلاٰ تَلُومُونِی وَ لُومُوا أَنْفُسَکُمْ .

أنتم فعلتم فاللعنه علیکم!! و علی کلّ حال فلا انا أستطیع انقاذکم من العذاب و لا أنتم تستطیعون انقاذی: مٰا أَنَا بِمُصْرِخِکُمْ وَ مٰا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِیَّ و الآن أعلمکم بأنّی أتبرّأ من شرککم و إطاعتکم لی إِنِّی کَفَرْتُ بِمٰا أَشْرَکْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ فقد فهمت الآن انّ الشرک فی الطاعه ادّی الی شقائی و شقائکم،و هذه التعاسه لیس لها طریق للنجاه،و اعلموا إِنَّ الظّٰالِمِینَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ .

بحوث

اشاره

١-جواب الشیطان الحاسم لاتباعه

مع انّ کلمه«الشیطان» (١) لها مفهوم واسع و تشمل کلّ الطواغیت و وساوس

١- ١) للتوضیح اکثر فی معنی الشیطان فی القرآن راجع تفسیر الآیه ٣۶ من سوره البقره من تفسیرنا هذا.

الجنّ و الانس،و لكن فى قراءتنا لهذه الآيه و ما قبلها علمنا انّ المقصود هنا هو شخص إبليس الذى يعتبر رئيسا للشياطين، و لذلك انتخب جميع المفسّرين هذا التّفسير ايضا.

و نستفيد بشكل اكيد من هذه الآيه انّ وساوس الشيطان لا تسلب الإنسان اختياره و حريه ارادته،بل هى مجرّد دعوه ليس اكثر،فالناس هم الذين يلبّون دعوته بإرادتهم،و قد تصل الارضيّه السابقه و الدوام على الخلاف بالإنسان الى حاله من سلب الاختيار فى مقابل وساوسه،كما نشاهد بعض المدمنين على المخدرات،و لكن نعلم انّ السبب الاوّل كان هو الاختيار.يقول تعالى فى الآيه (١٠٠)من سوره النحل: إِنَّمٰا سُلْطٰانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَ الَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ .

و على هذا فالشيطان يجيب بشكل قاطع على الذين يعتبرونه العامل الاوّل فى انحرافهم و ضلالهم،و ما يقوله بعض الجهلاء لتبرئتهم من ذنوبهم،فإنّ السلطان الحقيقى على الإنسان هو ارادته و عمله و لا شىء غيره.

٢-كيف استطاع الشيطان ان يلتقى باتّباعه و يلومهم فى ذاك الموقف الكبير؟ الجواب:هو انّ اللّه تعالى يمنحه القدره على ذلك،و هذا فى الواقع نوع من العقاب النفسى لاتباع الشيطان،و إنذار لكلّ السائرين فى طريقه فى هذه الدنيا، لكى يعلموا من الآن مصيرهم و مصير قادتهم،و على ايّه حال فاللّه تعالى بطريقه ما يهيئ وسيله الارتباط بين الشيطان و اتباعه.

و من الطّريف انّ هذه المواجهه غير منحصره بالشيطان و اتباعه،بل انّ جميع ائمّه الضلاله فى هذا العالم لهم نفس البرنامج ايضا،يأخذون بأيدى اتباعهم (بموافقتهم طبعا)و يذهبون بهم الى أمواج العذاب و البلاء،و حينما يرون الأوضاع سيّئه يتركونهم و شأنهم حتّى انّهم يلومونهم و يوبّخونهم فى خسران

ص :۴۹۷

الدنیا و الآخره.

۳-«المصرخ»من مادّه«اصراخ»و فی الأصل من مادّه«صرخ»،و هی بمعنی الاغاثه و طلب المساعده،و لذلک فالمصرخ بمعنی المغیث،و المستصرخ طالب الاستغاثه.

۴-القصد من اتّخاذ الکفّار الشیطان شریکا فی الآیه أعلاه شرک الطاعه و لیس شرک العباده.

۵-فی انّ جمله إِنَّ الظّالِمِینَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ تابعه لحدیث الشیطان ام کلام مستقل من اللّه تعالی،هناک آراء مختلفه عند المفسّرین،لکن التّفسیر الأقرب هو انّ الجمله مستقلّه و من کلام اللّه حیث قالها فی نهایه حدیث الشیطان مع اتباعه لتکون درسا تربویّا.

و بعد بیان حال الجبّارین و الظالمین و مصیرهم المؤلم،تتطرّق الآیه الاخیره من هذا البحث الی حال المؤمنین و عاقبتهم حیث یقول تعالی: وَ أُدْخِلَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ الی آخر الآیه.

«التحیّه»فی الأصل«الحیاه»و تستعمل لسلامه و حیاه الافراد،و تطلق لکلّ تحیّه و سلام و دعاء فی بدایه اللقاء.

قال بعض المفسّرین:«التحیه»هنا من اللّه للمؤمنین قرینه علی نعمهم و سلامتهم من کلّ أذی و نزاع(لذلک فتحیّتهم اضافه لمفعول،و فاعله اللّه).

و قال البعض الآخر:انّ القصد هو تحیّه المؤمنین فیما بینهم،او تحیّه الملائکه لهم،و علی ایّه حال ف«سلام»التی قیلت بشکل مطلق لها من المفهوم الواسع بحیث یشمل کلّ سلامه من ای نوع من انواع العذاب الروحی و الجسمی (۱) .

۱- ۱) بحثنا هذا الموضوع«السّلام و التحیّه»فی المجلد الثّانی،ذیل الآیه(۸۶):من سوره النساء من تفسیرنا هذا.

الآيات [سوره إبراهيم (۱۴): الآيات ۲۴ الی ۲۷]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اَللّٰهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهٰا ثٰابِتٌ وَ فَرْعُهٰا فِی اَلسَّمٰاءِ (۲۴) تُؤْتِی أُكُلَهٰا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهٰا وَ يَضْرِبُ اَللّٰهُ اَلْأَمْثٰالَ لِلنّٰاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (۲۵) وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اُجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ اَلْأَرْضِ مٰا لَهٰا مِنْ قَرٰارٍ (۲۶) يُثَبِّتُ اَللّٰهُ اَلَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ اَلثّٰابِتِ فِی اَلْحَيٰاةِ اَلدُّنْيٰا وَ فِی اَلْآخِرَةِ وَ يُضِلُّ اَللّٰهُ اَلظّٰالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اَللّٰهُ مٰا يَشٰاءُ (۲۷)

التّفسير

اشاره

الشّجره الطيّبه و الشّجره الخبيثه

! هنا مشهد آخر فی تجسيم الحقّ و الباطل،الكفر و الايمان،الطيّب و الخبيث ضمن مثال واحد جميل و عميق المعنی...يكمل البحوث السابقه فی هذا الباب.

يقول تعالی اوّلا: أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ثمّ يشير الی خصائص هذه الشجره الطيّبه فی جميع ابعادها ضمن عبارات قصيره.

و لكن قبل ان نستعرض هذه الخصائص يجب ان نعرف ما المقصود من

«الكلمه الطيّبه»؟ قال بعض المفسّرين:انّها كلمه التوحيد(لا اله الاّ اللّه).

و قال آخرون:انّها تشير الى الأوامر الالهيّه.

و قال البعض الآخر:انّه الايمان الذى محتواه و مفهومه(لا اله الاّ اللّه).

و قال آخرون فى تفسيرها:انّها شخص المؤمن.

و أخيرا قال بعضهم:انّها الطريقه و البرامج العمليّه.

و لكن بالنظر الى سعه مفهوم و محتوى الكلمه الطيّبه نستطيع ان نقول:انّها تشمل جميع هذه الأقوال،لانّ«الكلمه»فى معناها الواسع تشمل جميع الموجودات،و لهذا السبب يقال للمخلوقات«كلمه اللّه».

و«الطيّب»كلّ طاهر و نظيف،فالنتيجه من هذا المثال انّه يشمل كلّ سنّه و دستور و برنامج و طريقه،و كلّ عمل،و كلّ انسان..و الخلاصه:كلّ موجود طاهر و نظيف و ذى بركه،و جميعها كشجره طيّبه فيها الخصائص التاليه:

۱-كائن يمتلك الحركه و النمو،و ليس جامدا و لا خاملا،بل ثابت و فاعل و مبدع للآخرين و لنفسه(التعبير ب«الشجره»بيان لهذه الحقيقه).

۲-هذه الشجره طيّبه،و لكن من ايّه جهه؟بما انّه لم يذكر لها قسم خاص بها،فإنّها طيّبه من كلّ جهه..منظرها،ثمارها،ازهارها،ظلالها،و نسيمها جميعها طيب و طاهر.

۳-لهذه الشجره نظام دقيق،لها جذور و أغصان،و كلّ واحد له وظيفته الخاصّه،فوجود الأصل و الفرع فيها دليل على سياده النظام الدقيق عليها.

۴-أصلها ثابت محكم بشكل لا يمكن ان يقلعها الطوفان و لا العواصف.

و باستطاعتها ان تحفظ أغصانها العاليه فى الفضاء و تحت نور الشمس،لانّ الغصن كلّما كان عاليا يحتاج الى جذور قوّيه أَصْلُها ثابِتٌ .

۵-انّ أغصان هذه الشجره الطيّبه ليست فى محيط ضيّق و لا ردىء،بل

مقرّها فی عنان السّماء،و هذه الاغصان و الفروع تشقّ الهواء و تصعد فیه عالیا وَ فَرْعُها فِی السَّماءِ .

و من الواضح انّ الاغصان کلّما کانت عالیه و سامقه تکون بعیده عن التلوّث و الغبار و تصبح ثمارها نظیفه،و تستفید اکثر من نور الشمس و الهواء الطلق، فتکون ثمارها طیّبه جدّا (۱) .

۶-هذه الشجره کثیره الثمر لا کالأشجار الذابله العدیمه الثمر،و لذلک فهی کثیره العطاء تُؤْتِی أُکُلَها .

۷-و ثمارها لیست فصلیه،بل فی کلّ فصل و زمان،فإذا أردنا ان نمدّ یدنا الی أغصانها فی ای وقت لم نرجع خائبین کُلَّ حِینٍ .

۸-انّ إنتاجها من الثمار یکون وفق قوانین الخلقه و السنن الالهیّه و لیس بدون حساب بِإِذْنِ رَبِّها .

و الآن یجب ان نفتّش،این نجد هذه الخصائص و البرکات؟ نجدها بالتأکید فی کلمه التوحید و محتواها،و فی الإنسان الموحّد ذی المعرفه،و فی البرامج الحیّه النظیفه،و جمیعها نامیه و متحرّکه و لها اصول ثابته و محکمه و فروع کثیره و عالیه بعیده عن التلوّث بالادران الجسدیّه و الدنیویه، و کلّها مثمره و فیّاضه.

و ما من احد یأتی إلیها و یمدّ یده الی فروعها الاّ و یستفید من ثمارها اللذیذه العطره،و تتحقّق فیه الخصال المذکوره،فعواصف الاحداث الصعبه و المشاکل الکبیره لا تزحزحه من مکانه،و لا یتحدد،وافق تفکیره فی هذه الدنیا الصغیره، بل یشقّ حجب الزمان و المکان و یسیر نحو المطلق اللامتناهی.

سلوکهم و برامجهم لیست تابعه للهوی و الهوس،بل طبقا للأوامر الالهیّه

۱- ۱) و یظهر هذا الأمر بشکل واضح فی ثمار الأشجار،فثمار الاغصان العالیه تکون انضج و أطیب طعما من ثمار الاغصان الواطئه.

و بإذن ربّهم،و هذا هو مصدر الحركه و النمو فی حركتهم.

الرجال العظام من المؤمنين هم كلمه اللّه الطيّبه،و حياتهم اصل البركه، دعوتهم توجب الحركه،آثارهم و كلماتهم و أقوالهم و كتبهم و تلاميذهم و تاريخهم..و حتّی قبورهم جميعها ملهمه و حيّه و مربّيه.

نعم وَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْأَمْثٰالَ لِلنّٰاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ .

و هناك سؤال مطروح بين المفسّرين و هو:هل لوجود هذه الشجره و صفاتها واقع خارجی؟ يعتقد البعض بوجودها و هی النخله،و لذلك اضطروا الی ان يفسّروا كُلَّ حِينٍ بستّه أشهر.

و لكن لا حاجه الی الإصرار فی وجود مثل هذه الشجره،بل هناك تشبيهات كثيره و ليس لها وجود خارجی أصلا.

و علی ايّه حال،فالهدف من التشبيه هو تجسيم الحقائق و المسائل العقليّه و صبّها فی قالب الحواس،و هذه الأمثال ليس فيها ای إبهام،بل هی مقبوله و مؤثّره و جذّابه.

و فی عين الحال هناك أشجارا فی هذه الدنيا ثمارها لا تنقطع علی طول السنه،و قد رأينا بعض الأشجار فی المناطق الحارّه و كانت مثمره و فی نفس الوقت لها ازهار جديده للثمار المقبله! و بما انّ احد أفضل الطرق لتوضيح المسائل هو الاستفاده من طريق المقابله و المقايسه،فقد جعلت النقطه المقابله للشجره الطيّبه،الشجره الخبيثه وَ مَثَلُ كَلِمَهٍ خَبِيثَهٍ كَشَجَرَهٍ خَبِيثَهٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مٰا لَهٰا مِنْ قَرٰارٍ .

و الكلمه«الخبيثه»هی كلمه الكفر و الشرك،و هی القول السیء و الردیء، و هی البرنامج الضالّ و المنحرف،و الناس الخبثاء،و الخلاصه:هی كلّ خبيث و نجس.

ص :۵۰۲

و من البديهى انّ مثل هذه الشجره ليس لها اصل،و لا نمو و لا تكامل و لا ثمار و لا ظلّ و لا ثبات و لا استقرار،بل هى قطعه خشبيّه لا تصلح الاّ للاشتعال...

بل اكثر من ذلک هى قاطعه للطريق و تزاحم السائرين و أحيانا تؤذى الناس! و من الطريف انّ القرآن الكريم فصل الحديث فى وصف الشجره الطيّبه بينما اكتفى فى وصف الشجره الخبيثه بجمله قصيره واحده اُجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مٰا لَهٰا مِنْ قَرٰارٍ ، و هذا نوع من لطافه البيان ان يتابع الإنسان جميع خصوصيات ذكر«المحبوب»بينما يمرّ بسرعه فى جمله واحده بذكر«المبغوض»! و مرّه اخرى نجد المفسّرين اختلفوا فى تفسير الشجره الخبيثه،و هل لها واقع خارجى؟ قال البعض:انّها شجره«الحنظل»و التى لها ثمار مرّه و رديئه.

و اعتقد آخرون انّها«الكشوت»و هى نوع من الاعشاب المعقّده التى تنبت فى الصحراء و لها اشواک قصيره تلتفّ حولها و ليس لها جذر و لا أوراق.

و كما قلنا فى تفسير الشجره الطيّبه،ليس من اللازم ان يكون للشجره الخبيثه وجود خارجى فى جميع صفاتها،بل الهدف هو تجسيم الوجه الحقيقى لكلمه الشرک و البرامج المنحرفه و الناس الخبثاء،و هؤلاء كالشجره الخبيثه ليس لها ثمار و لا فائده...الاّ المتاعب و المشاكل.مضافا الى انّ الأشجار و النّباتات الخبيثه التى قلعتها الأعاصير ليست قليله.

و بما انّ الآيات السابقه جسّدت حال الايمان و الكفر،الطيّب و الخبيث من خلال مثالين صريحين،فإنّ الآيه الاخيره تبحث نتيجه عملهم و مصيرهم النهائى، يقول تعالى: يُثَبِّتُ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثّٰابِتِ فِي الْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا وَ فِي الْآخِرَةِ لانّ ايمانهم لم يكن ايمانا سطحيا و شخصيتهم لم تكن كاذبه و متلوّنه،بل كانت شجره طيّبه أصلها ثابت و فرعها فى السّماء،و بما انّ ليس هناک من لا يحتاج الى اللطف الالهى،و بعباره اخرى:كلّ المواهب تعود لذاته المقدّسه،فالمؤمنون

ص :۵۰۳

المخلصون الثابتون بالاستناد الى اللطف الالهى يستقيمون كالجبال فى مقابل ايّه حادثه.و اللّه تعالى يحفظهم من الزلّات التى تعتريهم فى حياتهم.و من الشياطين الذين يوسوسون لهم زخرف الحياه ليزلّوهم عن الطريق.

و كذلك فاللّه تعالى يثبّتهم امام القوى الجهنّميه للظالمين القساه،الذين يسعون لاخضاعهم بأنواع التهديد و الوعيد.

و من الطريف انّ هذا الحفظ و التثبت الإلهيين يستوعبان كلّ حياتهم فى هذه الدنيا و فى الآخره،فهنا يثبتون بالايمان و يبرؤون من الذنوب،و هناك يخلدون فى النعيم المقيم.

ثمّ يشير الى النقطه المقابله لهم وَ يُضِلُّ اللّٰهُ الظّٰالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اللّٰهُ مٰا يَشٰاءُ .

قلنا مرارا:انّ الهدايه و الضلال التى تنسب الى اللّه عزّ و جلّ لا تتحقّقان الاّ بأن يرفع الإنسان القدم الاوّل لها،فاللّه عزّ و جلّ عند ما يسلب المواهب و النعم من العبد او يمنحها له يكون ذلك بسبب استحقاقه او عدم استحقاقه.

و وصف«الظالمين»بعد جمله «يُضِلُّ اللّٰهُ» أفضل قرينه لهذا الموضوع،يعنى ما دام الإنسان غير ملوّث بالظلم لا تسلب الهدايه منه،امّا إذا تلوّث بالظلم و عمّت وجوده الذنوب،فسوف يخرج من قلبه نور الهدايه الالهيّه،و هذه عين الاراده الحرّه.و بالطبع إذا غيّر مسيره بسرعه فطريق النجاه مفتوح له،و لكن إذا استحكم الذنب فإنّ طريق العوده يكون صعبا جدّا.

بحوث

اشاره

١-هل القصد من الآخره فى الآيه هو القبر

؟ نقرا فى روايات متعدّده انّ اللّه يثبت الإنسان على خطّ الايمان عند ما يواجه اسئله الملائكه فى القبر،و هذا معنى الآيه يُثَبِّتُ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثّٰابِتِ

فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ فِی الْآخِرَهِ

.

و لقد وردت کلمه«القبر»بصراحه فی بعض هذه الرّوایات (۱) .

و لکن هناک

روایه شریفه عن الامام الصادق علیه السّلام قال: «انّ الشیطان لیأتی الرجل من أولیائنا عند موته عن یمینه و عن شماله لیضلّه عمّا هو علیه،فیأبی اللّه عزّ و جلّ له ذلک،و هو قول اللّه عزّ و جلّ: یُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثّابِتِ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ فِی الْآخِرَهِ . (۲)

و اکثر المفسّرین یمیلون الی هذا التّفسیر،طبقا لما نقله المفسّر الکبیر العلاّمه الطبرسی فی مجمع البیان و لعلّ ذلک یعود الی انّ الآخره لیست محلا للأعمال و لا للانحراف،بل هی محلّ الحصول علی النتائج فحسب و لکن عند وقوع الموت و حتّی فی البرزخ(الذی هو عالم بین الدنیا و الآخره)قد تحصل بعض الهفوات،فهنا یکون اللطف الالهی عاملا فی حفظ و ثبات الإنسان.

۲-دور الثبات و الاستقامه

من بین جمیع الصفات التی ذکرتها الآیات أعلاه للشجره الطیّبه و الخبیثه، وردت مسأله الثبات و عدم الثبات بشکل اکثر،و حتّی فی بیان ثمار هذه الشجره یقول تعالی: یُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا و بهذا الترتیب تتّضح لنا اهمیّه الثبات و دوره فی حیاه الإنسان.

فکثیر من الأشخاص من ذوی القابلیات المتوسطه،الاّ انّهم ینالون انتصارات کبیره فی حیاتهم،ثمّ إذا حقّقنا فی الأمر لم نجد دلیلا الاّ الثبات و الاستقامه لدیهم.

و من جهه اجتماعیه لا یتحقّق ای تقدّم فی البرامج الاّ فی ظلّ الثبات،و لهذا السبب نجد المخرّبین یسعون فی تدمیر الاستقامه،و لا نعرف المؤمنین الصادقین

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین،ج ۲،صفحه ۵۴۰-۵۴۱.

۲- ۲) المصدر السابق.

الّا من خلال استقامتهم و ثباتهم فی مقابل الحوادث الصعبه.

۳-الشجره الطیّبه و الخبیثه فی الرّوایات الاسلامیه

کما قلنا أعلاه فإنّ کلمه«الطیّبه»و«الخبیثه»التی شبّهت الشجرتان بها،لها مفهوم واسع بحیث تشمل کلّ شخص و برنامج و مبدا و فکر و علم و قول و عمل، و لکن وردت فی بعض الرّوایات فی موارد خاصّه و لکن لا تنحصر بها.

و من جملتها ما

ورد فی الکافی عن الامام الصادق علیه السّلام فی تفسیر الآیه کَشَجَرَهٍ طَیِّبَهٍ أَصْلُهٰا ثٰابِتٌ وَ فَرْعُهٰا فِی السَّمٰاءِ قال:«رسول اللّه أصلها و امیر المؤمنین فرعها،و الائمّه من ذرّیتهما أغصانها،و علم الائمّه ثمرها،و شیعتهم المؤمنون ورقها،هل فیها فضل؟»(ای هل یبقی شیء)قال قلت:لا و اللّه،قال:

«و اللّه انّ المؤمن لیولد فتورق ورقه فیها،و انّ المؤمن لیموت فتسقط ورقه منها» (۱) .

و

عنه ایضا علیه السّلام حینما سأله سائل عن معنی الآیه تُؤْتِی أُکُلَهٰا کُلَّ حِینٍ بِإِذْنِ رَبِّهٰا قال:«ذاک علم الائمّه یأتیکم کلّ عام من کلّ المناطق» (۲) .

و

فی روایه اخری: «الشجره الطیّبه رسول اللّه و علی و فاطمه و بنوها، و الشجره الخبیثه بنو امیّه» (۳) .

و فی بعضها الآخر فسّرت الشجره الطیّبه بالنخل و الخبیثه بالحنظله.

و علی ایّه حال لیس هناک من تضادّ بین هذه التفاسیر،بل بینها و بین ما قلناه أعلاه ترابط و تنسق،لأنّها مصادیقها.

۱- ۱) نور الثقلین،ج ۲،ص ۵۳۵.

۲- ۲) المصدر السابق.

۳- ۳) المصدر السابق.

الآيات [سوره إبراهيم (١۴): الآيات ٢٨ الى ٣٠]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اَللّٰهِ كُفْراً وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دٰارَ اَلْبَوٰارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهٰا وَ بِئْسَ اَلْقَرٰارُ (٢٩) وَ جَعَلُوا لِلّٰهِ أَنْدٰاداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى اَلنّٰارِ (٣٠)

التّفسير

اشاره

نهايه كفران النعم:

الخطاب فى هذه الآيات موجّه للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو فى الحقيقه عرض لواحد من موارد«الشجره الخبيثه».

يقول تعالى اوّلا: أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا... الى نهايه الآيه.هؤلاء هم جذور الشّجره الخبيثه و قاده الكفر و الانحراف، لديهم أفضل نعمه و هو رسول اللّه،و باستطاعتهم ان يستفيدوا منه فى الطريق الى السعاده،الاّ انّ تعصّبهم الأعمى و عنادهم و حقدهم صارت سببا فى تركهم هذه النعمه الكبيره،و لم يقتصروا على تركها فحسب.بل اضلّوا قومهم ايضا ممّا جعلهم يسلكون هذا السلوك.

مع انّ بعض المفسّرين الكبار عند متابعتهم للروايات الاسلاميه فسّروا-

أحيانا-هذه النعمه بوجود النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و أحيانا أخرى بالأئمه علیهم السّلام،و فسّروا الكافرين بهذه النعمه«بنی امیّه»و«بنی المغیره»مرّه،و مرّه اخرى جمیع الكفّار الذين عاصروا عهد النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و لكن من المسلّم به انّ للآیه مفهوما أوسع من هذا،و لیس مختصّا بمجموعه معیّنه،بل تشمل جمیع الافراد الذين یكفرون بالنعم الالهیّه.

و تثبت الآیه ضمنا هذه الحقیقه،و هی انّ الاستفاده من وجود القاده العظام تعود لنفس الإنسان،كما انّ الكفر بهذه النعمه العظیمه یؤدّی الی الهلاک و البوار.

ثمّ انّ القرآن الكریم یفسّر دار البوار بقوله تعالى: جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهٰا وَ بِئْسَ الْقَرٰارُ (1) .

ثمّ یشیر فی الآیه الاخرى الی واحده من أسوإ انواع كفران النعم وَ جَعَلُوا لِلّٰهِ أَنْدٰاداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ لكی یستفیدوا عدّه ایّام من حیاتهم المادیّه و من رئاستهم و حكومتهم فی ظلّ الشرک و الكفر لإضلال الناس عن طریق الحقّ.

ایّها النّبی قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النّٰارِ .

فحیاتكم هذه شقاء و رئاستكم فاسده،و مع ذلک فانّها تعدّ حیاه لذیذه و سعیده بالنسبه للنهایه التی تنتظرهم،كما نقرا فی آیه اخرى قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحٰابِ النّٰارِ . (2) .

بحوث

١-یقال فی العبارات الدارجه:انّ الشخص الفلانی كفر بنعمه اللّه،و لكن الآیه أعلاه تقول: اَلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللّٰهِ كُفْراً انّ هذا التعبیر الخاص یدلّ علی

ص:٥٠٨

١- ١) «یصلون»من«الصلی»بمعنی الاشتعال و الاحتراق بالنار.

٢- ٢) الزمر،٨.

احد أمرين:

الف:المراد من تبديل«النعمه»الى«كفران»هو عدم شكرهم لهذه النعم، فبدّلوا الشكر بالكفران(فى الحقيقه كلمه الشكر مقدّره،ففى التقدير:الذين بدّلوا شكر نعمه اللّه كفرا).

ب:-انّ المقصود هو تبديلهم نفس«النعمه»«كفرا»، و فى الحقيقه فإنّ النعم الالهيّه وسائل،و طريقه استعمالها مرتبطه بإراده الإنسان،فمثلما يمكن ان نستفيد منها فى طريق السعاده و الايمان و العمل الصالح،يمكن ان نستعملها كذلك فى مسير الكفر و الظلم و الفساد،فهى كالمواد الاوّليه التى يمكن بمساعدتها الحصول على انواع مختلفه من الانتاج،الاّ انّها خلقت فى الأصل للخير و السعاده.

۲-ليس«كفران النعم»عدم الشكر اللسانى فقط،بل كلّ استفاده غير صحيحه و منحرفه للنعم،تلك هى حقيقه الكفران،و امّا عدم الشكر باللسان ففى الدرجه الثانيه،و كما قلنا سابقا فإنّ شكر النعمه تعنى صرفها فى الهدف الذى خلقت من اجله،و الشكر عليها باللسان يأتى فى الدرجه الثانيه،فإذا قلنا آلاف المرّات:الحمد للّه،و لكنّنا اسأنا عمليّا الاستفاده من النعم،فذلك كفران للنعم.

و فى عصرنا الحاضر أفضل نموذج لتبديل النعم بالكفران هو استخدام الإنسان لمواهب الطبيعه بفكره و مهارته التى منحها اللّه للإنسان لخدمه منافعه الخاصّه.فالاكتشافات العلميّه و الخبرات الصناعيه غيّرت وجه العالم و رفعت عن كاهل الإنسان عبئا ثقيلا و وضعته على عجلات المعامل.فالمواهب و النعم الالهيّه اكثر من اى زمن آخر،و وسائل نشر المعارف و انتشار العلوم و معرفه جميع اخبار العالم متوفّره فى ايدى الجميع،فيجب على الناس فى هذا العصر ان يكونوا سعداء من الناحيه الماديّه و المعنويه.

و لكن بسبب تبديل النعم الالهيّه الكبيره الى كفران،و صرف القوى الطبيعيّه

فی طریق الظلم و الطغیان و استخدام الاختراعات و الاکتشافات فی طریق الاهداف المخربه بحیث انّ کلّ تطور صناعی یستخدم اوّلا فی عملیات التدمیر.

و خلاصه القول:انّ عدم الشکر هذا و الذی هو بعید عن التعالیم الصالحه للأنبیاء ادّی الی ان یجرّوا قومهم و مجتمعهم الی دار البوار.

و دار البوار هذه هی مجموعه من الحروب الاقلیمیّه و العالمیّه بکلّ آثارها التخریبیّه،و کذلک عدم الأمن و الظلم و الفساد و الاستعمار حیث یبتلی بها فی النهایه المؤسّسون لها ایضا،کما رأینا فی السابق و نراه الیوم.

و ما الطف تصویر القرآن حیث جعل مصیر کلّ الأقوام و الأمم التی کفرت بأنعم اللّه الی دار البوار.

۳-«أنداد»جمع«ندّ»بمعنی«المثل»و لکن الراغب فی مفرداته و الزبیدی فی تاج العروس قالا:انّ«النّدّ»یقال للشیء الذی یشابه الشیء الآخر جوهریا،و «المثل»یطلق علی کلّ شیء شبیه لشیء،و لذلک فالندّ له معنی اعمق و ادقّ من المثل.

و طبقا لهذا المعنی نستفید من الآیه أعلاه انّ ائمّه الکفر کانوا یسعون لان یجعلوا للّه شرکاء و یشبهوهم فی جوهر ذاتهم باللّه عزّ و جلّ،لکی یضلّوا الناس عن عباده اللّه و یحصلوا علی مقاصدهم الشریره.

فتاره یقرّبون لهؤلاء الشرکاء القرابین،و اخری یجعلون قسما من النعم الالهیّه(کبعض الانعام)مخصوصه للأصنام،و یعتقدون أحیانا بعبادتها.و اوقح من ذلک کلّه کانوا یقولون أثناء حجّهم فی عصر الجاهلیه:(لبّیک لا شریک لک-الا شریک هو لک-تملکه و ما ملک) (۱) .

۱- ۱) تفسیر الفخر الرازی ذیل الآیه أعلاه.

الآیات [سوره إبراهیم (۱۴): الآیات ۳۱ الی ۳۴]

اشاره

قُلْ لِعِبٰادِیَ اَلَّذِینَ آمَنُوا یُقِیمُوا اَلصَّلاٰهَ وَ یُنْفِقُوا مِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ سِرًّا وَ عَلاٰنِیَهً مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَ یَوْمٌ لاٰ بَیْعٌ فِیهِ وَ لاٰ خِلاٰلٌ (۳۱) اَللّٰهُ اَلَّذِی خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ مِنَ اَلسَّمٰاءِ مٰاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ اَلثَّمَرٰاتِ رِزْقاً لَکُمْ وَ سَخَّرَ لَکُمُ اَلْفُلْکَ لِتَجْرِیَ فِی اَلْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ سَخَّرَ لَکُمُ اَلْأَنْهٰارَ (۳۲) وَ سَخَّرَ لَکُمُ اَلشَّمْسَ وَ اَلْقَمَرَ دٰائِبَیْنِ وَ سَخَّرَ لَکُمُ اَللَّیْلَ وَ اَلنَّهٰارَ (۳۳) وَ آتٰاکُمْ مِنْ کُلِّ مٰا سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اَللّٰهِ لاٰ تُحْصُوهٰا إِنَّ اَلْإِنْسٰانَ لَظَلُومٌ کَفّٰارٌ (۳۴)

التّفسیر

اشاره

عظمه الإنسان من وجهه نظر القرآن:

تعقیبا للآیات السابقه فی الحدیث عن برنامج المشرکین و الذین کفروا بأنعم اللّه و کون مصیرهم الی دار البوار،تتحدّث هذه الآیات عن برنامج عباد اللّه المخلصین و النعم النازله علیهم،یقول تعالی: قُلْ لِعِبٰادِیَ الَّذِینَ آمَنُوا یُقِیمُوا

ص:۵۱۱

الصَّلاٰهَ وَ يُنْفِقُوا مِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ سِرًّا وَ عَلاٰنِيَهً

قبل ان يأتى ذلک اليوم الـذى لا يستطيع فيه الإنسان من التخلّص من العـذاب بشـراء السـعاده و النعيم الخالـد،و لا تنفع الصداقه حينئذ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاٰ بَيْعٌ فِيهِ وَ لاٰ خِلاٰلٌ .

ثمّ تتطرّق الآـيه الى معرفه اللّه عن طريـق نعمه،معرفه تـؤدّى الى احيـاء ذكره فى القلوب،و تحثّ الإنسـان على تعظيمه فى مقـابل لطفه و قدرته،لانّ من الأمور الفطريه ان يشعر الإنسان فى قلبه بالحبّ و الودّ لمن أعانه و احسن اليه.

و يبيّن هـذا الموضوع من خلال عـدّه آيات اَللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرٰاتِ رِزْقاً لَكُمْ .

ثمّ انّه وَ سَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ سواء من جهه موادّها الاوّليه المتوفّره فى الطبيعه،او من جهه القوّه المحرّكه لها و هى الرياح التى تهب على البحـار و المحيطـات بصوره منتظمه لتسـيير هـذه السـفن فتنقل الإنسان و ما يحتاج اليه من منطقه الى اخرى بيسـر و سـهوله: لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ .

وَ سَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهٰارَ

كى تسـقوا من مائها زروعكم،و تشـربوا أنتم و انعامكم،و فى كثير من الأحيان تكون طريقا للسـفن و القوارب،و تسـتفيدون منها فى صيد الأسماك.

و ليست موجودات الأرض-فقط-مسخّره لكم،بل وَ سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دٰائِبَيْنِ (١) .

و ليست مخلوقات العالم بذاتها فقط،بل حتّى الحالات العرضـيه لها هى فى خدمتكم: وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهٰارَ وَ آتٰاكُمْ مِنْ كُلِّ مٰا سَأَلْتُمُوهُ من احتياجـاتكم البـدنيّه و الاجتمـاعيه و جميع وسائـل السـعاده و الرفاه وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللّٰهِ لاٰ تُحْصُوهٰا لانّ النعم الماديه و المعنويه للخالق شملت جميع وجودكم

ص:٥١٢

١- ١) «دائبين»من مادّه«الدؤوب»بمعنى ادامه العمل طبقا للسـنّه الثابته،و بما انّ الشـمس و القمر مستمرّان بشكل ثابت من ملايين السنين،و ما لها من فوائد عظيمه للكائنات،لا نجد هناک عباره لهما أفضل من دائبين.

و هی غیر قابله للاحصاء،و علاوه علی ذلک فإنّ ما تعلمونه من النعم بالنسبه لما تجهلونه کقطره فی مقابل البحر.

و علی الرغم من کلّ هذه الألطاف و النعم ف إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ کَفّارٌ .

فلو کان الإنسان یستفید من هذه النعم بشکلها الصحیح لاستطاع ان یجعل الدنیا حدیقه غنّاء و لنفّذ مشروع المدینه الفاضله،و لکن بسبب عدم الاستفاده الصحیحه لها أصبحت حیاته مظلمه،و اهدافه غیر سامیه،فتراکمت علیه المشاکل و الصعاب و قیّدته بالسلاسل و الأغلال.

بحوث

اشاره

۱-الصله بالخالق و الصله بالخلق

نواجه فی هذه الآیات مرّه اخری و فی تنظیم برنامج المؤمنین الصادقین مسأله«الصلاه»و«الإنفاق»،و فی البدایه قد یطرح هذا السؤال،و هو:کیف أشار القرآن الکریم لهاتین المسألتین من بین جمیع البرامج العملیّه للإسلام؟ العلّه فی ذلک انّ للإسلام ابعاد مختلفه یمکن تلخیصها فی ثلاث نقاط:علاقه الإنسان بربّه،و علاقته بخلق اللّه،و علاقته بنفسه،و هذا القسم الأخیر فی الحقیقه نتیجه للقسم الاوّل و الثانی،فالصلاه و الإنفاق کلّ واحده منهما رمز للعلاقه الاولی و الثانیه.

و الصلاه مظهر لصله الإنسان بربّه و هذه الصله تظهر فی الصلاه بشکل أوضح من ای عمل آخر،و الإنفاق رمز للصله بین المخلوقین،فالرزق فی مفهومه الواسع یشمل کلّ نعمه مادیه و معنویه.

و بالنظر الی انّ هذه السوره مکّیه،و أثناء نزولها لم یکن حکم الزکاه نازلا بعد،لا نستطیع القول:انّ هذا الإنفاق مرتبط بالزکاه،بل له معنی واسع بحیث

ص:۵۱۳

يشمل حتّى الزكاه بعد نزولها.

و على ايّه حال إذا تأصّل الايمان فسوف يتجلّى بالعمل فيقرب الإنسان الى ربّه من جانب،الى عباده من جانب آخر.

۲-لماذا السرّ و العلانيه

؟ نقرا مرارا فى آيات القرآن انّ المؤمنين ينفقون او يتصدّقون فى السرّ و العلانيه،و بهذا الترتيب فإنّه تعالى مع ذكره للإنفاق يذكر كيفيّه الإنفاق،لانّه يكون مرّه فى السرّ اكثر تأثيرا و كرامه،و يكون مرّه اخرى فى الجهر سببا فى تشجيع الآخرين و اقتدائهم فى اقامه الشعائر الدينيّه.

و لو قامت حرب بين دوله اسلاميه و اخرى كافره لرأينا الناس المؤمنين يحملون كلّ يوم مقادير كبيره من التبرعات الى المناطق المنكوبه لمساعده المتضرّرين بالحرب،او الجرحى و المعوّقين او المقاتلين،و من المعلوم انّ نشر اخبار هذه التبرّعات مفيد جدّا و لتكون دليلا على مواساتهم،و دعمهم لمقاتليهم، و إحياء لروح الانسانيّه فى عامّه الناس،و تشجيعا للذين تخلّفوا عن هذه القافله لكى يوصلوا أنفسهم بها،و من البديهى انّ الإنفاق هنا فى العلانيه اكثر تأثيرا.

و يقول بعض المفسّرين:انّ الفرق بين الانفاقين هو انّ الإنفاق العلنى مرتبط بالواجبات،فلا يخشى عليه من الرياء،لان العمل بالواجبات لازم للجميع و لا داعى لاخفائه،و امّا الإنفاق المستحبّ-و لانّه زائد عن الوظيفه الواجبه-فمن الممكن ان تتخلّله حاله من التظاهر و الرياء و لذلك كان إخفاؤه أفضل.

و لكن الظاهر انّ هذا التّفسير ليس أصلا كلّيا على حده.بل هو فرع من التّفسير الاوّل.

ص:۵۱۴

۳-یوم لا بیع فیه و لا خلال

من المعلوم انّ یوم القیامه هو یوم استلام النتائج و متابعه جزاء الأعمال، و بهذا الترتیب لا یستطیع احد هناک ان ینجو من العذاب بفدیه،حتّی لو افترضنا انّه ینفق جمیع ما فی الأرض فإنّه لا یمکن ان یمحو ذرّه من جزاء اعماله، لانّ صحیفته فی«دار العمل»ای الدنیا ملیئه بالاخطاء و الذنوب و هناک«دار الحساب».

و کذلک لا تستطیع العلاقه المادیه للصداقه مع ای شخص کان ان تنجیه من العذاب،و بعباره اخری:انّ الإنسان غالبا ما یلجأ الی المال او الواسطه(الرشوه، العلاقات)فی نجاته من المصاعب فی هذه الدنیا،فإذا کان تصوّرهم انّ الآخره کذلک فهذا دلیل و همّهم و جهلهم.

و من هنا یتّضح انّ نفی وجود الخلّه و الصداقه فی هذه الآیه لا یتنافی مع صداقه المؤمنین بعضهم لبعض فی الآخره و التی اشارت إلیها بعض الآیات،لأنّها صداقه مودّه معنویه فی ظلّ الایمان.

و امّا مسأله«الشفاعه»فقد قلنا کرارا انّها تخلو من ای مفهوم مادّی،بل بالنظر الی ما صرّحت به بعض الآیات فإنّها فی ظلّ العلاقات المعنویه و صلاحیه البعض بسبب اعمال الخیر(و قد شرحنا هذا الموضوع فی ذیل الآیه ۲۵۴ من سوره البقره).

۴-کلّ الموجودات تحت امره الإنسان

! نواجه فی هذه الآیات مرّه اخری تسخیر مختلف الموجودات فی الأرض و السّماء للإنسان،و قد قسمت الی ستّه اقسام:تسخیر الفلک،و الأنهار، و الشمس،و القمر،و اللیل، و النهار.و نری انّ قسما من هذه المسخّرات من السّماء،و قسما آخر من الأرض،و قسما ثالثا من الظواهر بین الاثنین(اللیل

و النهار).

و قلنا سابقا،و نكرّر هنا للتذكره:انّ الإنسان من وجهه نظر القرآن له من العظمه بحيث سخّر اللّه له جميع ما فى الوجود،امّا ان يكون زمام أمورها بيده او تتحرّك ضمن منافعه،و على ايّه حال فهذه العظمه جعلته من اشرف الموجودات.

«فالشمس»:تسطع له بالنّور،و تعطيه الحراره،و تساعد على نمو النباتات له،و تطهّر محيطه من الأمراض،و تخلق له البهجه و السرور،و تعلّمه الحياه.

و امّا«القمر»:فمصباح فى ليله المظلم،و مفكره طبيعيّه دائمه،و من آثاره تتكوّن ظاهره الجزر و المدّ لتحلّ كثيرا من مشاكله،فتسقى الأشجار(بسبب ارتفاع منسوب المياه فى الأنهار المجاوره للبحار)و تتحرّك مياه البحار الراكده كى لا تتعفّن،و ليدخل الاوكسجين فيها بسبب الأمواج ليكون تحت تصرّف الكائنات الحيّه.

«الرياح»:تؤدّى الى حركه السفن فى المحيطات حيث تشكّل اكبر واسطه نقل و فى أوسع طريق للإنسان،بحيث تستطيع-أحيانا- ان تدفع سفينه بحجم مدينه صغيره بكامل افرادها و تنقلها فى المحيطات.

«الأنهار»:تجرى فى خدمه الإنسان،تسقى زرعه،و تروى مواشيه،و تجعل محيطه ذا طراوه،و تربّى له الأسماك لتغذيته.

«ظلام الليل»:حيث هو سكن للإنسان،و يمنحه الطمأنينه و الراحه،و يخفّف من حراره الجو الملتهبه فى النهار.

و أخيرا«ضياء النهار»:يدعوه الى الحركه و السعى،و يخلق له الدفء و الحراره.

و الخلاصه:انّ كلّ ما على الأرض و حولها لنفع الإنسان،و بيان هذه النعم و شرحها يمنح الإنسان شخصيه جديده،و تفهمه عظمه مقامه و تبعث فيه الاحساس بالشكر اكثر.

و نستفید ایضا من هذا البیان انّ للتسخیر فی لغه القرآن معنیان:

الاوّل:التسخیر لخدمه الإنسان و تحقیق منافعه و مصالحه(کتسخیر الشمس و القمر).

و الثّانی:التسخیر الذی یکون زمام أموره بید الإنسان(کتسخیر الفلک و البحار).

و امّا ما اعتقده البعض من انّ هذه الآیات اشاره الی تسخیر الإنسان للقمر و غیره فی عصرنا الحاضر فإنّنا لا نراه صحیحا،لانّ هناک بعض الآیات تقول:

وَ سَخَّرَ لَکُمْ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً مِنْهُ

(۱)

،فلا یستطیع الإنسان ان یصل الی جمیع الکرات السّماویه بتاتا.

نعم هناک بعض الآیات قد تشیر الی هذا النوع من التسخیر،و سوف نبحث هذا الموضوع بإذن اللّه فی تفسیر سوره الرحمن(و سبق لنا بحث فی تسخیر الموجودات للإنسان فی ذیل الآیه(۲)من سوره الرعد).

۵-دائبین

قلنا انّ«دائب»من مادّه«الدؤوب»بمعنی استمرار العمل طبقا للعاده و السنّه،فالشمس لا تدور حول الأرض،بل الأرض تدور حول الشمس،و نحن نظنّ انّ الشمس تدور حولنا،و هذه الحرکه لیست المقصوده فی معنی«دائب»بل الاستمرار فی انجاز العمل یدخل فی مفهوم الدؤوب،و نحن نعلم انّ الشمس و القمر لهما برنامج فی انبعاث النّور و ما یتبعه من توقّف الحیاه علی الأرض علیه بشکل مستمر و فی غایه من الدقّه(و هناک حرکات اخری للشمس کما یقوله العلماء،منها الحرکه حول نفسها،و حرکتها مع المجموعه الشمسیه).

۱- ۱) الجاثیه،۱۳.

۶-هل یعطینا اللّه کلّ ما نطلب منه

؟ قرانا فی الآیات أعلاه انّ اللّه عزّ و جلّ لطف بکم و أعطاکم من کلّ ما سألتموه («من»فی الآیه تبعیضیّه)و ذلک بسبب انّ کثیرا ممّا یطلبه الإنسان من ربّه قد یعود علیه بالضرر و الهلاک،و لکنّ اللّه حکیم و عالم و رحیم فلا یستجیب لمثل هذه الطلبات،و فی المقابل نری فی اکثر الأحیان انّ الإنسان لا یطلب شیئا بلسانه،و لکن یتمنّاه بفطرته و وجدانه فیستجیب اللّه له،و لیس هناک مانع من ان یکون السؤال فی جمله مٰا سَأَلْتُمُوهُ شاملا للسؤال باللسان و السؤال بالفطره و الوجدان.

۷-لماذا لا تحصی نعماؤه

؟ نعم اللّه-فی الحقیقه-تعمّ کلّ وجودنا،و إذا ما طالعنا الکتب المختلفه فی العلوم الطبیعیّه و الانسانیّه و النفسیّه و أمثالها فسوف نری الی ای مدی تتّسع أطراف هذه النعم،و فی الحقیقه انّ لکلّ نفس یتنفّسه الإنسان نعمتان،و لکلّ نعمه شکر واجب.

و اکثر من ذلک فنحن نعلم بأنّ متوسّط عدد الخلایا الحیّه فی جسم الإنسان نحو العشره ملایین ملیارد،و کلّ مجموعه تشکّل قسما فعّالا فی الجسم،و هذا العدد کبیر جدّا بحیث لو أردنا إحصاءه نحتاج الی مئات السنین! فهذا قسم من نعمه علینا،و لذلک-حقّا-لا نستطیع عدّ نعمه، وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللّٰهِ لاٰ تُحْصُوهٰا .

و یوجد فی دم الإنسان مجموعتان من الکریّات(و هی خلایا صغیره سابحه فی الدم و لها وظائف حیاتیه مهمّه)ملایین من«الکریّات الحمراء»وظیفتها إیصال الاوکسجین لأجل الاحتراق و صنع خلایا الجسم،و ملایین من«الکریات البیض»وظیفتها حفظ سلامه الإنسان مقابل هجوم المکروبات،و العجیب انّ

هذه الكريات فی حاله حركه مستمرّه لخدمه الإنسان.

فهل نستطيع فی هذه الأحوال ان نحصی نعمه تعالی غير المتناهيه؟!

٨-أسفا..انّ الإنسان ظلوم و كفّار

توصّلنا فی البحوث السابقه الی هذه الحقيقه،و هی انّ اللّه سخّر للإنسان جميع الموجودات،و هيّأ له كلّ هذه النعم بحيث سدّ جميع احتياجاته،و لكن الإنسان بسبب ابتعاده عن نور الايمان و التربيه،نراه يخطو فی طريق الظلم و الطغيان و يكفر بالنعم.

و يسعی المحتكرون فی احتكار النعم الالهيّه الواسعه و السيطره علی منابعها الحياتيه،مع انّهم لا يستهلكون الّا الشیء القليل و يحرمون الآخرين منها،و يظهر هذا الظلم بأشكال مختلفه من السيطره علی الشعوب الضعيفه و استعمارها و التجاوز علی حقوق الآخرين،فيعرّض الإنسان حياته الهادئه الی الهلاك،يخلق الحروب،و يسفك الدماء،و يقضی علی الأموال و الأنفس.

و فی الحقيقه فإنّ القرآن الكريم يناديه:ايّها الإنسان،كلّ شیء بالقدر الكافی تحت تصرّفك،بشرط ان لا تكون ظلوما كفّارا،عليك ان تقنع بحقّك و لا تتجاوز علی حقوق الآخرين.

ص :۵۱۹

الآیات [سوره إبراهيم (۱۴): الآيات ۳۵ الى ۴۱]

اشاره

وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اِجْعَلْ هَذَا اَلْبَلَدَ آمِناً وَ اُجْنُبْنِی وَ بَنِیَّ أَنْ نَعْبُدَ اَلْأَصْنامَ (۳۵) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ کَثِیراً مِنَ اَلنّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِی فَإِنَّهُ
مِنِّی وَ مَنْ عَصانِی فَإِنَّکَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۳۶) رَبَّنا إِنِّی أَسْکَنْتُ مِنْ ذُرِّیَّتِی بِوادٍ غَیْرِ ذِی زَرْعٍ عِنْدَ بَیْتِکَ اَلْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِیُقِیمُوا اَلصَّلاةَ
فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ اَلنّاسِ تَهْوِی إِلَیْهِمْ وَ اُرْزُقْهُمْ مِنَ اَلثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ یَشْکُرُونَ (۳۷) رَبَّنا إِنَّکَ تَعْلَمُ ما نُخْفِی وَ ما نُعْلِنُ وَ ما یَخْفی
عَلَی اَللّهِ مِنْ شَیْءٍ فِی اَلْأَرْضِ وَ لا فِی اَلسَّماءِ (۳۸) اَلْحَمْدُ لِلّهِ اَلَّذِی وَهَبَ لِی عَلَی اَلْکِبَرِ إِسْماعِیلَ وَ إِسْحاقَ إِنَّ رَبِّی لَسَمِیعُ اَلدُّعاءِ
(۳۹) رَبِّ اِجْعَلْنِی مُقِیمَ اَلصَّلاةِ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی رَبَّنا وَ تَقَبَّلْ دُعاءِ (۴۰) رَبَّنَا اِغْفِرْ لِی وَ لِوالِدَیَّ وَ لِلْمُؤْمِنِینَ یَوْمَ یَقُومُ اَلْحِسابُ (۴۱)

ص: ۵۲۰

التّفسير

اشاره

دعاء ابراهيم عليه السّلام:

لمّا كـان الحـديث فى الآيـات السـابقه عن المؤمنين الصادقين و الشاكرين لأنعم اللّه،عقّبت هـذه الآيات فى بحث بعض ادعيه و طلبات العبـد المجاهـد و الشاكر للّه ابراهيم عليه السّلام ليكون هذا البحث تكمله للبحث السابق و نموذجا حيّا للذين يريدون ان يستفيدوا من النعم الالهيّه أفضل استفاده.

يقول تعالى: وَ إِذْ قٰالَ إِبْرٰاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا الْبَلَدَ آمِناً وَ اجْنُبْنِى وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنٰامَ لانّه عليه السّلام كان يعلم حجم البلاء الكبير الكامن فى عباده الأصنام، و يعلم كثره الـذين ذهبوا ضحيّه فى هذا الطريق رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النّٰاسِ فأيّ ضلال اكبر من هذا الضلال الذى يفقد الإنسان فيه حتّى عقله و حكمته.

الهى انّنى ادعو الى توحيدك،و ادعو الجميع الى عبادتك فَمَنْ تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى وَ مَنْ عَصٰانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

فى الحقيقه انّ ابراهيم عليه السّلام أراد بهذه العباره ان يقول للّه تعالى:انّه حتّى لو انحرف ابنائى عن مسيره التوحيد و اتّجهوا الى عباده الأصنام فإنّهم ليسوا منّى، و لو كان غيرهم فى مسيره التوحيد فهم ابنائى و إخوانى.

انّ تعبير ابراهيم المؤدّب و العطوف جدير بالملاحظه،فهو لم يقل:و من عصانى فإنّه ليس منّى و سأعاقبه عقابا شديدا،بل يقول: وَ مَنْ عَصٰانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

ثمّ يستمر بدعائه و مناجاته رَبَّنٰا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوٰادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنٰا لِيُقِيمُوا الصَّلاٰهَ .

و كان ذلك عند ما رزقه اللّه إسماعيل من جاريته«هاجر»فأثار ذلك حسد زوجته الاولى«ساره» و لم تستطع تحمّل وجود هاجر و ابنها،فطلبت من

ابراهيم ان يذهب بهما الى مكان آخر،فاستجاب لها ابراهيم طبقا للأوامر الالهيّه، و جاء بإسماعيل و امّه الى صحراء مكّه القاحله،ثمّ ودّعهم و ذهب.

و لم يمض قليل من الوقت حتّى عطشت الامّ و ابنها فى تلك الشمس المحرقه،وسعت هاجر كثيرا فى انقاذ ابنها،و لكنّ اللّه تعالى أراد ان تكون تلك الأرض قاعده عظيمه للعباده فأظهر عين زمزم،و لم يمض وقت حتّى علمت قبيله«جرهم»البدويه التى كانت قريبه منهم بالأمر،فرحلوا و أقاموا عندهم، فأخذت مكّه بالتحضّر شيئا فشيئا.

ثمّ يتابع ابراهيم عليه السّلام دعاءه:الهى،انّ اهلى قد سكنوا فى هذه الصحراء المحرقه احتراما لبيتك المحرّم: فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ .

و من هنا لمّا كان الإنسان الموحّد و العارف يعلم بمحدوديه علمه فى مقابل علم اللّه،و انّه يعلم مصلحته الاّ اللّه تعالى،فما اكثر ما يطلب شيئا من اللّه و ليس فيه صلاحه،او لا يطلبه و فيه صلاحه،و أحيانا لا يستطيع ان يقوله بلسانه فيضمره فى اعماق قلبه، و لذلك يعقّب على ما مضى من دعائه و يقول: رَبَّنا إِنَّكَ تَعْلَمُ ما نُخْفِي وَ ما نُعْلِنُ وَ ما يَخْفى عَلَى اللّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ .

فان كنت مغتمّا لفراق ابنى و زوجتى فأنت تعلم بذلك..و ترى دموع عينى المنهمله.و ان كان قلبى قد ملأه همّ الفراق،و امتزج بفرح العمل بالتكليف و الطاعه لاوامرك فأنت اعلم بذلك..

و عند ما فارقت زوجتى و قالت لى:«الى من تكلنى»فأنت أدرى بها و بمستقبلها و مستقبل هذه الأرض.

ثمّ يشير القرآن الى شكر ابراهيم عليه السّلام لنعمه تعالى و التى هى من اهمّ ما امتاز به عليه السّلام..شكره على منحه ولدين بارّين إسماعيل و إسحاق و ذلك فى سنّ

الشیخوخه اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِی وَهَبَ لِی عَلَی الْکِبَرِ إِسْمٰاعِیلَ وَ إِسْحٰاقَ (۱) نعم إِنَّ رَبِّی لَسَمِیعُ الدُّعٰاءِ .

ثمّ یستمرّ بدعائه و مناجاته ایضا فیقول: رَبِّ اجْعَلْنِی مُقِیمَ الصَّلاٰهِ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی رَبَّنٰا وَ تَقَبَّلْ دُعٰاءِ .

ثمّ یختم دعاءه هنا فیقول: رَبَّنَا اغْفِرْ لِی وَ لِوٰالِدَیَّ وَ لِلْمُؤْمِنِینَ یَوْمَ یَقُومُ الْحِسٰابُ .

بحوث

اشاره

۱-هل کانت مکّه فی ذلک الوقت مدینه

؟ رأینا فی الآیات السابقه انّ ابراهیم قال: رَبَّنٰا إِنِّی أَسْکَنْتُ مِنْ ذُرِّیَّتِی بِوٰادٍ غَیْرِ ذِی زَرْعٍ و هذه اشاره الی اوّل دخوله ارض مکّه و التی کانت غیر مزروعه و لا معموره و لا ساکن فیها سوی اسّس بیت اللّه الحرام،و مجموعه من الجبال الجرداء.

و لکنّنا نعلم انّها لم تکن رحلته الوحیده الی مکّه،بل وطأت قدمه عدّه مرّات تلک الأرض،و فی الوقت نفسه کانت مکّه تأخذ طابع المدینه،و سکنتها قبیله«جرهم»و بظهور عین زمزم أصبحت صالحه للسکن.

و المعتقد انّ ادعیه ابراهیم هذه کانت فی احدی رحلاته،و لذلک عبّر عنها بالبلد،ای المدینه فقال: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً .

و امّا قوله: بِوٰادٍ غَیْرِ ذِی زَرْعٍ فقد تکون اشاره الی رحلته الاولی او اشاره

۱- ۱) هناک اختلاف بین المفسّرین فی سنّ ابراهیم عند ولاده إسماعیل و إسحاق،فمنهم من قال:کان عمره عند ولاده إسماعیل ۹۹ عاما و عند ولاده إسحاق ۱۱۲ عام،و منهم من یقول اکثر من ذلک و اقل،و لکن القدر المسلّم به انّ عمره کان فی سن یصعب ان یولد منه الأبناء.

الی ارض مکّه بعـد ان أخـذت طـابع المـدينه،فإنّها لا زالت غیر صالحه للزراعه، لانّها من الناحیه الجغرافیه تقع بین جبال یابسه و قلیله المیاه.

۲-أمان ارض مکّه

من الطریف انّ اوّل ما سأل ابراهیم من ربّه فی هـذه الأرض هو الامان،و هذا یوضّح انّ نعمه الأمن هی من الشـروط الاولی لحیاه الإنسـان و سـکنه فی منطقه ما،فالمکان غیر الآمن لا یمکن السـکن فیه،حتّی لو اجتمعت کلّ النعم الـدنیویّه فیه،و فی الحقیقه ای مـدینه او بلـد فاقـد لنعمه الأـمن سوف یفقـد جمیع النعم! و لا بـدّ هنا من الالتفات الی هـذه النقطه،و هی انّ اسـتجابه اللّه لـدعاء ابراهیم بخصوص امن مکّه له جهتـان:فمن جهه منحهـا امنـا تکوینیّـا،و لـذلک لم تشـهد فی تاریخهـا الاّـ النزر القلیـل من إخلال الأمن،و من جهه ثانیه منحها الأمن التشـریعی، ای انّ اللّه اقرّ ان یأمن جمیع الناس-و حتّی الحیوانات-فی هذه الأرض.و منع صید الحیوانات،و عـدم متابعه المجرمین الذین یلجأون الی حرم الکعبه، و نسـتطیع-فقط- ان نمنع علیهم الغذاء لکی یخرجوا،و من ثمّ تطبیق العداله فی حقّهم.

۳-دعاء ابراهیم لاجتناب عباده الأصنام

؟ ممّا لا شکّ فیه انّ ابراهیم علیه السّلام کان نبیّا معصوما،و کذلک ابناه إسماعیل و إسحاق کانا نبیّین معصومین،لانّهما داخلان فی کلمه«بنیّ»فی الآیه قطعا،و مع ذلک یـدعو اللّه ان یجنّبهم عباده الأصـنام! و هـذا دلیل فی التأکیـد علی محاربه عباده الأصـنام بحیث کـان یطلب هـذا الأـمر من اللّه حتّی للأنبیـاء المعصومون و محطّمو الأصـنام،و هـذا نظیر اهتمـام النّبی فی وصایاه لعلی-او الائمّه الآخرین بالنسبه لاوصیائهم-فی امر الصلاه،و التی

لا یمکن احتمال ترکها من قبلهم ابدا،بل انّ الصلاه أساسا قامت ببرکه سعیهم و جهودهم.

و هنا یطرح هذا السؤال:کیف قال ابراهیم رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ کَثِیراً مِنَ النّاسِ فی حین انّ الأصنام لیست سوی أحجارا و خشبا و لا استطاعه لهنّ فی إضلال الناس.

و یمکن الجواب علی هذا السؤال من جهتین:

اوّلا:لم تکن الأصنام من الأحجار و الخشب دائما،بل هناک الفراعنه و أمثال نمرود الذین کانوا یدعون الناس لعبادتهم و یسمّون أنفسهم بالربّ الأعلی و المحی و الممیت.

ثانیا:و أحیانا یکون القائمون بأمر الأصنام مظهرین تعظیمها و تزیینها بالشکل الذی تکون حقّا مضلّه لعوام الناس.

۴-من هم اتباع ابراهیم

؟ قرانا فی الآیات انّ ابراهیم قال: فَمَنْ تَبِعَنِی فَإِنَّهُ مِنِّی فهل انّ اتباع ابراهیم من کان فی عصره فقط،ام الذین کانوا علی دینه فی العصور اللاحقه،او یشمل کلّ الموحدین و المؤمنین فی العالم-باعتبار ابراهیم علیه السّلام مثالا فی التوحید و محطّما للأصنام-؟ نستفید من الآیات القرآنیه-و من ضمنها الآیه ۷۸ من سوره الحج-انّ دعاء ابراهیم یشمل جمیع الموحدین و المجاهدین فی طریق التوحید.و یؤیّد هذا التّفسیر ما ورد عن اهل البیت علیهم السّلام ایضا:

فعن الباقر علیه السّلام قال «من احبّنا فهو منّا اهل البیت.قلت،جعلت فداک:منکم؟قال منّا و اللّه،اما سمعت قول ابراهیم فَمَنْ تَبِعَنِی فَإِنَّهُ مِنِّی (۱) .

ص:۵۲۵

۱- ۱) نور الثقلین ج ۴ ص ۵۴۸.

و یوضّح هذا الحدیث صیروره الفرد من اهل البیت معنویا ان سار علی خطّهم و تابع منهجهم.

و

عن الامام علی علیه السّلام قال: «نحن آل ابراهیم،أ فترغبون عن ملّه ابراهیم!و قد قال اللّه تعالی: فَمَنْ تَبِعَنِی فَإِنَّهُ مِنِّی .

۵-واد غیر ذی زرع و الحرم الآمن

الذین سافروا الی مکّه یعلمون جیدا انّها تقع بین جبال صخریه یابسه لا ماء فیها و لا کلا،و کأنّ الصخور وضعت فی افران حارّه ثمّ صبّت فی أماکنها.و فی نفس الوقت فهی اکبر مرکز للعباده و اقدم قاعده للتوحید علی وجه المعموره، و کذلک هی حرم اللّه الآمن.

و هنا قد یرد هذا السؤال فی أذهان الکثیرین و هو:لماذا جعل اللّه هذا المرکز المهمّ فی مثل هذه الأرض؟ یجیب الامام علی علیه السّلام علی هذا السؤال من خلال أوضح العبارات و أجمل التعابیر الفلسفیّه خطبته القاصعه حیث

یقول: «وضعه بأوعر بقاع الأرض صخرا و اقلّ نتائق الدنیا مدرا...بین جبال خشنه و رمال دمثه...و لو أراد سبحانه ان یضع بیته الحرام و مشاعره العظام بین جنّات و انهار و سهل و قرار،جمّ الأشجار،دانی الثمار،ملتفّ البنا،متّصل القوی،بین برّه سمراء و روضه خضراء،و أریاف محدقه، و عراص مغدقه و ریاض ناظره و طرق عامره،لکان قد صغر قدر الجزاء علی حسب ضعف البلاء،و لو کان الأساس المحمول علیها و الأحجار المرفوع بها بین زمرده خضراء،و یاقوته حمراء،و نور و ضیاء،لخفّف ذلک مصارعه الشکّ فی الصدور،و لوضع مجاهده إبلیس عن القلوب،و لنفی معتلج الریب من الناس، و لکنّ اللّه یختبر عباده بأنواع الشدائد،و یتعبّدهم بأنواع المجاهد،و یبتلیهم بضروب المکاره،إخراجا للتکبّر من قلوبهم،و إسکانا للتذلّل فی نفوسهم و لیجعل

ذلک أبوابا فتحا الی فضله، و أسبابا ذللا لعفوه» (۱) .

۶-الدعوات السبعه لإبراهیم

اشاره

دعا ابراهیم علیه السّلام فی هذه الآیات سبع دعوات فی مجال التوحید و المناجاه و محاربه الأصنام و عبادتها و محاربه الظالمین:

اوّل هذه الدعوات هو أمان مکّه القاعده العظیمه لمجتمع التوحید(و ما اعمق مغزی هذا الطلب).

الثّانی:دعاؤه فی الاجتناب عن عباده الأصنام و التی هی الأساس و القاعده لجمیع العقائد و البرامج الدینیّه.

الثّالث:دعاؤه فی تمایل قلوب المؤمنین و ارتباطهم العاطفی بالنسبه لأبنائه و التابعین لدینه.

دعاؤه الرابع:ان یرزقهم اللّه من انواع الثمرات،لتکون عنوانا للشکر و الالتفات بشکل اعمق لخالق النعم.

الدعاء الخامس:التوفیق لاقامه الصلاه و التی هی أقوی صله بین الإنسان و ربّه،و دعاؤه علیه السّلام لیس له فقط،بل حتّی لأبنائه.

دعاؤه السادس:قبول دعائه،و نحن نعلم انّ اللّه یقبل الدعاء من مواقع الإخلاص و القلوب الطاهره و الأرواح السامیه،و فی الواقع انّ هذا الطلب من ابراهیم علیه السّلام یحتوی ضمنا الحصول علی القلب الطاهر و الروح السامیه.

و آخر دعائه علیه السّلام:ان یشمله اللّه بلطفه و رحمته فیما إذا صدر منه ذنب او خطیئه،و ان یرحم امّه و أباه و جمیع المؤمنین فی یوم القیامه.

و بهذا الترتیب فإن دعواته تبدا بالأمن و تنتهی بالعفو و الغفران،و من الطریف انّه لم یطلبها لنفسه فقط،بل للآخرین کذلک،لانّ عباد الرحمن لیسوا انانیّین!

۱- ۱) نهج البلاغه،خطبه ۱۹۲(القاصعه).

-٧

هل يدعو ابراهيم لأبيه

؟ ممّا لا شكّ فيه انّ«آزر»كان يعبد الأصنام،و كما يشير اليه القرآن فإنّ ابراهيم سعى جاهدا لان يهديه لكن خاب سعيه،و إذا سلّمنا انّ آزر كان أبا لإبراهيم،فلما ذا يدعو ابراهيم ان يغفر اللّه له فى الوقت الذى نرى انّ القرآن يقول:

مٰا كٰانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كٰانُوا أُولِي قُرْبىٰ مِنْ بَعْدِ مٰا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحٰابُ الْجَحِيمِ . (1)

و من هنا يتّضح انّ آزر لم يكن أبا لإبراهيم،و انّ كلمه أب تطلق أحيانا على العمّ،و كثيرا ما يستعملها العرب كذلك،بينما(الوالد)خاصّه بالأب الحقيقى و التى جاءت فى الآيات أعلاه.امّا كلمه أب و التى وردت بخصوص آزر فمن الممكن انّ المراد بها العمّ.

و نستنتج من الآيات أعلاه و ممّا ورد فى سوره التوبه من النهى عن الاستغفار للمشركين انّ«آزر»لم يكن أبا لإبراهيم حتما.(و للتوضيح اكثر راجع تفسير الآيه ۷۴ من سوره الانعام و ۳۶ من سوره الأعراف فى تفسيرنا هذا).

ص :۵۲۸

۱- ۱) التوبه،۱۱۳.

الآيات [سوره إبراهيم (۱۴): الآيات ۴۲ الی ۴۵]

اشاره

وَ لاٰ تَحْسَبَنَّ اَللّٰهَ غٰافِلاً عَمّٰا یَعْمَلُ اَلظّٰالِمُونَ إِنَّمٰا یُؤَخِّرُهُمْ لِیَوْمٍ تَشْخَصُ فِیهِ اَلْأَبْصٰارُ (۴۲) مُهْطِعِینَ مُقْنِعِی رُؤُسِهِمْ لاٰ یَرْتَدُّ إِلَیْهِمْ طَرْفُهُمْ وَ أَفْئِدَتُهُمْ هَوٰاءٌ (۴۳) وَ أَنْذِرِ اَلنّٰاسَ یَوْمَ یَأْتِیهِمُ اَلْعَذٰابُ فَیَقُولُ اَلَّذِینَ ظَلَمُوا رَبَّنٰا أَخِّرْنٰا إِلیٰ أَجَلٍ قَرِیبٍ نُجِبْ دَعْوَتَکَ وَ نَتَّبِعِ اَلرُّسُلَ أَ وَ لَمْ تَکُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مٰا لَکُمْ مِنْ زَوٰالٍ (۴۴) وَ سَکَنْتُمْ فِی مَسٰاکِنِ اَلَّذِینَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَ تَبَیَّنَ لَکُمْ کَیْفَ فَعَلْنٰا بِهِمْ وَ ضَرَبْنٰا لَکُمُ اَلْأَمْثٰالَ (۴۵)

التّفسیر

اشاره

الیوم الذی تشخّص فیه الأبصار

! کان الحدیث فی الآیات السابقه عن یوم الحساب،و بهذه المناسبه تجسّم هذه الآیات حال الظالمین و المتجبّرین فی ذلک الیوم،ثمّ تبیّن المسائل المتعلّقه بالمعاد و تکمل الحدیث السابق حول التوحید و تبدا فی تهدید الظالمین: وَ لاٰ تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ غٰافِلاً عَمّٰا یَعْمَلُ الظّٰالِمُونَ .

ص: ۵۲۹

و هـذا فی الواقع جواب لأولئک الـذین یقولون:إذا کان لهذا العالم اله عادل فلما ذا یترک الظالمین و حالهم؟هل هو غافل عنهم ام لاـ یستطیع ان یمنعهم و هو یعلم بظلمهم؟ فیجیب القرآن الکریم علی ذلـک بـأنّ اللّه لیس غافلا عنهم ابـدا،لانّ عـدم عقابهم مباشـره هو انّ هـذا العالم محلّ الامتحان و الاختبار و تربیه الناس،و هـذا لا یتمّ الاّ فی ظلّ الحریه،و سوف یأتی یوم حسابهم إِنَّما یُؤَخِّرُهُمْ لِیَوْمٍ تَشْخَصُ فِیهِ الْأَبْصارُ مُهْطِعِینَ مُقْنِعِی رُؤُسِهِمْ لا یَرْتَدُّ إِلَیْهِمْ طَرْفُهُمْ وَ أَفْئِدَتُهُمْ هَواءٌ .

«تشخص»من مادّه«الشخوص»بمعنی توقّف العین عن الحرکه و النظر الی نقطه بدهشه.

«مهطعین»من مادّه«إهطاع»بمعنی رفع الرقبه،و یعتقـد البعض انّها بمعنی «السـرعه»و قال آخرون:تعنی«النظر بـذلّه و خشوع».و لکن بالنظر الی الجمل الاخری یکون المعنی الاوّل اقرب الی الصحّه.

«مقنعی»من مادّه«الاقناع»بمعنی رفع الراس عالیا.

و مفهوم جمله لا یَرْتَـدُّ إِلَیْهِمْ طَرْفُهُمْ لا یقدرون علی ان یطرفوا من شدّه الهول،و کأنّ أعینهم کأعین الأموات عاطله عن العمل! و جمله أَفْئِدَتُهُمْ هَواءٌ بمعنی قلوبهم خالیه و مضـطربه بحیث ینسون کلّ شـیء حتّی أنفسهم و فقدت قلوبهم و أنفسهم کلّ ادراک و علم،و فقدوا کلّ قواهم.

انّ بیان هذه الصـفات الخمس:تشخص الأبصار،مهطعین،مقنعی رؤوسهم، لا یرتدّ إلیهم طرفهم،افئدتهم هواء،صوره بلیغه لهول و شـدّه ذلـک الیوم علی الظالمین الـذین کانوا یسـتهزئون بکلّ شـیء،و أصـبحوا فی هـذا الیوم لا یسـتطیعون حتّی تحریک أجفان أعینهم.

و لکی لاـ یشاهـدوا هـذه المناظر المفجعه ینظرون الی الأعلی فقط،فهؤلاء کانوا یعتقـدون بکمال عقولهم و یعـدّون الآخرین من الحمقی،فأصبحوا الیوم

مدهوشين لدرجه انّ نظرهم نظر المجانين.بل الأموات نظر جاف عديم الروح و ملیء بالرعب و الفزع..

نعم،عند ما يريد القرآن الكريم ان يصوّر منظرا او يجسّم موقفا يستخدم اقصر العبارات فی أكمل بيان كما فی الآيه أعلاه.

و لكی لا يعتقد احد انّ هذه المجازات تتعلّق بمجموعه معيّنه،يقول تعالى لنبيّه الكريم: وَ أَنْذِرِ النّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنا أَخِّرْنا إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ حتّى نستفيد من هذه الفرصه ثمّ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَ نَتَّبِعِ الرُّسُلَ و لكن هيهات انّ ذلك محال أَ وَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَكُمْ مِنْ زَوالٍ وَ سَكَنْتُمْ فِي مَساكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنا بِهِمْ وَ ضَرَبْنا لَكُمُ الْأَمْثالَ فكلّ هذه الدروس لم تؤثّر بكم و أدمتم ظلمكم و جوركم،و الآن و بعد ان وقعتم فی يد العداله تطلبون تمديد المدّه،ای مدّه؟لقد انتهى كلّ شیء!

بحوث

اشاره

١-لماذا وجّه الخطاب هنا الى الرّسول الأكرم

؟ ممّا لا شكّ فيه انّ النّبی صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا يتصوّر ابدا انّ اللّه غافلا عن الظالمين،و مع ذلك نرى الآيات أعلاه توجّه خطابها الى النّبی و تقول له: وَ لا تَحْسَبَنَّ اللّهَ غافِلاً عَمّا يَعْمَلُ الظّالِمُونَ .

انّه-فی الواقع-إيصال الخطاب بشكل غير مباشر الى الآخرين،و الذی هو احد فنون الفصاحه،كما نقول:ايّاك اعنی و اسمعی يا جاره.

و بالاضافه الى ذلك فإنّ هذا التعبير كنايه عن التهديد،كما نقول فی بعض الأحيان للشخص المقصّر«لا تعتقد انّنا غافلون عن افعالك»يعنی سوف نحاسبك على ما فعلت!

و على اى حال فأساس الحياه يقوم على إعطاء المهله الكافيه للافراد حتّى ينفقوا ممّا عندهم،و لكى لا يبقى عذر لأحد تعطى المهله الكافيه قبل ساعه الامتحان،و إعطاء المهله الكافيه للرجوع و الإصلاح للجميع.

۲-ما هو المقصود من يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذٰابُ

؟ لقد امر النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ان ينذر الناس بهذا اليوم الذى ينزل عليهم فيه العذاب الالهى،و لكن اى يوم هذا؟ذكر المفسّرون له ثلاث احتمالات:

الاوّل:يوم القيامه.

الثّانى:يوم وقوع الموت،حيث تبدا مقدّمه العذاب الالهى للظالمين.

الثّالث:المقصود هو نزول جزء من العذاب و البلاء الدنيوى،كعذاب قوم لوط و عاد و ثمود و قوم نوح و فرعون،و الذى تمّ من خلال الطوفان او الزلازل و العواطف و الريح و غيرها.

و مع انّ كثير من المفسّرين رجّحوا التّفسير الاوّل،الاّ انّ الآيات التى تليها تشير الى قوّه الاحتمال الثّالث،و التى توضّح انّ المقصود هو العقاب الدنيوى لانّنا نقرا بعد هذه الآيه رَبَّنٰا أَخِّرْنٰا إِلىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ .

فالتعبير«اخّرنا»قرينه واضحه فى الطلب لاستمرار الحياه فى الدنيا،لانّه لو كان فى الآخره لقالوا:ربّنا ارجعنا الى الدنيا،كما نقرا فى الآيه(۲۷)من سوره الانعام وَ لَوْ تَرىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النّٰارِ فَقٰالُوا يٰا لَيْتَنٰا نُرَدُّ وَ لاٰ نُكَذِّبَ بِآيٰاتِ رَبِّنٰا وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ حيث يردّ عليهم القرآن الكريم و يقول: وَ لَوْ رُدُّوا لَعٰادُوا لِمٰا نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَكٰاذِبُونَ .

و قد يسأل سائل:إذا كانت هذه الآيه تشير الى عذاب الدنيا،و الآيه ما قبلها وَ لاٰ تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ غٰافِلاً تشير الى عذاب الآخره،فكيف يمكن ان تتوافق هاتان الآيتان،بالنظر الى انّ كلمه«انّما»دالّه على عقابهم فى الآخره فقط و ليس فى

الدنیا.

و یتّضح الجواب بملاحظه انّ العقاب الاخروی الذی یشمل جمیع الظالمین، لیس له ای تبدیل و تغییر،بینما الجزاء الدنیوی- بالاضافه الی انّه غیر شامل- فهو قابل للتبدیل.

و لا بدّ من ذکر هذه النقطه ایضا و هو انّ العقاب الدنیوی-کعقاب قوم نوح و فرعون و أمثالهم-إذا حلّ بهم سوف تغلق أبواب التوبه کلیّا و لیس لهم طریق للرجوع و التوبه،لانّ اغلب المذنبین عند ما یرون العذاب یندمون علی ما فعلوا، و هذا الندم اضطراری و لیس له ای قیمه،و لذلک یجب علیهم ان یتوبوا قبل نزول العذاب (۱) .

۳-لماذا لا تقبل المهله

؟ نقرا فی آیات مختلفه من القرآن الکریم انّ الظالمین و المذنبین فی مواقف متعدّده،یطلبون الرجوع الی الحیاه لتصحیح مسیرتهم،فبعض هذه المواقف مرتبط بیوم القیامه کما أشرنا فی الآیه(۲۸)من سوره الانعام،و بعض آخر مرتبط بساعه الموت کما تشیر الیه الآیه(۹۹)من سوره المؤمنون حَتّی إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّی أَعْمَلُ صالِحاً فِیما تَرَکْتُ و البعض الآخر یطلب الرجوع عند نزول العذاب المهلک-کما فی هذه الآیه-حیث یقول الظالمون عند رؤیتهم للعذاب رَبَّنا أَخِّرْنا إِلی أَجَلٍ قَرِیبٍ نُجِبْ دَعْوَتَکَ و من الطریف انّ الجواب فی جمیع هذه المواقف یکون بالنفی.

و دلیله واضح،لانّ ای واحد من هذه الامنیات لا یمثّل حقیقه واقعیّه و لا جدیّه،و رجاؤهم هذا هو حاله اضطراریه تظهر حتّی عند أسوإ الأشخاص، و لیست حاله دالّه علی التغیّر الذاتی و التصمیم الواقعی الصادق لتصحیح مسیره

ص:۵۳۳

۱- ۱) للمطالعه اکثر راجع ذیل الآیه(۱۸)من سوره النساء.

حیـاتهم، کالمشـرکین عنـد مـا یأخـذهم الطوفان یسألون اللّه النجاه،و عنـد ما ینجیهم الی الساحل ینکثون عهودهم کأن لم یکن یحدث شیء إطلاقا.

و لذلک یقول القرآن الکریم فی بعض آیاته-کما أشرنا الیه أعلاه- وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ .

ص :۵۳۴

الآيات [سوره إبراهيم (۱۴): الآيات ۴۶ الى ۵۲]

اشاره

وَ قَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَ عِنْدَ اَللّٰهِ مَكْرُهُمْ وَ إِنْ كٰانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ اَلْجِبٰالُ (۴۶) فَلاٰ تَحْسَبَنَّ اَللّٰهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اَللّٰهَ عَزِيزٌ
ذُو اِنْتِقٰامٍ (۴۷) يَوْمَ تُبَدَّلُ اَلْأَرْضُ غَيْرَ اَلْأَرْضِ وَ اَلسَّمٰاوٰاتُ وَ بَرَزُوا لِلّٰهِ اَلْوٰاحِدِ اَلْقَهّٰارِ (۴۸) وَ تَرَى اَلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي
اَلْأَصْفٰادِ (۴۹) سَرٰابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرٰانٍ وَ تَغْشىٰ وُجُوهَهُمُ اَلنّٰارُ (۵۰) لِيَجْزِيَ اَللّٰهُ كُلَّ نَفْسٍ مٰا كَسَبَتْ إِنَّ اَللّٰهَ سَرِيعُ اَلْحِسٰابِ (۵۱) هٰذٰا
بَلاٰغٌ لِلنّٰاسِ وَ لِيُنْذَرُوا بِهِ وَ لِيَعْلَمُوا أَنَّمٰا هُوَ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ وَ لِيَذَّكَّرَ أُولُوا اَلْأَلْبٰابِ (۵۲)

التّفسير

اشاره

لا فائده من مكرهم

! اشارت الآيات السابقه الى نوع من عقاب الظالمين،و فى هذه الآيات ايضا اشارت-اوّلا-الى جزء من أفعالهم،و من ثمّ الى قسم آخر من جزائهم الشديد و عقابهم الأليم.

ص :۵۳۵

تقول الآيه الاولى: وَ قَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ .

لقد عملوا كلّ ما بوسعهم من اجل طمس حقائق الإسلام،بدء من الترغيب و التهديد و حتّى الأذى و محاولات القتل و الاغتيال و بثّ الشائعات،و مع كلّ ذلك فإنّ اللّه مطّلع على جميع مؤامراتهم و قد احصى اعمالهم: وَ عِنْدَ اللّهِ مَكْرُهُمْ و على اى حال فلا تقلق فانّهم لا يستطيعون بمكرهم هذا ان يصيبوك بسوء حتّى وَ إِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبالُ .

«المكر»-و كما أشرنا اليه سابقا-بمعنى الاحتيال،فمرّه يلازمه الفساد و مرّه اخرى لا يلازمه،و فى تفسير جمله وَ عِنْدَ اللّهِ مَكْرُهُمْ رأيان:

يقول البعض و من جملتهم العلاّمه الطباطبائى فى تفسير الميزان:المراد بكون مكرهم عند اللّه احاطته تعالى به بعلمه و قدرته.

و يقول البعض الآخر،كالعلاّمه الطبرسى فى مجمع البيان:انّ المراد هو ثبوت جزاء مكرهم عند اللّه تعالى(و على هذا التّفسير يكون تقدير الآيه:عند اللّه جزاء مكرهم)فكلمه الجزاء محذوفه.

و ممّا لا شكّ فيه انّ التّفسير الاوّل اقرب الى الصحّه،لانّه يوافق ظاهر الآيه و لا يحتاج الى الحذف و التقدير،و تؤيّده جمله وَ إِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبالُ اى انّ مكرهم مهما كان قويّا.و مهما كانت لديهم قدره على المؤامره،فإنّ اللّه اعلم بهم و اقدر عليهم و سيدمر كلّ ما مكروا.

ثمّ يتوعّد اللّه الظالمين و المسيئين مرّه اخرى من خلال مخاطبه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فَلا تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ لانّ الأخلاف يصدر من الذى ليست له قدره و استطاعه،و لكن: إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ .

و هذه الآيه-فى الواقع-مكمّله للآيه التى قبلها وَ لا تَحْسَبَنَّ اللّهَ غافِلاً عَمّا يَعْمَلُ الظّالِمُونَ .

و تعنى انّ المهله التى أعطيت للظالمين ليست بسبب انّ اللّه غافل عنهم و عن

اعمالهم و لا مخلف لوعده،بل سينتقم منهم فى اليوم المعلوم.و الانتقام لا يراد به ما كان مصحوبا بالحقد و الثأر كما يستخدم عاده فى اعمال البشر،بل هو الجزاء و العقاب و اقامه العداله بحقّ الظالمين،بل انّها نتيجه عمل الإنسان نفسه،و لا حاجه الى القول بأنّ اللّه تعالى لو لم ينتقم من الظالمين لكان ذلك خلافا لعدله و حكمته.

ثمّ يضيف تعالى يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّمٰاوٰاتُ و سوف يتجدّد كلّ شىء بعد الدمار،و يبعث الإنسان فى خلق جديد و عالم جديد يختلف فى كلّ شىء عن هذا العالم،فى سعته،فى نعيمه و عقابه و سيظهر الإنسان بكلّ وجوده للّه تعالى: وَ بَرَزُوا لِلّٰهِ الْوٰاحِدِ الْقَهّٰارِ .

و«البروز»من مادّه«البراز»على وزن«فراز»بمعنى الفضاء و المحلّ الواسع،و غالبا ما تأتى بمعنى الظهور،لانّ وجود الشىء فى الفضاء الواسع بمعنى ظهوره،و هناك آراء مختلفه للمفسّرين فى معنى بروز الناس للّه تعالى،الكثير يرى انّها تعنى الخروج من القبر.

و يحتمل ان يكون المعنى انكشاف بواطن و ظواهر جميع الناس فى يوم المحشر،كما نقرا فى الآيه(١۶)من سوره غافر يَوْمَ هُمْ بٰارِزُونَ لاٰ يَخْفىٰ عَلَى اللّٰهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ و كذلك الآيه(٩)من سوره الطارق يَوْمَ تُبْلَى السَّرٰائِرُ و على اى حال فوصفه بالقهّار دليل على تسلطه على كلّ الأشياء و سيطرته على ظاهرها و باطنها.

و هنا يأتى هذا السؤال،و هو:هل انّ شيئا خفى على اللّه فى هذه الدنيا لكى يظهر فى الآخره؟ام انّ اللّه لا يعلم بما فى القبور و لا يعلم بأسرار الناس؟ و يتّضح الجواب من الالتفات الى هذه النقطه،و هى انّ لنا ظاهرا و باطنا فى هذه الدنيا،و قد يشتبه على البعض-بسبب علمنا المحدود-انّ اللّه لا يرى باطننا، و لكن سوف يظهر كلّ شىء فى الآخره و لا وجود للظاهر و الباطن هناك،و بعباره

اخرى فالظهور بالقياس الى علمنا و ليس الى علم اللّه المطلق.

و تصوّر الآيه التاليه كيفيّه بروزهم الى اللّه فنقول: وَ تَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِى الْأَصْفَادِ .

«الأصفاد»جمع«صفد»بمعنى الغلّ،و قال البعض هو الغلّ و السلاسل التى تجمع اليد الى العنق.

«مقرنين»من مادّه«القرن و الاقتران»و هى بنفس المعنى،لكن لو استخدمت من باب التفعيل يستفاد منها التكثير،و على ذلك فكلمه مقرّنين بمعنى الأشخاص المتقاربين مع بعضهم البعض.

و للمفسّرين ثلاث آراء حول المقصود من هذه الكلمه:

الاوّل:هو تقييد المجرمين بالسلاسل و الأغلال بعضهم مع البعض الآخر و ظهورهم بهذه الصوره فى يوم القيامه،انّ هذا الغل هو عباره عن تجسيد للروابط العمليه و الفكريه بين المجرمين فى هذه الدنيا،حيث كان يساعد بعضهم البعض على الظلم و الفساد،و تتجسّد هذه العلاقه فى الآخره بصوره سلاسل تربطهم فيما بينهم.

الثّانى:انّ المجرمين يقرّنون مع الشياطين بالسلاسل فى يوم القيامه بسبب علاقتهم الباطنيه معهم فى هذه الدنيا.

الثّالث:ان تقيّد أيديهم برقابهم فى الآخره.

و لا مانع هناك من ان تجمع هذه الصفات للمجرمين،لكن المعنى الاوّل الذى ذكرناه يوافق ظاهر الآيه.

ثمّ يتطرّق القرآن الكريم الى لباسهم و الذى هو احد افراد المجازاه الشديده سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَ تَغْشَى وُجُوهَهُمُ النّارُ .

«سرابيل»جمع(سربال)على وزن(مثقال)بمعنى القميص من اى قماش كان،و يقول البعض بأنّه كلّ انواع اللباس،لكن الاوّل اقرب الى المعنى.

ص :۵۳۸

«قطران»بفتح القاف و سكون الطاء او بكسر القاف و سكون الطاء،و هى مادّه تؤخذ من شجره الأبهل ثمّ تغلى فتثخن و تطلى بها الإبل عند اصابتها بمرض الجرب،و كانوا يعتقدون انّ المرض يزول بسبب وجود الحرقه فى هذه المادّه، و على اى حال فهى مادّه سوداء نتنه و قابله للاشتغال (١) .

فيكون معنى الجمله سَرٰابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرٰانٍ انّهم يلبسون ثيابا من مادّه سوداء و نتنه و قابله للاشتعال،حيث تمثّل اسوا الالبسه لما كانوا يعملونه فى هذه الدنيا من ارتكاب الذنوب و الفواحش.و سوادها يشير إلى أنّ الذنوب تؤدّى إلى ان يكون الإنسان مسودّ الوجه امام ربّه،و تعفّنها يشير الى تلوّث المجتمع بهم و مساعدتهم على إشعال نار الفساد،و كأنّ القطران تجسيد لاعمالهم فى الدنيا.

وَ تَغْشىٰ وُجُوهَهُمُ النّٰارُ

بسبب لباسهم الذى هو من قطران،لانّه عند اشتعاله لا يحرق جسمهم فقط،بل يصل لهيبه الى وجوههم. كلّ ذلك لأجل لِيَجْزِيَ اللّٰهُ كُلَّ نَفْسٍ مٰا كَسَبَتْ .

و من الطريف انّه لم يقل انّ الجزاء بما كسبت أنفسهم،بل يقول:«ما كسبت» ليكون تجسيدا حيّا لاعمالهم،و هذه الآيه بهذا التعبير الخاص دليل آخر على تجسّم الأشياء.

و فى الختام يقول تعالى: إِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ الْحِسٰابِ و هذا واضح تماما لانّ كلّ انسان حسابه معه! و نقرا فى بعض الرّوايات:انّ اللّه تعالى يحاسب الخلائق كلّهم فى مقدار لمح البصر.و لا ريب انّ اللّه تعالى لا يحتاج الى وقت لمحاسبه الافراد،و ما جاء فى الرّوايه أعلاه اشاره الى اقصر الفترات.(للتوضيح اكثر راجع تفسير الآيه ٢٠٢ من سوره البقره من تفسيرنا هذا).

١- ١) يقول فريد وجدى فى دائره المعارف فى مادّه(القطران)مائع ناتج من تقطير الفحم الحجرى،و القطران النباتى يتمّ الحصول عليه من بعض الأشجار.

و بما انّ آیات هذه السوره-و کذلک جمیع الآیات-لها جانب الدعوه الی التوحید و إبلاغ الأحکام الالهیّه الی الناس و إنذارهم،یقول تعالی فی آخر آیه من هذه السوره: هٰذٰا بَلاٰغٌ لِلنّٰاسِ وَ لِیُنْذَرُوا بِهِ وَ لِیَعْلَمُوا أَنَّمٰا هُوَ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ وَ لِیَذَّکَّرَ أُولُوا الْأَلْبٰابِ .

بحوث

اشاره

۱-تبدیل الأرض غیر الأرض و السماوات

قرانا فی الآیات أعلاه انّ فی یوم القیامه تبدّل الأرض غیر هذه الأرض و کذلک السّماوات،فهل التبدیل تبدیل ذاتی،ای ان تفنی هذه الأرض و تخلق مکانها ارض اخری للقیامه؟ام المقصود هو تبدیل الصفات،یعنی دمار ما فی الأرض و السّماوات و خلق ارض و سماوات جدیده علی انقاضها؟حیث تکون النسبه بینهما انّ الثانیه أکمل من الاولی.

الظاهر فی کثیر من الآیات القرآنیه أنّها تشیر الی المعنی الثانی،ففی الآیه (۲۱)من سوره الفجر یقول تعالی: کَلاّٰ إِذٰا دُکَّتِ الْأَرْضُ دَکًّا دَکًّا و فی الآیه الاولی من سوره الزلزال یقول تعالی: إِذٰا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزٰالَهٰا وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقٰالَهٰا و فی الآیه(۱۵)من سوره الحاقه وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبٰالُ فَدُکَّتٰا دَکَّهً وٰاحِدَهً فَیَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوٰاقِعَهُ و قوله تعالی: وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْجِبٰالِ فَقُلْ یَنْسِفُهٰا رَبِّی نَسْفاً فَیَذَرُهٰا قٰاعاً صَفْصَفاً- لاٰ تَریٰ فِیهٰا عِوَجاً وَ لاٰ أَمْتاً- یَوْمَئِذٍ یَتَّبِعُونَ الدّٰاعِیَ لاٰ عِوَجَ لَهُ وَ خَشَعَتِ الْأَصْوٰاتُ لِلرَّحْمٰنِ فَلاٰ تَسْمَعُ إِلاّٰ هَمْساً ، (۱) و قوله تعالی: إِذَا الشَّمْسُ کُوِّرَتْ وَ إِذَا النُّجُومُ انْکَدَرَتْ وَ إِذَا الْجِبٰالُ سُیِّرَتْ و قوله تعالی فی سوره الانفطار

۱- ۱) سوره طه،۱۰۵-۱۰۸.

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَ إِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ وَ إِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ وَ إِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ .

يستفاد من مجموع هذه الآيات و الآيات الاخرى التى تتحدّث عن بعث الناس من القبور،انّ النظام الحالى للعالم لا يبقى بهذه الصوره التى هو عليها،و لا يفنى فناء تامّا،بل تتغيّر صوره العالم و تعود الأرض مسطّحه مستويه و يبعث الناس فى ارض جديده(بالطبع تكون الأرض اكثر كمالا لانّ الآخره كلّ ما فيها أوسع و أكمل).

و من الطبيعى انّ عالمنا اليوم ليس له الاستعداد لتقبّل مشاهد الآخره،و هو محدود المجال بالنسبه لحياتنا الاخرويه و كما قلنا مرارا:انّ نسبه عالم الآخره الى عالم الدنيا كنسبه عالم الجنين فى الرحم الى الدنيا.

و الآيات التى تقول: يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ دليل واضح على هذه الحقيقه.

من الطبيعى انّنا لا نستطيع ان نصوّر الآخره و خصائصها بشكل دقيق-كما هو حال الجنين فى بطن امّه لو افترضنا انّ له عقلا كاملا،فإنّه لا يستطيع ان يتصوّر عالم الدنيا-الاّ انّنا نعلم انّه سوف يحدث تغيير عظيم لهذا العالم،حيث يتمّ تدميره و تبديله بعالم جديد،و من الطريف ما ورد فى الرّوايات من انّ الأرض تبدّل بخبزه نقيّه بيضاء يأكل الناس منها حتّى يفرغ من الحساب.

و قد وردت هذه الرّوايات بطرق مختلفه فى تفسير نور الثقلين،و أشار إليها القرطبى فى تفسيره كذلك.

و ليس من المستبعد ان يكون المقصود من هذه الرّوايات انّ الأرض سوف تغطّيها مادّه غذائيه يمكن للإنسان ان يستعملها بسهوله،و وصفها بالخبز لانّه الأكثر احتواء لهذه المادّه الغذائيه.

ص :۵۴۱

۲–بدایه و ختام سوره ابراهیم

و كما رأينا فإنّ سوره ابراهيم ابتدأت فى بيان دور القرآن الكريم فى إخراج الناس من الظّلمات الى نور العلم و التوحيد،و انتهت فى بيان دور القرآن فى إنذار الناس و تعليمهم التوحيد.

انّ هذه البدايه و النهايه تبيّن هذه الحقيقه،و هو انّ كلّ ما نحتاجه موجود فى هذا القرآن،حيث

يقول الامام على عليه السّلام: «فيه ربيع القلوب و ينابيع العلم، فاستشفوه من أدوائكم» و هذا البيان دليل على خلاف ما يراه بعض المسلمين من انّ القرآن الكريم كتاب مقدّس يقتصر وجوده فى ترتّب الثواب لقارئه.بل هو كتاب شامل لجميع مراحل الحياه الانسانيه.

كتاب رشد و هدايه و دستور للعمل،فهو يذكّر العالم و يستلهم منه عموم الناس.

انّ مثل هذا الكتاب يجب ان يأخذ موقعه فى قلوب المسلمين،و يشكّل قانونا و نظاما اساسيا فى حياتهم،و يجب عليهم ان يطالعوه و يبحثوا مضامينه بدقّه فى تطبيقاتهم العمليّه.

انّ هجران القرآن الكريم و اتّخاذ المبادئ المنحرفه الشرقيّه منها و الغربيه، احد العوامل المهمّه فى تأخّر المسلمين.

و ما أروع ما

قاله الامام على عليه السّلام «و اعلموا انّه ليس على احد بعد القرآن من فاقه،و لا لأحد قبل القرآن من غنى». (۱)

و ما اشدّ مصيبتنا فى غربتنا عن القرآن،و معرفه الغرباء به! و من المؤلم ان تكون وسيله السعاده فى دارنا و نحن نبحث عنها فى دور الناس! و ما أعظم المصاب حين نكون الى جانب نبع ماء الحياه،عطاشى،ظمأى،

۱- ۱) نهج البلاغه،الخطبه ۱۷۶.

او نهرول فى الصحارى حفاه وراء السراب! اللهمّ ارزقنا العقل و الهدايه و الايمان حتّى لا نفقد وسيله السعاده هذه،التى هى من ثمار دماء الشهداء فى سبيلك! و الطف علينا بالجدّ حتّى نعلم ضالّتنا فى هذا الكتاب العظيم و لا نمدّ أيدينا الى الآخرين.

٣-التوحيد هو البدايه و النهايه

الفائده الاخرى التى علّمتنا ايّاها الآيه أعلاه،هى التأكيد على التوحيد بعنوان الحديث الأخير،و على اولى الألباب بعنوان التذكّر الأخير.

نعم،فالتوحيد اعمق اصل اسلامى حيث تنتهى اليه جميع خطوط التربيه و التعليم فى الإسلام،و يجب ان نبتدئ به و ننتهى اليه لأنّه العمود الفقرى للإسلام. و ليس توحيد اللّه فى العباده فقط،بل التوحيد فى الهدف،و التوحيد فى صفوف القتال،و التوحيد فى البرامج العمليه و التنفيذيّه،فكلّها توضّح الأركان الاصليّه للدين،و سبب وجود المشاكل الكثيره فى مجتمعاتنا الاسلاميه هو حذف التوحيد من واقعنا العملى.

و مع الأسف الشديد نلاحظ انّ الدول العربيه و التى هى مهد الإسلام قد اقترنت برامجها و اهدافها بالشرك و القوميه و تكالبت خلف أمجاد العروبه و عظمه العرب و أمثال ذلک من الاهداف و الغايات الوهميّه،و اتّخذت الدول الاخرى لها أصناما من هذا القبيل،و بذلک قطعوا أواصر التوحيد الاسلامى التى كانت تربط فى ما مضى شرق العالم و غربه،و تغرّبوا عن مبادئهم السّماويه الى درجه انّ الحرب و الاقتتال فيما بينهم اكثر و اشدّ من حربهم مع أعدائهم!!

حیاه النّبی ابراهیم علیه السّلام

اشاره

مع انّ سوره ابراهیم هی السوره الوحیـده فی القرآن سـمّیت بهـذا الاـسم،رأینا من المناسب ان نفهرس حیاه هـذا الرجل العظیم و محطّم الأصـنام فی نهایتهـا-مع العلم انّهـا لاـ تـذکر حالاـت ابراهیم الاخری التی وردت فی آیات اخری من القرآن-لکی یکون القارئ العزیز علی علم کاف بحیاه هذا الرجل العظیم التی تذکرها الآیات الاخری ان شاء تعالی.

و نستطیع ان نقسّم مراحل حیاته الشریفه الی ثلاث فترات:

۱-فتره ما قبل النبوّه.

۲-فتره نبوّته و محاربته للأصنام فی بابل.

۳-فتره الهجره من بابل و تجواله فی ارض مصر و فلسطین و مکّه.

ولادته و طفولته

ولـد ابراهیم علیه السّـلام فی ارض«بابـل»التی کانت من بلـدان العالم المهمّه، و تحکّمها حکومه قویّه و جائره، و فتـح عینیه علی العالم فی الوقت الذی کان نمرود بن کنعان الملک الجبّار الظالم یحکم ارض بابل و یعتبر نفسه الربّ الأعلی (۱) .

بالطبع لم یکن للناس فی ذلک الوقت هـذا الصـنم فقط،بل کانت لهم أصـنام مختلفه یعبدونها و یتقرّبون إلیها.و الدوله فی ذلک الوقت کانت تـدافع بقوّه عن الأصـنام،لانّها الوسـیله المؤثّره فی تخـدیر و تسـخیف المجتمع،بحیث لو صـدرت ای اهانه من احد تجاهها یعتبرونها خیانه عظمی.

۱- ۱) ذکر بعض المؤرّخین انّ ولادته علیه السّلام-فی مدینه(اور)التابعه لدوله بابل.

و قد نقل المؤرّخون قصّه عجیبه حول ولاده ابراهیم علیه السّلام و خلاصتها هی:

توقّع المنجّمون انّه سوف یولد شخص و یحارب نمرود بکلّ قوّه،و لذلک فقد سعی جاهدا لان یوقف ولاده هذا الشخص او ان یقتله حین ولادته،الاّ انّه لم یتمکّن من ذلک و ولد المولود.

و استطاعت امّه ان تحفظه عبر تربیته فی زوایا الغار القریب من مولده، بالشکل الذی امضی ثلاثه عشر عاما هناک.

و فی النهایه و بعد ان ترعرع فی مخفاه بعیدا عن انظار شرطه نمرود،و وصل الی سنّ الشباب،صمّم علی الخروج منه و النّزول الی المجتمع لیشرح لهم دروس التوحید التی استلهمها من دخیله نفسه و تأمّلاته الفکریه.

محاربته للمجامیع المختلفه من الوثنیین

و فی هذه الأثناء التی کان یعبد فیها شعب بابل-بالاضافه الی الأصنام- الموجودات السّماویه کالشمس و القمر و النّجوم،صمّم ابراهیم علیه السّلام علی ان یوقظ وجدانهم عن طریق المنطق و الادلّه الواضحه،و یزیل عن فطرتهم النقیّه ستار الظّلمات حتّی یشعّ فی نفوسهم نور الفطره و یسلکوا فی طریق التوحید.

و کان یتفکّر فی خلق السّماوات و الأرض حتّی شعّ نور الیقین فی قلبه[۷۵ -الانعام]

.

الجهاد المنطقی مع الوثنیین

واجه ابراهیم اوّلا-عبّاد النّجوم و وقف مع مجموعه ممّن یعبدون الزهره، التی تظهر بعد غروب الشمس مباشره،حیث کانوا منشغلین فی عبادتها،نادی ابراهیم-امّا من باب الاستفهام الانکاری،او من باب التنسیق مع الطرف المقابل بعنوان المقدّمه،لاثبات اشتباههم- هٰذٰا رَبِّی فَلَمّٰا أَفَلَ قٰالَ لاٰ أُحِبُّ

الْآفِلِينَ .

فَلَمّا رَأى الْقَمَرَ بازِغاً و بدا عبده القمر مراسم دعائهم قالَ هذا رَبِّى ؟ فَلَمّا أَفَلَ قالَ:لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضّالِّينَ .

فَلَمّا رَأَى الشَّمْسَ بازِغَةً و قد نشرت اشعّتها الذهبيه على السهول الخضراء،و بدا عبّاد الشمس تضرّعهم و عبادتهم لها قال ابراهيم هذا رَبِّى هذا أَكْبَرُ فَلَمّا أَفَلَتْ قالَ يا قَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِمّا تُشْرِكُونَ (۱) .انّ هذه الآلهه دائمه الأفول و الغروب،فلا اختيار لها إطلاقا،بل هى اسيره القوانين الطبيعيه فكيف تكون خالقه للكون؟ و انهى عليه السّلام هذه الفتره مع الوثنيين على أفضل صوره و استطاع ان يوقظ جماعه منهم و يجعل مجموعه اخرى تشكّ فى عقيدتها.

و لم يمض وقت طويل حتّى شاع صيته..هذا الشاب الذى أنار قلوب الناس بمنطقه و بيانه البليغين!

الحديث مع آزر

و فى مرحله اخرى بدا حديثه مع عمّه آزر بعبارات محكمه جدّا و واضحه مقترنه بالمحبّه،و أحيانا يوبّخه و ينذره من مغبّه عباده الأصنام و يقول له:لماذا تعبد شيئا لا يسمع و لا يرى و لا يغنى عنك شيئا؟ فَاتَّبِعْنِى أَهْدِكَ صِراطاً سَوِيًّا ، إِنِّى أَخافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحْمنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطانِ وَلِيًّا الاّ انّ عمّه لم يستجب له و هدّده بالرجم إذا لم يرجع عن مساره هذا، لكن ابراهيم بقلبه الواسع قال: سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى ۴۷-مريم.

ص :۵۴۶

۱- ۱) الانعام،۹۷۵-۷.

نبوّه ابراهیم علیه السّلام

لیس عندنا دلیل واضح علی عمر ابراهیم علیه السّلام حینما تقلّد مقام النبوّه،و لکن نستفید من الآیات فی سوره مریم،انّه أثناء محاورته لعمّه کان من الأنبیاء،حیث یقول تعالی: وَ اذْکُرْ فِی الْکِتابِ إِبْراهِیمَ إِنَّهُ کانَ صِدِّیقاً نَبِیًّا إِذْ قالَ لِأَبِیهِ یا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا یَسْمَعُ وَ لا یُبْصِرُ وَ لا یُغْنِی عَنْکَ شَیْئاً .

و نعلم انّ هذه الحادثه کانت قبل القائه فی النار،و إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ما قاله بعض المؤرّخین من انّ عمره أثناء القائه فی النّار کان ۱۶ عاما سوف یثبت لدینا انّه تحمّل اعباء الرساله منذ صباه.

الجهاد العملی مع الوثنیین

علی أی حال ازداد صدامه مع الوثنیین یوما بعد یوم حتّی انتهی إلی قیامه بکسر الأصنام فی معبد بابل(الّا کبیرهم)بالاستفاده من الفرصه الملائمه!

الحدیث مع الحاکم المتجبّر!

لقد وصلت هذه الاحداث الی اسماع نمرود فأمر بإحضاره لیطفئ هذا النّور من خلال النصیحه و التهدید. و کان ماهرا فی الدجل،فسأل ابراهیم:إذا کنت لا تعبد الأصنام،فمن هو إلهک؟ قال:ربّی الذی یحیی و یمیت.

قال:انا احیی و أمیت،الا تری انّی اطلق سراح المحکوم بالاعدام،و اعدم من أرید اعدامه؟ فأجابه ابراهیم علیه السّلام بکلام حاسم و قاطع: فَإِنَّ اللّهَ یَأْتِی بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِی کَفَرَ . (۱)

۱- ۱) البقره،۲۵۸.

و ممّا لا شكّ فيه انّ ابراهيم كان يعلم انّ نمرود لا يستطيع ان يحيى الموتى، و لكن مهارته فى الدجل جعلت ابراهيم يأتيه بسؤال لا قدره له على جوابه.

هجره ابراهيم

لقد احسّت حكومه نمرود الجبّاره بخطر هذا الشاب على دولته و انّ من الممكن ان يسبّب يقظه الشعب الرازح تحت ظلمه،و ان يحطّم القيود الاستعماريه المتسلّطه على رقاب الشعب،فصمّم على الإيقاع بإبراهيم من خلال إحراقه بالنّار التى اجّجها جهل الناس و إرهاب النظام الحاكم.

و حينما أصبحت النّار بردا و سلاما بأمر من اللّه تعالى و خرج ابراهيم سالما منها،أصابت نمرود و حكومته الدهشه،و فقدوا معنوياتهم لانّهم كانوا يصوّرون ابراهيم على انّه شاب مغامر يريد تفرقه الناس،لكنّه ظهر قائدا الهيّا و بطلا شجاعا يستطيع ان يقارع الجبّارين لوحده.

و لهذا السبب صمّم نمرود و أعوانه-الذين كانوا يمتصّون قوّتهم من دماء الناس البؤساء-على ان يقفوا بوجه ابراهيم بكلّ قواهم.

و من جهه اخرى فإنّ ابراهيم قد ادّى دوره فى هذا المجتمع،حيث جعل القلوب المستعدّه تميل اليه و تؤمن بدعوته،و لذلك راى من الأفضل ان يترك ارض بابل هو و التابعون له،و لأجل نشر دعوته سافر الى بلاد الشام و فلسطين و مصر،و استطاع هناك ان يدعو كثيرا من الناس الى التوحيد و عباده الواحد القهّار.

المرحله الاخيره للرساله

امضى ابراهيم عليه السّلام عمره فى جهاد الوثنيين و خصوصا صنميه الإنسان، و استطاع ان ينير قلوب المؤمنين بنور التوحيد،و يبعث فيهم روحا جديده،

ص: ۵۴۸

و يحرّر مجاميع اخرى من قيود المتسلّطين.

و الآن يجب ان يصل الى ذروه عبوديته للّه و يبذل كلّ ما عنده فى هذا الطريق بإخلاص،و يصل الى مرحله الامامه بقفزه روحيه كبيره من خلال الامتحانات الالهيّه الكثيره،و فى نفس الوقت يقوم ببناء القواعد للكعبه حتّى تكون اكبر قاعده للعباده التوحيديّه،و يدعو جميع المؤمنين لهذا المؤتمر العظيم الى جانب هذا البيت الكريم.

و قد ادّى حسد ساره زوجته الاولى لهاجر التى كانت جاريه و اختارها زوجه له و ولدت له إسماعيل..ادّى الى ان يأتى بها من فلسطين بأمر اللّه الى مكّه و يتركها و ابنها بين الصحارى و الجبال اليابسه،بدون مأوى و لا قطره ماء،و يعود ثانيه الى فلسطين.

انّ ظهور عين زمزم و مجىء قبيله جرهم و السّماح لها بالسكن كلّ ذلك ادّى لان تعمّر هذه الأرض. رَبَّنا إِنِّی أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِی بِوادٍ غَيْرِ ذِی زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِی إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ .

و من الطريف ان يقول بعض المؤرّخين:حينما وضع ابراهيم زوجته هاجر و ابنه الرضيع إسماعيل فى مكّه و أراد الرجوع،نادته: يا ابراهيم،من أمرك ان تضعنا فى ارض قاحله لا نبات فيها و لا ماء و لا انسان؟فأجابها بجمله قصيره:

ربّى امرنى بذلك،قالت:ما دام كذلك فإنّ اللّه لا يتركنا.

و قد سافر إبراهيم عليه السّلام مرارا الى مكّه بقصد زياره ابنه إسماعيل،و فى واحده من هذه السفرات ادّى مراسم الحجّ،و جاء بإسماعيل الذى كان شابّا قويا و مؤمنا صادقا الى المذبح ليفتدى به بأمر من اللّه و عند ما لبّى امر ربّه و خرج من هذا الامتحان العظيم بأفضل صوره،قبل اللّه سبحانه و تعالى فديته،و حفظ له إسماعيل،و بعث له كبشا ليفتدى به.

و فی النهایه و بعد ان ابلی بلاء حسنا نال کبیر درجه من المقامات التی یمکن للإنسان ان یصل إلیها حیث یقول القرآن الکریم: وَ إِذِ ابْتَلی إِبْراهِیمَ رَبُّهُ بِکَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّی جاعِلُکَ لِلنّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی قالَ لا یَنالُ عَهْدِی الظّالِمِینَ .

منزلته علیه السّلام فی القرآن

توضّح الآیات القرآنیه انّ اللّه سبحانه و تعالی اعطی لإبراهیم مقاما لم یعطه لأحد من الأنبیاء من قبله،و یمکن ترتیب الآیات کما یلی:

۱-انّ اللّه تعالی ذکره بعنوان انّه«امّه»: إِنَّ إِبْراهِیمَ کانَ أُمَّهً قانِتاً لِلّهِ حَنِیفاً وَ لَمْ یَکُ مِنَ الْمُشْرِکِینَ (۱) .

۲-مقام الخلّه وَ اتَّخَذَ اللّهُ إِبْراهِیمَ خَلِیلاً . (۲)

و قد جاء فی بعض الرّوایات:(انّما اتّخذ اللّه ابراهیم خلیلا لانّه لم یردّ أحدا و لم یسأل أحدا قطّ غیر اللّه تعالی) (۳) .

۳-و کان من اَلْمُصْطَفَیْنَ الْأَخْیارِ (۴) ،و لَمِنَ الصّالِحِینَ (۵) ، وَ الْقانِتِینَ (۶) ، وَ الصِّدِّیقِینَ (۷) ،و کان لَأَوّاهٌ حَلِیمٌ (۸) ،و من اَلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ (۹) .

۴-انّ ابراهیم کان محبّا للضیوف،و قد ورد فی بعض الرّوایات انّه کان

ص: ۵۵۰

۱- ۱) النحل،۱۲۰.

۲- ۲) النساء،۱۲۵.

۳- ۳) سفینه البحار،ج ۱،ص ۷۴.

۴- ۴) سوره ص،۴۷.

۵- ۵) النحل،۱۲۲.

۶- ۶) النحل،۱۲۰.

۷- ۷) مریم،۴۱.

۸- ۸) التوبه،۱۱۴.

۹- ۹) النجم،۳۷.

يلقّب ب«أبى الأضياف». (۱)

۵-و كـان من المتوكّلين على اللّه،و لاـ يطلب حاجه الاّ منه،و قـد ورد فى التاريـخ انّه كان معلّقا بين السّـماء و الأرض أثناء قـذفه بالمنجنيق سأله جبرئيل:

هل لك حاجه؟قال:نعم،و لكن ليست منك بل من اللّه! (۲) .

۶-و كـان شـجاعا مقـداما حيث وقف وحيـدا بوجه التعصّـبات الوثنيّه،و لم يظهر اى خوف فى مقابلتهم،كسّـر أصـنامهم و جعلها ركاما،و تحدّث مع نمرود و أعوانه بكلّ شجاعه.

۷-كان لإبراهيم عليه السّـلام منطق قوى و اسـتطاع من خلال عباراته و جمله القصـيره المحكمه ان يبطل اقوال المضلّين.و لم يثنه بأسهم عن مواصله الطريق، بل كان يواجه الأمور بالصبر و الحلم المعبّرين عن روحه الكبيره،كما جاء فى محاجته مع نمرود و مع عمّه آزر و مع القضاه أثناء محاكمته حيث قالوا له: أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هٰذٰا بِآلِهَتِنٰا يٰا إِبْرٰاهِيمُ، قٰالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذٰا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كٰانُوا يَنْطِقُونَ لقد اسـتطاع من خلال هذه الجمله ان يفحمهم و يسدّ عليهم طريق الردّ عليه،فإذا قالوا:آلهتنا لا تسـمع و لا تنطق.فتبّا لهذه الآلهه!و إذا قالوا:تنطق.

فلمـا ذا لاـ يتكلّمون؟! فَرَجَعُوا إِلىٰ أَنْفُسِـهِمْ فَقٰـالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظّٰـالِمُونَ اى قالت لهم أنفسـهم:انّكم ظالمون، و على اى حال كان عليهم ان يجيبوا ثُمَّ نُكِسُوا عَلىٰ رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مٰا هٰؤُلاٰءِ يَنْطِقُونَ هكذا كان جواب ابراهيم كالصاعقه على رؤوسهم أُفٍّ لَكُمْ وَ لِمٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ .

و عند ما رأوا انّهم لا يستطيعون مقاومه هذا المنطق الرصين قٰالُوا حَرِّقُوهُ وَ انْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فٰاعِلِينَ .

۱- ۱) سفينه البحار،ج ۱،ص ۷۴.

۲- ۲) الكامل لابن الأثير ج ۱-ص ۹۹.

هذا نموذج من المنطق الواضح المبيّن و الذى كان ابراهيم فيه هو الفائز.

۸-لقد عدّ القرآن الكريم الحنيفيّه الابراهيميّه واحده من مفاخر المسلمين (۱) و انه هو الذى سَمّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ (۲) .

۹-وضع مناسک الحجّ بأمر من اللّه،و لذلک امتزج اسمه فى جميع مراسيم الحجّ،حيث يتذكّر كلّ مسلم أثناء ادائه للفرائض هذه الشخصيّه العظيمه و يحسّ بعظمه نبوّته فى قلبه،انّ أداء فريضه الحجّ بدون ذكر ابراهيم تصبح خاويه المعنى.

۱۰-لقد حاولت كلّ المذاهب ان تنسب ابراهيم لنفسها،فاليهوديه و النصرانيه تؤكّدان على صلتهما به بسبب شخصيته الكبيره،و لكن القرآن الكريم ينفى هذه الصله حيث يقول تعالى: مٰا كٰانَ إِبْرٰاهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لاٰ نَصْرٰانِيًّا وَ لٰكِنْ كٰانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَ مٰا كٰانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (۳) آمين ربّ العالمين نهايه المجلد السّابع

ص: ۵۵۲

۱- ۱) سوره الأنبياء،۶-۷۶۳،و سوره الحجّ،۷۸ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرٰاهِيمَ .

۲- ۲) الممتحنه،۴.

۳- ۳) آل عمران،۶۷.

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ۱۴۲۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:
طبع الكتب والملزمات والدوريات
إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب
إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية
إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية
افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com
إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...
الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها
تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms
إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس
إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين
إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛
JAVA.١
ANDROID.٢
EPUB.٣
CHM.۴
PDF.۵
HTML.۶
CHM.٧
GHB.٨
إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية
ANDROID.١
IOS.٢
WINDOWS PHONE.٣
WINDOWS.۴

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فى طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.



مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹